

تاريخ الجالية الأرمنية في مصر

تأليف

محمد رفعت الإمام



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

هذا الكتاب يتناول «تاريخ الجالية الأرمنية في مصر في القرن التاسع عشر» والموضوع - كما يرى القارئ - جديد في حقل الدراسات التاريخية المصرية، ونحن نرحب به في هذه السلسلة على أمل أن يشجع الباحثين عامة، والجامعيين خاصة، على خوض هذا اللون من الدراسات، فنرى رسائل علمية عن الجاليات التي امتلأت بها مصر في القرن التاسع عشر!

ففيما عدا الدراسة القيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور مسعود ضاهر، الأستاذ بالجامعة اللبنانية عن: «الهجرة اللبنانية إلى مصر»، «هجرة الشوام»، والتي صدرت في منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، في عام ١٩٨٦ في بيروت، فانا لا نجد اهتماماً يذكر من جانب الباحثين المصريين بمثل هذا الجانب من جوانب الدراسة التاريخية.

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزار

تاريخ
الجالية الأرمنية في مصر
القرن التاسع عشر

تأليف
محمد رفعت الإمام



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن «تاريخ الجالية الأرمنية في مصر في القرن التاسع عشر، للأستاذ محمد رفعت الإمام. وهو في الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها على درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة المنصورة بتقدير ممتاز، ثم أجرى تعديلات شاملة، وأضافات جديدة عليها، فخرجت على هذا النحو.

والموضوع - كما يرى القارئ - جديد في حقل الدراسات التاريخية المصرية، ونحن نرحب به في هذه السلسلة على أمل أن يشجع الباحثين عامة، والجامعيين خاصة، على خوض هذا اللون من الدراسات، فنرى رسائل علمية عن الجاليات التي امتلأت بها مصر في القرن التاسع عشر !

ففيما عدا الدراسة القيمة التي قدمها الأستاذ الدكتور مسعود ضاهر، الأستاذ بالجامعة اللبنانية عن: «الهجرة اللبنانية إلى مصر» هجرة الشوام، والتي صدرت في منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، في عام ١٩٨٦ في بيروت، فإننا لا نجد اهتماماً يذكر من جانب الباحثين المصريين بمثل هذا الجانب من جوانب الدراسة التاريخية.

والكتاب الذي بين أيدينا ينقسم إلى ستة فصول وخاتمة، الفصل الأول بعنوان: «أرمنية والأرمن»، ويتحدث عن الملامح الجغرافية الأرمنية، وسكانها، وعن الأرمن تحت الحكم العثماني.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان: «هجرة الأرمن إلى مصر»، ويتناول تاريخ هذه الهجرة، التي يرجع بها خاصة إلى عصر

الفتوح الإسلامية، ويتحدث عن تولى بعض الأرمن المسلمين إمارة مصر خلال العصر العباسي، ويمر بها عبر العصور الإسلامية حتى القرن التاسع عشر، كما يتحدث عن توزيع الأرمن الجغرافي في مصر.

وفي الفصل الثالث يتحدث الكتاب عن النشاط الاقتصادي للأرمن في مصر، فيتناول ميادين المال والتجارة، والزراعة، والحرفة، و ملكية الأرض.

أما الفصل الرابع فيتناول الأرمن في الجهاز الحكومي، وفي إدارة التعليم، والمالية، والسكك الحديدية، والتجارة الخارجية، والحقانية، والداخلية، والأشغال.

أما الفصل الخامس، فيتحدث عن الدور السياسي للأرمن، سواء في بلاط الحكام، أو في إدارة الأقاليم، وفي تولى الوزارات (أو النظارات كما كانت تسمى في ذلك العصر).

أما الفصل السادس، فيتناول الأرمن في المجتمع المصري، ودورهم في التعليم، والصحافة، والفنون.

وينتهي الكتاب بخاتمة تقييمية، وعدة ملاحق مهمة، تتناول حوادث هامة للأرمن في القرن التاسع عشر، والاستقرائية الأرمنية، ورجال الدين الأرمن، ووثائق تأسيس المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ونماذج من تعدادات الأرمن الكاثوليك، بالإضافة إلى معجم وخرائط وصور.

وانى اذ يسعدنى حقا نشر هذا الكتاب فى سلسلة تاريخ المصريين، امل أن يجد فيه القارئ المثقف والاكاديمى ما ينشد من فائدة ومتعة.

والله الموفق.

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

إهداء
إلى
مُربي الأجيال... والدي الغالي
الأستاذ
رفعت الإمام
ثمرة من زرعك الطيب

مقدمة

لقد انجذب الباحثون في معظم أنحاء العالم، ولازالوا، صوب تاريخ الشعب الأرمني سواء في أرمينية أو في المهاجر التي نزحوا إليها واستقروا بها. هذا، ويلاحظ أن «الهجرة» تُعد من السمات المميزة للشخصية الأرمنية عبر تاريخها. إذ تتصف أرمينية جغرافياً بكونها بيئة طاردة للسكان لأنها تشمل مساحات شاسعة غير صالحة لسكنى البشر وتكتظ بالمستنقعات المليئة بالأوبئة وتتعرض دوماً للزلازل والبراكين التي ما برحت تطرد الأرمن خارج بلادهم. وكذا، عاقت البيئة الأرمنية في الأغلب عن إقامة دولة كبيرة موحدة بسبب تمزقها تضاريسياً واقتارها إلى طرق طويلة ونقل داخلي منظم وطرق مأمونة إلى البحار. ولما كانت أرمينية «منطقةً بيئية» تقع على مفرق الطرق التجارية والعسكرية بين أوروبا وآسيا، فقد غدت هدفاً إستراتيجياً لجميع «القوى الكبرى» المتنافسة التي ظهرت في المنطقة. ولذا، فلا غرو أن ظلت أرمينية «مستعمرة» في أغلب فترات تاريخها. وقد نجم عن هذا، مزيداً من «نزوح» الأرمن وهجرتهم إلى مناطق متباعدة.

ورغم تشمت الأرمن في بقاع عديدة من العالم، إلا أن حياتهم في المهاجر قد اتسمت بالتواصل العرقي والمحافظة الاجتماعية. يُساعدهم في هذا، تشبثهم بلغتهم وثقافتهم وهويتهم، ويُغذى هذا من الخلف كنيسة وطنية يُقدسها الأرمن ويتوقعوا بداخلها إبان أزماتهم ونكابتهم. ولذا، فلا غرو أن ظلت الكنيسة الأرمنية بمثابة «المغناطيس» الذي يجذب شتات الأرمن خارج أرمينية. ورغم تشبث الأرمن بشخصيتهم العرقية والوطنية والثقافية وعدم ذوبانهم في المجتمعات التي استعمرتهم أو استوطنوا في رحابها، إلا أنهم اتسموا بقدرتهم على «التكيف» مع هذه المجتمعات دون الانصهار فيها.

وقد دعا الاهتمام العالمى بتاريخ الأرمن، سواء فى أرمينية أو المهاجر، والاهتمام بدور الأقليات فى تاريخ مصر إلى اهتمامى بتاريخ الأرمن بعامة وجاليتهم الكائنة فى مصر بخاصة. وفى هذا الاطار سجلت رسالة الماجستير عن «الأرمن فى مصر فى القرن التاسع عشر» وأجازتها كلية الآداب جامعة المنصورة. كما سجلت أطروحتى للدكتوراه عن «الأرمن فى مصر ١٨٩٦ - ١٩٦١» بكلية البنات جامعة عين شمس تحت إشراف الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق.

وفى الواقع، يُعد القرن التاسع عشر قرناً تاريخياً أنموذجياً، وبحق، لما حدث فيه من تحولات جذرية عميقة سواء فى مصر أو فى الدولة العثمانية أدت إلى هجرة الأرمن ونزوحهم إلى مصر. ولما كانت مصر القرن التاسع عشر مطمحاً للمغامرين والطموحين لتحقيق طموحاتهم فى الإثراء والمكانة الاجتماعية المرموقة، فمابرحت عناصر شتى، ومنها أرمن، تتربى إلى مصر. هذا، وقد وفد الأرمن إلى مصر بسمات حضارية خاصة، واكتسبوا سمات حضارية أخرى بفعل تعايشهم فى العالمين العثمانى والأوروبى. وبهذا، اتصفوا بازدواجية حضارية جعلتهم على إلمام بالشرق والغرب فى آن واحد. وكذا، وفدوا على مجتمع كبير ذى عناصر متباينة لكل منه سلوكه الحضارى وشخصيته الثقافية. فكيف «تعايش» الأرمن داخل هذا الاطار؟.

أكثر من هذا، ثمة حقيقة مؤداها أن الأرمن هم الجالية غير الإسلامية الوحيدة فى مصر التى استأثرت بعض أفرادها بمناصب وزارية ظلت حكراً عليهم - أو تكاد - خلال القرن التاسع عشر. فكيف وصل الأرمن إلى هذه المناصب واستأثروا بها؟ ولماذا الأرمن بالذات؟ وماهى اتجاهاتهم؟ ولن كان يعمل الأرمن؟.

وعندما راح الأرمن يطالبون بإصلاح أحوالهم في الدولة العثمانية تعرضوا لاضطهادات مابرحت تدفع الأرمن للنزوح إلى مناطق متباينة. هنا، تُعد مصر من أهم البلاد التي نزح إليها الأرمن اللاجئون الفارين أثر هذه الاضطهادات، بل تُعد مصر أكبر دولة إفريقية استوعبت الأرمن. ولذا، فلا غرؤ أن غدت الجالية الأرمنية في مصر من أشهر الجاليات الأرمنية في المهاجر.

وثمة مادة متنوعة قد ساعدت في إخراج الدراسة على النحو التي ظهرت به. وتأتى على قمتها الوثائق غير المنشورة بـ «دار الوثائق القومية» و «دار المحفوظات العمومية» بالقاهرة. ثم، الوثائق الأرمنية غير المنشورة بأرشفيات المطرانيات الأرمنية بمصر مثل دفاتر المجلس الملي الأرمني الأرثوذكسي بالقاهرة والإسكندرية الموجودة بأرشفية مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة فضلاً عن سجلات المواليد والزواج والوفيات*. وأيضاً، تعدادات الأرمن الكاثوليك المودعة بأرشفية مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة. يُضاف إلى هذا، المادة المستخلصة من شواهد القبور والتحف المودعة بمطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة. ثم، أخيراً، مجموعة من المذكرات والدراسات المتباينة والموسوعات والدوريات المتنوعة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والأرمنية. وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى ستة فصول تُنتهيها خاتمة وثلاثة ملاحق.

* قامت الباحثة الفرنسية أنا قازازيان بدراسة هذا الأرشفية في رسالتها للماجستير

المقدمة إلى جامعة بروفانس بـ «إكس مارسيل» بفرنسا خلال يونية ١٩٩٠.

Kazanian, Anne, Etat des Archives du Patriarcat Arménien Orthodoxe du Caire, Université du Provence - Aix Marseille, Juin 1990.

يستعرض الفصل الأول «أرمينية والأرمن» الملامح الجغرافية لأرمينية ومدى تأثير جغرافيتها على مجرى تاريخها. وكذا، يستعرض أصول الأرمن وسماتهم بعامة. ثم، أوضاع الأرمن تحت الحكم العثماني حتى اندلاع المذابح فى تسعينيات القرن التاسع عشر.

أما الفصل الثانى «هجرة الأرمن إلى مصر» فيرصد الظروف والعوامل المختلفة التى أدت إلى هجرة الأرمن إلى مصر مع بيان أهم فترات الجذب والطرده. ثم، التوزيع الجغرافى للأرمن فى مصر وتركزهم الأساسى فى القاهرة والإسكندرية.

ويُخصص الفصل الثالث «النشاط الاقتصادى للأرمن» لدراسة أنشطتهم المختلفة فى مجالات المال والتجارة والزراعة والحرف والصناعات وملكية الأرض مع بيان التطورات التى طرأت على هذه الأنشطة وتأثيرها فى وضعية الأرمن.

ويستعرض الفصل الرابع «الأرمن فى الجهاز الحكومى» وضعية الأرمن فى الجهاز الحكومى واشتغالهم بأجهزة التعليم والمالية والسكك الحديدية والتجارة والخارجية والحقانية والداخلية والأشغال.

ويأتى الفصل الخامس «الدور السياسى للأرمن» ليرصد دورهم السياسى منذ أن نشأ فى أحضان البلاط وتبلور بشكل ملموس عندما وثق الأرمن علاقاتهم بالحكام الذين أسندوا إليهم مناصب إدارية ذات سمات سياسية مثل إدارة الأقاليم التابعة لمصر والنظارات المختلفة.

ويتناول الفصل السادس «الأرمن فى المجتمع المصرى» دراسة الحياة الداخلية للجالية الأرمنية وعلاقاتها بالعناصر المتباينة الموجودة بمصر فضلاً عن استعراض بعض الأنشطة المتنوعة للأرمن فى المجتمع

المصرى مثل التعليم والصحافة والفنون . ثم، الخاتمة التى ترصد أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

أما الملاحق، فأولها يتناول «وثائق تأسيس المجلس الملي الأرمنى بالقاهرة» مترجمة من الأرمنية إلى العربية. وتُعد هذه الوثائق بمثابة الاعتراف الرسمى بالجالية الأرمنية الأرثوذكسية فى مصر. أما الملحق الثانى فهو عبارة عن «معجم» لبعض المصطلحات المختلفة الواردة بالدراسة. وقد أثرتُ أن أجمع هذه المصطلحات فى إطار واحد بدلاً من تشتيت القارئ داخل متن الدراسة بين لحظة وأخرى. وتجدر الإشارة هنا إلى أننى قد جمعتُ ما استطعتُ إليه سبباً فقط. ولم أجمع كل المصطلحات الواردة داخل الدراسة لأن ذلك يُعد عملاً شاقاً ويبعد كثيراً عن إطار الموضوع. ولكننى اجتهدتُ - وسع الطاقة - فى جمع أهمها وأفيدها للدراسة. وتنتهى هذه الملاحق بثالثها الذى اختص بـ «الخرائط والرسومات البيانية والأشكال والصور المتنوعة».

ثمة إشارة إلى أننى قد أثرتُ كتابة أسماء الأعلام والأماكن الأرمنية الواردة داخل الدراسة حسب نطق الأرمن النازحين من الأناضول، ويُسمون الأرمن الغربيين، وينتمى إليهم معظم أرمن مصر. ويُستثنى من هذا بعض الأسماء التى اشتهرت بالنطق العربى مثل: يوسف حكيكيان بدلاً من هوغسيب حكيكيان، ويوسف الأرمنى بدلاً من هوغسيب باليان، وإسطفان دميروچيان بدلاً من إستيبان دميروچيان، ويعقوب أرتين بدلاً من هاجوب أرتين... وهكذا. ومهما كانت لغة المصادر التى نقلتُ عنها، إلا أننى قد وحدتُ كتابة معظم الأسماء حسب النطق الأرمنى. وهى أهم الأسماء التى وردت داخل الدراسة ومقابلها العربى:

إستيبان ← إسطفان
 أنضمون ← أنطون
 بدروس ← بطرس
 داڤيت ← داود
 جرابيد ← قرة بت
 كبريل ← جبريل
 كريكور ← جريجور
 كيڤورك ← چودج
 موڤسيس ← موسى
 رابائيل ← روفائيل
 نيجوغيوص ← نيقولا
 هاجوب ← يعقوب
 هوڤسيب ← يوسف

ويبقى أخيراً أن أوجه عميق شكرى وتقديرى وإعزازى إلى جميع
 الذين أسهموا فى إخراج هذه الدراسة. فأشكر أولاً جميع أفراد أسرتي
 الذين أسهموا معنوياً ومادياً بكل جهدهم طوال فترة الدراسة. وأشكر
 الأستاذ الدكتور علي بركات - العميد الأسبق لكلية الآداب جامعة
 المنصورة - الذى أشرف فترة طويلة علي رسالة الماجستير. ثم أشكر
 الأستاذ الدكتور طلعت إسماعيل رمضان - وكيل كلية الآداب للدراسات
 العليا جامعة المنصورة سابقاً - الذى انتقل إليه الإشراف وبذل مجهوداً
 كبيراً فى إنجاز هذه الدراسة.

وأتقدم بشكر خاص إلى الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان على

ما أسداه، ولا زال، من خدمات جليلة للثقافة المصرية بعامة والتاريخية الجادة منها بخاصة.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة على ما تقدمه من جهود في خدمة الثقافتين المصرية والأرمنية. وكذا، أشكر المطران زاقين شنشينيان مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر، والمطران بطرس تازا مطران الأرمن الكاثوليك بمصر. وأشكر المؤرخ الأستاذ هوفانيس دير بدروسيان رئيس تحرير جريدة أريف اليومية المصرية الأرمنية بالقاهرة. كما أشكر الأستاذين نوبار وهراثش سيمونيان «دار نوبار للطباعة». وأتقدم بشكر خاص إلى الصديق الحميم الدكتور جورج نوبار سيمونيان (أبو مارينا) المدرس بكلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان.

وكذلك ، أشكر الأستاذ مانويل كريكوريان سكرتير مكتب الإتحاد الخيري الأرمني العام بمصر، والموسيقار هايج آفاكيان المؤرخ والمحلل الموسيقي، وأشكر الأستاذ مراد رويين هاروتيونيان رئيس تحرير بقسم اللغة الإنجليزية في قناة النيل الدولية .

وأخيراً، وليس آخرأ ، أشكر الأستاذ بيرج ديكران ترزيان رئيس جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة علي ما أسداه لي من خدمات علمية. فثابه الله عنى حُسن الثواب.

وعلي الله قصد السبيل

صحمد رفعت الله صام

حدائق المعادى - القاهرة

الجمعة ٢٣ يولية ١٩٩٩

الفصل الأول

أرمينية والأرمن

١- الملامح الجغرافية لأرمينية

٢- السكان وأصولهم العرقية

٣- الأرمن تحت الحكم العثماني

١- الملامح الجغرافية لأرمينية

فى الابتداء، ليس ثمة حدود ثابتة لأرمينية عبر تاريخها لأن حدودها دائمة المد والجزر تبعاً لوضعيتها سياسياً وعسكرياً. بيد أن المنطقة التي عُرِفَتْ تاريخياً بـ «أرمينية القديمة» قد غطت مساحة شاسعة تحدها آسيا الصغرى من الغرب، وسلسلة جبال القوقاز من الشمال، والبحر الأسود من الشمال الغربى، وبحر كاسبىان (بحر الخزر أو قزوين) من الشمال الشرقى، وأرض فارس من الجنوب الشرقى.^(١) وتحديدأ، تشمل أرمينية القديمة فى الوقت الراهن معظم شرقى تركيا، والجزء الشمالى الشرقى من إيران، وأجزاء من جمهوريتى أنزريجان وچورچيا فضلاً عن جمهورية أرمينية بأكملها.^(٢)

وثمة حدود طبيعية تفصل أرمينية عن جيرانها. إذ يفصلها نهر الجور شرقاً عن الأراضي المنخفضة المتاخمة لبحر قزوين، وتفصلها سلسلة جبال بونط شمالاً عن البحر الأسود وچورچيا، وتفصلها سلسلة جبال طوروس جنوباً عن سورية وكردستان وإيران.^(٣)

هذا، وتشكل أرمينية القديمة وحدة جغرافية تُوصف على نحو دقيق بأنها «جزيرة جبلية» لأن المرتفعات تشغل أكثر من نصف مساحتها.^(٤) ويمثل جبل آراراد أبرز معالمها الجغرافية.^(٥) وعليه رست سفينة نوح عليه السلام بعد رحلتها الطويلة من بلاد ما بين النهرين طبقاً لما ورد فى سفر التكوين.^(٦) (شكل رقم «١»: الأبجدية الأرمينية) ويُعد هذا الجبل أقدم قداس للأرمن ورمز جنسهم الذى يصفه البعض بأنه ينشخر ويتصدع لكنه راسخ لا ينهار.^(٧) وغير آراراد، ثمة جبال أخرى بأرمينية مثل جبل سيبان (١٤.٤٠ قدم) وجبل أراكانز (١٣.١٠ قدم) وجبل

ومن سفوح هذه الجبال تتبع عدة أنهار حفرت دروبها عبر السهول المتباينة ونجم عنها مضائق وأودية ضيقة وشلالات. بيد أنها ليست صالحة برمتها للملاحة. ويعد نهر أراكس أطول أنهار أرمينية وأهمها قاطبة. يبدأ هذا النهر من جبال الأناضول الشرقية ويصب في بحر قزوين. هذا، ويتدفق أراكس عبر سهل أراراد ووادي أراكس ويخصبهما. وكذا، تتبع من سفوح جبال أرمينية أنهار: بيراد (الفرات) وديكرس (جلة) والجور وغيرهم.^(٩) وبجانب الأنهار، ثمة بحيرات بأرمينية مثل ثان التي تعد أهم البحيرات وأوسعها وأعمقها (يبلغ طولها «٢٩٠٠» كم وترتفع «١٦٩٠» متر فوق مستوى سطح البحر) وسيشان أعلى البحيرات (أكثر من «٦٣٠٠» قدم فوق مستوى سطح البحر ويبلغ طولها «١٤١٦» كم) وأورمية (Urmiye = Urmia)، أضطلها وأملحها.^(١٠)

ويسود أرمينية مناخ قارى. ففي القمم العالية يكون الشتاء قارساً مع سقوط ثلوج كثيفة، ويكون الصيف في الأراضي المنخفضة جافاً حاراً. ويستمر الشتاء لمدة سبعة أشهر، في حين لا يزيد الصيف عن ثلاثة أشهر.^(١١) وجدير بالذكر أنه تُزرع في الأراضي الصالحة للزراعة بأرمينية عدة محاصيل مثل القطن والطباق والكتان والبنجر والمشمش والبطيخ وغيرها. وتوجد في غاباتها القليلة بعض الحيوانات مثل الذئاب والذئبة والثيران والبالغ وغيرها. كما تحظى أرمينية بثروة معدنية من الأحجار الكريمة ومناجم الذهب والفضة والحديد والنحاس والملح وغير ذلك.^(١٢)

وهكذا، يُلاحظ أن أرمينية قد اتصفت جغرافياً بالتناقضات بين

الجمال والخراب، ونباييع الميناه المتدفقة والأراضى القاحلة، والحرارة المحرقة في الصيف والبرودة القاسية في الشتاء، والسهول الدافئة والجبال المغطاة بالجليد، والهضاب المجذبة والأودية المزدهرة بالمرزوعات المتباينة. (١٣)

والحق، أن جغرافية أرمينية قد أثرت إيجابياً وسلبياً في تشكيل مجرى تاريخها. أما إيجابياً، فقد أدت جغرافية أرمينية المعقدة إلى تحمل قاطنيها المصاعب التي أضحت شيئاً طبيعياً بالنسبة إليهم. كما طبعت قاطنيها علي أصول اللقاح عن عزتهم القومية وعلي محبة الحرية. (١٤) وفوق هذا، فإن موقع أرمينية جغرافياً قد جعلها حلقة وصل بين الإمبراطوريات المجاورة. وبذا، غدت أرمينية معبراً تجارياً وثقافياً بين آسيا وأوروبا مما أتاح للأرمن أن يطوروا أنفسهم مادياً وثقافياً بإطلاعهم علي معظم معارف العالم المتحضر. وفي المقابل، صار الأرمن الواسطة التي ساعدت أوروبا أن تتعلم من آسيا إبان العصور القديمة والوسطى. وأن تتعلم آسيا من أوروبا خلال العصور الحديثة. وبعمامة، إذا كانت حدود أرمينية الجبلية قد حمتها شمالاً وجنوباً، فإن أودية الأنهار والممرات الأخرى قد جعلتها أقل أمناً شرقاً وغرباً. وأخيراً تُعد جغرافية أرمينية مسؤولة جزئياً عن بقاء الشعب الأرمني وثقافته. (١٥)

وسلبياً، تُعد أرمينية بيئة طاردة جغرافياً للسكان وعائقة في الأغلب عن إقامة دولة مركزية. إذ توجد بأرمينية مساحات شاسعة ليست مناسبة للاستيطان البشري. فبالإضافة إلى البحيرتين الكبيرتين الداخليتين شان وسيقان تُوجد بها جبال شاهقة مغطاة بالجليد. وتخللت أوديتها العميقة الضيقة معظم أراضى المنطقة وجعلت الإتصال صعباً

بينها . ناهيك عن تعرضها يوماً للزلازل والبراكين التي تُزيد من مخاطر الحياة . وكذا ، افترقت أرمينية إلى طريق مناسب ونقل نهري وممر مأمون إلى البحار . فرغم أنها تقع على مفرق الطرق الرئيسية الممتدة من آسيا الصغرى إلى فارس ، ومن البرزخ القوقازي حتى بلاد ما بين النهرين ، إلا أن المنطقة ذاتها تفتقر إلى طرق رئيسية . ورغم أن ثلاثة أنهار كبيرة هي أراكس وبيراد (الفرات) وديكريس (دجلة) تتبع جميعها من أرمينية ، إلا أن أحداً منها لا يصلح للملاحة حتي للمراكب الصغيرة .^(١٦) هذا ، ولئن كانت السلاسل الجبلية قد قسمت أرمينية داخلياً إلى أقاليم جغرافية متباينة ما انفكت أن تحولت إلى تقسيمات سياسية متناحرة جعلت أرمينية لا تتمتع في معظم فترات تاريخها بإقامة دولة مركزية موحدة يُديرها حاكم قوي ،^(١٧) فخارجياً ، شكلت السلاسل الجبلية من أرمينية «قلعة طبيعية حصينة» أغرت الغزاة مراراً طوال تاريخها وجعلتها منطقة صراع بين الإمبراطوريات المتنافسة بسبب موقعها الجغرافي والإستراتيجي على مفرق الطرق التجارية والعسكرية بين أوروبا وآسيا .^(١٨)



٢- السكان وأصولهم العرقية

لقد اختلفت الآراء حول أصل الأرمن.^(١٩) بيد أن أدقها يذهب إلى أنه خلال النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد قد أصبحت المنطقة التي صارت تُعرف بـ «أرمينية» موطناً لعدد من السكان الذين تباينوا في أصولهم العرقية. ويمكن تقسيمهم إلى مجموعتين أساسيتين :

١- السكان الأصليون في المنطقة: وهم من أصل قوقازي - أرميني

أقاموا مملكة عُرفت بـ «أوراردو». (Armeno-Caucasian Race^(٢٠))

٢- النازحون من البلقان Balkans: وهم قبائل من أصول هندو-أوربية

Indo-Europeans قد نزحت إلى المنطقة تحت ضغط الجماعات الإليرية

Ilirians مثل الخوري Khurri والموسشكي Muschki والهاياسا Hayasa

والإسكيثيين Scythians والأرميناجان Armenagan وغيرهم.^(٢١)

وهكذا، غزا النازحون مملكة أوراردو وفرضوا عليها حكمهم. وفي البداية حمل كل عنصر سماته الخاصة ثم مالبت هذه العناصر جميعاً أن انصهرت في كيان واحد، ساهم فيه الأوراديون بطابعهم الزراعي، في حين ساهم النازحون بلغتهم وبنائهم الاجتماعي المرتكز على دعائم منظمة بدرجة عالية. وكذا، اتسمت هذه العناصر جميعها بطابع حربي.^(٢٢)

ويُشير علماء السلالات إلى أن الأرمن نتاج خليط جنسي يتكون من العنصر القوقازي - الأرميني Armeno-Caucasian بنسبة «٥٣» والعنصر الألبى Alpine Branch بنسبة «٢٢» والعناصر الشمالية Brach-

icephalous Races بنسبة «١٠» والعنصر الديناري Dinaric Race بنسبة «٩» وعناصر أخرى بنسبة «٧»^(٢٣) كما أكد علماء غقه اللغة Philology المقارن وجود بصمات واضحة للغات التراقية والفريجية والآرية واليونانية والفارسية والسريانية والأورادية علي اللغة الأرمنية مما يدل علي أن الأرمن نتاج امتزاج عدة عناصر عرقية.^(٢٤)

ورغم ذلك، يُعد الأرمن من أقل العناصر المخلطة في العالم. ويرجع هذا إلي أن عملية تكوين الشعب الأرمني لم تستغرق فترة طويلة. كما أن أرمنية معزولة جغرافياً عن العالم الخارجي بحدود طبيعية صارمة. وكذا، فإن اتجاه الأرمن إلي الإنعزال في مسائل دينية قد دعم هذه المسألة، ناهيك عن تشبثهم بالزواج فيما بينهم فقط. في الغالب.^(٢٥)

أطلق أبناء الشعب الجديد علي أنفسهم «هاي» Hai وعلي بلدهم «هايستات» Hayastan. ويُرجح بأن كلمة هاي مأخوذة عن اسم قبيلة هاياسا Hayasa التي تُشكل جزءاً كبيراً في بنية الشعب الأرمني، أو أنها مشتقة من كلمة Pati أو Khati وهي اسم وطني للحيثيين، وتعني الكلمتان «رئيس» أو «أمير»^(٢٦). أما Armenia فهو الاسم الذي أطلقه الفرس علي منطقة هايستان، وربما اشتقوه من اسم قبيلة الأرميناجان Armenagan، وانتقلت هذه الكلمة عن طريقهم إلي اليونانيين الذين أسموهم Armenioi.^(٢٧) ثم انتقلت عن طريق الآخرين إلي معظم لغات العالم.^(٢٨)

ولم تعرف أرمنية الدولة المركزية إلا نادراً. فقد بلغت أوجها إبان حكم ديكران الكبير (٩٥ - ٥٥ ق م) [انظر خريطة رقم «١» : الإمبراطورية الأرمنية] الذي شيد عاصمة في ديكراناجرد ووحد الأمراء

الأرمن Nakharars تحت سيطرته وتحدي قوة روما. ورغم أنه أطلق على نفسه «ملك الملوك»، وهزم الفيالق الرومانية التي جاءت لإبادته، وامتدت حدود أرمينية في عهده من بحر قزوين حتي البحر المتوسط، وجلس على العرش السليوقي في أنطاكية، إلا أن إمبراطوريتي قد انهارت على أيدي القائد الرومانيين لوكلوس ويومبي وأضحت ولاية رومانية.^(٢٩)

وقد أصبحت المسيحية ديانة رسمية لأرمينية^(٣٠) في أو حوالي عام ٣٠٠ ميلادية عندما اعتنقها الملك ديرتاد الثالث (٢٨٦-٣٣٠)^(٣١) على أيدي القديس كريكور المُنور (Saint Krikor The Illuminator (Lousavorich). وبذا، تكون أرمينية أقدم دولة تعترف بالمسيحية ديانة رسمية لها.^(٣٢)

وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية قد استقلت سريعاً عن الكنيسة الأم بقيصرية وأقامت علاقات وثيقة مع السريان الذين زودوها بالكتاب المقدس والطقوس الدينية ومعظم أساليبها التنظيمية. بيد أنها قد استقلت عن الكنيسة السريانية في القرن الخامس الميلادي عندما ابتكر القديس ميسروب أبجدية وطنية وترجم مؤلفات عديدة. ثم رفضت الكنيسة الأرمنية في مجمع دثين سنة ٥٠٦ تقرير مجمع خلقدونه (٤٥١م) القائل بطبيعتين Dyophysite للسيد المسيح عليه السلام وأصبحت مونوفيزية Monophysite (تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح). وعندما انفصلت الكنيسة الجورجية عن الأرمن وانضمت إلي الإغريق الأرثوذكس في مطلع القرن السابع وجد الأرمن أنفسهم مستقلين في عقيدتهم عن غالبية جيرانهم. وأصبحت كنيستهم تُعرف رسمياً بـ «الكنيسة الأرمنية الرسولية الأرثوذكسية».^(٣٤)

أما الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية فتعد عضواً شرقياً في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وقد أسسها بعض الأرمن الذين هربوا في مطلع القرن الثاني عشر أمام السلاجقة وأسسوا مملكة قيليقية Cilicia [أرمينية الصغرى] (١٠٨٠ - ١٣٧٥).^(٣٥) ورغم سقوط هذه المملكة في عام ١٣٧٥، إلا أن رهبان الأرمن المعروفين باتحاد إخوة القديس كريكور المُنوّر قد أسسوا الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية تحت تأثير الدومنيكان Dominicans. بيد أنها لم تظهر رسمياً إلا في عام ١٧٤٠ عندما انتُخب الأسقف أبراهام أردزيقيان الأرمني الحلبي الكاثوليكي بطريركاً في سيس بقيليقية.^(٣٦)

ويُقيم قداسة الجاثليق Catholicos الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية في إيتشميادزين. ولكن هذا المقر قد تغير عبر تاريخها أكثر من مرة لأسباب سياسية ودينية. فانتقل إلى دفين بين عامي ٤٨٥-٩٢٧، وكذا إلى أغتamar وأرجينا في شيراك وأنى. وانتقل أيضاً إلى هرومجلا (قلعة الروم) على شاطئ الفرات إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر ثم عاد إلى سيس-عاصمة أرمينية الصغرى- وظل الجاثليق مقيماً بها حتى بعد سقوطها على أيدي دولة المماليك في عام ١٣٧٥. وفي عام ١٤٤١ انتُخب الراهب جيراجوس جاثليقاً في إيتشميادزين بادئاً بذلك سلسلة من الجاثليقة الذين حملوا لقب «جاثليق الأرمن جميعاً». أما الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية الكاثوليكية فقد أقام غالباً في بيروت وحمل لقب «بطريرك الأرمن الكاثوليك وجاثليق قيليقية» ويحمل دائماً لقب الأب "Peter".^(٣٧)

وتجدر الإشارة إلى أن اعتناق أرمينية المسيحية قد رسم المجرى

العام لتاريخها وأدخلها في صراع مع الفرس - حماة الزرادشتية، ففي عام ٤٥١ غزا الملك الفارسي يزدجرد أرمينية بجيش جرار جعل مقدمته أسراباً من الأفيال. واندلعت معركة كبرى عند أثاراير استشهد فيها العديد من الأرمن الذين وضعتهم الكنيسة الأرمنية الرسولية في مصاف قديسيها. وأخيراً، أُلغى الفرس عن خططهم لتحويل الأرمن بالإكراه إلى الزرادشتية. (٣٨)

ولما كان الأرمن مشبتهن باستمرار خارج أرمينية، فقد قامت كنيستهم بالحفاظ على هذا الشتات. فكل أرمني أينما يعيش يكون متشبهاً بكنيستته وغيوراً عليها. هذا، وقد ولي الأرمن وجوههم شطر كنيستهم عبر قرون طويلة اتصفت بالمحن والاضطهادات كأساس لكيانهم ومرفأ خلاصهم. ويسبب الاضطهادات التي تعرض لها الأرمن علي أيدي القوى الأجنبية، كان آباء الكنيسة هم قادة المجتمع الأرمني بشكل مطلق. (٣٩)

وكذا، ترتب على اعتناق الأرمن المسيحية ظهور ثقافة أرمنية ممتزجة بمؤثرات إغريقية وفارسية غذاها ابتكار القديس ميسروب ماشتوتس (٤٠) أبجدية وطنية في القرن الخامس الميلادي تتكون من ثمانية وثلاثين حرفاً تناسب تماماً حاجات اللغة الأرمنية (٤١) (انظر شكل رقم ١٠: الأبجدية الأرمنية) وقد نجم عن ذلك تأسيس مدرسة لتخريج مترجمين قاموا بترجمة الكتاب المقدس إلى الأرمنية فيما عُرف بـ «ملكة الترجمات». (٤٢)

وبعامة، ظهرت ثقافة أرمنية متنوعة ومتطورة تبلورت بوضوح في نحتهم وتصويرهم وعمارتهم. وقد عبر نشاطهم الفني في الغالب عن الاستقلال القومي أو شبه الاستقلال. كما قام الكتاب الأرمن بمجهود

كبير فى إيقاظ الوعى القومى لدى الأرمن الذين أصبحوا متململين بشدة من الحكم الأجنبى.^(٤٣)

والثابت تاريخياً أن أرمينية قد وقعت فى أغلب الفترات تحت سيطرة القوة الكبيرة المهيمنة على المنطقة مما ألزم الأرمن أن يُصارعوا باستمرار للحفاظ على لغتهم ودينهم وتقاليدهم وهويتهم وكيانهم القومى. وبالتالي، لم تمنحهم هذه الصراعات الفرصة كى يتحدوا ويُقيموا دولة مستقلة بهم. وبسبب ظروف أرمينية الجغرافية والاقتصادية والسياسية، اضطر الأرمن أن يُهاجروا من أن لآخر وشكّلوا مجتمعات متناثرة عبر أنحاء العالم.^(٤٤) ولذا، أطلق عليهم بحق «أمة فى المنفى».^(٤٥) ورغم هذا، ظل الأرمن مرتبطين جداً بموطنهم الأم حتى إذا عاش أرمنى حياته كلها فى بيئة مائية، إلا أنه يتوق دوماً إلى قمة جبل أراراد المزروجة. ويذهب البعض إلى أن هذا الرباط العاطفى إزاء الوطن الأم قد حال دون ذوبان الأرمن فى المجتمعات الأجنبية التى قادهم مصيرهم للاستقرار بينهم. ولذا، تميزت الحياة الأرمينية فى المهاجر بالتواصل العرقى والمحافظة الاجتماعية.^(٤٦) ولعل هذا يبدو بوضوح عندما استولى العثمانيون على أرمينية وحكموا شعبها ما يُناهِز الخمسة قرون على النحو الآتى.



٣- الأرمن تحت الحكم العثماني

لقد أسفرت الحروب المتعاقبة بين التولتين القارسية والعثمانية عن تقسيم أرمينية بينهما. فأطلق اسم «أرمينية العثمانية» على ست ولايات هي : بتليس (بدليس) وأرزن الروم (أرزنروم) وغان (وان) ومعمورة العزيز (خربوط) وجزء من ديارمكر وسميوانس^(٤٧). (انظر خريطة رقم «٢» أرمينية العثمانية). وأطلق اسم «لوميسية القارسية» على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر أراكس (الرس) وتضم مدن يروغان وناخشيقان وإيتشميادزين - المركز الروحي للأرمن - وجبل أراراد. وقد استولى الروس عليها منذ عام ١٨٢٨^(٤٨).

هذا، وقد تم تنظيم الرعايا غير المسلمين وفقاً للنظام الإداري العثماني في هياكل شبه مستقلة تسمى «ملل» Millets تحل محل السلطة المباشرة لحكومة السلطان وتمثل بؤرة التمرکز الاجتماعي. ومنذ البداية، اعترف العثمانيون بملتين مسيحيتين فقط هما: اليونانية والأرمنية. ولم يتم هذا التقسيم على أساس جنس أو قومية ولكنه قام على أساس عقيدة. بذا، وقع الديافزة Dyophysites (المؤمنون بطبيعتين للسيد المسيح عليه السلام) في دائرة اختصاص البطريرك اليوناني، ووقع المنافزة Monophysites (المؤمنون بطبيعة واحدة) في دائرة اختصاص البطريرك الأرمني^(٤٩).

ولما كان الجاثليق - الأب الروحي للأرمن - يُقيم في الغالب بإيتشميادزين الواقعة خارج نطاق الدولة العثمانية، فقد أسس السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) بطريركية أرمنية بالأساتنة Istanbul في عام ١٤٦١^(٥٠). وبذا، تعين البطريرك الأرمني رئيساً رسمياً للملّة برتبة باشي Bachi وأصبح مسئولاً عن الموظفين والإدارة الروحية والتعليم

العام والمؤسسات الدينية والخيرية ملته. وسُمح له أن يضع في سجن قصره المشاغبين من ملته في جميع الجرائم عدا الإضرار بالأمن العام والخيانة العظمى. كما حظى بامتلاك أراضٍ واسعة معفاة من الضرائب. ولهذا، أصبح الكرسي البطركي الأرمني مربحاً مادياً ومعنوياً حتى أن الأساقفة الطموحين قد تنافسوا بشدة فيما بينهم للحصول عليه.^(٥١)

وقد تكونت بالاستانة شريحة من الأرمن الأثرياء الذين كانوا متعاونين مع الحكومة العثمانية وتلقبوا منذ منتصف القرن الثامن عشر بلقب «أميرا» Amira. وجدير بالذكر أن العامل الذي كان يُحدد الحصول على هذا اللقب التشريفي هو الثروة ومدى استفادة الحكومة العثمانية منها.^(٥٢) وقد عمل معظم الأمراء صيارفة أقرضوا الأموال لحكام الأقاليم وكبار الموظفين لاسيما العاملين منهم بنظام الإلتزام.^(٥٣) وكذا، تقلد الصيارفة الأمراء نظارة دار سك العملة السلطانية التي احتكرها أمراء أسرة بوزيان علي سبيل المثال منذ عام ١٧٧٥ حتى عام ١٨٨٠.^(٥٤) كما كان بعض هؤلاء جواهرجية وصاغة أمدوا أسرة السلطان وحاشيتهم بحوائجهم من الجواهر والأحجار الكريمة مثل أمراء أسرتي ديونغيان ويرااميان.^(٥٥)

هذا، وقد بلغ تأثير الصيارفة ذروته في المالية العثمانية بتأسيس اتحاد رسمي لهم في عام ١٨٤٢ أطلق عليه «اتحاد الأناضول والروميلى» لإقراض الأموال بنسبة «٢٠-٢٥٪ سنوياً». ولكنه قد فشل لافتقاره إلى التنظيم الفعال والهجوم الشديد علي الفوائد الربوية ناهيك عن منافسة البنوك والرأسماليين الأوروبيين التي ظهرت بوضوح في أعقاب حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦).^(٥٦)

كما ساهم الأمراء الأرمن في إدارة المشروعات الصناعية القليلة بالآستانة والأقاليم مثل أمراء أسرة أربياريان الذين تقلدوا إدارة مناجم الفضة^(٥٧)، وأمراء أسرة داديان الذين تقلدوا إدارة مصانع البارود السلطاني والنسيج والورق حتى أضحت هذه الوظائف امتيازاً أسرياً وقفاً عليهم منذ عام ١٧٩٥ حتى نهاية القرن التاسع عشر.^(٥٨) وكذا، تقلد الأمراء الأرمن وظيفة «معمار باشى» السلطان - أى كبير المعماريين - لاسيما أمراء أسرة باليان الذين استأثروا منذ عام ١٧٥٠ حتى نهاية القرن التاسع عشر وشيدوا عدداً كبيراً من المساجد والقصور والمصانع والمنشآت العامة.^(٥٩)

وأيضاً، قام الأمراء، كعلمانيين، بدور هام في إدارة الكنيسة الأرمنية وتدخلوا في انتخاب البطاركة وتوسطوا بينهم وبين الحكومة. وقد أثروا بقوة في الإدارة المركزية للتلهم بفضل نفوذهم الاقتصادى والسياسى. ولعل من المفيد الإشارة هنا إلى أن الأمراء قد قاموا بأنشطة تعليمية ودينية وخيرية لدعم سلطتهم داخل ملتهم.^(٦٠)

وبعامة، فقد انخرط كثير من الأرمن في الهيئة الوظيفية العثمانية وتقلدوا أعلى الوظائف بسبب استعداداتهم لخدمة الدولة وذكائهم وجديتهم وافتقارهم إلى طموحات للاستقلال. وتُشير إحصائية عن موظفي الأرمن في الحكومة العثمانية إلى وجود اثنين وعشرين وزيراً في وزارات الخارجية والمالية والخزانة والأشغال العامة والبريد والتلغراف واللاسلكي، وخمسة وكلاء وزارات، وأربعة أعضاء في مجلس الأعيان وأربعة أعضاء في مجالس الدولة، وعشرة نواب في أول برلمان عثمانى «مجلس المبعوثان» سنة ١٨٧٦، وأكثر من عشرة قناصل عموميين، وعدد

من القناصل فى برلين وڤيينا وبروكسل ولندن وروما ، وعدد من نائبى الحكام العموميين للأقاليم فضلاً عن الكثير من المستشارين والسكرتيريين والتراجمة والمديرين وغيرهم من الموظفين.^(٦١)

هذا ، وقد عمل الأرمن صاغة وصناع أحذية وغزالين وخياطين وبناء ين وحفارين ونجارين ونقاشين وخبازين وبوابين وسقاء ين وميكانيكيين ولحامين وخراطين وصناع أقفال ومراكبية وصيادين.^(٦٢) وقد احتكرت النساء الأرمنيات حرفة التطريز الرفيع بالخيوط الذهبى على القטיפىة التى شاعت بالأستانة ، كما برع الأرمن القرويون فى زراعة الزيتون والأعناب والنيلة.^(٦٣)

كما كان للأرمن مدارسهم الابتدائية التى ركزت مناهجها التعليمية على اللغات الأرمنية والتركية والفرنسية ، وبدرجة أقل على الإنجليزية والألمانية. ودرّست جغرافية الدولة العثمانية وتاريخها بشكل أساسى، وجغرافية أرمينية وتاريخها بشكل غير رسمى. وكان لها أيضاً مدارس عالية مثل المدرسة المركزية الأرمنية بالأستانة ومدرسة ساناساريان بأرضروم. وكذا ، مدارس لاهوتية بقیصرية والقدس.^(٦٤)

وقد ازدهرت الصحافة بين الأرمن الذين كانت لهم - إلى جانب صحافتهم - صحافة تركية مطبوعة بالخط الأرمنى موجهة إلى الأرمن الناطقين بالتركية مثل «منادى» لجراييد بانوسيان و«منظومى إيفكيار» (جامع الآراء) لهوفسيب فارتان. كما نشر الأرمن صحافة باللغة والخط التركيين مثل «تياترو» للكاتب الساخر هاجوب بارونيان و«صحت» (المجلة الصحية) للطبيب اوتوچيان. وامتلك مهرا ناكشيان من قیصرية امتياز الجريدة الرسمية «صباح» فى تسعينيات القرن التاسع عشر. كما

عمل عدد من الأرمن ناشرين ومترجمين وطباعين ومصممين ومخرجين في الصحافة العثمانية. ولعله من المهم أن نشير في هذا الصدد إلى أن مصمم الحروف العثمانية المطبوعة ومخرجها هو الأرمني «هوفثاني» مهندسيان» (٦٥).

وفوق هذا، كان الأرمن أول من عرف العثمانيين المسرح فأسس هاجوب أول مسرح منظم بالأستانة عام ١٨٧٠، وأدخل بابا هامبارتسوم ليمونچيان النوتة الموسيقية لأول مرة في الدولة العثمانية. أكثر من هذا، كان الفنانون لاسيما الممثلات بلا استثناء من الأرمن لأنه لم يُسمح للنساء المسلمات بالوقوف على خشبة المسرح. (٦٦)

وتجدر الإشارة إلى أن ازدهار الأرمن قد اقتصر على قاطنى المدن الكبرى فقط. ففي الوقت الذى أصبحت فيه الأستانة مركزاً اقتصادياً وسياسياً وأدبياً للأرمن الذين نعموا برعاية السلطان ومساعدته حتى غدوا من أرقى العناصر، عاش أرمن الولايات في بؤس وضائق حياتهم بسبب مجاورتهم القبائل المشاكسة من أكراد وچراكسة وغيرهما ممن اعتادوا سرقتهم والفتك بهم. كما أدت كثرة الحروب بين العثمانيين والفرس والروس على أرض هذه الولايات إلى تدهور الحالة الاقتصادية بين الأرمن الذين ما برحوا يهاجرون إلى الأستانة وغيرها. (٦٧) ورغم هذا، كان الأرمن أشد الشعوب المسيحية في الدولة العثمانية إخلاصاً في خدمتها وأخرها في التحول عن الولاء إليها. فلا غرو أن أطلق عليهم العثمانيون لقب «الملة الصادقة». (٦٨)

بيد أنه منذ مطلع القرن التاسع عشر أخذت سلسلة من الأحداث تطراً على الدولة العثمانية ما لبثت أن أثرت في وضعية الأرمن بهذه

الدولة. فقد أخذت بعض الأقاليم الأوربية العثمانية تتوق إلى حكم ذاتي أو استقلال. وفي نفس الوقت، انتهجت روسيا سياسة توسعية استعمارية فسعت إلى كسب حدود عثمانية لدى إمبراطوريتها إلى المياه الدافئة في البحر المتوسط. ولتحقيق هذا المطمح عملت على تقويض القوة العثمانية من الداخل بإثارة الطموحات القومية لدى رعايا السلطان المسيحيين: اليونانيون والسلافي في البلقان والأرمن في الأناضول.^(٦٩)

وقد نجم عن ذلك اندلاع الثورة اليونانية في عشرينيات القرن التاسع عشر^(٧٠)، فاثارت المشاعر القومية لدى الأرمن وأوحت إليهم بضرورة تدخل القوى الأجنبية لتحقيق طموحاتهم. فاتجه الأرمن إلى روسيا لمساعدتهم في الحصول على حكم ذاتي أو استقلال. ولذا، دعا جاثليق إيتشميادزين كل الأرمن للانضمام إلى الجيش الروسي إبان زحفه على فارس عام ١٨٢٨. وفعلاً، ساعده في الاستيلاء على يريفان وأرمينية الشرقية (الفارسية). كما ساعد بعض الأرمن في الولايات الأرمنية العثمانية الجيش الروسي خلال عملياته الحربية ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٨، بل هاجر بعض الأرمن إلى روسيا متطلعين إلى حياة أفضل.^(٧١)

كما أتاح حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) فرصة أخرى لروسيا كي تُثير القلاقل في الدولة العثمانية. وقد تعاون خلالها بعض الأرمن في الولايات العثمانية مع روسيا. ولكي يُفوت السلطان العثماني على روسيا أغراضها، أصدر خطأً همايونياً في ١٨ فبراير ١٨٥٦ مؤكداً المساواة الدينية والقانونية لجميع رعاياه. ورغم ذلك، أصبح المسيحيون في الدولة العثمانية ميالين للقيصر الروسي بدرجة أكبر من السلطان العثماني.^(٧٢)

ومن ناحية أخرى، اضطر العثمانيون إلى الاعتراف بمثل أخرى غير اليونانية والأرمنية نتيجةً لضغط البعثات التبشيرية الغربية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد كانت الإرساليات الكاثوليكية إلى الدولة العثمانية تهدف إلى إدخال الكنيسة الأرمنية بأكملها تحت سيطرة البابوية. لذا، ركز المبشرون الكاثوليك جهودهم على تكوين حزب كاثوليكي موال لهم من وجهاء الأرمن (الأمراء) الذين لم يقوموا بأدوار هامة في الإدارة العثمانية فحسب، بل أثروا بشدة في الإدارة المركزية للثمة. وفعلاً، نجحوا في استقطاب أمراء أسرات دوزيان وتكريان وكيليشيان وإبيكيان وغيرهم إلى اعتناق الكاثوليكية.^(٧٣) ثم تقدم الكاثوليك في عام ١٨٢٧ بالتماس إلى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩)^(٧٤) يناشدونه بتأسيس ملة مستقلة بهم. وفي أعقاب الحرب الروسية العثمانية في عام ١٨٢٨ طالبت إنجلترا وفرنسا السلطان بتأسيس ملة مستقلة للكاثوليك عن البطريرك الأرمني. وفعلاً، اعترف السلطان بالملة الكاثوليكية في ٢٤ مايو ١٨٣١ وأصبح الأسقف هاجوب مانويليان رئيساً للرعايا الكاثوليك في الدولة العثمانية بسلطات مماثلة تقريباً للبطريرك الأرمني.^(٧٥)

وفي حين نجح المبشرون الكاثوليك تماماً مع الأرستقراطية الأرمنية، ركز المبشرون البروتستانت نشاطاتهم أساساً بين المثقفين ورجال الدين والحرفيين الأرمن الذين نجحوا تحت حماية قناصل بريطانيا وبروسيا وأمريكا بالاستئانة في الحصول على اعتراف رسمي من الحكومة العثمانية في ٢٧ نوفمبر ١٨٥٠. وفي الواقع، لم يكن البروتستانت «ملة» بالمعنى الكامل، فعلى عكس رؤساء الملتين الأرمنية والكاثوليكية، كان النائب البروتستانتى Kapu Oglan أرمنياً علمانياً دائماً وليس له سلطة

دينية. ولكن نظراً لكونه نائباً رسمياً للباب العالي فقد تبعه جميع البروتستانت في الدولة العثمانية.^(٧٦)

وهكذا، حققت الكاثوليكية والبروتستانتية مراكز ثابتة بين الأرمن العثمانيين بفضل التفوق العلمي لمبشريهم علي رجال الدين الأرمن الوطنيين فضلاً عن مؤازرة الدول الأوروبية لهم.^(٧٧) هذا، وقد أثرت هذه النشاطات التبشيرية تعليمياً وثقافياً وإدارياً في الملة الأرمنية. إذ تزايدت الحاجة إبان الربع الثاني من القرن التاسع عشر إلي المدارس العليا داخل الملة الأرمنية لمقاومة المؤسسات التعليمية البروتستانتية.^(٧٨) كما أصبح كثير من الطلاب الأرمن في أربعينيات وخمسينيات القرن التاسع عشر علي علاقة وطيدة بالحياة الغربية وفكرها من خلال مختلف المؤسسات التعليمية الأوروبية لاسيما الفرنسية. وقد قامت مجموعة من هؤلاء الشباب ممن لديهم معرفة علمية وأفكار عن الديمقراطية في أعقاب عودتهم إلي بلادهم بصياغة الدستور الوطني الأرمني في عام ١٨٦٠ وصدقت عليه الحكومة العثمانية في عام ١٨٦٣.^(٧٩) وكذا، اعتقد الأرمن أنهم لا يقلون حضارياً عن الشعوب المسيحية البلقانية التي ظفرت باستقلالها عن الدولة العثمانية. ولذا، فقد تعمقت لديهم فكرة مطالبتهم بحكم ذاتي أو استقلال تام، وهي الفكرة التي لاقت قبولاً لدي كثير من الأرمن عدا أصحاب المصالح الذين ظلوا علي ولائهم للباب العالي حفاظاً علي أوضاعهم.^(٨٠)

ولكن، تجمعت عدة عوامل حالت دون حصول أرمنية علي حكم ذاتي أو استقلال. فقد انقسم الأرمن سياسياً بين الدولة العثمانية وروسيا، ودينياً بين الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية. كما جاور الأرمن

عناصر مشاكسة ما برحت تسلبهم وتفكك بهم مما دفعهم للهجرة إلى مناطق أخرى. وبالإضافة إلى هذا، فلم تُنح جغرافية أرمينية ذات الطبيعة الجبلية لقاطنيها بالتمركز في مساحات تسمح بإقامة دولة مركزية مستقلة. ناهيك عن الموقف السلبي للدول الأوربية تجاه الأرمن حيث كانوا يرمون إلى إبقاء الدولة العثمانية والدفاع عنها ضد توسعات روسيا التي كانت هي الأخرى لا تعطف على الأرمن بسبب عدائها للكنيسة الأرمنية وطموحاتها التوسعية.^(٨١)

ورغم هذا، بدأ البطريك الطموح مجرديتش خريميان في إثارة الأرمن ضد الدولة العثمانية. ومع تدخل الدول الأوربية في أمور الدولة العثمانية بعد ثورة البوسنة والهرسك في عام ١٨٧٥، تقدم الأرمن عن طريق بطريركهم بمذكرة إلى هذه الدول في سبتمبر ١٨٧٦ لبحث المشكلة الأرمنية. ولكن لم يبحث هذا المؤتمر مشكلة الأرمن، وفي نفس العام أعلن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) الدستور الذي لم يهيئ الظروف التي تمكن الأرمن من الحصول على حكم ذاتي.^(٨٢)

وبالتالي، علق الأرمن آمالهم في الاستقلال على الحرب الروسية العثمانية التي نشبت عام ١٨٧٧، فانضم كثير منهم إلى القوات الروسية متأثرين بالدعاية الروسية لمساعدتهم في الحصول على الاستقلال وإنشاء دولة مستقلة بهم في شرق الأناضول. ونتيجة لذلك، أعملت الحكومة العثمانية نهباً وحرقاً وتدميراً وأسراً في الولايات الأرمنية مستخدمة الجيش غير النظامي والقبائل المشاكسة.^(٨٣) وعندما وضعت الحرب أوزارها وعُقدت معاهدة الصلح في سان إستيفانو في ٣١ مارس ١٨٧٨، عرض نرسييس فارچابيديان بطريك الأرمن في الأستانة

مشكلتهم علي القائد الروسي نيقولا نيقولاڤيتش وشرح له الاحوال المتردية في الولايات الأرمنية وناشده بأن تتضمن معاهدة الصلح نصاً بخصوص الولايات الأرمنية يضمن إجراء الإصلاحات فيها وعدم التنكيل بأبنائها. وفعلاً، لبي القائد طلب البطريرك وأدرجت المادة «١٦» من معاهدة سان استيفانو التي نصت علي تنفيذ الإصلاحات وضمان سلامة الأرمن من اعتداءات الأكراد والجراكسة وألا ينسحب الروس من المناطق التي احتلوها في أرمينية حتى تقوم الحكومة العثمانية بتنفيذ تلك الإصلاحات.^(٨٤)

ثم تقرر بناءً علي مبادرة من المستشار الألماني بسمارك عقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ لبحث معاهدة سان استيفانو. وعمل الأرمن علي حمل المؤتمر لإقرار المادة «١٦»، فصادق المؤتمر عليها وصارت المادة «٦١» من معاهدة برلين والتي نصت علي . «أن يتعهد الباب العالي، وبدون أي تأخير، بإدخال التحسينات والإصلاحات التي تستلزمها المتطلبات المحلية في الولايات التي يقطنها الأرمن، وضمان أمنهم تجاه الجراكسة والأكراد، كما يتعين علي الباب العالي من حين لآخر أن يحيط القوي الكبرى، التي ستقوم بالإشراف علي تنفيذها، علماً بأى أمر يتعلق بذلك».^(٨٥)

وفي الواقع، أصبحت المادة «٦١» من مؤتمر برلين وسيلة تستثمرها الدول الاستعمارية في تحقيق مصالحهم ويهددون بها السلطان عبد الحميد الثاني. ولم يفد الأرمن منها شيئاً، بل إنها علي النقيض قد حركت ضغائن السلطان ضدهم، فقرر محوهم بكل الوسائل كيلا تتكرر في أرمينية وقائع البلقان وعرضتهم لأشد الاضطهادات وأفظع المذابح. وقد منح السلطان جزيرة قبرص لإنجلترا حتي تغض الطرف عن تنفيذ المادة

«٦١» التي ظلت حبراً علي ورق. وفعلًا، لم تُطالب أية دولة من الموقعين في برلين بتطبيق المادة «٦١» ولم يُعبروا اهتماماً بالمشكلة الأرمنية.^(٨٦)

وهكذا، تصاعدت المسألة الأرمنية في أعقاب مؤتمر برلين من كونها مشكلة محلية عثمانية إلي كونها قضية دولية. وتأسست جمعيات وأحزاب أرمنية مثل جمعية أرضروم عام ١٨٨٠ وحزب الأرميناجان في قان. بيد أن أهم هذه الأحزاب هما حزب الهنشاك (المنبه) الذي تأسس بجنيف عام ١٨٨٧ وحزب الطاشناق (الإتحاد الثوري الأرمني) الذي تأسس في تفليس عام ١٨٩٠.^(٨٧) والواقع أن هذه الأحزاب كانت ترمي إلي الحصول علي استقلال إداري تحت مراقبة الدول الكبرى، ولم تكن تهدف إلي الاستقلال التام عن الدولة العثمانية. ولكن بينما لجأ الهنشاك إلي الوسائل السلمية، انتهج الطاشناق الوسائل الثورية وربما سعي لنيل استقلال سياسي تام عن الدولة العثمانية.^(٨٨)

وهكذا، أدت ثورات الأرمن المتكررة منذ عام ١٨٩٣ ضد الحكومة العثمانية إلي تعرضهم للعديد من المذابح التي اشتدت ضراوتها بعد احتلال أفراد من حزب الطاشناق البنك العثماني بالأستانة في ٢٦ أغسطس ١٨٩٦ ثم محاولتهم قتل السلطان عبد الحميد أثناء ذهابه لصلاة الجمعة مما دعاه إلي إصدار أوامره بقتل الأرمن في الأستانة وقان وتيكسار وأرضروم وساسون وغيرها.^(٨٩)

ومما هو جدير بالذكر - حسبما أورد شاهد عيان - أن معظم الأهالي العثمانيين لم يُقدموا من تلقاء أنفسهم علي قتل الأرمن بل فعلوا ذلك علي مضض بضغط من حكومتهم، كما كان كثير من العثمانيين يخفون الأرمن

في ديارهم عن مأموري الحكومة. وكذا، استخدمت الحكومة العثمانية الدين الإسلامي لإثارة الاكراد والأتراك المسلمين ضد الأرمن.^(٩٠)

ويذهب البعض إلى أن المذابح لم تأت إلا إنعكاساً لروح عنصرية ولدتها نزعة القومية الطورانية التي جنحت لتترك الشعوب الواقعة تحت سيطرتها مستخدمة العنف والتكثيف في معالجة القضايا الناجمة عن هذه السياسة العرقية. ولما كان وجود الأرمن يُعد جسماً غريباً قد يحول دون السيطرة على الولايات التي يستوطنونها فلانماص من تهجيرهم وإبادتهم.^(٩١) والحقيقة أن خطورة القضية الأرمنية على الدولة العثمانية تكمن في مطالبة الأرمن بالقسم الشرقي من الاناضول ليقيموا عليه دولتهم. وكان الأرمن يقطنون ست ولايات وينتشرون في منطقة واسعة تمتد من حدود القوقاز حتي ساحل البحر المتوسط. وتقع هذه المناطق في أعماق الوطن العثماني الأصلي، وكان الانسحاب منها يعني ضربة قاصمة تُؤدى إلي ضياع الدولة العثمانية خاصة وأن الحدود العثمانية الأوربية قد تراجعت قبل مؤتمر برلين ١٨٧٨ وبعده. ومن هنا، دار الصراع بين القوميتين التركية والأرمنية من أجل البقاء. ولذا، قرر الأتراك إنقاذاً لأنفسهم ترحيل الأرمن عنوة.^(٩٢)

ومهما يكن من أمر، فقد أدت المذابح التي ارتكبتها الحكومة العثمانية ضد الأرمن إلي هروب الأخيرين من الأستانة والولايات الأرمنية العثمانية ولجؤهم إلي مناطق عديدة، لعل مصر أهمها.



الهوامش

- (١) Encyclopaedia of Islam, London, 1960, Vol. 1, p. 630.
- (٢) ترتفع أرمينية «٥٠٠٠» قدم فوق مستوى سطح البحر، وتمتد بين خطي طول «٢٨» و«٤٨» شرقاً وبين دائرتي عرض «٣٧» و«٤١.٥» شمالاً، وتقدر مساحتها بحوالي «١٢٥.٠٠٠» ميل مربع تقريباً.
- The New Encyclopaedia Britannica, 30 Volumes, London, 1974, Vol. 1, p.524; Bournoutian, George A., A History of the Armenian People, 2 Vols. California, 1993, Vol. 1, p.4.
- Bournoutian, op. cit., P.4 (٣)
- Abeghian, Artashes, "History of Armenia, An Outline". (٤)
The Armenian Review, Vol. 2, No. 7, Los Angeles, 1949, p.7.
- (٥) يقع جبل أراراد حالياً داخل الحدود التركية ويتكون من أراراد الكبير (١٦.٩٤٦ قدم) وأراراد الصغير (١٢.٨٣٩ قدم). ويعد الآن من الجبال البركانية التي أضحت خاملة تكسوها الثلوج. وتعني كلمة أراراد «جبل النار» لما كان يلفظه من مواد بركانية مشتعلة. وقد أطلق الأرمن عليه ماسيس Massis، وأطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون على أراراد الكبير لقب «الحارث» وأراراد الصغير لقب «الحويرث»، ولازال الفرس يُسمونه جبل نوح حتى الآن، أما الأتراك فيُسمونه «أغرى داغ». ويقال أنه جبل الجودي الذي جاء ذكره بالقرآن الكريم بسورة هود بالآية الكريمة. «وقيل يارض ابلعي مأك ويسمأ أقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين».
- Bournoutian, op. cit., p. 4.

أديب السيد، أرمنية في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٧٣، ص ٢٤؛ فايز نجيب إسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمنية (١١-٤٠ هـ / ٦٣٢-٦٦١ م)، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٧١، هامش رقم ٢: القرآن الكريم، الجزء الثاني عشر، سورة هود، رقم ١١، الآية رقم ٤٤.

(٦) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح الثامن، دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٣.

(٧) Burrt, Joseph. The People of Ararat, London, 1926, pp. 14-16.

(٨) Bournoutian, op. cit., pp. 4-5.

(٩) يُطلق الأرمن على نهر أراكس لقب «أراكس الأم» ويشدوا له كثيراً في أشعارهم وأغانيهم. ويوصف وادي أراكس بأنه أرض اللبن والعسل ويعدّه بعض الكتاب «جنات عدن». وقد أطلق المؤرخون والجغرافيون المسلمون عدة أسماء على نهر أراكس مثل «نهر الرس» و«نهر أرس» و«نهر الترس». وجدير بالذكر أن اسم «الرس» قد ورد في القرآن الكريم عندما ذكر الله سبحانه وتعالى ما فعله بأهل الرس بالآية الكريمة: «وعاداً وشموداً وأصحاب الرّس وقرونأ بين ذلك كثيراً . وكلاً ضربنا له الأمثال وكلاً تبرنا تتبيرأ».

Lang, David Marshall, Armenia, Cradle of Civilisation.

London, 1980, pp. 26-30; Abeghian, op. cit., p.8;

فايز نجيب إسكندر، المصدر السابق، ص ٩٨، هامش ١٥٠: القرآن الكريم، الجزء التاسع عشر، سورة الفرقان رقم ٢٥، الآيتان ٢٨-٢٩.

(١٠) تقع بحيرة فان حالياً داخل الحدود التركية. وقد أطلق عليها المؤرخون والجغرافيون المسلمون اسم بحيرة «خلاط» أو «أرجيش». وتحتوى هذه

البحيرة على مادة البُورقُ Borox الثمينة التي تُستخدم في صنع الزجاج وفي المنظفات. كما يتميز سهل فان بالخصوبة الشديدة . أما بحيرة سيفان فتقع الآن ضمن حدود الجمهورية الأرمنية الحديثة. وتشتهر هذه البحيرة بمياهها الطازجة الصافية الزرقاء ويكثر بها السالمون الفضي. هذا، بينما تقع بحيرة أورمية في الوقت الحالي داخل الحدود الإيرانية.
Bournoutian, op. cit., p. 5; Abeghian, op. cit., p. 7;

أديب السيد، المصدر السابق ، ص ٢٥.

Lang, David Marshall, The Armenians. A people in exile. (١١)
London, 1988, p. 46; Abeghian, op. cit., p. 7.

Abeghian, op. cit., p. 8 (١٢)

Burr, op. cit., P. 14 (١٣)

ك.ل. أستارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، (١٤)
١٩٥١، ص ٤٥.

Bournoutian, op. cit., p. 6. (١٥)

Lang, A people in exile, p. 46. (١٦)

Bournoutian, op. cit., p. 6. (١٧)

(١٨) تتشابه أرمنية في موقعها الجغرافي مع مصر التي تعرضت بسبب موقعها بين قارات العالم القديم للعديد من الغزوات علي مدار تاريخها. وتختلف أرمنية في هذا الصدد تماماً عن كل من اليابان وإنجلترا وهما معزولتان جغرافياً ولما تتعرضان لهجمات وغزوات. وجدير بالذكر أن أرمنية قد تعرضت بسبب موقعها الجغرافي الإستراتيجي للغزو والاحتلال من قبل

الميديين والفرس والإغريق والرومان والبيزنطيين والعرب المسلمين والأتراك
السلالة والأتراك العثمانيين.

Encyclopedia International. Vol. 2, Lexicon Publications,
1981, p. 37; Poladian, Terenig, The Role of Armenia in
History, Calcata. 1958, p.2.

(١٩) تذكر أسطورة إغريقية أن اسم «أرمينية» يُنسب إلى أرمينوس Armenus الإغريقي. وقد صيغت هذه الأسطورة بعد استعمار الإغريق ساحل البحر الأسود وأجزاء من آسيا الصغرى لتخدم فكرة تطبيع «هوية إغريقية» على جميع سكان المنطقة. وجدير بالذكر أن مؤرخي الإغريق القدماء ذكروا عدداً من الروايات التاريخية حول أصول الشعب الأرمني فطبقاً لهيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، عاش الأرمن أساساً في تراقيا وعبروا منها إلى فريجيya بآسيا الصغرى ثم تحركوا تدريجياً في اتجاه غرب نهر الفرات إلى ما أصبح يُعرف بـ أرمينية. وطبقاً للمؤرخ الجغرافي سترابو الذي كتب في القرن الأول قبل الميلاد، فقد جاء الأرمن من اتجاهين، أحدهما من الغرب أو فريجيya، والآخر من الجنوب الشرقي أو منطقة بلاد ما بين النهرين وزاجروس. وبعبارة أخرى، لم يكن الأرمن حسب روايات مؤرخي الإغريق القدماء من السكان الأصليين في المنطقة. وقد ظهروا خلال الفترة الممتدة من الهجرة الفريجية إلى آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتي الهجوم القمري علي أوراردو في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد أتاح سقوط مملكة أوراردو للأرمن أن يضعوا لأنفسهم موطئ قدم في المنطقة. هذا، وقد سجل اكسنوفون الذي مر بأرمينية خلال عام ٤٠٠ قبل الميلاد أن الأرمن قد استوعبوا معظم السكان المحليين

ويخلاف الإغريق، طبقاً للروايات الأرمينية الأولى المدونة بين القرنين الخامس

والثامن الميلايين، فإن الأرمن من سلالة يافث ابن النبی نوح عليه السلام. فبعد أن رست السفينة على جبل أراراد، استقرت عائلة النبی نوح أولاً في أرمينية ثم تحركت الأجيال التالية جنوباً إلى أرض بابل كان هايج - قائد الأرمن - مستاءً من استبداد بابل، فتمرد عليها وقرر العودة إلى أرض السفينة. طارده بل Bel الشرير - قائد البابليين - وأسفرت الحرب بينهما عن مقتل بل وتكوين دولة أرمينية. أصبح هايج أول حاكم أرميني واستمر أبناؤه يحكمون الأرمن حتى الملك باروير - حفيد هايج - الذي أسس أول مملكة في أرمينية وواجه العدو الآشوري.

Bournoutian, op. cit., pp. 19-20.

(٢٠) هذه المملكة التي ظهرت قبل أرمينية القديمة عبارة عن اتحاد قبائل محلية ازدهرت منذ القرن التاسع حتى بواكير القرن السادس قبل الميلاد. وقد نافست بشدة آشور في سبيل السيطرة على الشرق الأدنى. وأطلق الآشوريون على هذه المملكة اسم «أوراردو» ربما نسبة إلى جبل أراراد. وكانت مدينة فان الواقعة على شاطئ بحيرة فان عاصمة هذه المملكة.

Lang, A people in exile, p. 39; Bournoutian, op. cit., pp. 11-18.

(٢١) Saharouni, Suren, "On The Origins of The Armenians", The Armenian Review, Vol. 13, No. 49, Los Angeles, 1974, pp. 72-73.

(٢٢) Ibid., p., 75.

(٢٣) Ibid., pp. 73-74.

(٢٤) تُعد اللغة الأرمينية مجموعة لغوية فرعية داخل المجموعة الهندو-أوروبية ولكنها مشتركة نسبياً مع اللغات القوقازية في الصوتيات وبعض القواعد. وتنقسم اللغة الأرمينية إلى لهجتين رئيسيتين: اللهجة الشرقية التي يتحدث

بها أرمن روسيا وإيران وهى اللغة الرسمية للجمهورية الأرمنية، واللهجة الغربية التي تتكلم بها الجاليات الأرمنية فى تركيا وبعض جهات الشرق الأوسط وأوروبا.

Greppin, John, "The Armenian Language", Lexicon Universal Encyclopedia, New York, 1986, p. 173.

Abeghian, op. cit., p. 4. (٢٥)

يرى علماء فقه اللغة أن كلمة Pati ومنها Peter (الأب) قد تطورت إلى كلمة Hair بالأرمنية حيث تحول حرف "P" إلى "H" وحرف "T" إلى "I". كما تُسمى أرمنية مجازاً «كاراستان» فى اللغة الأرمنية، أى بلاد الصخور والأحجار لكونها بلاداً جبليّة.

Nalbandian, Vartouhie, "The Theory of The Babytoman Origin of The Armenian People", The Armenian Review, Vol. 24, No. 95, Los Angeles, 1971, pp. 26-31.

ظهر اسم Armenia لأول مرة منقوشاً على صخرة فى بلدة تُسمى (٢٦)

بيهستون Beheston بفارس فى حوالي عام ٥٢١ ق.م إبان حكم الملك الفارسى داريوس الكبير (٤٨٥-٥٢١ ق.م). وقد كُتبت هذه النقوش باللغات الفارسية والعيلامية والبابلية. ووصفت أرمنية فى هذا النقش بكونها مستعمرة فارسية تحكمها أسرة أرمنية وطنية بالاشتراك مع الأمراء الأرمن الإقطاعيين Nakharars.

Lang, A people in exile, p. 41; Encyclopedia International, Vol. 2, p. 37.

أطلق الأراميون على أرمنية اسم «هارمينيياب» (Harmeni) (٢٨)

Harmiinyab وأطلق الجورجيون-جيران الأرمن- عليها اسم «سوميختي» Somekheti وأطلق الأتراك عليها اسم «إرمنستان» Ermenistan أى بلاد

الأرمن. وتُكتب بالإنجليزية Armenia، و Arménie بالفرنسية. وجدير بالذكر أن كلمة Armenia قد دخلت اللغة العربية وصارت تُكتب بـتاء مربوطة في آخرها، وتُشكل بفتح أو كسر أولها ثم سكن الرء وكسر الميم وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة. وأصبحت النسبة إليها أرمني وأرمنية علي غير قياس بدلاً من أرمني وأرمينية والجمع أرمن بفتح الميم. Abeghian, op. cit., p. 4;

ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الأول، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٥٩.

Bournoution, op. cit., pp. 42-49. (٢٩)

(٣٠) انتشرت العبادات الوثنية بأرمينية قبل اعتناقها المسيحية، وقامت تلك العبادات علي عبادة الشمس والقمر وبعض الآلهة المستعارة من الآشوريين والفرس مثل أهورا - مازد Ahoura-mazde أبى الآلهة جميعاً وخالق كل شئ: وفاندور Vanadour إله الثمر والفيض والبركات ومهر Mihre إله النار والنور ودري Dre إله العلم والفراسة وشاهاك Vahakne إله الشجاعة والبطولة وناني Nane إلهة العفة والعصمة وفينوس (أسدغيج) إلهة الجمال وأناhide أم الشعب الأرمني إلهة الخصب والنماء. Hastings, james, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol.1. New York, 1985, pp. 793-801.

(٣١) هو من ملوك المملكة الأرمنية القديمة الرابعة من الأسرة الأرشاجية البارثية التي حكمت أرمينية منذ عام ١٦ حتى عام ٤٣٨ ميلادية وجعلت مدينة أرتكسانا عاصمتها. فبعد أن احتل الفرس أرمينية أرسل الإمبراطور الروماني دقلديانوس (٣٠٥-٣٨٤) حملة لاسترداد أرمينية فى عام ٢٨٦ بقيادة الأمير الأرمني ديرتاد البارثى الذى اغتاله الفرس وضموا مملكته في

عام ٢٢٨ وتربى وتعلم في روما وأقام بها فصار مثقفاً بالثقافة الرومانية وعسكرياً ماهراً. وتمكن ديرتاد من طرد القوات الفارسية من أرمينية وتم تتويجه ملكاً عليها. ولكن في عام ٢٩٦ استرد الملك الفارسي أرمينية مرة أخرى وهرب ديرتاد إلى روما ثم مال بثقله لطلب أن استردها مرة أخرى في عام ٢٩٧ ونصب ديرتاد ملكاً أيضاً. ومن أهم الأعمال التي قام بها ديرتاد إصداره مرسوماً بإلغاء الوثنية القديمة وهدم وإغلاق معابدها في أرمينية.

Bournoutian, op. cit., pp. 53-65.

(٣٢) ولد كريكور المنور في عام ٢٢٩ ميلادية وسُمى بدايةً بـ «سورين». وهو ابن أناك البارثي الذي قتل الملك الأرمني خسروث بتحريض من الملك الفارسي أرداشيس. أرسل كريكور إلى قيصرية - مركز المسيحية - عاصمة إقليم قبادوقيا الروماني بآسيا الصغرى ليتلقى تعاليمه المسيحية بها. تزوج من فتاة تُسمى مريم ابنة داقثيت وأنجب منها ولدين هما أريستاجيس وفارتانيس. ثم تعرف بالملك ديرتاد الثالث البارثي وعمل سكرتيراً له وصاحبه حتى صار أقرب رجال بلاطه إليه ومستشاره الأول لدرجة أن اعتنق هذا الملك وشعبه المسيحية علي يديه وعينه ديرتاد بطريكاً لكل الأرمن. وبذا، يكون كريكور المنور قديس أرمينية الأول ورسولها ومؤسس كنيسة الوطن. توفي عن عمر يناهز السابعة والثمانين عاماً ودفن ببلدة Tarton بعد أن عاش حياة زاخرة بالإنجازات. وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكراه ثلاث مرات سنوياً.

Sarafian, Krikor, The Armenian Apostolic Church, California, 1959, pp. 63-66.

(٣٢) ربما يكون الملك أبكار الخامس الأرمني ملك أورفا أو الرها Edessa أول

من اعترف بالمسيحية ديانة رسمية لمملكته. وجدير بالذكر أن أرمنية قد سبقت الإمبراطورية الرومانية في اعتناق المسيحية. أكثر من هذا، بلغ اضطهاد الرومان للمسيحيين أوجه إبان اعتناق أرمنية المسيحية الذي تزامن مع عصر الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥) الذي تزايد فيه عدد شهداء المسيحية نتيجة الاضطهاد الناجم عن مرسوم سنة ٣٠٣ الذي أصدره دقلديانوس بتحريض من صهره وقائده وخلفه جالوريوس. ولم يبطل اضطهاد المسيحية في الإمبراطورية الرومانية إلا في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧) بعد انفراده بالحكم أثر وفاة شريكه الإمبراطور جالوريوس (٣٠٥-٣١١) وذلك بموجب مرسوم ميلان Edict of Milan الصادر في سنة ٣١٣. وثمة رواية تذكر أن الإمبراطور قسطنطين قد اعتنق المسيحية في سنة ٣٣٧ قبيل وفاته. ولم تصبح المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية إلا في عام ٣٨١ إبان عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول.

إيرل كيرنز، المسيحية عبر العصور، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ١٤١-١٤٦.

(٢٤) يرجع تسميتها بالرسولية إلى الاعتقاد بأن أرمنية قد تنصرت علي أيدي الرسولين بارثولوميو وثايدوس. وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تتفق مع مثيلاتها السريانية والقبطية في تقرير مبدأ القديس Cyril القائل بطبيعة واحدة للسيد المسيح عليه السلام. ويعامة، تشترك الكنيسة الأرمنية مع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في المذاهب العقائدية عدا المسألة المونوفيزية. Ormanian, Malachia, The Church of Armenia, London, 1955, pp. 11-36.

(٢٥) تقع قيليقية Cilicia شمال شرق البحر المتوسط على منطف تركيا

وسورية عند خليج مرسين وإسكندرونه. وقد أطلق على مملكة الأرمن في قيليقية عدة مسميات منها: «أرمينية الصغرى» Little Armenia و«أرمينية في المنفى» Armenia in exile و«أرمينية الخارجة» Armenia in Out و«أرمينية البحرية» Maritime Armenia ومملكة سيس» نسبة إلى عاصمتها الأخيرة. وقد تأسست هذه المملكة من الأرمن المهاجرين إلى هذه المنطقة حول الإمارة التي أنشأها الأمير الأرمني روين في قلعة Bardzherd علي مقربة من سيس في سنة ١٠٨٠ وعاصمتها طرسوس ثم سيس ولقبهم «تاكفور» . وقد حكمتها ثلاث أسرات أرمينية علي التوالي : روين وهيثوم ولوسينيان. وكان الملك ليفون السادس لوسينيان (١٢٧٣-١٢٧٥) هو آخر ملوكها حيث ضمت دولة المماليك بمصر مملكة أرمينية الصغرى واستولت على عاصمتها سيس وأسرت ملكها واقتيد أسيراً إلى القاهرة حيث ظل منفياً بها حتى سنة ١٢٨٢ حيث اقتدى فرحل إلى باريس وتوفي بها في عام ١٢٩٢.

Bournoutian, Op.. Cit., pp. 117-131.

Ormanian, op. cit., pp. 67-70. (٣٦)

The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 1, p. 524. (٣٧)

Bournoutian, op. cit., pp. 77-79. (٣٨)

Poladian, op. cit., p. 14. (٣٩)

وُلد القديس ميسروب في عام ٢٥٢ بقرية هاندزجاندز وينتمي إلى عائلة (٤٠)

ماميجونيان. تلقى تعليمه الأولي بالمدارس المحلية ثم أكمل دراساته العليا في الرها. أجاد اللغات الأرمنية والآشورية والإغريقية والفارسية. عمل مترجماً في البلاط الأرمني ثم سكرتير المراسلات الخاصة بإبان حكم الملك

خسرووف. وأخيراً ترك هذه الوظيفة وترسم فارتابيد Vartabed (الراهب الأعزب) في سن الأربعين وكُرِّس حياته من أجل التبشير بالإنجيل. وبذلك قضى ميسروب معظم وقته داعيةً ليس فقط بين الأرمن، ولكن أيضاً بين الشعوب المجاورة في أغفان وقيراتزي (جورجيا). توفى ميسروب في عام ٤٢٨ بمدينة فاغارشاباد بالقرب من دير إيتشميادزين.

وتُعد مقبرته الآن مزاراً دينياً للزائرين الأرمن والأجانب، وجدير بالذكر أن الكنيسة الأرمنية تحتفل بذكراه مرتين سنوياً. والحق، أن ميسروب قد قام بدور بارز في الثقافة الأرمنية. إذ ابتكر الأبجدية الأرمنية بمعاونة القديس ساهاج - الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية - وإغريقى يُسمى روفانوس. هذا، ولم يبتكر ميسروب أبجدية للأرمن فقط، ولكنه ابتكر أيضاً أبجدية للأغفانيين Aghvans والجورجيين Veratzies. كما أسس المدارس وشجع التعليم القومي الأرمني بالأبجدية الأرمنية مباشرة.

Sarafian, op. cit., pp. 87-89.

(٤١) ربما تكون الأبجدية الأرمنية مأخوذةً عن الأبجدية الباهلية بفارس مع بعض التأثيرات الإغريقية مثل وجود حروف للحركات واتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين. وتتكون الأبجدية الأرمنية من «٣١» حرفاً ساكناً وسبعة حروف متحركة. وتجدر الإشارة إلى أن تأصيل اللغة الأرمنية بهذه الأبجدية يُعد عاملاً هاماً في استمرارية وحدة الأمة الأرمنية وكنيستها. وترجع أقدم الوثائق المكتوبة باللغة الأرمنية إلى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

Seklemian, A.G. "The Armenian Alphabet", Armenia, Vol. 1, No. 6. U.S.A. 1905. pp. 39-45; The New Encyclopaedia Britannica, Vol.1, p. 524.

- Poladian, op. cit., pp. 9-11. (٤٢)
- The New Encyclopaedia Britannica, Vol. 1, p. 525. (٤٣)
- Sonyel, Salahi Ramsdam, The Ottoman Armenians, London. (٤٤)
1987, p. 3.
- Lang, A people in exile. (٤٥)
- Ibid., p. 42. (٤٦)
- عبدالعزیز الشناوی، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثاني، ص ١٥٣٦، ١٥٤٧. (٤٧)
- فؤاد حسن حافظ، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتي اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ١٧٢-١٨٠. (٤٨)
- وقع جميع المسيحيين الأرثوذكس في الدولة العثمانية تحت سلطة البطريرك اليوناني التي شملت الإغريق والصرب والبلغار والمكانيين Melkites ورومانيا والبوسنة. ووقع المسيحيون غير الأرثوذكس في دائرة اختصاص البطريرك الأرمني التي شملت الطوائف الأرمنية والأثيوبية والسريانية والجورجية والخلقدونية والقبطية. (٤٩)
- هاملتون جب وهارولد بووين، المجتمع الإسلامي والغرب، جزءان، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، سلسلة «تاريخ المصريين» رقم ٣٦، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٣٩٦-٣٩٩.
- نفسه، ص ٤١٢. (٥٠)
- Atamian, Sarkis, The Armenian Community, New York, 1955, pp. 20-27. (٥١)

Artinian, Vartan, "The Role of the Amiras in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 34, No. 134, Los Angeles, 1981, p. 190. (٥٢)

(٥٣) قام الصرافون بدور هام في نظام الإلتزام العثماني: أى فرض الضرائب على الأراضى الزراعية وجمعها. وفي الواقع كان الصرافون يتكفلون بتجميع الضرائب والإيرادات وإرسالها إلى خزينة الدولة. أما بالنسبة لعملية جمع الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية المملوكة للدولة فقد كانت تُباع بالمزايدة لمن يدفع أكثر. ويجب على الباشا المزايد الفائز بالإلتزام أن يكون تحت ضمان صراف، أرمنى في الغالب، لأن المبلغ الذى عرضه لابد أن يُودع فى خزينة الدولة إما بأقساط أو جملة واحدة. ولكى ينال باشا ملتزم الدعم المالي من صراف لابد أن يكون لديه «صك مختوم من الصراف يذكر فيه الأخير أن جميع مطالبه مكفولة». وفي حالة عدم دفع الديون لخزانة الدولة، سوف تُحمل الحكومة المسئولية على الصراف وليس علي الملتزم - الجامع الحقيقي للضريبة. وحتى إذا كان الباشا الملتزم ثرياً، تُصر الدولة علي ضرورة أن يكون تحت ضمان صراف. هذا، وقد اعتاد الصرافون إرسال وكلاء عنهم لمصاحبة الباشوات الملتزمين في المناطق التي يجمعون منها الضرائب. وفي حالة دفع الضرائب عيناً، أى سلع، يبيعها الصرافون. وبذا، يعملون صيارفة وتجار. أما عند توزيع السلع المجموعة فيحصل الصرافون علي عشرة في المائة سمسرة إضافة إلى فائدتهم في المال المقروض. ونظراً لأن المبلغ المطلوب كان كبيراً، فلم يستطع دخول هذا الميدان إلا الأشخاص الأثرياء جداً خاصة من صيارفة خزينة الدولة العثمانية الذين كانوا في نفس الوقت من حاشية السلطان وتمكنوا من الحصول علي «البراءة» - أى التصريح بضمان الملتزمين - مقابل «١١.٠٠٠» قرش سنوياً.

Barsoumian, Hagop, "Economic Role of the Armenian Amiras Class in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 31, No. 124, Los Angeles, 1979, pp. 310-311.

(٥٤) لقد عُرض إيراد دار سك العملة السلطانية في مزاد شأن بقية المشروعات ذات الإيرادات. هنا أيضاً، كما في نظام الإلتزام، يجب علي المتعاقد الناجح - ويُسمى بالتركية أميل - أن يُسدد المبلغ المطلوب لخزينة الدولة مرة واحدة أو بأقساط منتظمة. وقد تم هذا في الغالب تحت ضمان صراف أرمني. ورغم أن الأميل - جامع الإيرادات والمشرف علي المال - كان مسؤولاً عن تجميع الإيرادات، إلا أن العملية الفعلية بدار سك العملة ظلت تحت سيطرة الموظفين الذين عيّنهم الدولة وهم: الأمين أو الناظر الذي يُشرف علي دار السك، وصاحب عيار الذي يرأس عمليات السك هُيبت في الأمور الفنية والقانونية، والأسطى الذي يُدير عملية السك. وتجدر الإشارة إلي أن معظم هذه الوظائف قد عُهد بإدارتها إلي الأرمن الذين سيطروا فنياً وإدارياً علي دار سك العملة السلطانية. ولعل هذه السيطرة قد ظهرت بوضوح حينما نُوتت سجلات هذه الدار بالخط الأرمني.

Ibid., p. 312.

(٥٥) Caprielian, Ara, "The Role of the Armenians in the Ottoman Empire", The Armenian Review, Vol. 21, No. 83, Los Angeles, 1968, p. 53.

(٥٦) Barsoumian, op. cit., p. 312.

(٥٧) Clark, Edward, "The Ottoman Industrial Revolution", The International Journal of Middle East Studies, Vol. 1, London, p. 70.

(٥٨) في عام ١٧٩٥ كافأ السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) أراكيل أميراً دادايان بتعيينه «بارود چی باشی» أي مشرف علي مصنع البارود بأي

إستيفانو نظير ابتكاراته الفنية. وفي عام ١٨٢٠ تقلد هوفانيس بن أراكيل أميراً داديان إدارة مصنع الورق السلطاني في «بيكوز» Beykoz، وفي عام ١٨٢٣ أدار مؤقتاً مصنع البارود بـ «آزادلي» Azadli خلفاً لأخيه، وفي عام ١٨٢٦ أدار مصنع النسيج بـ «أيوب» Ayub ثم عينه السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) «بارود جي باشي» مصنع أزادلي. وتجدر الإشارة إلي أن هوفانيس كان مخترعاً ومبتكراً بالإضافة إلي مهاراته الإدارية. فقد ابتكر في عام ١٨٢٧ آلة لخرق أخاديد حلزونية داخل مواسير البنادق ثم ابتكر آلة لصقلها. وفي العام التالي ابتكر مضخة ماء وثلاث آلات لصناعة البنادق وأربع أخريات لصناعة النسيج. كما سافر إلي أوروبا ثلاث مرات خلال أعوام ١٨٣٥ و ١٨٤٢ و ١٨٤٧ لتنمية معرفته الفنية. وقد أسفرت رحلاته عن دراسته الابتكارات التكنولوجية وجلب آلات حديثة وعمال أوربيين مهرة. وفوق هذا، أشرف هوفانيس علي كثير من المشروعات الصناعية بالدولة العثمانية منها علي سبيل المثال لا الحصر: عام ١٨٤٠ أشرف علي تأسيس مصنع حرير هرکه Hereke وعلي مسبك صهر الحديد بآي إستيفانو، وفي عام ١٨٤٢ أشرف علي مذبغة بيكوز، وفي عام ١٨٤٤ أشرف علي مصنعين لصناعة الجوخ بإزمت. فضلاً عن هذا، كان هوفانيس مسئولاً عن استيراد الآلات وعن العلاقات بين الحكومة العثمانية والحكومات الأجنبية. أما نرسيس بن هوفانيس فقد كان مهندساً ميكانيكياً أسس سكة حديد علي امتداد مضيق البسفور Bosphorus في عام ١٨٤٧ واخترع مضخة ماء تُسهل عملية الضخ من أبار الآستانة. تلك، هي نماذج فقط من أسرة داديان الذين سيطروا تقريباً علي المؤسسات الصناعية بالدولة العثمانية. ولمزيد من التفاصيل حول أسرة داديان انظر:

Boutros-Chali, Anna Naguib, les Dadians. Le Caire, 1965;

Ter Minassian, Anahide, "A Family of Armenian Amiras; The

Dadians". The Armenian Review, Vol. 45, No. 179, Los Angeles, 1992, pp. 1-16.

(٥٩) تولى كل من ميلدون أرابيان وسركيس كالفافا وظيفة «معمار باشي» السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠) ، ولكن أسرة باليان الشهيرة قد احتكرت هذه الوظيفة. فقد أرسل نيجوغوص باليان إلي باريس لدراسة العمارة وبعد عودته شيد قصر ضلعه بخشه الذي أضحي أجمل جوهرة بالاستانة. وفي عام ١٨٦١ أمر السلطان عبدالعزيز (١٨٦١-١٨٧٦) أسرة باليان في أعقاب توليه العرش ببناء قصور ومصانع وأكاديميات عسكرية بشراغان وبيليريك وعلي جانبي السفور. يُضاف إلي هذا، برج النار Fire Tower علي ارتفاع مائتي قدم وقصر جالاتا وقصور سارة بورنو. وتجدر الإشارة إلى أن معظم الزخرفيين العاملين في القصور السلطانية كانوا في الغالب من الأرمن لأن تصوير الوجوه البشرية والأشخاص كان محرماً دينياً لدى المسلمين.

Artinian, The Role of the Amiras, P. 191; Capriclian, op. cit., p. 54.

(٦٠) علي سبيل المثال، أوقف هارتيون أميراً بيزجيان خلال حكم السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٢٩) بغزارة من أمواله الوفيرة علي المشروعات الخيرية والدينية والتعليمية. فقد تعهد ببناء المركز البطريركي علي نفقته، وبناء مدرستين إبتدائيتين بكوم كابو Kum-Kapu، ومدرسة البنات في بيرا Pera. وفي عام ١٨٢٠ أسس مدرسة البنات المهنية للتطريز، وفي عام ١٨٢٨ شيد الكاتدرائية المجيدة بكوم كابو. بيد أن أهم أعماله الخيرية هو بناء المستشفى العام بالاستانة عام ١٨٢٣ التي قدمت خدماتها آنذاك للأرمن والأتراك وغيرهما علي حد سواء.

Artinian, The Role of the Amiras, pp. 192-193.

- Sonyel, op. cit., pp. 24-25. (٦١)
- Burrt, op. cit., pp. 123-125. (٦٢)
- Caprielian, op. cit., pp. 56-57. (٦٣)
- Alaux, Louis, "The Armenian Schools in the Ottoman Empira", (٦٤)
Vol. 1, No. 5, U.S.A, 1905, pp. 44-49.
- Caprielian, op. cit., pp. 55-58. (٦٥)
- Ibid., p. 58. (٦٦)
- إستارچيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧. (٦٧)
- Sonyel, op. cit., p. 11. (٦٨)
- Ibid., pp. 11-12. (٦٩)
- تُعد حرب الاستقلال اليونانية حدثاً مثيراً على درب الليبرالية Liberalism (٧٠)
والقومية Nationalism في أوروبا القرن التاسع عشر. وقد اعتبرها
الكلاسيكيون Classicists حركة إحياء لأمجاد اليونانيين القدماء ووجد فيها
الليبراليون Liberals ثورة شعبية لصالح الليبرالية، وصورها المحافظون
Conservatives ذروة الحروب الصليبية بين المسيحيين والمسلمين. وتجدد
الإشارة إلى أن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ قد أوجت إلى عقول اليونانيين
أن ينتزعوا بلادهم العريقة من سيطرة الدولة العثمانية. إذ كان اليونانيون
هم الشعب المستنير والمزدهر في جنوب شرق أوروبا ووقع مسيحيو البلقان
تحت سلطة بطيريركهم . وفي الواقع، تملل اليونانيون لأنهم كانوا مزدهرين
ومستنيرين. لذا، بدأ الكتاب الوطنيون يُطلقون على أنفسهم اسم «الهليين»
Hellenes. وفوق هذا، اختلفوا عن العثمانيين في لغتهم وأدبهم ودينهم

وتقاليدهم. ومن ثم، كان طبيعياً عليهم أن يتخلصوا من نير الدولة العثمانية. فتكونت نواة الاستقلال الأولى من منظمة سرية تُسمى *Hetairia philike* التي تأسست عام ١٨١٤ واتخذت فكرها واتجاهاتها من روسيا التي كانت تسعى إلى إسقاط الدولة العثمانية ووصل عدد أعضائها إلى ثمانين ألف عضواً عام ١٨٢٠. وقد تزود هؤلاء بالسلاح والعتاد الحربي في انتظار فرصة لإعلان الثورة ضد الدولة العثمانية. وبدأت الحرب المباشرة عام ١٨٢٠، ولكن على مدى ست سنوات عزلت القوي الأوروبية نفسها عن الثوار. وخلال تلك الفترة كانت الحرب قائمة فقط بين بلاد اليونان والدولة العثمانية. والحق، كانت حرب إبادة رفع خلالها الثوار شعار أن العثمانيين سوف يُبانون في كل أنحاء الأرض. وعندما أعدم العثمانيون بطريرك الكنيسة اليونانية مع العديد من الأساقفة في يوم عيد الفصح عام ١٨٢١، ثار اليونانيون لذلك أخذين مدينة Tripolitza وقتلوا جميع سكانها. ثم رد العثمانيون على ذلك بمذبحة دموية في شيس Chies. عندئذ، راحت مصر تحمي مسلمي المنطقة حتى استرد الجيش المصري سلطة الدولة العثمانية على اليونان وأصبحت الحرب اليونانية على شفا الانهيار. هنا، تدخلت القوي الأوروبية لتُنقذ اليونانيين من نكباتهم. وفي يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٢٧ انهزم الأسطول العثماني - المصري في معركة نافارين Navarino على أيدي قوات إنجلترا وروسيا وفرنسا متحدة. ولكن بعد انبثاق الحماس اليوناني، رفضت إنجلترا مساعدة اليونان بشئ آخر وأظهرت فرنسا فتوراً تجاه فكرة قيام دولة يونانية في أعقاب هذه الحروب. لذا، تكفلت روسيا فقط بمسألة اليونان وأعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية عام ١٨٢٨، ولكن الأخيرة سعت لتتمسك السلام في مؤتمر أدرنه Treaty of Adrianople الذي انعقد في ١٤ سبتمبر ١٨٢٩. ودير بالذكر أن روسيا قد ساعدت بكميات كبيرة من

العتاد الحربي خلال حرب الاستقلال اليونانية. وهكذا، حقق اليونانيون استقلالهم بمساعدة القوي الأوروبية أكثر من قوتهم الذاتية. إذ كان طبيعياً أن تلقى اليونان تعاطف أوروبا لأن اسمها يُسحر عقولهم ويثير فيها مشاعر الذكريات الخالدة التي أحدثتها.

Bhattacharjee, Arun, A History of Europe, 2 Vols. New Delhi, 1982, Vol. 2, pp. 119-122.

Sonyel, op. cit., p. 13. (٧١)

Bhattacharjee, op. cit., pp. 203-306. (٧٢)

Artinian. Vartan, "The Formation of Catholic and Protestant Millets in The Ottoman Empire" The Armenian Review, Vol. 28, No. 109, Los Angeles, 1975. pp. 1-5. (٧٣)

لمزيد من التفاصيل حول السلطان محمود الثاني وفترة حكمه انظر محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٨٩٦، ص ص ١٩٧-٢٣٧. (٧٤)

Artinian, The Formation of, pp. 7 - 8. (٧٥)

Ibid., pp. 8 - 11. (٧٦)

Sonyel, op. cit., p. 20. (٧٧)

Artinian, The Formation of, p. 12 . (٧٨)

Atamian, op. cit., pp. 29 - 41. (٧٩)

ورد نص الدستور الملى الأرمنى فى :

فيليب جلاد، قاموس الإدارة والقضاء، خمسة مجلدات، الإسكندرية، ١٨٩٥ - ١٩٠١، المجلد الخامس، ص ص ٤٢-٥٥.

Sonyel, op. cit., pp. 20-24. (٨٠)

(٨١) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ١٥٤٦-١٥٤٨؛ فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٤.

(٨٢) محمد عبد الرحمن برج، «القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين والحرب العالمية الأولى ١٨٧٨-١٩١٤»، مجلة المؤرخ المصرى، كلية آداب القاهرة، يناير ١٩٩٠، ص ١٨ - ٢٠.

(٨٣) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ١٥٤٨ - ١٥٥٠.

(٨٤) شاوارش طوريكيان، القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة : خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ١٩٩٢، ص ٢٤.

(٨٥) نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٨٦) استارچيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

Atamian, op. cit., pp. 93-114. (٨٧)

El-Ghocin, Faiez, Les Massacres en Armenie Turque, Beyrouth, 1917, p. 10. (٨٨)

(٨٩) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ١٥٦٧ - ١٥٧٦.

El-Ghocin, op. cit., p. 1. (٩٠)

(٩١) نعيم اليافى، مجازر الأرمن وموقف الرأى العام العربى منها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ١٩٩٢، ص ١٤-٢٢.

(٩٢) عبد العزيز الشناوى، المصدر السابق، ص ١٥٥٩ - ١٥٦٠.



الفصل الثاني

هجرة الأرمن إلى مصر

١- ظروف الهجرة

٢- التوزيع الجغرافي للأرمن

١- ظروف الهجرة

بدايةً، يلاحظ أن أرمنية ومصر قد وقعتا في معظم فترات التاريخ تحت حكم دولة واحدة كبرى مثل فارس وروما والدولة العربية الإسلامية والدولة العثمانية مما سهّل حركة الانتقال بين الدولتين. ولما كانت أرمنية بيئةً طاردةً جغرافياً للسكان ومضطربة دوماً سياسياً، فمابرحت الهجرات الأرمنية تترى منذ القدم علي منطقة الشرق الأدنى بخاصة^(١) ومصر بالأخص التي تُعد تقليدياً منطقة جذب بشري علي مدار تاريخها.^(٢)

ويذهب البعض إلى أن هجرة الأرمن إلي مصر تعود إلي عصر الأسرات المصرية القديمة ثم تزايدت - إلي حد - خلال الحكم البيزنطي (٥٢٧-٦٤٠).^(٣) ولكن، بدأ الأرمن يظهرون نسبياً في مصر منذ الفتح الإسلامي لها حيث اشترك بعضهم ممن أسلموا^(٤) في هذا الفتح (٦٣٩-٦٤٢) مثل القائد قارتان (وردان) الرومي الذي شيد سوقاً في الفسطاط - أولي عواصم مصر الإسلامية - عُرفت بـ «سوق قارتان». وقد ولّاه الخليفة عثمان بن عفان (٦٤٤-٦٥٦) خراج مصر. واستشهد في عام ٦٧٣ أثناء غزو البيزنطيين البرلس بساحل مصر الشمالي.^(٥)

وكذا، تولي بعض الأرمن المسلمين إمارة مصر خلال الحكم العباسي (٧٥٠-١٢٥٨) مثل الأمير علي بن يحيى الذي تقلدها في عام ٢٢٦ هـ (٨٤٠) ثم في عام ٢٣٤ هـ (٨٤٨) لمدة بلغت نحو سنة وثلاثة أشهر. وقد وصفه ابن تغرى بردى بقوله: «كان أميراً شجاعاً مقداماً جواداً ممدحاً عارفاً بالحروب والوقائع مدمراً سيوساً محمود السيرة في ولايته وأصله من الأرمن».^(٦)

بيد أن الأرمن قد عاشوا فترةً مزدهرةً في مصر إبان الحكم الفاطمي (٩٦٩-١١١٧) حيث كانت لهم جالية تتمتع بكامل الحريات الدينية والثقافية والتجارية. وازدادت أعدادهم في مصر الفاطمية بعد خضوع فلسطين وسورية للحكم الفاطمي. ثم نتيجةً لهروب العديد من الأرمن إلى مصر أمام زحف السلاجقة نحو الغرب خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي.^(٧)

ويذهب المؤرخون إلى أن بدر الجمالي الأرمني حينما تولى أمور البلاد المصرية قد بدأ عصر الوزراء العظام أو وزراء السيوف ووزراء التفويض بعد أن كانوا وزراء تنفيذ، وأصبح السلطان الفعلي منذ ذلك الوقت في أيديهم وتوارى الخلفاء في الظلال.^(٨) وكان أغلب هؤلاء الوزراء من الأرمن الذين قاموا بدورٍ كبير في حياة الدولة الفاطمية حتى سُمي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي بـ «العهد الأرمني».^(٩) إذ تولى بدر الجمالي الوزارة الفاطمية منذ ٢٨ جماد أول ٤٦٦ هـ حتى ربيع ثان ٤٨٧ هـ (١٠٧٠ - ١٠٩٤). ثم تولّاها ابنه الأفضل شاهنشاه منذ ربيع أول ٤٨٧ هـ حتى آخر رمضان ٥١٥ هـ (١١٣٠-١١٣١)، ثم السعيد أبو الفتح يانس الأرمني منذ محرم ٥٢٦ هـ حتى ذي الحجة ٥٢٨ هـ (١١٣٢-١١٣٤)، وتولّاها بهرام (قهرام) الأرمني منذ ١١ جماد ثان ٥٢٩ هـ حتى ٢١ جماد أول ٥٣١ هـ (١١٣٥-١١٣٧)، ثم طلائع بن رزيك الأرمني منذ ١٩ ربيع أول ٥٤٩ هـ حتى ١٩ رمضان ٥٥٦ هـ (١١٥٤-١١٦١)، وأخيراً تولّاها رزيك بن طلائع منذ ١٩ رمضان ٥٥٦ هـ حتى ٢٢ محرم ٥٥٨ هـ (١١٦١-١١٦٣).^(١٠)

ولامراء أنه تبعاً لهذا، فقد ازدادت أعدادهم وقويت سلطتهم واتسعت نشاطاتهم التي شملت مجالات السياسة والإدارة والحربية ناهيك عن المجالات العلمية والعمرانية. ويخلاف الشخصيات السابق ذكرها، فقد اشتهر كثير من الأرمن في مصر الفاطمية مثل الأمير عزيز الدولة الأرمني حاكم قلعة حلب إبان حكم الحاكم بأمر الله (٢٨٦-٤١١ هـ / ٩٢٦-١٠٢١ م) وجعفر المظفر رئيس ديوان الأفضل وقاساك حاكم قوص في عام ١١٢٤ وأبى منصور كُستا حاكم الإسكندرية والقائد تاج الدولة قلماز وغيرهم.^(١١)

وبعد زوال الحكم الفاطمي في مصر، اضطهد صلاح الدين الأيوبي (١١٧١-١١٩٣) الأرمن لكونهم من المخلصين للفاطميين كما سرح جيشهم الذي كان يُشكل جناحاً في الجيش الفاطمي مما أدى إلى قلة عدد الأرمن في مصر. ولكن، عندما فتح صلاح الدين القدس في عام ١١٨٧ أعطى الأرمن امتيازات خاصة وحافظ علي كل حقوقهم في الأراضي المقدسة تقديراً لإخلاصهم وشجاعتهم. وكذا، دخل بعض الأرمن في خدمة صلاح الدين مثل المهندس بهاء الدين قراقوش والحاكم شرف الدين قراقوش ولؤلؤ الحاجب قائد أسطول صلاح الدين والقائد شرف الدين قرقریش.^(١٢)

وقد قام الماليك (١٢٥٠-١٥١٧) في مصر بعدة حملات ضد قيليقية (أرمينية الصغرى) حتى أسقطوها نهائياً في عام ١٢٧٥. وبالتالي، ازداد عدد الأرمن في مصر المملوكية بسبب الأسرى الذين جئ بهم من قيليقية. وجدير بالذكر أن الماليك قد استغلوا هؤلاء الأسرى فضلاً عن الأرمن الرقيق في أعمال الزراعة والصناعة. فعلى سبيل المثال، اشتهر

الأرمن بصناعة السجاد الفاخر في أسيوط ، ونظراً لجودته سُمي «السجاد الأرمني». وأيضاً، اشتهروا بصناعة الصبغة الحمراء في أشمون. وفوق هذا، استفاد الممالك من الأرمن في إلحاقهم بالجيش بعد تربيتهم إسلامياً. ومما هو جدير بالذكر هنا، أن الأرمن المسيحيين في مصر المملوكية قد استفادوا من تسامح السلاطين في تشييد كنيسة القديس مينا بحى كوم الأرمن بالقاهرة لإقامة شعائر دينهم بها. وكذا، برز بعض الأرمن في مصر المملوكية مثل محافظ الدين أبي الفرج وزير السلطان الظاهر برقوق وابنه الوزير تاج الدين عبد الرازق ، وأخيه القاضي يحيى زين الدين مستشار السلطان ظاهر الشقمقى وغيرهم. (١٣)

وقد قلَّ عدد الأرمن نسبياً في مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨) خلال القرن السادس عشر، ثم تزايدوا تدريجياً خلال القرن السابع عشر حيث أقاموا في حى خان الخليلى وحى كوم الأرمن بالقاهرة فضلاً عن الإسكندرية ورشيد ودمياط. وأسسوا كنيسة القديس سركيس فضلاً عن دير مارمينا الذى أسسوا مقابرهم بجواره. وانتشر الأرمن الحرفيون المتخصصون في المشغولات الذهبية والأسلحة بحى خان الخليلى . وكذا، أقام التجار الأرمن علاقات تجارية مع أسواق الهند والجزيرة العربية والحبشة. ورغم هذا، كان الأرمن في مصر وقتئذ من أفقر السكان قاطبة. (١٤)

أما خلال القرن الثامن عشر، فقد أخذت أحوال الأرمن في الازدهار نسبياً علي أثر زيادة أهمية المدن المصرية في التجارة الدولية عندما ضعف تدريجياً طريق البنغال - البصرة - حلب - الأستانة وحل محله

طريق السويس والبحر الأحمر. عندئذٍ، تزايدت أهمية القاهرة ورشيد ودمياط كمحطات تجارية. وبدأ التجار الأوربيون يستفيدون من الأرمن واليونانيين والسوريين الموجودين بمصر كوسطاء تجاريين. وقد أدى هذا، بلامراء، في إثراء بعض التجار الأرمن.^(١٥) وتجدر الإشارة إلي أن الأرمن كانوا يعتنقون الدين الإسلامي للحصول على وظائف عسكرية وإدارية؛ إذ أنه كان من الصعب الحصول علي مثل هذه الوظائف وهم يعتنقون المسيحية. كما كانوا يتخذون أسماءً إسلامية. وبذا، اشتهر بعض الأرمن في مصر العثمانية مثل الأمير سليمان بك وابنه عثمان بك السردار والسنجق علي بك أبي العزب ومصطفى الجبرجى أو المملوك الجبرجى.^(١٦)

أكثر من هذا، اشتغل بعض الأرمن وقتئذٍ مفاوضات دبلوماسية. فمثلاً، عندما طرد علي بك الكبير (١٧٦٨-١٧٧٢) الوالي العثماني في عام ١٧٦٨ وأراد أن يتحالف مع روسيا ضد الدولة العثمانية أرسل في عام ١٧٧١ مع ندى الفقار بك أرمنياً يُسمى هاجوب للتفاوض مع الكونت أورلوف Orlov الذي أرسل في عام ١٧٧٢ إلي مصر مدفعين وذخيرة وستة مراكب صغيرة مجهزة بمدافع. وأيضاً، كان قائد الأسطول الذي كونه مراد بك (الأرمني) أرمنياً يُسمى نيجوغوص وكانت أغلبية البحارة من الأرمن الذين جئ بهم من الأستانة.^(١٧)

ولكن، تسببت الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) في خسائر لأرمن مصر. إذ اتفق الفرنسيون مع الأقباط وألغوا الامتيازات التجارية للأرمن. ومن ناحية أخرى، نظر المسلمون إلي كل المسيحيين الموجودين بمصر علي أنهم حلفاء للفرنسيين، ولهذا، انتهج المصريون سياسة

عدائيةً ضد الأرمن. وبذا، لم تقلت الأحياء التي يقطنها أرمن من إعتداءات المصريين إبان ثوراتهم ضد الفرنسيين. وبعد جلاء الفرنسيين، لم تُصبح حياة الأرمن أكثر أماناً في إطار الفوضى التي سادت أثر الصراعات العثمانية المملوكية علي الحكم.^(١٨)

وهكذا، يُلاحظ استمرار الهجرة الأرمنية إلي مصر، وإن انقطعت أحياناً، قبل القرن التاسع عشر. وبعمامة، حقق الأرمن مستوى معيشي لائق في مصر العصور الوسطى، وإن تعرضوا لبعض الاضطهادات، إلا أنهم قد عاشوا عصراً ذهبياً إبان الحكم الفاطمي حيث ارتقوا إلي أعلي المناصب واستأثروا بها وتمتعوا بكامل الحريات. وهو أيضاً ما حدث في مصر الحديثة إبان القرن التاسع عشر - زمن الدراسة - الذي شهد العديد من التطورات التي كانت غالباً في صالح نزوح الأرمن بكثرة إلي مصر وتقلدهم أعلي المناصب.

بدايةً، شهد حكم محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٩) نزوح موجات أرمنية إلي مصر. ويرتبط هذا أساساً بشخص محمد علي ذاته وظروف حكمه. فرغم قلة المعلومات عن حياة محمد علي قبل مجيئه إلي مصر، إلا أن هناك ما يُشير إلي وجود علاقات مبكرة له ببعض الأرمن أدت إلي حبه لهم. فقد اشتغل محمد علي في صباه بتجارة الدخان عند تاجر أرمني يُسمى قره قهيا يراميان فلاقي منه معاملة أبوية.^(١٩) ولذا، عندما تولي حكم مصر ردّ الجميل لأسرة قره قهيا جاعلاً إياهم صرافيه في الأستانة.^(٢٠) ومما يؤكد حب محمد علي لهذه الأسرة أنه عندما قُبِض علي أبراهام قره قهيا بسبب اشتراكه في ثورة الأرمن ضد بطريركيتهم في الأستانة عام ١٨٢٠ توسط محمد علي لدن السلطان مما أدى إلي إطلاق سراح أبراهام.^(٢١)

وأيضاً، عندما التحق محمد علي بالفرقة الألبانية التي كانت جزءاً من الحملة العثمانية علي مصر ضد الفرنسيين لم تكن لديه السيولة النقدية لتجهيز حملة عسكرية. لهذا، استدان مبلغاً كبيراً من التاجر الأرمني يغيازار أميراً بدروسيان دون أية ضمانات. وعندما أصبح محمد علي حاكماً علي مصر، ردّ الجميل ليغيازار نظير ثقته فيه جاعلاً إياه صرافه في الأستانة.^(٢٢) ثم ، استدعاه إلي مصر وعيّنهُ «صراف باشى» الخزينة - كبير الصيارفة.^(٢٣)

وقد سعى محمد علي إلي إقامة حكم ذاتي في مصر. ولهذا، قام بسلسلة من الإصلاحات الاقتصادية والإدارية التي استلزمت إدارتها أعواناً مخلصين. وبالتالي، أثرَ محمد علي الاعتماد علي عناصر تتميز بالولاء لشخصه حتى تُوَازره في تحقيق مشروعاته الإصلاحية. وقد كان الأرمن في طليعة العناصر التي رحبت بالعمل إلي جانب محمد علي وفي مشروعاته. ويؤكد المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي^(٢٤) هذه الحقيقة في فترة مبكرةٍ من حكم محمد علي بقوله : «..... ولا يتقرب إليه من يريد قربهُ إلا بمساعدته علي مراداته ومقاصده... وخصوصاً أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم».^(٢٥)

وكذا، وثق محمد علي بالأرمن كثيراً حتي أنه قد سمح لهم بالعمل في الحرمك. فعلي سبيل المثال، عمل خسروث تشاركيان مترجماً لحريم محمد علي، وكان إستيبان كيغوركيان الطبيب الخاص لحريم القصر.^(٢٦) وأدار الأرمن الثروات الخاصة لأفراد أسرة محمد علي . فمثلاً ، أدار سوكياس تشاركيان - والد الأخوين أرتين وخسروث تشاركيان - الأمور المالية لطوسون بن محمد علي.^(٢٧)

ورغم العلاقة الأبوية التي مابرح محمد علي يُظهرها تجاه الأرمن، إلا أنه في النهاية كان يسعى وراء تحقيق مصالحه الذاتية. ومن ثم، كانت هناك أسباب عملية وراء اعتماد محمد علي بشكل ملحوظ على الأرمن إضافةً إلى حبه لهم وثقته فيهم. ففي الابتداء، لم يكن الأرمن العثمانيون أثناء حكم محمد علي قد تطلّعوا إلى إقامة دولة مستقلة بهم. وبالتالي، كانوا في حاجة إلى حماية سياسية سرعان ما وجدوها في شخص محمد علي الذي وفّر لهم هذه الحماية نظير ولانهم. وأيضاً، لن يُهدد الأرمن محمد علي عسكرياً لأنهم سوف يعملون في وظائف مدنية، ولن يُضمروا طموحات للقبض على دفة الحكومة لأنهم مسيحيون.^(٢٨)

وكذا، امتاز الأرمن بكونهم علي دراية تامة بالشرق وعاداته وفي نفس الوقت كانوا علي علاقة وثيقة بالمجتمعات الأوربية. لذا، غدوا مطلوبين تراجمة ووسطاء في المعاملات التجارية والمداولات الدبلوماسية بين محمد علي والأجانب.^(٢٩) ويؤكد محمد علي مراراً في أوامره على ضرورة استخدام موظفين أرمن لأنهم يُديرون وظائفهم بأمانة كبيرة وذمة عظيمة وهمة شديدة ويقظة فائقة.^(٣٠)

وقد احتاجت مشروعات محمد علي المتباينة متخصصين لم يتوافروا بين المصريين آنئذ. لذا، اعتمد على غير أبناء البلد.^(٣١) وفي هذا، استدعى محمد علي عدداً من الأرمن المتخصصين في زراعة النيلة وصناعاتها^(٣٢)، وآخرين لتعليم نقاشى القماش المصريين فن التطريز^(٣٣) ناهيك عن الحرفيين المتخصصين في الإنشاء والمعمار وغير ذلك.^(٣٤)

وأيضاً، احتاجت هذه المشروعات إلى رؤوس أموال. والحق، كان محمد علي واعياً بدرجة كبيرة إلى حقيقة أن الاعتماد علي رأس المال

الأوربي سوف يُتيح الفرصة أمام الأوربيين ليتدخلوا في أوامره الداخلية. ولذا، ظل طوال حكمه يعتمد فقط في معاملاته المالية على الصيارفة الرعية من يونانيين ويهود وأرمن. فمثلاً، رغم حاجته الماسة إلى المال في عام ١٨٣٢ إبّان حملاته على الشام، إلا أنه رفض العروض التي اقترحها عليه روتشيلد Rothschild وغيره من الصيارفة الأوربيين وأثر التعامل مع الصيارفة الرعية^(٣٦) لاسيما الأرمن الذين تميزوا عن اليونانيين واليهود بعدم طلبهم الحماية القانونية من أية دولة أوربية طوال حكم محمد علي لأنهم وجدوا هذه الحماية في شخص الأخير ذاته.^(٣٦)

كما أجرى محمد علي عدة إصلاحات جذرية في الجمارك والمواصلات والأمن والقضاء وغير هذا مما شجّع استثمار الأموال في مصر. لهذا، نزح الأرمن من الأناضول (آسيا الصغرى) إلى مصر لاستثمار أموالهم التي جمعوها من جباية ضرائب أو صناعة محلية أو تجارة. ومما دفع الأرمن إلى النزوح إلى مصر أيضاً أن طبيعة الاستثمار العام للاقتصاد الريفي السائد في الأناضول لم تُساعدهم علي الإثراء.^(٣٧)

وفوق هذا، اتصف حكم محمد علي بالسماحة الدينية التي أثارت المسلمين مراراً حسبما أورد الجبرتي. ولكن، لم يعبأ محمد علي بهم لأنه كان في حاجة ماسة إلى غير المسلمين فما برح يُحسن من وضعهم ويستفيد من خدماتهم.^(٣٨) وبذا، استفاد الأرمن من هذه السماحة في عودة بعض الأرمن الذين كانوا قد أسلموا إلى المسيحية. بالإضافة إلى إنشاء كُتاب لتعليم أطفالهم، وبناء مستشفى لمعالجة فقرائهم، وبناء البيت الروحي لاستقبال الحجاج القادمين من بلاد مجاورة في طريقهم إلى

القدس، وبناء مضييفة لاجتماع المجلس الملى الأرمنى الكبير^(٢٩)، وبناء كنائس مثل كنيسة سورب أسدقاندازين (العذراء) فى بين الصورين بالقاهرة فى عام ١٨٣٩ للأرمن الأرثوذكس^(٤٠) وكنيسة سورب كريكور لوسافوريتش (المضى) بدرب الجنينة للأرمن الكاثوليك فى عام ١٨٤١^(٤١)، ولامراء أن هذا الاستقرار الذى نتج عن تسامح محمد علي قد شجّع الأرمن علي المجئ لمصر.

وأخيراً، استفاد الأرمن من وجود بوغوص بك يوسفیان (١٧٦٨-١٨٤٤) - ناظر التجارة والأمور الإفرنجية - وثقة محمد علي الشديدة به فى النزوح إلي مصر. فقد استدعى بوغوص عدداً كبيراً من الأسرات الأرمنية إلي مصر مثل أسرات يوسفیان ونوباریان وأبرویان وتشراکیان وحکیکیان وغيرهم^(٤٢)، وهى الأسرات التى ظلت تخدم فى الإدارة المصرية خلال القرن التاسع عشر. وأيضاً، قدّم بوغوص نصائحه وتوجيهاته إلي الأرمن، ومنح بعضهم إمتیازات، وأقنع محمد علي بمنح امتیازات أخرى لبعضهم، وأتاح لبعضهم فرصاً فى التعليم والوظائف^(٤٣). أكثر من هذا، وفّر لهم الأمان والحماية. ويكفى دليلاً علي هذا أن إستیبان أبرویان - والد دیکران أبرویان - عندما أعرب عن تخوفه علي الأرمن فى مصر بعد وفاة بوغوص، ردّ عليه محمد علي قائلاً: «... مادام محمد علي وأبناءؤه علي قيد الحياة، فلا خوف علي الأرمن الذين لهم الحق فى طلب أى شئ منى خاصة أقارب بوغوص ومعارفه»^(٤٤)، وهكذا، دُعِم بوغوص يوسفیان تواجد الجالية الأرمنية وطموحاتها فى مصر مستفيداً من وضعيته لدن محمد علي. وبذا، یُمكننا أن نطلق عليه، وبحق، «مؤسس الجالية الأرمنية فى مصر».

ولهذا كله، ازداد عدد الأرمن في مصر خلال حكم محمد علي وارتفع دورهم في خدمة مختلف مجالات الإدارة والاقتصاد. ويشير الجبرتي إلي هذه الحقيقة منذ فترة مبكرة من حكم محمد علي عندما وصف الأرمن بأنهم «أصحاب الرأي والمشورة»^(٤٥) وكذا، يؤكد هامون Hamont هذه الحقيقة بقوله: «إن الأرمن دخلوا في كل مكان»^(٤٦)

وبذا، ارتبط محمد علي والأرمن على نحو وثيق. فتمسك محمد علي بهم لأنهم أدوات طيعة في تنفيذ سياساته. أما الأرمن فقد ارتبطوا بمحمد علي لأنه وفر لهم الحماية وقلد لهم المناصب الكبرى وحقق لهم طموحاتهم في الإثراء. ولذا، عاش الأرمن أمنين في مناصبهم وأوضاعهم طيلة عصر محمد علي لأن حكمه المطلق أسكت صوت المُستاء.

ويذهب البعض إلى أن وفاة محمد علي وولاية عباس الأول الحكم بين عامي ١٨٤٩ - ١٨٥٤ قد حجماً المشاركة الفعالة للأرمن في مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا، وفقاً لرأيهم، إلي كراهية عباس للأرمن أثر دورهم المؤثر خلال حكم محمد علي^(٤٧) بيد أنه رغم الارتباط الوثيق بين محمد علي والأرمن وكراهية عباس لهم، إلا أنه يمكن رصد ظاهرة تذبذب هجرة الأرمن إلي مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في إطار الظروف التي مرت بمصر والدولة العثمانية منذ أواخر حكم محمد علي.

بدايةً، كانت بريطانيا تسعى إلي عرقلة طموحات محمد علي في الاستقلال عن طريق ضرب الأساس الاقتصادي الذي ارتكز عليه حكمه. ولذا، عقدت إتفاقية بلطة ليمان التجارية في عام ١٨٣٨ مع الدولة

العثمانية تنص علي حرية التجارة داخل أملاكها. ويذهب البعض إلي أن هدف بريطانيا الحقيقي من وراء هذه الإتفاقية هو إلغاء نظام الاحتكار وتقليل إيرادات محمد علي أكثر منه الدفاع عن مكاسب التجارة البريطانية.^(٤٨) وبإلغاء نظام الاحتكار متزامناً مع تغلغل رأس المال الأوربي وُجِهُت ضربة قاصمة للأرمن الذين كانوا يستفيدون بشدة من وراء هذا النظام.

وأيضاً، شهد حكم عباس هجرات مضادة. إذ منع الأوربيين واليونانيين والشوام والأرمن من تخطي القاهرة والإسكندرية إلي أعماق البلاد. وكذا، شَهِدَ حكمه تعصباً دينياً ضد المسيحيين بعامّة وحرمانهم من حرية العبادة والاستيلاء علي أوقافهم.^(٤٩) ولاريب أن هذا قد أدى إلي عودة العديد من الأرمن إلي موطنهم الأم. هذا، وقد اضطهد عباس الموظفين الذين كانوا مُخلصين لمحمد علي ولم يتكيفوا مع نظامه السياسي. كما أبعد عن الخدمة من كان يعدّهم أنصاراً لفرنسا. لذا، اضطهد أرتين تشاركيان - مدير التجارة والأمور الخارجية - حتى دفعه للهرب ، كما أقال إسطفان دميرچيان وكيل الخارجية منذ عام ١٨٥٠ حتى عام ١٨٥٣.^(٥٠) ويُعلق الرُّحالة سنيور Senior علي ما أصاب الأرمن خلال حكم عباس الأول بقوله: «لقد كره عباس أنصار جده فأقالهم... حتى أنه لم يُبقَ أرمن في القصر تقريباً».^(٥١)

ولكن، منذ بداية حكم سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣) أخذت الامتيازات الأجنبية تتغلغل في مصر، وتحجّمت المعاداة تجاه الأوربيين والمسيحيين التي دامت طوال حكم عباس الأول، ومُنحت تسهيلات وتصريحات كثيرة لمؤسسات التبشير المسيحية.^(٥٢) وفي إطار هذه الظروف، تحسّنت نسبياً أحوال الجالية الأرمنية في مصر. إذ تم إعادة

الموظفين الأرمن المُسرَّحين وتعيينهم في وظائف عالية مثل نوبار نوباريان الذي شغل منصب ناظر إدارة السكة الحديدية وأراكيل نوباريان الذي شغل منصب حاكم الخرطوم^(٥٣)، وإسطفان دميرچيان الذي شغل منصب ناظر الخارجية^(٥٤).

وأيضاً، أدى حفر قناة السويس وزيادة الطلب علي القطن والسكر المصريين في السوق العالمي لاسيما إبان الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥)^(٥٥) إلي نشاط ملحوظ في مصر استلزم العديد من العمال والفنيين^(٥٦). عندئذٍ، نزح أرمن قرويون بلا أدوات اقتصادية إلي مصر من ثمان وباغيش وموش وسغرت وساسون ليندرجوا في أعمال متواضعة وصعبة من أجل لقمة العيش^(٥٧). كما أن المناطق أنفة الذكر كانت تشهد وقتئذٍ قلاقل واضطرابات ناجمة عن صراع الأكراد والأرمن^(٥٨).

ولكن، تأزَمَ العمل بشدة في مصر بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية وانخفاض الطلب علي القطن والسكر المصريين في السوق العالمي مما دعا مطران الأرمن في مصر كبريل المرعشي (١٨٣٠-١٨٦٧) إلي نشر بيان للأرمن علي صفحات الجرائد يُناشدهم فيه «... ألا يجينوا إلي مصر، إذ أنه لا يكفي معرفة اللغة الإنجليزية فقط لاجاد عمل مربح في مصر، وإنما لابد من اتقان المهنة، ومعرفة اللغة العربية علي وجه الخصوص. ورغم كل هذا أيضاً ليس من السهل ايجاد عمل مربح بسرعة»^(٥٩). وكذا، تعرَّض الأرمن في مصر أثناء الثورة العربية^(٦٠) للإصابة والقتل في طنطا وكفر الزيات وللنهب في القاهرة والإسكندرية^(٦١)، مما أدى إلي رحيل كثير منهم إلي موطنهم الأم في نفس الوقت الذي توقفت فيه هجرتهم إلي مصر.

ثم، استؤنفت هجرة الأرمن إلى مصر بعد الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢. إذ كان الأرمن يتدفقون إلى الأستانة وأزمير هرباً من الضرائب الباهظة والاضطهادات والمجاعات. ومنهما كانوا يُهاجرون إلى البلاد القريبة والبعيدة ومنها مصر. وقد أزعجت هذه الهجرات خورين أشيكيان البطريك الأرمني في الأستانة (١٨٨٨ - ١٨٩٤) الذي نشر بياناً علي صفحات الجرائد إلى رؤساء الكنائس الأرمنية يأمرهم فيه بأن يُنوروا أفكار الناس ويُبينوا لهم خطر الهجرة على غير استعداد.^(٦٢)

بيد أن المذابح التي ارتكبتها الحكومة العثمانية ضد الأرمن تُعد السبب الرئيسي في نزوحهم إلى مصر خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر. فمابرحت وفود الأرمن اللاجئين تترى إلى مصر منذ بداية التسعينيات حتى تزايدوا بكثرة في عام ١٨٩٦.^(٦٣) وقد تم تشغيل عدد من هؤلاء اللاجئين في وظائف حكومية وأعمال حرفية. فمثلاً، تعيّن أحد عشر موظفاً من مستخدمي البنك العثماني في بنوك القاهرة والإسكندرية.^(٦٤) وتعيّن بعضهم محررين وكتبة في المحاكم المختلطة والسكك الحديدية وغيرهما بوساطة نوبار باشا وديكران باشا أبرويان ويعقوب آرتين.^(٦٥) وقد أخذت شركة بسنديلة بضعة مئات منهم للعمل في أملاكها الواسعة.^(٦٦)

ولكن، حرصت الحكومة المصرية على ألا تتوتر علاقاتها بالباب العالي أثر إيوائها للأرمن اللاجئين. لذا، أصدرت نظارة الداخلية أمراً إلى محافظتي القاهرة والإسكندرية بترحيل الأرمن الذين لم يتيسر وجود عمل لهم إلى الأستانة.^(٦٧) وأيضاً، أمرت بتخفيض نصف أجرة السفر للأرمن العائدين إلى أوطانهم شريطة ألا يأتوا إلى مصر مرة

أخرى.^(٦٨) وأعلنت شركة البواخر الروسية استعدادها لنقل الأرمن إلي بلادهم بنصف أجرة.^(٦٩) وعندما أُعيد الهدوء نسبياً في منتصف عام ١٨٩٧ إلي الأستانة والولايات الأرمنية، أخذ بعض الأرمن اللاجئين في العودة وبقي البعض.

وهكذا، يُلاحظ أن خط الهجرة الأرمنية إلي مصر ظل متواجداً طيلة القرن التاسع عشر. بيد أنه كان قافزاً وثاباً باطراد خلال حكم محمد علي وتعرض لذبذبات ارتدادية وتيارات راجعة وانقطاع أحياناً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مرتبطاً بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مصرية وعثمانية وأوروبية. ولهذا، يُلاحظ تجاذب قطبي الطرد والجذب بين المنبع والمصب (الموطن الأم ومصر) إبان حكم محمد علي في حين تنافر القطبان أحياناً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ويُلاحظ أيضاً، أن نمط الهجرة الأرمنية إلي مصر كان فردياً أو أسرياً علي الأكثر حتى بداية ثمانينيات القرن التاسع عشر، في حين كان جماعياً خلال العقدين الأخيرين بسبب المذابح. ولذا، كان طابع الهجرة الأرمنية إرادياً في الغالب حتي الثمانينيات، في حين كان اضطرارياً تماماً خلال العقدين الأخيرين. وكذا، يُلاحظ أن الحكومة المصرية كانت تستدعي الأرمن لتنفيذ سياستها حتى قبيل اندلاع الثورة الأرمنية خلال الثمانينيات، إلا أنها سعت خلال العقدين الأخيرين إلي ترحيل الأرمن اللاجئين إليها خوفاً من توتر العلاقة مع السلطان العثماني.

وتجدر الإشارة إلي تعدد المناطق التي نزحت منها الأسرات الأرمنية

إلى مصر. فقد نزحت أسرات يوسفیان ونوباریان وأبرویان ومارجوسیان وهاجوبیان وشیردچیان من أزمیر، وأسرات حکیکیان ورایزیان وراپائیلیان من الأستانة، وأسرات بدروسیان وکالوسدیان ویغیایان من أجن، وأسرات جُلبنکیان وأشیکیان وبالیان من قیصریة، وأسرتا ماردیروسیان وکیفورکیان من توكاد، وأسرتا تشراکیان ودمیرچیان من سییاسطیا. (٧٠)

هنا، یُلاحظ أولاً تفوق عدد الأسرات الأرمنية الأزمیریة. ويرجع هذا بالأساس إلى أنهم جميعاً أقارب بوغوص یوسفیان الأزمیری الذي استدعاهم إلى مصر خلال حکم محمد علي. وأيضاً، یُلاحظ ثانياً تفوق عدد الأسرات النازحة من خارج الأستانة. ويرجع هذا إلى استقرار وضعیة الأسرات الأرمنية أساساً في الأستانة وازدهار أغلبها اقتصادياً ونقلد بعضهم وظائف علیا مما جعلهم غیر محتاجین للهجرة. ناهیک عن توتر العلاقات في الغالب بین السلطان العثماني وولاة مصر مما خوف الأرمن الأثرياء المرتبطین علي نحو وثیق بالسلطان، لاسیما الأمراء الأرمن، من النزوح إلى مصر حفاظاً علی مصالحهم ومكانتهم. ومن ثم، فقد أتاح هذا التخوف الفرصة أمام أرمن المناطق البعيدة والخارجة عن مرکزیة الأستانة للنزوح إلى مصر لیُحققوا طموحاتهم في الإثراء والسلطة.

بید أن الأرمن قد نزحوا إلى مصر خلال العقدين الأخیرین من القرن التاسع عشر من المناطق التي شهدت اضطرابات سیاسیة ومذابح أثر تصاعد الثورة الأرمنية كما یتأكد من مساقط الرأس المدونة في تعدادات الأرمن. فیُلاحظ طبقاً لتعدادات الأرمن الکاثولیک خلال عامی ١٨٨٥

١٨٩٧ أن أغلب الأرمن الوافدين إلى مصر وقتئذ قد نزحوا أساساً من المناطق التي شهدت اضطرابات ومذابح مثل الأستانة ويقتوجيا وجالاتيا وماردين وعربكيير وقيصرية وطرابيزون وأدنة وبروسة وساسون ودياربكر وعين تاب وأماسيا وتوكاد وبيره چك ومرعش وغيرها. (٧١)

ويمكن تقسيم المهاجرين الأرمن إلى نوعين :

أولاً: مهاجرون للاستقرار، جاءوا إلى مصر بهدف الحصول علي عمل ثابت، وغالباً كانوا يصطحبون أسراتهم معهم. علي أنه يُلاحظ مجئ رب الأسرة أولاً وبقائه في مصر لمدة عام أو أكثر يُرتب حاجاته ثم يتبعه بقية أفراد الأسرة. فعلي سبيل المثال، جاء سوكياس تشاركيان - رب أسرة تشاركيان - إلى مصر بمفرده خلال عام ١٨١٢ ثم تبعته أسرته بعد ذلك بعامين. (٧٢) وقد ظل هذا النوع من المهاجرين يتوافد علي مصر طوال القرن التاسع عشر. فيُشير الجبرتي في حويات عام ١٨١٦ إلي أن الأرمن «... أنشئوا دوراً وقصوراً ويساتين بمصر القديمة لسكنهم...» (٧٣) وحتى بعض اللاجئين إلي مصر في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ممن تيسر لهم قسط من المال قد استأجروا منازل فاخرة ومخازن كبيرة للاستقرار بها. (٧٤)

ثانياً: مهاجرون مؤقتاً، وقد جاءوا دورياً لممارسة عمل ما لمدة عام أو أكثر للحصول علي قدر من المال ثم العودة إلي وطنهم الأم. وغالباً كانوا يأتون فرادى تاركين أسرهم. ولذا، كانوا يرتبطون بمواطنهم الأم ويتنفسون دوماً أمل العودة إلي ديارهم. وثمة ما يؤكد هذا من عبارات أمانى المغتربين المنقوشة علي شواهد قبور الأرمن الوافدين للعمل مؤقتاً وماتوا في مصر. فمثلاً، يُقرأ علي شاهد قبر جرابيد الديار بكري الذي

مات في مصر خلال رحلة عملية ما يأتى:

- ١- خرج من وطنه.
- ٢- ووصل هذه المدينة (القاهرة).
- ٣- تنفس الهواء وريح أيضاً.
- ٤- وأسفاه علي حظه التعس.
- ٥- كانت أمنيته هي.
- ٦- العودة إلي بيته في الوطن.^(٧٥)

وأيضاً، تؤكد شواهد القبور حقيقة ارتباط الأرمن عموماً والمغتربين مؤقتاً علي وجه الخصوص بمواطنهم الأم حيث يُذكر مسقط رأس كل أرمني متوف علي شاهد قبره حتى المولودين بمصر أيضاً.^(٧٦)

ويُلاحظ أن معظم الأسرات الأرمنية الموجودة في مصر قد استقرت بها نهائياً خلال العقود الثاني والثالث والرابع من القرن التاسع عشر. فمثلاً، استقرت أسرة دميروچيان في عام ١٨١٢ ، وتشراكيان في عام ١٨١٤ ، وحكيكيان في عام ١٨١٥ ، وجليبيكيان في عام ١٨١٨ ، وأسرات ميساكيان وكالوسديان ونوباريان في عام ١٨٢٠ ، وأسرتا أوغيا وأوهانيسوف في عام ١٨٣٠ ، وأسرتا أشيكيان وجرابيديان في عام ١٨٣٥.^(٧٧) ولاريب أن هذا الاستقرار قد نتج عن إيثار محمد علي الأرمن كأدوات تنفيذية لمركزة الاقتصاد والإدارة بمصر ناهيك عن تسامحه الديني.

وأخيراً، يُلاحظ أن الهرم العُمري للأرمن ظل شبابياً في الغالب طوال القرن التاسع عشر. إذ جاء معظم الأرمن إلى مصر في أعمارٍ تتراوح

بين خمسة عشر وأربعين عاماً. وهي الفترة التي تتسم بالحيوية والإنتاج في عمر الإنسان. فمثلاً، جاء ارتين تشراكيان ويوسف الأرمني إلى مصر في سن الخامسة عشرة. وجاء نوبار نوباريان في سن الثامنة عشرة، وجاء بيدان تشراكيان (طبيب) وهاجوب أشيكيان (تاجر) في سن العشرين، وجاء أبراهام جُلبينكيان (من كبار الملاك) في سن الثلاثين وغيرهم.^(٧٨) كما تُؤكد التعدادات وجود نسبة ٥٦٪ من الأرمن في مصر تتراوح أعمارهم بين خمسة عشرة وأربعين عاماً.^(٧٩) وتُعد هذه النسبة الشبابية دليلاً إيجابياً علي نشاط القوة الإنتاجية للأرمن. وتتفق ديموجرافياً Demographical مع حقيقة أن الانتقاء النوعي لاسيما من الشباب الذكور يُعد من أبرز سمات الهجرة.^(٨٠)



٢- التوزيع الجغرافي للأرمن

ليست هناك بيانات كاملة ودقيقة عن الأعداد الإجمالية للأرمن في مصر خلال القرن التاسع عشر. ولذا، تبقي مصداقية الأرقام المتاحة محل شك لأنها افتراضية وتفقر إلى دلائل قاطعة ناهيك عن نقصها.

في الابتداء، تكاد تتفق جميع المصادر المصرية والأوربية والأرمنية على أن عدد الأرمن خلال حكم محمد علي قد وصل إلى ألفي نسمة^(٨١) بنسبة ٠.٤٪ من مجموع سكان مصر البالغ «٤٠.٤٧٦.٤٤٠» نسمة حسب إحصاء المساكن الذي جرى في عام ١٨٤٦.^(٨٢) بيد أن هذا التقدير يفقر إلى الدقة للأسباب الآتية:

أولاً: قدر علماء الحملة الفرنسية في عام ١٨٠٠ عدد الأرمن في القاهرة فقط بألفي نسمة.^(٨٣) لذا، من المنطقي أن يزداد عدد الأرمن في مصر بعامة مع تصاعد خط هجرتهم إليها خلال حكم محمد علي.

ثانياً: ليس من المعروف تحديداً هل هذا التقدير أنف الذكر يشمل الأرمن المستقرين والمغتربين معاً أم يقتصر على المستقرين فحسب.

ثالثاً: تبرع «١٥٠٠» أرمني أرثوذكسى من مجموع «٣٢٥» أسرة بالقاهرة فقط لبناء كنيسة سورب أسدقأدازدين (العذراء) في عام ١٨٣٩ حسبما ورد في السجلات الرسمية للكنيسة.^(٨٤)

إذن، بناءً على هذا، ومع ملاحظة أن الفقراء لا يتبرعون، وبإضافة الأرمن الأرثوذكس في المناطق الأخرى والأرمن الكاثوليك والبروتستانت وغيرهم في مصر بعامة والأرمن المغتربين مؤقَّتاً فعلي الأرجح الغالب أن تعداد الأرمن في مصر خلال أربعينيات القرن التاسع عشر يزيد عن

ألفى نسمة بكثير. وهذا، يتفقُ منطقياً مع زيادة هجرة الأرمن باطراد إلى مصر أثناء حكم محمد علي.

بيد أن البناء السكاني الأرمني قد تخلخل بشدة خلال حكم عباس الأول (١٨٤٩-١٨٥٤) حتى أنه لم يتبق في القاهرة إلا «٩٦٠» نسمة فقط يُشكلون «١١٤» أسرة وفي الإسكندرية «٢٥٢» نسمة فقط. ^(٨٥) ويذهب البعض إلى أن عدد الأرمن في مصر قد وصل في نهاية السبعينيات إلى عشرة آلاف نسمة. ^(٨٦) ولكن، يبعدُ هذا الرقم تماماً عن الصحة لأن الهجرة الأرمنية إلى مصر قد توقفت أحياناً خلال السبعينيات في نفس الوقت الذي ارتدت فيه موجات كبيرة إلى موطنهم الأم.

وفي عام ١٨٨٥ أجرى المطران سيروثبي داثيتيان أول تعداد دقيق للأرمن الكاثوليك في القطر المصري. ووفقاً لهذا التعداد، بلغ عدد الأسرات الأرمنية الكاثوليكية في مصر عموماً «٢٢٨» أسرة منهم «١٥٩» أسرة في القاهرة و«٢٦» أسرة في الإسكندرية و«٢٣» أسرة في الأقاليم. وقد بلغ إجمالي الأفراد «٩٤٥» نسمة، منهم «٢٧٦» رجل و«٢٢٧» سيدة، و«٢٢٤» ولد و«٢٠٨» بنت. ^(٨٧) وبذا، يُمثل الأرمن الكاثوليك بمفردهم نسبة ١٣.٠٪ من مجموع سكان مصر في أوائل الثمانينيات البالغ «٦٨١٣٩١٩» نسمة. ^(٨٨) وقد بلغ عدد الأرمن الكاثوليك في القاهرة فقط خلال عام ١٨٩٦ «٢٢٢» أسرة بالإضافة إلى ثلاثين أعزباً. ^(٨٩) ثم ازدادوا في عام ١٨٩٧ إلى «٢٥٦» أسرة و«١٣٩» أعزب. ^(٩٠)

أما بالنسبة للأرمن الأرثوذكس، وهم أغلبية، فثمة سجلات تُدون بها

حالات الميلاد والوفاة والزواج والطلاق والإعانة،^(٩١) ولكنها ليست تعدادات مما يُصعب عملية حصر أعدادهم ولو تقريبياً.

ليس هذا فحسب، فالتعدادات الرسمية التي أعدتها الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر قد أدرجت الأرمن تحت تصنيف «عثمانية»^(٩٢)، أو «قاطنون وأصولهم عثمانيون»^(٩٣)، أو «رعايا مصريين من باقي بلاد الدولة العلية»^(٩٤) ويشذ عن هذا، تعداد النفوس في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨) الذي أحصى فيه عدد الأرمن في القاهرة مثلاً بـ «١٥٤» نسمة منهم «١٠١» ذكر و«٣٥» أنثى.^(٩٥) ولكن، يصعب تصديق هذا الإحصاء إذ ليس من المعقول أن يتدنى عدد الأرمن في مصر إلي هذا الحد في وقت شهدت فيه مصر الستينيات نزوح موجات أرمنية. وأيضاً، ليس من المعروف تحديداً مذاهب هؤلاء الدينية خاصة وأن هذه السجلات قد أخطأت عندما ذكرت أن ديانة هؤلاء هي «الأرمنية».

وبذا، يصعب تحديد عدد الأرمن في مصر إجمالياً لعدم اكتمال تعداداتهم الخاصة من ناحية وعدم تحديد أعدادهم في التعدادات الرسمية من ناحية أخرى. وأياً كان، يُعد الأرمن علي امتداد القرن التاسع عشر من أقل الجاليات الموجودة في مصر عدداً.

أما التوزيع الجغرافي للأرمن في مصر، فيُلاحظ أنهم كانوا حتى منتصف القرن التاسع عشر متمركزين أساساً في القاهرة والإسكندرية وبأعداد هامشية في رشيد ودمياط والسويس.

بدايةً، لم يكن للأرمن أحياء خاصة بهم في القاهرة، وإن تمركزوا في بعض المناطق المحيطة بكنائسهم أو القرية منها مثل منطقة كوم الأرمن

بالقرب من كنيسة مارمينا وحول كنيسة الأرمن الأرثوذكس والكاثوليك في بين الصوريين ودرب الجنية^(٩٦) ويُشير الجبرتي في أكثر من موضع إلى انتشار الأرمن بشكل ملحوظ في أحياء مصر القديمة^(٩٧) بيد أنه يلاحظ انتقال الأرمن من مصر القديمة وضواحيها إلى المناطق المنشأة حديثاً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال، استقطب حتى شبرا نسبة ٢٠٪ من إجمالي عدد الأرمن الكاثوليك في القاهرة وفقاً لتعدادهم في عام ١٨٨٥^(٩٨) مما دعا إلى إنشاء كنيسة خاصة بهم في حتى شبرا في ٢١ نوفمبر ١٨٨٦^(٩٩) كما استقطب حتى العباسية نسبة ٧٪ من إجمالي أعدادهم في عام ١٨٨٥^(١٠٠) وكذا، يؤكد تعداد الأرمن الكاثوليك استمرار إقامتهم في الأحياء القديمة بالقاهرة مثل الفجالة (١٠٪) ودرب الجنية (٧٪) وبين الصوريين وباب الشعرية ودرب المصطفى وشارع محمد علي والموسكى والأزبكية وبولاق وغيرها^(١٠١).

ثم، تأتي الجالية الأرمنية بالإسكندرية في المرتبة الثانية بعد القاهرة، ويذكر البعض أن الأرمن لم يظهروا في الإسكندرية إلا بين عامي ١٨٢٥-١٨٤٠ بسبب اشتغال معظمهم بالتجارة ناهيك عن استقرار بوغوص يوسفیان، الأب الروحي للأرمن آنئذ، في الإسكندرية بعد نقله من منصب ناظر ديوان التجارة في عام ١٨٢٦. وقد أدت هذه الكثافة إلى بناء كنيسة ومدرسة للأرمن في حتى أبى الدرداء الذى تركزوا في المناطق المحيطة به^(١٠٤) ولكن، منذ بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر أخذ الأرمن في الخروج من حدود أبى الدرداء والانتشار في نواحي الإسكندرية المختلفة كما يتضح من بعض العناوين المسجلة للأرمن الكاثوليك في تعدادهم^(١٠٥).

وإضافةً إلى هذا، انتشرت أعداد هامة من الأرمن خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في الموانئ مثل دمياط والسويس^(١٠٦)، ثم أخذ الأرمن خلال النصف الثاني من القرن يقطنون علي استحياء المدن الإقليمية مثل الزقازيق والمنصورة وطنطا وكفر الزيات وأسيوط وغيرها.^(١٠٧) بيد أن الزقازيق تُعد أكثر المدن الإقليمية التي جذبت الأرمن. ويرجع هذا أساساً إلي تأسيس مصانع ميلكونيان وجامسراجان للسجائر بها. وقد نتج عن تكاثر أعداد الأرمن في الزقازيق بناء كنيسة ومقابر خاصة بهم في عام ١٨٩٨ بناحية كفر النحال.^(١٠٨)

وهكذا، اتخذ هيكل توزيع الأرمن في مصر ثلاثة محاور أساسية^(١٠٩).

أولاً : القاهرة التي تُعد بمثابة العمود الفقري للهيكل كله وقطب الجاذبية الرئيسي باستيعابها نسبة ٧٣.٦٩٪ من حجم الهجرة الأرمنية إلي مصر. وهذا، يتفقُ طبيعياً مع حجم القاهرة وثقلها.^(١١٠)

ثانياً: الإسكندرية التي تستوعب ١٧.٢٠٪ من إجمالي حجم الهجرة.

ثالثاً: المدن الإقليمية التي تستوعب، وعلي استحياء، نسبة ١٠.١٠٪ من الإجمالي.

ويتضحُ من مساقط الرأس المُدونة في تعدادات الأرمن^(١١١) والمنقوشة علي شواهد قبورهم^(١١٢) أن استقرارهم في مصر نهائياً قد تم علي مرحلتين أساسيتين، الأولى هجرة الأرمن من أرمينية والآناضول

إلى الأستانة وأزمير، وهى هجرة من مناطق طرد مكتظة سكانياً فقيرة مادياً متخلفة حضارياً إلى مناطق جاذبة عمرانياً غنية مادياً متقدمة حضارياً. ثم الثانية من الأستانة وأزمير إلى مصر بعامة. بيد أنه يلاحظ أن معظم الذين نزحوا من الأستانة أو عن طريقها قد استقروا في القاهرة، ومعظم الذين نزحوا من أزمير أو عن طريقها قد استقروا في الإسكندرية، أما معظم الذين نزحوا من داخلية الأناضول رأساً إلى مصر فقد استقروا في المدن الإقليمية. وربما، يرجع هذا إلى التشابه الكبير بين المنبع والمصب في الخصائص والطبائع الجغرافية والديموجرافية والمادية بل والسيكولوجية والحضارية.

وأيضاً، يلاحظ أن مد الهجرة الأرمنية قد اتجه دوماً إلى المدن أساساً. وهذا، يتفقُ ديموجرافياً مع حقيقة أن المدن في الأغلب تُعد أكبر بالوعة للغرباء الوافدين علي دولة ما. ناهيك عن كون الأقليات العرقية من السمات الديموجرافية للمدن وليس الريف.^(١١٣) ففي المدن كمجتمع مفتوح تستطيع الأقليات أن تتوقع أو تذوب بين السكان علي عكس المجتمع الريفي المغلق. كما يُستفاد من طبيعة مهن الأرمن أنها مهن مدنية بالأساس وليست ريفية.^(١١٤)

وأخيراً، يُمكن تحديد الهيكل العام للجالية الأرمنية في مصر من واقع تعداداتهم كما يلي^(١١٥):

تكون البناء النوعي للأرمن من ٥٣.٩٧٪ ذكور، ٤٦.٠٣٪ إناث. وتشكل الهرم العمرى من ٢٤٪ تتراوح أعمارهم بين ١-١٥ سنة و ٥٦٪ تتراوح أعمارهم بين ١٦-٥٠ سنة و ٢٠٪ فوق الخمسين. وانقسم البناء المدنى إلى ٥٠٪ متزوجين و ٣١٪ غير متزوجين و ١٩٪ أرامل. وتكون

البناء المهني من ٣٤٪ تجار و ٣٠٪ حرفيين و ١٥٪ موظفين و ٥٪ ملاك عقارات و ١٦٪ أعمال متنوعة ، وتشكل البناء من حيث قوة العمل من ٦٠٪ عمالة و ٤٠٪ بطالة. (أنظر شكل رقم «٢»: هيكل الجالية الأرمنية في مصر).

وبعامة، جاء الأرمن إلى مصر لإحراز ثروة وتحقيق مكانة اجتماعية، لذا، وجب عليهم بذل المزيد من الجهود الكفيلة بتحقيق طموحاتهم كل حسب ظروفه وقدراته. ومن ناحية أخرى، حمل الأرمن تقاليد وثقافة خاصة بهم، وتقاليد وثقافة مكتسبة، وعاشوا في رحاب مجتمع ذى تقاليد وثقافة خاصة. فكيف عاش الأرمن في ذلك الإطار؟. هذا ما سوف نعرض له في الفصول التالية.



الهوامش

- (١) Lang. A people in exile. pp. 70-88.
- (٢) جمال حمدان، القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، رقم ٥١٠، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٧٦.
- (٣) أرشاج البويرچيان، الإقليم المصرى والطائفة الأرمنية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧. (بالأرمنية)
- (٤) تجدر الإشارة إلى أن الفتوحات الإسلامية لأرمنية قد بدأت فى أعقاب الفتح الإسلامى لفارس وفلسطين وسورية ومصر ثم إتجاه الجيوش الإسلامية إلى منطقة الجزيرة وفتحها الرها ونزيب ومن ثم وقوفها على أبواب أرمنية في عام ١٩ هـ (٦٤٠). في ذلك الوقت، كان ثيودور رشدونى (٦٣٨-٦٥٦) حاكماً لأرمنية من قبل الإمبراطور البيزنطى قنسطانز الثانى. هذا، وقد شن المسلمون حملات متتالية على أرمنية بين عامى ١٩-٢٥ هـ (٦٤٠-٦٤٦) أسفرت عن استيلائهم على جزء كبير منها. ثم، أعاد البيزنطيون سيادتهم على أرمنية مرة أخرى في عام ٢٧ هـ (٦٤٧). ولكن، مالبث معاوية بن أبى سفيان (٦٦١-٦٨٠) - مؤسس الدولة الاموية (٦٦١-٧٥٠) - أن أعاد بسط السيادة الإسلامية على أرمنية بموجب إتفاقية سلام بين المسلمين والأرمن في عام ٤٠ هـ (٦٦١) وعيّن الأمير كريكور ماميجونيان حاكماً عليها. وهكذا، انسلخت أرمنية عن الإمبراطورية البيزنطية وخضعت للسيادة الإسلامية عن طيب خاطر.

فايز نجيب إسكندر، المصدر السابق؛

Pederian, G, Armenia Under Arab Occupation 640-886 A.D.
Canada, 1993, pp. 17-22.

- (٥) وأيضاً، تُنسب إليه بلدة «وردان» (فارتان) التي لم تزل موجودة غرب فرع النيل الغربي (فرع رشيد) بعد رأس الدلتا، ويُنسب إليها كثير من المصريين.
- فؤاد حسن حافظ، المصدر السابق، ص ٩١.
- (٦) جمال الدين أو المحاسن بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، خمس عشر جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ص ٢٤٦-٢٥٥.
- (٧) لمزيد من التفاصيل حول هجرة الأرمن إلي مصر إبان الحكم الفاطمي انظر سهام مصطفى أبو زيد، تاريخ الأرمن في مصر الإسلامية من سنة ٤٦٦ إلي ٥٦٦ هـ/من ١٠٧٣ إلي ١١٧١م، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ، ١٩٩١، ص ص ٢٣-٤٩.
- (٨) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، المجلد الرابع، ص ص ٦٤-٦٦.
- (٩) Mahé, Jean-Pierre, "Les Arméniens et L'Egypte", Le Monde Copte, No.9, 1980, p.25.
- (١٠) محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٧، ٩١، ١٠٤، ٢٧٢-٢٧٨، ٣١١-٣١٣، ٣٦٢.
- (١١) لمزيد من التفاصيل حول وضعية الأرمن ومختلف نشاطاتهم زمن الفاطميين انظر:
- سهام مصطفى أبو زيد، المصدر السابق ، ص ص ٥٠-١٨٥.
- (١٢) نوبار دير ميكائيليان، تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى، بيروت، ١٩٨٠، ص ص ١٣٦ - ١٧٠ (بالأرمنية).

- (١٣) Mahé, op. cit., p. 25:
 أرشاج ألبويجيان، المصدر السابق، ص ص ٤٥-٤٧. (بالأرمنية)
- (١٤) عراقى يوسف محمد، الوجود العثماني المملوكى فى مصر، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥، ص ٣٨٣:
 أرشاج ألبويجيان، المصدر السابق، ص ص ٥٦-٥٨. (بالأرمنية)
- (١٥) Revue d'Egypte, 1895, Vol. 2, p. 203.
- (١٦) Mahé, op. cit., p. 27.
- (١٧) Ibid.:
- عبد الوهاب بكر، الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٢، ص ص ٨١-٨٢.
- (١٨) Revue d'Egypte, op. cit.
- (١٩) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of Mohammed Ali. Cambridge, 1984, p. 26.
- (٢٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة، ديوان خديو تركى، س ١/٤٢/٢ (٧٢٨)، ص ٢٩، رقم ٩٦، مكتبة من ديوان خديو إلي الصراف قرة قهيا بالأسطانة في ١٨ محرم ١٢٢٥ هـ: تراجم ملخصات دفاتر تركى، محفظة ١، سجل رقم ١، معية تركى، رقم ١٠٥، أمر من الجنا ب العالي إلي الصراف قرة قهيا.
- (٢١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ بحر برا، رقم ٧، وثيقة ٥٥، ورقة ٥٢، مكتبة من محمد نجيب إلي الجنا ب العالي فى ٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ.
- (٢٢) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, PP. 29-30.

(٢٣) تراجم ملخصات دفاتر تركي، محفوظة ٢، سجل ٣، معية تركي، وثيقة رقم ١٣٨، ترجمة أمر إلي الكتخدا بك في ١٨ صفر ١٢٣٤ هـ.

(٢٤) ينتسب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي إلي «جبرته» من إقليم زليع بأرض الحبشة. وُلد في سنة ١٧٥٤، تلقى تعليمه الأولي في بعض الكتاتيب بحى الأزهر، ثم التحق برواق الشام بالأزهر وتلقن مذهب الحنفية. وقد نشأ وتربى في بيئة علمية إذ كان والده الشيخ حسن الجبرتي من علماء الأزهر. كتب الجبرتي عدة مؤلفات: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، مختصر تذكرة داود الأنطاكي في الطب، وكتاب عن ألف ليلة وليلة، إلي جانب نبذة عن تاريخ مدة الفرنسيين في مصر. بيد أن «عجائب الآثار» المشهور بـ «تاريخ الجبرتي» يعد أهم مؤلفاته قاطبةً. وتجدر الإشارة إلي أن تاريخه قد بقى غير متداول في مصر إلي حكم توفيق حيث طُبِعَ الجزآن الثالث والرابع، كما طُبِعَ الجزآن الأول والثاني أثناء حكم عباس الثاني. وكذا، ظهرت ترجمة فرنسية في تسعة مجلدات بين عامي ١٨٨٨-١٨٩٦. ولا تزال كتابات الجبرتي تلقى اهتماماً من الباحثين والمستشرقين. لعل ما يضيف أهمية كبيرة علي كتابات الجبرتي أنها تكاد تكون المصدر المحلي الوحيد الذي كُتِبَ عن تاريخ مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. مات الجبرتي علي الأرجح في عام ١٨٢٥.

جمال زكريا قاسم، عبد الرحمن الجبرتي، سيرة وتقييم، منشوراً في :
عيد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٤٧-٦٢.

(٢٥) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة الانوار المحمدية، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص ٢٨٤.

- (٢٦) ارداشيس كارداشيان، مواد تاريخ الأرمن في مصر، ثلاثة أجزاء، الجزء الثاني، فينسيا، ١٩٨٦، ص ٢٢١، ٢٦٨. (بالأرمنية)
- (٢٧) "Artin bey (1800-1859", *Revue d'Egypte*, Vol. 2, Le Caire, 1895, p. 424.
- (٢٨) Adalian, Ruben, "The Armenian Colony of Egypt During the Reign of Mohammed Ali (1805-1848). *The Armenian Review*, Vol.33, No. 128, Los Angeles, 1980, p. 117.
- (٢٩) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٣٤-١٣٦.
- (٣٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، أوامر التجارة والمبيعات، رقم ١٤٠، أمر من الجناح العالي إلي الخواجه بوغوص في ٦ شوال ١٢٤٤ هـ: محفظة رقم ١١٨، مستخرج من سجل رقم ٨٠٦ ديوان خديو تركي، ترجمة أمر رقم ٥٣ صادر في ٨ رجب ١٢٥٠ هـ.
- (٣١) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, *Egypt in the Reign of M.Ali*, p. 31.
- (٣٢) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٥، رقم ٨٠، مكاتبة من المجلس العالي إلي ديوان خديو في ٢٨ شعبان ١٢٤٥ هـ.
- (٣٣) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, *Egypt in the Reign of M. Ali*, p. 194.
- (٣٤) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.
- (٣٥) Sabry, Mohammed, *L'Empire Égyptien sous Mohamed-Ali et la Question d'Orient (1811-1849)*, paris, 1930, p. 563.

- (٣٦) Adalian, op. cit., p. 117.
- (٣٧) Ibid
- (٣٨) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٦٢، ٣٩٨، ٤١١.
- (٣٩) هوفانيس توبوزيان، الجالية الأرمنية في مصر ١٨٠٥-١٩٥٢، يريفان، ١٩٧٩، ص ص ٣٠-٣٢. (بالأرمنية)
- (٤٠) Meinardus, Otto, F.A. Christian Egypt Ancient and Modern, (٤٠) Cairo, 1977, p. 323.
- (٤١) سيروغبي دافيتيان، تاريخ الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في مصر، القاهرة، ١٩١٤، ص ص ٢٠-٢٤. (بالأرمنية)
- (٤٢) كارداشيان، المصدر السابق، ص ١٠٨، ١٤٩، ١٨٧، ١٩٦، ٢٢٦.
- (٤٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، ديوان المعية تركي، س ١/٥٠/٧ (٢١)، ص ١٢٨، رقم ٦٠٤، أمر من الجناب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ؛ محافظ الأبحاث، رقم ١١٨، ترجمة إفادة بالتركية إلي بوغوص بخصوص وساطته للأرمن، رقم ٦١٠، في ١٧ ذى الحجة ١٢٤٩ هـ.
- (٤٤) أرشالويس أرارديان، ١٨٤٤/٢/١١، أزمير. (بالأرمنية)
- (٤٥) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٨٤، ٣٩٨.
- (٤٦) هامون Hamont طبيب فرنسي، جاء إلي مصر في عام ١٨٢٨ ومكث بها أربعة عشره عاماً. وكان ناظراً لمدرسة الطب البيطري ومدرسة الزراعة ومديراً لإسطنبول شيرا ومفتشاً لوزائب الأغنام ومصلحة الطب البيطري في

الجيش والچغالك ألف كتاباً في جزئين عن مصر تحت حكم محمد علي
باللغة الفرنسية إنحاز في آرائه ضد محمد علي

Hamont, L'Égypte sous Méhémt-Ali, 2 Vols, Paris, 1843, Vol. 1,
p. 425.

(٤٧) حلمى أحمد شلبى، الأقليات العرقية، ص ١٤٥:

Adalian, op. cit., p. 132.

(٤٨) Dodwelle, The Founder of Modern Egypt, Study of Mo
ammed Ali, London, 1931, pp. 220-222.

(٤٩) Sabry, Mohammed, L'Empire Égyptien sous Ismail et L'In-
gerence Anglo-Francaise (1863-1879), Paris, 1933, p. 17.

(٥٠) Ibid., p. 28.

(٥١) Senior, Conversation and Journals in Egypt and Malta, 2 Vols,
London, 1882, Vol. 1, p. 132.

(٥٢) حلمى أحمد شلبى، الأقليات العرقية، ص ١٤٩-١٥٠: أنور عبد
الملك، نهضة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣،
ص ص ٨٠-٨٩.

(٥٣) دار المحفوظات العمومية بالقلعة، ملفات الموظفين، ملف نوبار باشا، رقم
٨٣٤١، محفظة ٣٠٨، عین ٣، دولا ب ١٤.

(٥٤) نفسه، ملف إسطفان بك، رقم ١٧٥٧، محفظة ١٢٣، عین ١، دولا ب ٦.

(٥٥) الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) هى فى تاريخ الولايات المتحدة
النزاع الذى نشب بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التى انفصلت

عن الإتحاد. وكان اختلاف المصالح بين فريقى الولايات من أهم الأسباب التى أدت إلى الحرب. وقد ازداد هذا الخلاف حدة وتوتراً بمرور الزمن. ففى القرن التاسع عشر، كان الجنوب لايزال كله زراعياً، يقوم نظامه الاقتصادى والاجتماعى على المزارع والرق. أما الشمال فكانت له موارده الزراعية الغنية، وتفوقه التجارى الدائم، وصناعاته النامية، ونشأ العداء بين القسمين بشكل محسوس بعد عام ١٨٢٠ الذى عُقدت فيه اتفاقية ميسورى التى كانت ترمى إلى إيجاد تسوية دائمة لأسباب العداء، وهى امتداد حق امتلاك الرق أو وقفه في الأراضى التى أخذت تُلحق بالإتحاد في الغرب. ومن أسباب العداء، أيضاً معركة المبادئ الأخلاقية التى أثارها إلغاء الرق ثم الصدام بين سلطات الحكومة المركزية وبين مبدأ احتفاظ الولايات بحقوقها. وكان انتخاب أبراهام لنكولن رئيساً للولايات المتحدة، وانفصال الولايات الجنوبية عن الإتحاد (١٨٦٠-١٨٦١) عاملاً مساعداً لوقوع الحرب.

بدأت الحرب عندما أمر بورجارد جيش التعاهدين (المنشقين على الإتحاد) بإطلاق النار على قلعة «سمطر». وكانت المعارك الأولى (١٨٦١) انتصارات للتعاهدين فهُزم جيش الولايات الشمالية في معركة «بول رن» الأولى ١٨٦٢. وبعد معركة انتييتام التى عُقد فيها النصر للشمال أعلن لنكولن تحرير العبيد مما حمل على تأييد إنجلترا وفرنسا للشمال، وتهدة ثائرة الحزب الجمهوري الراديكالي المعارض للنكولن في الكونجرس. وكانت انتصارات الاتحاديين في «جيتسبرجش» و «فيلسبورج» (يولية ١٨٦٢) نقطة تحول في الحرب وتقدم جرانت قائد جيش الشمال (الاتحاديون) ليواجه «لي» وأرغمه في عام ١٨٦٤ على الإتجاه نحو «رتشمند» عاصمة الولايات الجنوبية، وانتصر شيرمان في واقعة «اطلنطا» سنة ١٨٦٤. واضطر التعاهديون إلى الجلاء عن «رتشمند». ولكن مقتل الرئيس لنكولن قلل نصر

الإتحاديين. ونتج عن المحاكمات التي أُجريت لإعادة النظام عودة الولايات المنشقة إلى الاتحاد. وأنقذ الاتحاد بإلغاء الرق في جميع أرجاء الولايات المتحدة ، وبلغ عدد ضحايا الحرب الأهلية من الأمريكيين «٦٠٠.٠٠٠» رجل. ولم تخمد نار الكراهية والتعصب بين الفريقين المتخاصمين بل أجبتها عوامل كثيرة طوال أجيال عديدة. ولكن كان من النتائج الإيجابية لهذه الحرب وضع الأسس الثابتة لحياة الأمريكيين القومية، وبخاصة إقامة حكومة مركزية قوية.

الآن نيفنر وهنرى ستيل كوماجر، موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة : محمد بدر الدين خليل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٨٣-٢٣٤.

(٥٦) Deeb, Marius. "The Socio-Economic Role of the Local Foreign Minorities in Modern Egypt 1805-1961", The International Journal of Middle East Studies, London, 1978, Vol. 9, pp. 14-15.

(٥٧) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٣٧.(بالأرمنية)

(٥٨) Burrt, op. cit., p. 42.

(٥٩) أرشالويس أرااديان، ١٩/٢/١٨٦٦، أزمير.(بالأرمنية)

(٦٠) تُنسب الثورة العرابية إلى الزعيم المصري أحمد عرابي باشا. وهو ضابط مصري ابن فلاح. كان ضابطاً في الجيش المصري سنة ١٨٧٩ وقد لمس وقتئذٍ ما كان يُعانيه الشعب المصري من الظلم والاستبداد وتعطل الحياة النيابية خاصة حين فرض الغربيون إبدال الخديو إسماعيل بابنه الخديو توفيق وعندما توقفت مصر عن دفع ديونها عام ١٨٧٦ تدخلت فرنسا وإنجلترا واستلمتا الإدارة. وهذا، يُفسر تحرك عرابي وجيشه في ٩ سبتمبر

١٨٨١ إلى قصر عابدين ومطالبة الخديو بإسقاط النظارة المستبدة وتشكيل مجلس نواب. ويُفسر أيضاً حركة عرابي الذي نظم «الجبهة الوطنية» مع تأييد الجيش له ومنع الأسطول الإنجليزي - الفرنسي من حماية الأوربيين في الإسكندرية مما أدى إلى وقوع أعمال شغب نتج عنها احتلال المدينة من قبل القوات الإنجليزية التي هزمت عرابي في التل الكبير في ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ونفته إلى جزيرة سرنديب (سيلان) إلى أن صدر العفو عنه وعاد إلى مصر سنة ١٩٠١ حيث أمضى بقية حياته حتى مات في ٢١ سبتمبر ١٩١١. لمزيد من التفاصيل حول أحمد عرابي والثورة العرابية والاحتلال البريطاني لمصر انظر:

عبد الرحمن الرافعي، الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

(٦١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/١/أ، وثيقة رقم ٣٢، قائمة بأسماء أرباب الطلبات الذين إدعوا بنهب محلاتهم مدة الثورة بمعرفة محمد صادق أمير أركان حرب سابق.

(٦٢) القاهرة، عدد ٦٨٤، الإثنين ٢٦/٣/١٨٨٨.

(٦٣) الإتحاد المصري، عدد ١٥٨٦، الأحد ٤/١٠/١٨٩٦.

(٦٤) نفسه، عدد ١٥٧٩، الخميس ١٠/٩/١٨٩٦.

(٦٥) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٣ - ٣١٢. (بالأرمنية)

(٦٦) الإتحاد المصري، عدد ١٥٨٧، الخميس ٨/١٠/١٨٩٦.

(٦٧) نفسه، عدد ١٦١٨، الأحد ٢٤/١/١٨٩٧.

(٦٨) الأخبار، عدد ١٤٠، الإثنين ٢٥/١/١٨٩٧.

- (٦٩) فصل الخطاب، عدد ١١، الثلاثا، ١٨٩٧/٢/٩.
- (٧٠) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٤، ٧٨، ٨٤-٨٧، ٩٠-٩٩، ١٠٧.
- ١٩٦، ٢٣١-٢٣٣، ٢٤١، ٢٥٣-٢٥٦، ٢٨٨.
- (٧١) أرشيف مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة، تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصري خلال عامي ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة مسقط الرأس. (بالأرمنية)
- (٧٢) "Artin Bey ...", p. 424.
- (٧٣) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٦٢. (بالأرمنية)
- (٧٤) الإتحاد المصري، عدد ١٥٨٦، الأحد ١٠/٤/١٨٩٦.
- (٧٥) مقابر الأرمن الأرثوذكس بمارمينا بالقاهرة، شاهد قبر جرابيد من دياربكر (توفي في ١٨٦٦/٧/٢٣) (بالأرمنية)
- (٧٦) شواهد قبور الأرمن بمارمينا بالقاهرة والشاطبي بالإسكندرية.
- (٧٧) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣، ٨٦، ٩٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١.
- ٢٦٧، ٣٠٠، ٢٤٢. (بالأرمنية)
- (٧٨) نفسه، ص ٨٦، ١٠٧، ٢٠٤، ٢٢٦، ٢٧٠.
- (٧٩) تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصري في عام ١٨٨٥، خانة تاريخ الميلاد. (بالأرمنية)
- (٨٠) إسماعيل عبد الباري، الديموجرافيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٢٤.
- (٨١) علي مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، عشرون جزءاً، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثاني، ١٩٨٧، ص ١٤٥؛ كلوت بك، لحة عامة إلى مصر، جزءان، ترجمة: محمد مسعود، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ٢٧٨.

- نزاريث أغازارميان، مذكرات عن الجالية الأرمنية في مصر، القاهرة، ١٩١١، ص ٧٥: (بالأرمنية)
- Madden, Egypt and Mohammed Ali, London, 1841, p. 95.
- (٨٢) شابرول، المصريون المحدثون، من كتاب «وصف مصر» الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٢٢-٢٤، ٢٨.
- (٨٤) كارداشيان، المصدر السابق، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٣، ص ٧٠.
- (٨٥) نفسه، ج٢، ص ص ٣٩٣-٣٩٤.
- (٨٦) الكسندر شولش، مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨-١٨٨٢، ترجمة: رؤوف عباس حامد، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٥٤.
- (٨٧) تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصري في عام ١٨٨٥، ص ص ٣-١٥.
- (٨٨) نظارة الداخلية، إدارة التعداد، تعداد عموم سكان القطر المصري في عام ١٨٨٢، المطبعة المصرية ببولاق، القاهرة، ١٨٨٥، ص ص (٥ - ط)
- (٨٩) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٦. (بالأرمنية)
- (٩٠) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧. (بالأرمنية)
- (٩١) تُوجد هذه السجلات في أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة. (بالأرمنية)
- (٩٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، تعداد النفوس، محافظة مصر، ل١/٨٤/٤٠، سجل إجمالي تعداد النفوس بأثمان المحروسة في عام ١٢٦٤ هـ، ص ٤٩، ٥٢، ٨٢-٨٥، ١٥٣-١٥٤.

- (٩٣) تعداد عموم سكان القطر المصرى في عام ١٨٨٢. ص ص ٢٢-٥١.
- (٩٤) نظارة المالية. تعداد سكان القطر المصرى في عام ١٨٩٧. مطبعة بولاق. القاهرة، ١٨٩٨، ص ٢٣، ٤٨-٤٩، ٥٤-٦٨.
- (٩٥) تعداد النفوس، محافظة مصر، سجل رقم ٢٨٠، إجمالى السجلات في عام ١٢٨٥ هـ، ص ١٢٩.
- (٩٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٤٠. (بالأرمنية)
- (٩٧) الجبرتى، المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٤٤٨-٤٤٩.
- (٩٨) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)
- (٩٩) دافيتيان، المصدر السابق، ص ص ٤٦-٤٧. (بالأرمنية)
- (١٠٠) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)
- (١٠١) نفسه.
- (١٠٢) كارداشيان، المصدر السابق، ج٣، ص ٣. (بالأرمنية)
- (١٠٣) Browne, Travels in Africa, Egypt and Syria, from the year 1792 to 1798, London, 1799, p. 7.
- (١٠٤) كارداشيان، المصدر السابق. (بالأرمنية)
- (١٠٥) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)
- (١٠٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٤٠. (بالأرمنية)
- (١٠٧) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة محل الإقامة. (بالأرمنية)
- (١٠٨) كارداشيان، المصدر السابق، ج١، ص ١١٠، ج٣، ص ١٢٥. (بالأرمنية)

(١٠٩) تم تشكيل هذا الهيكل ونسبه من واقع تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر
المصرى في عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)

(١١٠) جمال حمدان، المصدر السابق، ص ١٥٣. (بالأرمنية)

(١١١) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر في عام ١٨٨٥: تعداد الأرمن الكاثوليك
في مصر عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧.

(١١٢) شواهد قبور الأرمن، مصدر سابق (بالأرمنية)

(١١٣) فتحى محمد أبو عيانه، جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، الطبعة الرابعة،
دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٣٦٣.

(١١٤) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥، خانة المهنة (بالأرمنية)

(١١٥) تعداد الأرمن الكاثوليك في مصر في عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)



الفصل الثالث

النشاط الاقتصادي للأردن

١- المال والتجارة

٢- الزراعة

٣- الصناعة

٤- الحرف

٥- ملكية الأرض

١- المال والتجارة

لقد هيأت الأحداث التي مرت بمصر والدولة العثمانية الفرصة أمام التجار والسيارفة الأرمن ليتبوأوا مكاناً ملحوظاً في الاقتصاد المصري خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد كان الصيارفة المسلمون والأقباط يُسيطرُون على السوق المصري حتى بدايات القرن التاسع عشر.^(١) ولكن، مع بداية حكم محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٩) أخذ الصيارفة الأرمن واليونانيون وغيرهم يبرزون في السوق المصري.^(٢) ثم اشتد تدفق رأس المال الأرمني إلى مصر من نواح عديدة بالدولة العثمانية نتيجة الاضطهادات السياسية الناجمة عن الحرب الروسية - العثمانية خلال عامي ٢٨-١٨٢٩.^(٣)

ومن ناحية أخرى، تقلد الأرمن في مصر عدداً من الوظائف الحكومية التي أتاحت لهم ممارسة أنشطتهم المالية والتجارية بشكل واسع. فقد استأثر الأرمن بوظيفة «صراف باشي الخزينة» - كبير الصيارفة - خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر فضلاً عن عمل عدد كبير من الأرمن صيارفة في المصالح والدواوين والأقاليم المختلفة.^(٤) كما اشتهر الأرمن بتقلد وظيفة «وكيل تجاري» لمصر في الخارج. فقد برز في هذا الشأن أسرة قرة كهيا (يراميان) التي عمل أفرادها صيارفة ووكلاء لمحمد علي في الأستانة.^(٥) واشتغل كل من مجرديتش نوباريان - والد نوبار باشا - وسركيس كالوسد بهذه الوظيفة في أزمير Izmir.^(٦) وعمل الخواجة أرتين وكيلاً تجارياً لمحمد علي في قبرص Cyprus.^(٧) كما عمل أبرو وكيلاً تجارياً لمحمد علي في أمستردام.^(٨) بيد أن أشهر هؤلاء الوكلاء جميعاً هو بدروس أميرا يوسفیان - شقيق بوغوص بك - الذي

تولى هذه الوظيفة بتريست حتى وفاته فى عام ١٨٤٦. ثم تولاه ابراهام أبويان - ابن خاله - من بعده.^(٩) وأخيراً، تولى أرمنيان منصب «ناظر التجارة والأمور الإفرنجية» خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر وهما بوغوص يوسفيان الذى شغله منذ ٤ أبريل ١٨٢٦ حتى ١١ يناير ١٨٤٤ ثم تلاه آرتين تشراكيان منذ ١٣ يناير ١٨٤٤ حتى ١٤ سبتمبر ١٨٥٠.^(١٠)

وبذا، مارس الأرمن نشاطاتهم المالية والتجارية بلا عائق مُستفيدين من عمل معظمهم مالين وتجار وموظفين فى آنٍ واحد.

كان الشكل التقليدى للصيرفة Banking هو تسليف القروض المالية بالفائدة للحكومات وكبار الشخصيات والأفراد. وفى هذا المجال ظهرت مجموعة من الصيارفة الأرمن الذين أقرضوا المال بالفائدة. فعلى سبيل المثال، كانت خزينة مصر خاويةً عندما تولى محمد علي الحكم مما أدى إلى عرقلة بعض المصالح. لذا، اقترض محمد علي «٢٥٠.٠٠٠» قرش من الصراف الأرمنى موقسيس شريطة أن يُسدها له فى العام التالي (١٨٠٦).^(١١) واقترض قاضى مصر نعمان أفندى دباغ زاده «٣٠٠٠» قرش من الصراف الأرمنى كريكور فى عام ١٢٢٥ هـ (١٨١١).^(١٢) واشتهر الخواجه سركيس باقراض المال لكبار الشخصيات والأفراد مقابل نسبة مئوية.^(١٣) بيد أن يغيازار أميراً بدروسيان - كبير صيارفة خزينة محمد علي - كان يُعد أشهر الصيارفة الأرمن الذين أقرضوا المال بالفائدة.^(١٤)

كما اشتغل الأرمن بالعديد من الأنشطة المالية والتجارية. فقد امتلك كبار الصيارفة والتجار الأرمن مثل الكسندر موزيان وإستيبيان

سيغبوصيان وكيروقبى تكير زاده وميكائيل خاتشادوريان وكيفورك رابايليان وآل أبرويان والأخوين يوسف وأمين كاشف وجراييد كالوسديان وهامبارتسوم والخواجه أوهان وغيرهم مؤسسات تجارية مترابطة بعضها البعض فى مواطنهم الأم والأستانة والمدن المصرية. (١٥) وفضلاً عن سوق خان الخليلى العتيق، سارع الأرمن باستمرار للظهور فى الأسواق المنشأة حديثاً آنذاك مثل حوش عُطى داخل باب النصر وخان القهوة بجوار خان الخليلى. ويُشير الجبرتى إلى أن الأرمن كانوا يستأجرون المحلات قبل الانتهاء من بنائها بأجور مرتفعة، وينتقدهم بشدة فى استغلالهم المُستهلكين وادعاءاتهم قلة المكاسب. (١٦) وتجدر الإشارة إلى أن متاجرهم ومخازنهم قد اكتظت بأنواع السلع المختلفة مثل الأكلمة والفراء والجواهر والمشغولات الذهبية والعطور والأخشاب وغير ذلك. (١٧)

وعندما أدى تطبيق الاحتكارات الحكومية فى مصر إلى تنمية دورة الرأسمال التجارى - الاعتمادى (١٨)، استثمر الأرمن أموالهم باتساع فى الامتيازات الاحتكارية بدرجة دعت هامون Hamont إلى القول بأنه لم يعد أمام الأرمن إلا احتكار مياه النيل. (١٩) ففى ذى القعدة ١٢٣١ هـ (١٨١٦) حصل أرمنى على احتكار بيع الحبة السوداء والشمر والينسون والكمون والكرامية وغيرها من التوابل الواردة من الصعيد مقابل «٥٠٠» كيس. (٢٠) والتزم الخواجه الكسان ميساكيان بالمذبح منذ ٩ ربيع ثان ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢) مقابل «٣٦٢٥» كيس سنوياً. (٢١) والتزم يعقوب يغيازار بحلقة الأسماك فى مديرية المنوفية خلال عام ١٨٣٤. (٢٢) والتزم الصراف الكسان منذ عام ١٨٣٥ بالصابون الوارد من بلاد الشام إلى مصر. (٢٣) وظل الخواجه جراييد رايزيان ملتزماً بواردات القصر حتى عام ١٨٥١. (٢٤)

ومما هو جدير بالذكر أن الأرمن قد احتكروا صناعة الخمر وبيعها .
 ففي عام ١٨٢٤ التزم الصراف انيجه الأرمني بتصنيع الخمر وبيعها
 في مصر. ^(٢٥) وقد نال الخواجه جرابيد كالوسديان امتياز تصنيع البوطة
 والخمر والزبيب بين عامي ١٨٢٦-١٨٢٨ في المناطق الممتدة من شرقى
 أطفيح حتى أسوان. ^(٢٦) وبالأصالة عن حسين بك يكن - ابن أخت محمد
 على - تولى الصراف سركيس تصنيع الخمر وبيعها في المنصورة
 ومحلة دمنة منذ عام ١٨٢٩. ^(٢٧) كما احتكر الأرمن عملية استخراج الملح
 وبيعه. فقد التزم الصراف الكسان ميساكيان بمصلحة الملح منذ ١٣
 محرم ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢) حتى ٨ جماد أول ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧) مقابل
 ثلاثة آلاف كيس سنوياً. ^(٢٨) ثم التزم بها الصراف جرابيد كالوسديان
 منذ ١٥ جماد ثان ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧) بنفس المبلغ السابق. ^(٢٩) والتزم
 الخواجه كريكور في عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦) بالنظرون والسماذ في
 البحيرة. ^(٣٠)

بيد أن هؤلاء المُحتكرين قد استغلوا امتيازاتهم في الحصول على
 أعلى الأرباح. فقد كان يعقوب يغيازار مُلتزم حلقة الأسماك بالمنوفية
 يأخذ أسماكاً من الصيادين زيادةً عما هو مُقرر عليهم في العقود. ^(٣١)
 كما كان الكسان مُلتزم الملاحات يبيع الملح على خلاف الشروط المتعاقد
 عليها. وبجرد حساباته في عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧) اتضح أنه حقق أكثر
 من «٧٠٠» كيس فوق ربحه المتفق عليه. ^(٣٢)

وقد نَشَطَ الأرمن في مجال التجارة الخارجية. فعمدوا على سبيل
 المثال مع ديوان التجارة صفقات متفاوتة الكميات من القمح والأرز
 والشعير والحنطة والذرة والحبّة والكتان والفول والترمس والحمص

والعدس لتصديرها خارج مصر بين عامى ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ (١٨١٢-١٨١٩).^(٣٣) كما رُجوا بعض المنتجات المصرية في الخارج مثل التاجر جرابيد الذي حصل في عام ١٨٢٤ على مائتى ثوب من البفنة المصنوعة في مبيضة بولاق كعينة لترويجها في الأستانة.^(٣٤)

وجديرٌ بالذكر أن بوغوص يوسفیان - المسئول عن التجارة - قد ساعد الأرمن في عقد الصفقات وتسهيل نقلها. فعلى سبيل المثال، عقد الخواجه هاجوب كريكور - قريب بوغوص - صفقة قمح لتصديرها إلى جزيرة قبرص، فصدرت الأوامر في ٢٢ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠) إلى جميع المسئولين الذين سيمر عليهم بمساعدته وعدم منعه ومضايقته.^(٣٥) وكذا، استفاد الأرمن العاملون في الجهاز الحكومى من مكانتهم لدى محمد على ومحاباته لهم في الحصول على صفقات تجارية كبيرة لتصديرها. فمثلاً، اشترى بوغوص بك - المسئول عن التجارة - والخواجه جوانى - كبير الأطباء - محصول الذرة خلال موسم ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠).^(٣٦) واشترى الخواجه جوانى بمفرده محصول النيلة خلال موسم ١٢٤٠ هـ (١٨٢٤).^(٣٧) كما اشترى نفس الطبيب وشركاؤه جميع محصول الذرة في عام ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) بسعر أربعين قرشاً للأردب.^(٣٨) واشترى بوغوص «٣٠٠٠» أردب من الذرة الصيفية في عام ١٨٢٨.^(٣٩)

وأيضاً، نشط الأرمن كوكلاء تجاريين بين محمد على والخارج. وفي هذا الصدد، استطاع بوغوص بك بفضل نفوذه أن يجعل الجزء الأكبر والأهم في التجارة بين الإسكندرية وتريست Trieste في يد شقيقه بدروس يوسفیان.^(٤٠) وكان هؤلاء الوكلاء يبيعون المنتجات المصرية في

أوروبا ويحصلون على المعدات العسكرية والبحرية والسلع لحساب مصر.^(٤١)

كما استثمر الأرمن أموالهم في إدارة الجمارك بشكل واسع. فبالأصالة عن طاهر باشا، أدار الصراف جراييد (قرة بت) جمرك بولاق خلال عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢).^(٤٢) وأدار الصرافان ساهاج وهوفانيس جمرك دمياط خلال عام ١٨١٥. ^(٤٣) وقد تَعَهَّد الصراف قرة كهيا بالأصالة عن محمد على بتسليم بدل التزام الجمارك المصرية والبالغ قدرها «٧٥٠٠» كيس إلى خزينة دار الضرب العامرة بالأستانة خلال عامي ١٢٣٥-١٢٣٦ هـ (١٨١٩-١٨٢٠).^(٤٤) والتزم يوسف يعقوب بجمرك جدة خلال عام ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣).^(٤٥) ونال جراييد أغا كالوسديان التزام جمرك القصير خلال عام ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩).^(٤٦) كما التزم الصرافان الكسان ويعقوب يغيازار ميساكيان بجمرك مصر العتيقة منذ عام ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) مقابل «١٥٢٥» كيس سنوياً.^(٤٧) وتجدر الإشارة إلى أن الأرمن قد أداروا هذه الجمارك بسلطات واسعة. فعلى سبيل المثال، كان لجراييد - مأمور جمرك بولاق - «... أعوان من جنسه وعنده قواسة أترك يحجزون متاع الناس ويقبضون على المسلمين ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم. وإذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئاً حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به وألزموه بغرامة مجازاة لفعله». وفي حين دفع المسلمون ١٠٪ رسوماً جمركية على بضائعهم، دفع الأوروبيون والمسيحيون وعملاؤهم ٢.٥٪ فقط رسوماً جمركية.^(٤٨)

ويمكن الأرمن أيضاً من استثمار أموالهم بنطاق محدود في مجال

النقل النهري حيث امتلك بعضهم عدداً من المراكب لنقل البضائع والركاب في النيل وفروعه مثل جراييد كالوسديان^(٤٩) والأخوين مجرديتش وكريكور رايزيان^(٥٠) كما أدار بعض الأرمن الحمامات العامة بالقاهرة احتكاراً خاصاً للنولة مثل جراييد - معلم ديوان جمرک بولاق - الذي أدارها عام ١٨١٦ واستبقى لنفسه أرباح يوم من دخل الحمامات أسبوعياً مقابل خدماته^(٥١).

ومما هو جدير بالذكر أن التجار والصيارفة الأرمن قد مارسوا نشاطاتهم المالية والتجارية بمختلف أنواع العملات المتداولة. بيد أن عدداً منهم قد استغلوا تجارة المفاضلة بين العملات الأجنبية والمحلية ودسوا عملات زائفة^(٥٢) وبذا، ساهموا بدور ضار في تطميس العملة المصرية بالسوق. ورغم أن محمد علي قد قام ببعض الإصلاحات النقدية إلا أنها لم تُعالج المشكلة تماماً. وكان آخرها هو إنشاء مصرف Bank الإسكندرية وله فرع في القاهرة بهدف محاربة تدليس العملة وقبول الودائع والتحاويل وتسعير العملات الأجنبية وغير ذلك من المعاملات المصرفية^(٥٣) وقد عُدَّتْ إدارة هذا المصرف إلى أرمني يُسمى الكسانيان الذي أسرف في الإقراض مما أدى إلي توقف المصرف عن دفع الإيصالات ورد الودائع وانتهى الأمر إلى تصفية المصرف نهائياً في عام ١٨٤٢^(٥٤).

تلك، هي أهم الأنشطة المالية والتجارية التي مارسها الأرمن في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ويتضح من خلالها ارتباط مصالح محمد علي والأرمن واستفادتهما من بعضهما. بالنسبة لمحمد علي، فقد استفاد من الأرمن في عدة نواح. إذ كانت الصفقات

التجارية التى تعقدتها حكومة محمد علي مع الدول الأوروبية في حاجة إلى مفاوضين تجاريين يجيدون لغات البلاد المتعاقدة معها. وجدير بالذكر أن كثيراً من الأرمن قد أجادوا عدة لغات واتصفوا باللباقة في المداولات وإنهاء الصفقات.^(٥٥) كما تكونت علاقات بين بعض العائلات الأرمنية مثل أبرويان ويوسفيان وبين البيوتات التجارية الأوروبية. لذا، عمل معظم أفراد هاتين العائلتين في مصر وكلاء تجاريين لهذه البيوتات. فاستفاد محمد علي منهم في تسويق بعض المنتجات المصرية في أوروبا واستيراد ما يلزمه من هناك.^(٥٦)

ومما هو جدير بالذكر أن بعض الأرمن قد امتلكوا بيوتات تجارية كبيرة بأوروبا. فعلى سبيل المثال، أسس بدروس أميرا يوسفیان - شقيق بوغوص بك - بيوتات تجارية كبيرة في تريست وأزمير وامتدت نشاطاته التجارية إلى البندقية وفينا ومانشستر. وقد استفاد محمد علي كثيراً من هذا الرجل بالذات الذى قام بدور كبير في بيع المواد المصرية في أوروبا وشراء احتياجات مصر. ويؤكد كم الأوامر التى أصدرها محمد علي إلى بدروس عن طريق أخيه بوغوص بك طبيعة النشاط التجارى المتعدد لهذا الرجل وحجم الاستفادة والاستفادة من التعامل مع محمد علي.^(٥٧)

وكذا، استفاد محمد علي من الأرمن في إدارة الاحتكارات. ويشير الجبرتي إلى أن الأرمن سعوا إلى تأييد الاحتكارات وتنفيذها واستمرارها «... وليس لهم شغل ودرس إلا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدمهم وموافقة أغراضه وتحسين مخترعاته، وربما ذكروه ونبهوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المبتدعات وما يتحصل

منها من المال والمكاسب».^(٥٨) وقد أدى تفضيل محمد على الأرمن ومحاباته لهم في إدارة الاحتكارات إلى شكوى التجار الأوربيين محمد على باستمرار إلي حكوماتهم.^(٥٩) وهكذا، حصل محمد على من الملزمين وأصحاب الامتيازات الاحتكارية على الأموال اللازمة له في المراحل التكوينية الأولى لاقتصاد ممول.

بيد أن أهم استفادة لمحمد علي من الأرمن في مجالات المال والتجارة كانت شخصية بوغوص بك يوسفیان صاحب المواهب والقدرات الفائقة الذي تولى منصب ناظر التجارة والأمور الإفرنجية. ويؤكد كم الأوامر التي أصدرها محمد على إليه حقيقة قدراته غير العادية في المجالات الاقتصادية وقيامه بدور كبير في صنع القرار الاقتصادي لمحمد على. وكذا، تؤكد هذه الأوامر أن جميع المسائل والمشكلات المالية والتجارية التي واجهت محمد علي قد أوكّلها بلا استثناء إلى بوغوص للبت فيها وحلها. ويكفي دليلاً علي هذا، أن محمد علي قد أصدر أوامره في ٣ صفر ١٢٤١ هـ (١٨٢٥) بضرورة أخذ رأى بوغوص قبل الإقدام على بيع أى محصول كان ^(٦٠)، بل واستشارته في كل سلعة تُصدر إلى الخارج أو تُستورد منه.^(٦١)

وعلى هذا، كان الأرمن بعامّة مجرد أدوات تنفيذية لسياسة محمد على الاقتصادية عدا بوغوص يوسفیان الذي ساهم بدور كبير في عملية صنع القرار الاقتصادي.

أما الأرمن، فيُلاحظ أن معظمهم قد استفادوا من وراء تعاملاتهم مع محمد علي في تكوين ثروات صارت مضرب المثل في الثراء. ففي حين ضاعفَ البعض رؤوس أموالهم، كونت شريحة من المغامرين وعديمي

رؤوس الأموال الذين جاءوا إلي مصر بلا أدوات اقتصادية ثروات بفضل حصولهم علي امتيازات احتكارية عن طريق الأرمن الموجودين في حاشية محمد علي. وقد حدث هذا منذ فترة مبكرة من حكم محمد علي حيث يُشير الجبرتي إلى «... أن من كان بطالاً أو كاسد الصنعة أو قليل الكسب أو خامل الذكر فيعمل فكرته في شئ مهمل مغفول عنه ويسعى إلي الحضرة بواسطة المتقربين... فترأسوا بذلك وعلت أسافلهم...»^(٦٢). لكن بعض الأرمن قد استغلوا مكانة بوغوص بك واختلسوا أموالاً طائلة. فمثلاً، أعطى بوغوص مبلغاً كبيراً من المال إلى التاجر أبراهام الأرمني لشراء مستلزمات للجهادية، فأخذ أبراهام المال وولي هارباً. عندئذ، أصدر محمد علي أوامره في غرة صفر ١٢٤٩ هـ (١٨٣٢) بالبحث عنه وسجنه واستخلاص الأموال من بوغوص.^(٦٣)

ومهما يكن من أمر، فقد حقق التجار والسيارة الأرمن مكانة فريدة وثروات كبيرة خلال حكم محمد علي مُستفيدين من المكانة المؤثرة للأرمن في البلاط والجهاز الحكومي ومن سياسة التمركز الاحتكاري للاقتصاد في إطار الاقتصاد الموجه الذي اتسم به معظم حكم محمد علي.

أما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد ازدادت تدريجياً أهمية مصر في العلاقات التجارية الدولية مع سيادة الحرية الاقتصادية واحتلت مكاناً بارزاً في الميزان التجاري لإنجلترا وفرنسا. وأصبحت إنجلترا أكبر مُشتَرٍ للمواد الخام المصرية وأكبر مُورِدٍ للمنتجات التجارية إلى مصر. كما أدى نمو العلاقات التجارية الخارجية إلى تغييرات جذرية في السوق المصري مثل استبدال العادات التجارية القديمة: الاتفاق الشفهي والضمان بكلمة الشرف والضمان عن طريق

شخص وغير ذلك بالعمليات المصرفية وعقود الاتفاق بين الأطراف وصكوك الدين ذات الشروط الجزائية الصارمة.^(٦٤) ويتأصيل أساليب التجارة الأوربية في السوق المصرى تراجع دور الصيارفة المقرضين وحلت محلهم المصارف الإنجليزية - المصرية والفرنسية - المصرية وغيرها في عمليات تمويل تجارة الاستيراد والتصدير والمروء.^(٦٥) ولهذا، بلغ عدد الصيارفة في الإسكندرية عام ١٨٧٠ سبعة فقط. ولم يعد لهم ذكر في القاهرة. أكثر من هذا، لم تعد الصيرفة بكونها حرفة قائمة بذاتها تُذكر في الإحصائيات التجارية.^(٦٦) ولا منوحة أن هذا التغيير يُعد ضربة قاصمةً للرأسماليين الأرمن لأن الصيرفة كانت بؤرة نشاطاتهم المالية والتجارية.

ومن ناحية أخرى، احتل التجار الأوربيون المراكز المسيطرة في السوق المصرى بسبب المزايا الجمركية والضريبية المُخولة لهم من قبل نظام الامتيازات. وفي المقابل، تراجع التجار الوطنيون والرعايا لعدم قدرتهم على مُجابهة رؤوس الأموال الأوربية الضخمة وتحاملات المحاكم القنصلية.^(٦٧) ولذا، أصبح دور التجار الأرمن ثانوياً فى الاستثمارات والأعمال التجارية. و لم يظهر منهم في السوق إلا بعض الأسماء القليلة مثل كيقوروك لوسيان الذى تعهد منذ عام ١٨٥٥ بتوريد الجوخ اللازم لمهمات البحرية ^(٦٨)، والخواجه جرابيد كالفايان الذى حصل على امتياز استغلال ملاحات الإسكندرية منذ ٢٣ ربيع ثان ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨) حتى عام ١٨٦٢ مقابل « ٣٧٠ » كيس سنوياً.^(٦٩) هذا، وقد اشترك بعض التجار الأرمن مع آخرين في نشاطات تجارية. ففي ٢٥ شعبان ١٢٧١ هـ (١٨٥٤) رعى التزام توريد الفضة للحكومة على الخواجه جرابيد أراكيل وشريكه يعقوب قطاوى اليهودى لمدة سنتين.^(٧٠) وفى ٩ ذى

الحجة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) رسى مزاد استغلال سلخانة الإسكندرية على التجار كيغفورك رنجيلو الأرمني ومحمد العزيان المصري والخواجه جبران خشاب الشامي.^(٧١)

وقد سعى التجار الأرمن للحصول علي جنسيات أجنبية بغية الاستفادة من نظام الامتيازات. ورغم أن الجنسية قد أتاحت لهم فرصة الاستفادة من الامتيازات، إلا أنها لم تؤد إلى انتعاش التجارة الأرمنية بمصر. وتعلق الصحافة الأرمنية علي تزايد اضمحلال التجارة في عام ١٨٦٥ بقولها: «عندما نحاول إحصاء تجار الأرمن في هذه الأيام فإذا وجدنا واحداً منهم نأخذ وقتاً طويلاً في العثور علي آخر...».^(٧٢) كما نتج عن الصراع غير المتكافئ بين الرأسمال الأوربي ورأسمال الرعايا أن تحول كبار التجار اليونانيين واليهود والأرمن إلي وسطاء بين الأوربيين والسوق المصري.^(٧٣)

وجدير بالذكر أن الوسطاء الأرمن قد اشتغلوا بتجارة التصدير إلى حد ما وبتجارة الاستيراد إلي حد كبير. ورغم أن القطن يُعد أكثر المواد الخام المصرية المُصدرة إلي الخارج، إلا أن صفقات الوسطاء الأرمن في هذا المجال كانت متواضعة جداً قياساً إلى صفقات الوسطاء اليونانيين واليهود والشوام، ولذا، لم يتضرر الوسطاء الأرمن عندما انخفض سعر القطن خلال عامي ١٨٦٦-١٨٦٧.^(٧٤) وفي أواخر القرن التاسع عشر قام الأرمن بتصدير كميات قليلة من السجائر إلى فرنسا وألمانيا وبلجيكا وسيام وغيرها.^(٧٥) واحتكر التاجر الأرمني هايج اكيزيلير تصدير ريش النعام إلى إنجلترا وفرنسا.^(٧٦)

هذا. وقد نشط الأرمن في تجارة الاستيراد لاسيما الدخان الذي

احتل ثقلًا كبيراً في ميزان وارداتهم. فقد حصل الخواجه خليل خياط - أرمنى سورى، برتغالى الجنسية - من الحكومة المصرية في ٢٥ أبريل ١٨٨٨ على حق احتكار استيراد الدخان العجمى، ثم تمتع بحق احتكار استيراد جميع أنواع الدخان من مناطق المختلفة منذ أول يولية ١٨٩٠ حتى سنة ١٨٩٧. ولاشك أن احتكار الدخان قد عاد بأعلى الأرباح علي خليل خياط والدولة.^(٧٧) كما برز الأرمن المصريون في عملية استيراد البضائع الأوربية إلي الحبشة خلال العقدین الأخيرين من القرن التاسع عشر. فقد كان ملك الحبشة لا يُفضل التعامل مع الأوربيين ويُفضل التعامل مع الأرمن الذين سمح لهم بفتح بيوتات تجارية في أديس أبابا. ولذلك، تعلقت آمال كثير من التجار الأرمن المصريين في الإثراء عن طريق تجارة الحبشة.^(٧٨) فضلاً عن ذلك، استورد الأرمن العديد من السلع مثل المواد الغذائية والمشغولات الصوفية والحربية والقطنية ومواد البناء وأجهزة التصوير والإسطوانات والورق وأدوات الزينة والسلع الكمالية وغير ذلك.^(٧٩)

وكذا، اشتغل عدد كبير من الأرمن بالقطاعي في تجارة السلع المختلفة بدرجة دفعت كرومر Cromer - المعتمد البريطانى في مصر - إلي وصف الجالية الأرمنية في مصر بأنها تتكون في الغالب من أصحاب محلات.^(٨٠) وقد اشتهر الأرمن بشكل ملحوظ بتجارة الدخان بالقطاعي حيث انتشرت محلاتهم في القاهرة والإسكندرية والأقاليم. ويلاحظ أن أغلبية تجار الدخان في مصر قد جاءوا من المناطق التي تشتهر بزراعة الدخان وصناعته في الدولة العثمانية مثل يفتوجيا وماردين وغيرهما. ويلاحظ أيضاً أن أغلبية التجار الأرمن خارج القاهرة قد عملوا أساساً بتجارة الدخان.^(٨١) بيد أن المحلات الأرمنية لم تكن

علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها اليونانية واليهودية والأوربية. فقد اشتكت الصحافة الأرمنية المعاصرة بمرارة من أن اليونانيين قد سيطروا علي ميدان التجارة، واليهود يُنجزون أشياء كالمعجزة، أما الأرمن فهم مُتخلفون وتقع محلاتهم في أركان قديمة ولا تُعلق عليها لافتات وحوائطها مُتربة ورديئة.^(٨٢) كما لا يُخفى أن الحملات التي شنتها بعض الجرائد المصرية علي الأرمن نتيجة تصاعد ثورتهم ضد السلطان العثماني الذي كان لا يزال يحتل مكاناً بارزاً في نفوس المسلمين، قد أدت إلى إهتزاز مكانة التجار الأرمن في السوق المصري خاصة وأن هذه الجرائد قد ناشدت الجماهير بعدم معاملتهم لأنهم أعداء السلطان.^(٨٣)

وهكذا، يُلاحظ أن قوة رأس المال التجاري - الاعتمادى للأرمن في مصر قد ضعفت تدريجياً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نتيجة إلغاء الاحتكارات الحكومية والتغلغل الأوربي : حرية التجارة، الامتيازات، البنوك، ديون الحكومة... الاحتلال البريطاني. وقد أدى تدفق رؤوس الأموال الأوربية بشدة إلي تحجيم مجال المكاسب الضخمة أمام كبار تجار الأرمن الذين اضطروا إلي أن يتحولوا إلي سماسرة في خدمة التجارة الأوربية. وبذا، ظلت قوتهم الاقتصادية ضعيفة حتى تسعينيات القرن التاسع عشر قياساً إلى قوى الأوربيين واليونانيين واليهود.



٢- الزراعة

لقد ساهم الأرمن في الزراعة المصرية كأخصائين وخبراء انتدبتهم الحكومة لاسيما خبراء زراعة النيلة والأفيون.

والحق، تُعد النيلة Indigo من المحاصيل الزراعية التي تُدر ربحاً وفيراً رغم كثرة تكاليفها. وقد كانت من أوائل المحاصيل التي احتكرها محمد علي (١٨١٦) ومنحها قسطاً كبيراً من اهتمامه مما أدى إلي تحسين نوعها واتساع زراعتها وارتقاء صيغتها. وكانت مصر تزود النيلة البلدية قبل حكم محمد علي الذي استورد إلي جانبها بذور النيلة الهندية والصينية لجودة إنتاجهما.^(٨٤)

ومما هو جدير بالذكر أن محمد علي قد استفاد كثيراً من خبرات الأرمن في زراعة النيلة علي نطاق واسع. إذ كان معظم المبعوثين لاستيراد تقاوى النيلة وشتلاتها من الأرمن الذين تحصلوا عليها من بنى جنسهم نوى الخبرة والشهرة في هذا المجال. ومن ناحية أخرى، استدعى محمد علي عدداً من الأرمن الأخصائين بزراعة النيلة ليُعلموا المصريين زراعتها بأحدث الأساليب.

وهكذا، أرسل بوغوص يوسفیان بناءً علي أوامر محمد علي سنة ١٨٢٣ خبيراً بزراعة النيلة يُسمى بدروس الأرمني إلي مناطق مختلفة لجلب تقاوى النيلة والخبراء المتخصصين بزراعتها. فأحضر «١٢٧٧» أقة من النيلة الزرقاء وثلاثة خبراء أرمن في زراعتها من قبرص، كما أحضر ثمانية وخمسين قنطاراً من ذات الصنف وخبيريّن أرمنين في زراعتها من أزمير.^(٨٥) وجلب بوغوص بذور النيلة من قبرص خلال

موسم ١٨٢٤. ^(٨٦) كما بعث بوغوص في نفس العام خبيراً أرمينياً يُسمى ارتين إلى المورة وقيصرية لاستيراد أجود أصناف النيلة. وقد عاد بـ ٢٥٠٠ شتلة وخبير أرميني بزراعتها. وقد فرح محمد علي جداً بهذه الشتلات وأمر بمنح ارتين مكافأة قدرها خمسين فرانسة نظير جلبه هذا الصنف الجيد ووعده بمكافآت أخرى بعد ظهور انتاجها. كما أمر بزراعتها في أخصب الأراضي وأجودها. ^(٨٧) وفي نفس العام أيضاً، استدعى محمد علي أربعين أسرة أرمينية من البنغال Bengal بالهند ليُعلموا المصريين زراعة النيلة بأحدث الطرائق. ^(٨٨) ولذا، صدرت الأوامر في عام ١٨٢٥ بزراعة النيلة في جميع الأقاليم المصرية. ^(٨٩) وقد ظلت الأوامر تصدر إلي بوغوص يوسفیان لكي يجلب تقاوى النيلة وشتلاتها عن طريق بنى جلده. ففي ٢٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) أصدر محمد علي أمراً إلي بوغوص يطلب منه استيراد تقاوى الصبغة الخضراء من أزمير عن طريق مجرديتش الأرميني. ^(٩٠) كما أصدر أمراً آخر في ١٧ شوال من نفس العام يأمره فيه باستيراد أغراس الصبغة الخضراء من قيصرية عن طريق معازفة. ^(٩١)

وبذا، تزايد محصول النيلة باستمرار أثر استيراد أجود الأصناف وانتداب أمهر الخبراء لزراعتها. وعندما ازداد المحصول خلال عام ١٨٢٦ أصدر محمد علي أوامره إلي بوغوص لإجراء المداولات اللازمة مع الدول الأوروبية من أجل تصدير النيلة وخوّل إليه تحديد الأسعار والكميات المصدرة. ^(٩٢) ثم ازدادت أسعارها في عام ١٨٣٠ فوسعت الحكومة من المساحات المنزوعة واشترت جميع التقاوى الموجودة لدى الأهالي، بل واستوردت التقاوى اللازمة للعام القادم من بعض الجهات مثل أزمير. وفعلاً، ظل المحصول يتزايد بكثرة حتى عام ١٨٣٧. ^(٩٣)

ولكن، منذ عام ١٨٢٨ انخفضت المساحات المزروعة بسبب مزاحمة النيلة الرخيصة القادمة من مزارع الهند، كما تدهورت جودة الصنف بعد عودة الخبراء الأرمن المنتدبين من الهند، وبمرور الوقت اختفت التفرقة في حصاد المحصول واختلطت به نباتات لم تستوف نضجها بعد. وفي عام ١٨٤٤ قُدرت المساحة المزروعة نيلة بـ «٢٧.٠٠٠» فدان من الأراضي الغارقة في مصر الوسطى والصعيد وما لا يزيد عن «٣.٧٠٠» فدان من الأراضي المروية.^(٩٤)

وكذا، اشتغل الأرمن أخصائيين بزراعة الأفيون Opium الذي كان يُستخدم في إعداد بعض الأدوية، وقد تشجّع محمد علي لزراعة هذا النوع من المحاصيل النقدية فأصدر أوامره إلي بوغوص بك في ٢٥ ربيع ثان ١٢٣٩ هـ (١٨٢٢) بضرورة جلب تقاوى الأفيون لزراعة «٥٠٠٠» فدان بالوجه القبلي وإحضار عشرين نفراً من الخبراء بزراعته.^(٩٥) وفعلاً، جاء إلي مصر في العام التالي (١٨٢٤) عدداً من الأرمن الأزميريين المتخصصين بزراعة الأفيون.^(٩٦) وجدير بالذكر أن الأخصائيين الأرمن قد امتازوا بالمهارة وأقاموا عدة تجارب ثم أشاروا بما يلزم اتباعه في هذه الزراعة. وسار الفلاحون علي نصائحهم واتبعوا طرائقهم.^(٩٧) وقد كانت نماذج الأفيون التي زرعا الأخصائيون الأرمن ذات جودة عالية حتى أنها فاقت مثيلاتها المصنوعة بالاستانة^(٩٨)، بل صار الأفيون المعروف باسم «أفيون طيبة» ذات شهرة في السوق الأوروبية.^(٩٩) وبلغ محصول الأفيون في موسم ١٨٢١ حوالي «١٤.٥٠٠» أقة، وفي عام ١٨٢٢ «٢٥.٠٠٠» أقة، وفي عام ١٨٢٣ حوالي «٢٥.٦٦٢» أقة، وقُدر المحصول في نهاية الثلاثينيات من «١٥.٠٠٠» إلي «٢٠.٠٠٠» أقة سنوياً. ثم انخفض الإنتاج مع مطلع الأربعينيات

حتى تنحى الافيون تماماً من قائمة الصادرات بحلول عام ١٨٤٥. (١٠٠)

بيد أن أشهر مُساهمات الأرمن في الزراعة المصرية هي إدخال أشجار الماندارين بواسطة يوسف أفندى. ففي عام ١٨٢٦ أرسل يوسف أفندى الأرمنى إلي روفيل Renville بفرنسا ضمن البعثة التعليمية الأولى لاستكمال دراساته العليا في علم الزراعة. (١٠١) وعند عودته إلي مصر في عام ١٨٢٢ تعطلت السفينة في مالطة Malta، فبقى بها ثلاثة أسابيع مرت خلالها سفينة من الشرق الأقصى تحمل مشاتل الماندارين Man-darine = Tangerines وفاكهته. وقد لاحظ يوسف أفندى أنها سهلة التقشير وجميلة المذاق، فاشترى منها ثمانية مشاتل وعشرة صناديق وعندما وصل إلي مصر عرضها علي محمد علي الذي أعجب بها وأمر بزراعتها في ضياعه الخاصة بشبرا واضعاً يوسف أفندى مسئولاً عنها ، كما أمر بتسمية هذه الفاكهة باسم جالبها لكي تعرف الأجيال القادمة أن محمد علي يعترف بجميل هؤلاء الذين يخدمون مصر بحب وتفان. وبهذا، جلب يوسف أفندى فاكهة الماندارين من الخارج وزرعها في مصر. وقد أطلق عليها الفلاحون آنذاك «برتقال يوسف أفندى» وعُرف فيما بعد بـ «يوسف أفندى» أو اليوسفى. كما عُرف في الأستانة باسم «يوسف چك» (١٠٢).

وهكذا، لم يترك الأخصائيون الزراعيون الأرمن تأثيراً دائماً على الإنتاج المصرى، إذ بمغادرتهم اختفت المساهمات التى أدوها للزراعة المصرية فيما عدا أشجار الماندارين التى أدخلها يوسف أفندى.



لقد ظهر الأرمن في مجال الصناعات المختلفة بصفتهم أسطوات وأخصائيين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ففي عام ١٨١٨ تأسس في الخرنقش بالقاهرة أول مصنع لإنتاج الحرير ولكنه لم يُعط الإنتاج المُنتظر ثم أُقيمت المحاولة الثانية في مصنع بركة الفيل تحت إدارة الأرمن المُنتدبين من الأستانة والذين كانوا أخصائيين في الأقمشة المطرزة والسيرما Syrna (تطريز خيوط بالذهب والفضة والأحجار الكريمة).^(١٠٣) وكان مطلوباً من هؤلاء الأخصائيين تنظيم الإنتاج وتعليم أبناء البلد صناعة الحرير مثلما يُصنع تماماً في الأستانة والهند.^(١٠٤) وبناءً على اقتراحاتهم زُرعت «١٠.٠٠٠.٠٠٠» شجرة توت لتنمية إنتاج الحرير في وادي طليّعات ومناطق في الفيوم وأسيوط.^(١٠٥) وفعلاً، أنتج المصنع «٦٠.٠٠٠» أقة حرير سنوياً، وضاهت مُنتجاته درجة جودة مصنوعات الأستانة والهند، فضلاً عن تَعَلُّم كثير من المصريين صناعة الحرير على أيدي الأخصائيين الأرمن.^(١٠٦)

كما شُيّدت عدة مباضات في شبرا وبولاق وشبين والمحلة الكبرى والمنصورة لتبييض المنسوجات وطبعها بالألوان المختلفة.^(١٠٧) وقد اشتغل بعض الأسطوات الأرمن بهذه المباضات. فعلى سبيل المثال، صدرت الأوامر إلي حافظ أفندي - ناظر مبيضة شبرا - في ٥ شوال ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩) بتعيين أرتين ابن الخواجه جرابيد رساماً للبصمخانة في المبيضة بمرتب شهري «٣٠٠» قرش شريطة أن يُعلم صنعته (النقش علي القماش) للمصريين العاملين بالمبيضة.^(١٠٨) ولكن أرتين احتكر هذه الصنعة وراح يُساوم الحكومة علي تعليم التلاميذ، فرفعت الحكومة راتبه

من «٢٠٠» قرش إلى «٧٠٠» قرش في عام ١٨٢٢ ومكافأة علي تعليم كل تلميذ هذه الصنعة كحافز عمل. ولكنه اعترض علي هذا بحجة أنه يعمل بمجهود ثلاثة أشخاص. ثم اشترطت عليه الحكومة إن لم يقبل هذا فسوف يُستبدل بأخر.^(١٠٩) ويبدو أنه قبل هذا العرض إذ لم يتم العثور علي قرار بعزله أو استبداله. هذا، وقد ارتبط تصنيع اليازما Yazma (الطُرح) بالأسطوات الأرمن القادمين من الأستانة^(١١٠) حيث كانوا يقومون بإعدادها في المبيخضات وتستخدمها النساء لتزيين رؤوسهن.^(١١١)

وكذا، اشتغل الأرمن أسطوات وأخصائين بمعامل النيلة التي أنشأها محمد علي لإنتاج صبغة صالحة للتصدير. وقد احتكرت الحكومة إنتاج النيلة منذ عام ١٨١٦ واستقدمت أخصائين أرمن من الهند لتصنيعها.^(١١٢) وأنتج هؤلاء الأخصائيون نوعاً راقياً من الصبغة التي وُضعت في صناديق لتصديرها إلي الخارج.^(١١٣) واشتهر بعض هؤلاء الأخصائين مثل الخواجه بدروس الذي تعيّن مهندساً للنيلة بقسمي كفر نجم وأبي كبير بالشرقية ابتداءً من غرة رمضان ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) براتب شهري «٢٠٠» قرش.^(١١٤) وقد حققت النيلة مركزاً هاماً في ميزان الصادرات ولكن تدهورت جودتها بعد مُغادرة الأخصائين الأرمن مصر حتى تنحى تصديرها في عام ١٨٤٥.^(١١٥)

وتعهد الخواجه هوثانيس أبراهام بتصنيع شمع النحل في مصر منذ عام ١٨٣٠، وأعطى مبلغ «٢٠٠٠» ريال كإسمال يعمل به شريطة أن يسدده في خلال ثلاث سنوات.^(١١٦) ولكنه بعد أن قام بهذا العمل فترة، إدعى الإفلاس وولي هارباً من مصر.^(١١٧)

تلك، هي أهم مساهمات الأرمن في مجال الصناعة المصرية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد ظهر الأرمن كأسطوات وأخصائيين مُنتدبين إلى مصر ليُمارسوا صناعةً بعينها يتطلبها السوق وفقاً لسياسة الاقتصاد الموجه. وقد تركوا بصماتهم بشكلٍ متفاوت علي الإنتاج. ففي حين نجح صانعو الحرير في تعليم صناعتهم للمصريين، لم يترك الصباغون أثراً دائماً عليهم.

ولكن ، منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر ازداد تدريجياً دور الأرمن في تنمية بعض الصناعات لاسيما الدخان. وفي الواقع، ارتبطت صناعة الدخان في مصر بالسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الدولة العثمانية بعد خروجها بديونٍ كثيرة من حربها ضد روسيا (١٨٧٧-١٨٧٨)، حيث اقترحت لجنة سداد الديون العثمانية نظاماً لتوفير النقود اللازمة وذلك بتوريد عشر أرباح صناعات الحرير والملح والدخان. وبذا، أصبحت صناعة الدخان حكرأ علي فرنسا منذ عام ١٨٨٢. وقد نتج عن هذا، إبعاد عمال المصانع من الأرمن واليهود واليونانيين الذين انتشروا في مناطق عديدة ومنها مصر.^(١١٨) يُضاف إلي هذا، صلاحية جو مصر الجاف طوال العام لصناعة الدخان وقربها من مناطق تصدير الدخان الخام (اليونان وإيطاليا والدولة العثمانية) وتوفر العمالة اللازمة لها. كما أن تحريم الدين الإسلامي زراعة الدخان أو صناعته قد أفسح المجال لغير المسلمين - ومنهم الأرمن - للعمل في هذا المجال علي نطاقٍ واسع.^(١١٩)

وبذلك ، أسس الأرمن عدة مصانع لإنتاج الدخان في محسّر مثل ماتوسيان ومليوكونيان وجامسراجان وإبيكيان ومجريان وغيرهم. كانت

أغلبية العمال في هذه المصانع من العوام على اختلاف جنسياتهم. وكان الإداريون والمحاسبون والسكرتارية والفنيون وغيرهم من الموظفين - كلهم جميعاً من الأرمن. وقد تأسست هذه المصانع علي غرار مثيلاتها في أوروبا وبها متخصصون لإعداد الدخان وورق اللف والعُلب. وتُعد أصعب مرحلة في صناعة الدخان هي عملية خلط الدخان المختلف المصادر والنوعية بحيث تُنتج توليفةً جديدةً باستخدام الميكنة بدلاً من الأيدي العاملة. ونتج عن هذا، إنتاج كميات كبيرة من نوعيات فاخرة ذات نكهة عالية الجودة.^(١٢٠)

ويُعد مصنع «ماتوسيان» من أهم مؤسسات صناعة الدخان في مصر، وصاحبه «هوفانيس وجراييد ماتوسيان». اشتغل الأخوان ماتوسيان بصناعة الدخان وتجارته ببلدتي سامسون Samsun و يفر Ba- Ira بالدولة العثمانية. ثم جاءا إلى مصر في عام ١٨٨٢، فأسس هوفانيس سنتنذر ورشةً في شارع فرنسا بالإسكندرية لتصنيع الدخان. ولكنها بأساليب بدائية بحيث لم يزد إنتاجها عن بضعة كيلوجرامات يومياً. كما أسس جراييد في عام ١٨٨٦ ورشةً في العتبة الخضراء بالقاهرة على غرار ورشة أخيه بالإسكندرية.^(١٢١) وقد انضم الأخوان في عام ١٨٩٦ في شركة واحدة سُميت «هوفانيس وجراييد ماتوسيان وشركاؤهم» ثم تغير اسمها في عام ١٨٩٩ إلى «مصنع ماتوسيان وشركائه». وبلغ رأسمال الشركة في نهاية القرن التاسع عشر حوالي «١٠٠.٠٠٠» جنيه مصري. وأسست الشركة مصانع كبيرة بالجيزة وطنطا والإسكندرية والإسماعيلية وأسيوط «شركة كيغورك سركيسيان». وتكون مجلس الإدارة من الأخوين ماتوسيان وديران بيليوسيان وبيزانط مصرفيان وبول هاجويان وأنضون زمريان وهوفانيس

جاديبيان - وجميعهم من أسرة ماتوسيان وأقاربهم. (١٢٢)

ولعله من الجدير بالقول أن أسرة ماتوسيان قد ذاعت شهرتها قبيل نهاية القرن التاسع عشر في إنتاج أجود أصناف الدخان. ولكنها قد استغلت هذه الشهرة في خلط كميات من أردأ أصناف الدخان بكميات ضئيلة من أجود الأصناف مما أدى إلى الإضرار بصحة المدخنين. كما كانوا يطرحون إنتاجهم المغشوش علي المستهلكين بأعلي الأسعار استناداً إلى شهرتهم. بيد أن الصحف المعاصرة قد وجهت تحذيرات للمدخنين من استخدام دخان ماتوسيان حفاظاً علي صحتهم، كما ناشدت مصلحة الصحة ونظارة الداخلية بضرورة التدخل لحل هذه المسألة التي كادت تطيح بصحة المدخنين. وفعلاً، تدخلت مصلحة الصحة لمراقبة دخان ماتوسيان مما أدى إلي إعادة الصنف إلى جودته الأولى. (١٢٣)

تأتى مصانع ميلكونيان في المرتبة الثانية بعد ماتوسيان. فقد اشتمل الأخوان كريكور وجراييد ميلكونيان من قيصرية في صناعة الدخان وتجارته برومانيا Romania. ثم جاء إلي مصر في خريف عام ١٨٧٥ حيث استأجرا محلاً بجوار جمرك الإسكندرية وعملا بادئ ذي بدء في تجارة الدخان بالقطاعي ثم بالجملة. ثم أسسوا خلال عامي ١٨٨٢-١٨٨٤ مصنعاً للدخان بالزقازيق، وآخر بالفيوم عام ١٨٨٨، وتوالي بناء المصانع بالإسكندرية وأسوان. وقد بدأت صناعاتهم بطرق بدائية ثم ازدهرت تدريجياً وفي نهاية القرن التاسع عشر أسسوا مصنعاً على أحدث الطرز الأوروبية بالقاهرة ونقلوا إليه مصنعى الفيوم والإسكندرية. وقد انتشر ممثلو مصانع ميلكونيان في جميع مدن مصر والسودان وأثيوبيا يُروجون لماركة «معدن». (١٢٤)

ويحتل مصنع الأخوين أرميناج وديكران جامسراجان المرتبة الثالثة. فقد تخصص الأخوان جامسراجان من يريفان في صناعة الدخان بالآستانة، ثم جاءا إلى مصر في عام ١٨٩٥ هرباً من المذابح وانضموا مع صاحب مصنع سركيسيان في شركة عُرِفَت باسم «شركة الإخوة جامسراجان وسركيسيان لإنتاج الدخان». بيد أنها قد أفلست بحلول عام ١٨٩٧ فانفصل الأخوان جامسراجان وأسسوا عامنذ شركة «الإخوة جامسراجان» بالزقازيق. وقد راجت ماركة «أبى نجمة» التي انتجها في مصر والسودان.^(١٢٥)

كما تأسست عدة مصانع أخرى ولكنها ليست بنفس مكانة المصانع السابقة. ففي يناير ١٨٨٥ تأسس مصنع دخان الخواجات مجريان ومانوج حكيميان ونشان أربجيان في شارع منصور باشا بجوار قنطرة الأمير حسن بالقاهرة.^(١٢٦) وتأسس مصنع إيبكيان بالإسكندرية عام ١٨٨٩. وقد استهل نشاطه بكونه مكتباً لتسويق الدخان الوارد من الدولة العثمانية.^(١٢٧) أما مصانع هاجيتيان فقد تأسست عام ١٨٩٦ بالقاهرة، وبدأت بإمكانيات ضئيلة جداً ثم توسع العمل باستخدام آلات حديثة. وقد غطى إنتاجها السوق المحلي وتم تصدير الفائض إلى أمريكا الشمالية وأوروبا والسودان.^(١٢٨) كما تأسست شركة سانوسيان في شارع الضبطية القديمة بالقاهرة عام ١٨٩٨.^(١٢٩)

وهكذا، أسهم الأرمن النازحون إلى مصر في تنمية صناعة الدخان بتأسيسهم عدة مصانع بها تبوأَت قمتها ماتوسيان وميلكونيان وجامسراجان. وقد استخدموا التقنيات الحديثة وقتئذ مما أدى إلى زيادة إنتاجهم الذي غطى السوق المحلي وما زاد تم تصديره للخارج.



٤- الحرف

عرفت مصر نظام طوائف الحرف Crafts منذ القرن العاشر إبان الحكم الفاطمي (٩٦٩ - ١١٧١). ويتلخص هذا النظام في أن أصحاب الحرفة الواحدة يخضعون جميعاً لاتحاد عام يُعد بمثابة نقابة إجبارية. وتتكون الطائفة رأسياً من شيخ الطائفة ثم النُقباء فالمعلمين (الأسطوات) والصبية.^(١٣٠) وتقوم هذه الطوائف بالإشراف الفني على أعضائها. فتُشرف على عملية التصنيع وعلى نوعية المنتجات. وتشترك في تحديد الأسعار. وتقوم بتسوية الخلافات بين أعضائها وتهتم بالمنازعات مع العملاء. وقد أدى التمرکز الجغرافي إلى شغل كل طائفة لقطاع معين من المدينة حيث تُقيم سوقاً لها. وبذا، تُمارس الطوائف دوراً إدارياً في الشارع الذي تُقيم به. وكان الحفاظ على الأمن أحد أوجه هذا الدور. يُضاف إلى هذا، أن الطوائف كانت أداة الربط بين السلطة وبين سكان المدن. وكان الشيوخ (ويسمون باشى Bachi لدن الأرمن) يحتفظون بقائمة أسماء أعضاء الطائفة الأمر الذي يسمح للسلطات باللجوء إليهم عند الحاجة. وكان رؤساء الطوائف ينقلون أوامر الحكومة ويتحققون من تنفيذها ويجيبون الضرائب المفروضة علي طوائفهم. كما كانت الحكومة تستشيرهم في حالة حدوث أزمات اقتصادية. إذن، كانت الطائفة خلية أساسية «شبه إدارية» تُساعد السلطة على الإحاطة بالرعايا عن طريق المشايخ.^(١٣١)

ولكن، تعرضت طوائف الحرف لعدة ضربات خلال القرن التاسع عشر أضعفتها تدريجياً، ومن ثم، أدت إلى تدهورها واختفائها. فقد أراد محمد علي إقامة تصنيع حديث فأخضع العمال لنظام حكومي ولجزاءات

مثل إنقاص الأجور فضلاً عن سوء المعاملة والظلم. ورغم ذلك، ظل شيوخ الطوائف يحتفظون ببعض حقوقهم مثل توقيع العقوبات البدنية والغرامات. ثم اتجهت الحكومة خلال حكم سعيد (١٨٥٤ - ١٨٦٣) إلى / تحديد سلطة المشايخ بإلغاء حقهم في توقيع الجزاءات. وعلى أثر إنشاء المحاكم المختلطة في مصر سنة ١٨٧٦ زادت ثقة الأجانب في استثمار أموالهم في مصر فتدفقوا بأموالهم. وعندما احتل الإنجليز مصر في سنة ١٨٨٢ عملوا على تشجيع الاستيراد من بلادهم وفرضوا قيوداً على الصناعات المحلية التي كانت تتعارض وسياساتهم العامة. وفي ٩ يناير ١٨٩٠ صدر قانون ضريبة الحرف الحرة فوضع نهايةً لنظام الطوائف وساعد على حرية الصناعة وحرية العمال. إذ أعطيت الحرية لكل عامل مصري أو أجنبي في مُزاولة العمل الذي يروقه. يُضاف إلى ذلك، نمو المدن المصرية وتطورها خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. (١٣٢)

في هذا الإطار، شغل الحرفيون الأرمن مكاناً هاماً في ميدان الحرف بمصر خلال القرن التاسع عشر. ورغم تضررهم بشكل ملحوظ في ظل ظروف غزو المنتجات الأوروبية السوق المصري، إلا أنهم تماشوا سريعاً مع الأنواق الحديثة وتفوقوا في حرف الصياغة والخياطة والتطريز وصناعة الفراء وغيرها على النحو الآتي :

الصياغة

تُعد الصياغة أقدم الحرف وأهمها التي مارسها الأرمن في مصر. وتدخل في إطارها أيضاً صناعة الفضة والجواهر. وقد تجمع معظم الصاغة الأرمن منذ أواخر القرن الثامن عشر في خان الخليلي

بالقاهرة.^(١٣٢) ويذكر كلوت بك Clot bey - ناظر مدرسة الطب خلال حكم محمد علي - أن أغلبية صناعي الحلي في مصر من الأرمن القادمين من الأستانة «... ولهم معرفة عجيبة بتركيب الأحجار الكريمة التي يكلفهم بتركيبها العظماء والوجهاء من الأتراك. وفي حي مارجوش يشتغل الصناع بالمرجان والكهرمان يتخذون منها العقود والمسايح...»^(١٣٤) وجدير بالذكر أن المسيحيين عموماً قد احتكروا حرفة الصياغة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية. وظلت هذه الحرفة تنمو في مصر من خلال توثيق العلاقات التجارية مع سوق الصياغة الشهير بالأستانة.^(١٣٥)

وثمة عدد من الصاغة الأرمن الذين توظفوا في قصور الحكام لتلبية احتياجاتهم من الذهب والجواهر مما يدل علي براعتهم وشهرتهم وثقة الحكام فيهم. فقد ظل الخواجه يغيا الجواهرجي الرئيسى لمحمد علي وأسرته منذ عام ١٨١٨ حتى وفاته في عام ١٨٥٠.^(١٣٦) واشتغل كل من مجريدتش أغا چيغاميرچيان والخواجه جرابيد جواهرجية في قصر سعيد باشا.^(١٣٧) كما ظل الخواجه هوقانيس الجواهرجي الرئيسى للقصر منذ بداية حكم إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) حتي نهاية القرن التاسع عشر.^(١٣٨)

هذا، وقد التزم بعض الصاغة والجواهرجية الأرمن بالصاغة مثل الجواهرجي نيجوغوص الذي التزم بها في ربيع ثان ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩) وصدرت إليه التعليمات بمراعاة الدقة في المصاغات التي يرسلها إلي الضريخانة.^(١٣٩) كما صدرت إليه تعليمات بمراقبة المصاغات ومصادرة الناقص منها إلي ذمة الحكومة، والقبض علي الغشاشين، وتعيين خبراء

لمراقبة الدمغة وعتار المصاغ؁ وأخذ ثلث بارة عن كل درهم من المصاغ الذى يرسله أصحابه إلى الضربخانه لدمغه فى نظير أجور عمال الدمغه.^(١٤٠) ولكنه لم يلتزم بتعليمات الحكومة وارتكب عدة عمليات غش وتزوير وسرقة فى المصاغ. فألقى القبض عليه وسُجن بالقلعة فى ٢٠ شوال ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩). كما التزم الجواهرجى الكسان بتوريد الذهب والفضة إلى الضربخانه منذ عام ١٨٢٨.^(١٤٢) والتزم الجواهرجى هوفاجيم بتوريد الذهب والفضة اللازمين لحوائج الجهادية.^(١٤٣)

وقد نزع إلى مصر خلال حكم إسماعيل ثم نتيجة لمذابح الأرمن على أيدي العثمانيين خلال التسعينيات عدد كبير من الصاغة والجواهرجية الأرمن الذين اشتهروا بمهارتهم وخدمتهم ونقلهم إلى مصر العديد من الطرز العثمانية والأوربية.^(١٤٤) ويكفى دليلاً على احتكار الأرمن حرفة الصياغة والجواهرجية أن بلغ عددهم «١٠١» فى القاهرة فقط خلال عام ١٨٨٢ مقابل «١٠٦» من المسلمين.^(١٤٥) ويُعد عدد الصاغة والجواهرجية الأرمن كبير جداً قياساً إلى قلة أعداد الأرمن بعامّة. ناهيك أن الرقم الآنف ينسحب فقط على أصحاب المحلات وليس على جميع العاملين بالحرفة مما يعكس حجم الأرمن ومكانتهم فى هذه الحرفة.

وجدير بالذكر أن الصاغة الأرمن قد اشتهروا بإنتاج الحلي والأساور والخواتم والحلقان نوات النوق الرقيق. كما برعوا فى طلاء المعادن والخشب والعظم والجلد والزجاج بالماء الذهبى والفضى. ومن أشهر هؤلاء الصاغة عائلات: چيڤاهيرچيان ومومچيان ويرجينيان وعريفيان وكيفوركيان وبندريان وخانتيميان وغيرهم.^(١٤٦)

الخيطة

تعد الخيطة ثمانية أهم الحرف التي اشتغل بها الأرمن في مصر. وقد انتشرت في القاهرة بعامه أعداد كثيرة من الخياطين المصريين الذين يُخيطون ملابس عادية ومتواضعة للعوام. ويصف كلوت بك كلاً من الخياطين الأرمن واليونانيين في مرتبة أعلى من أقرانهم المحليين لأنهم يُخيطون ملابس مُعقدة وزاهية للطبقة العليا. وفي حين كان الخياطون المصريون يُخيطون للرجال والنساء معاً، تخصص أقرانهم الأرمن في الخيطة لكل منهما علي حده. (١٤٧)

وثمة بعض الخياطين الأرمن قد ارتقوا إلي العمل في قصور الطبقة الحاكمة مما يدل على مهارتهم وشهرتهم. فمنذ عام ١٨٠٧ يُذكر «تاكفور تاغي» رئيساً لخيطة محمد علي. فقد صدر أمراً إلي رئيس التجار محمود حسن أغا في ١٧ محرم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) بإعطاء مبلغ «١٦٢٥» قرش من أموال جمرك بولاق عن موسم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) إلي تاكفور تاغي رئيس الخياطين مقابل أعماله لحمد علي وأسرته خلال الفترة من غرة شعبان ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧) حتى ١٠ محرم ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨). (١٤٨) وعمل الخواجه جرابيد رئيساً للخياطين في قصر إبراهيم باشا. ففي أمر صادر في ١٥ رمضان ١٢٣٤ هـ (١٨١٨) يُذكر جرابيد بصفته «ترزي باشي» إبراهيم باشا - أي كبير خياطيه - لإعطائه «٥٠٠٠» أرب أرز دمياطي مقابل أعماله. (١٤٩) كما يُذكر الخواجه بدروس بصفته رئيس الخياطين في قصر بولاق. (١٥٠)

ورغم تعرض الخياطين لضربة عنيفة بسبب تدفق الملابس الأوروبية الرخيصة ذات الجودة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٥١)،

إلا أن الخياطين الأرمن تماشوا مع الأنواق الأوروبية الحديثة. ولذا، ظلوا يتبنون مكاناً مرموقاً في السوق المصري. (١٥٢)

التطريز

يُعد التطريز أحد الفروع المُساعدة للخياطة. وقد كان الأرمن يُسيطرون علي هذه الحرفة في الأستانة ثم انتشرت عن طريقهم في مصر وظلوا يحتكروها حتى نهاية القرن التاسع عشر. (١٥٣) ويشهد كلوت بك علي مهارتهم بقوله: «... وهم بارعون في صناعتهم، ولهم دراية تامة في تكليف الثياب بالقيطان الحريري أو الذهبى يُنمقون به أشكالاً تطريزيةً جميلةً ورسوماً في غاية الحسن...». ويُنهى كلوت شهادته بأن قليلاً من الأوربيين يستطيعون التفوق عليهم. (١٥٤) كما اشتهر هؤلاء المطرزون بعمل مشغولات القوط المطرزة بخيوط معدنية مبرومة، ومفارش المحمل الشريف المطرزة بخيوط معدنية (سيرما) ومزودة بأهداب من الخيوط المعدنية المبرومة. (١٥٥)

ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم استدعاء مطرزين أرمن من الأستانة لتزدية حاجات الطبقة العليا، فعلي سبيل المثال، تم استدعاء السيدة سيربوهى كالفايان من الأستانة ست مرات بين عامى ١٨٤٨ - ١٨٦٥ لتطريز جهاز العروسة وملابسها للأميرات المصريات في عُرْسهن. (١٥٦)

وبغض النظر عن الاستفادة الواسعة من استخدام الميكنات والأساليب الغربية الداخلة علي التطريز خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٥٧)، فقد ظل المطرزون الأرمن يحتفظون بمكانة واضحة بسبب تطريزاتهم ذات الذوق الرفيع. فقد ذاعت علي سبيل المثال شهرة المطرز ديكراى مجريدتتش بالموسكى حتى الحبشة. فأرسل إليه ملكها

يطلب منه صنْع بُرنس مُرصَّع بالألماظ والجواهر النفيسة، فصنعه على أكمل منظر ورسم في ظهره صورة الحواريين الاثنى عشر. وعندما علم بذلك الخديو توفيق، طلب رؤية البُرنس. ولما أحضر إلى سراى عابدين ونظره جميع الحاضرين أعجبتهم صناعته البديعة ورونقه الباهر. عندئذ، أمر الخديو توفيق باعطاء ديكران لقب «طراز سمو الخديو». ومنذ ذلك الحين، أصبح ديكران وأسرته متخصصين فقط في تطريز ملابس العائلة الخديوية. (١٥٨)

صناعة الفراء

كانت حرفة صناعة الفراء من أقل الحرف انتشاراً في مصر بسبب اقتنصار ارتدائه على طبقتي العلماء والعظماء. ويذكر كلوت بك أن العدد القليل من الفرائين في مصر كانوا من الأرمن واليونانيين. (١٥٩)

إعداد الأحذية (المركوبجية)

كانت هذه الحرفة من أشهر الحرف التي اشتغل بها الأرمن في مصر. إذ مارسوها بشكل واسع في القاهرة والإسكندرية. وكانت الأحذية الشرقية التي يُعدونها «يمنى، بوستال، شبشب»، والأحذية الأوربية «جزم، بوت» بسبب متانتها وذوقها تُصامى الأحذية المستوردة من أوروبا. (١٦٠) وقد اشتهر كثير من الجزماجية الأرمن في القاهرة مثل الأسطى هاجوب الاستانبولى فى شارع قنطرة الأمير حسين. وترجع شهرته إلى حسن اتقانه وجودة بضائع. (١٦١)

الحفر على الأخشاب والمعادن

تُعد حرفة الحفر على الأخشاب والمعادن وغيرهما من الحرف التي

اشتهر بها الأرمن في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. فقد كان الخشب يُحفر ويُنقش كي يُستخدم أنوات زينة في المنازل. أما الحفر على الحجر فكان يُستخدم في الطبع الملون. وكان الحفر على الصلب يُستخدم في القوالب وبعض أنوات الزينة مثل الصور والمستلزمات اليومية للمنزل. أما الحفر على الزنك فكان يُستخدم في الطباعة. ومن أشهر الحفارين عائلات: فنديان وكراكاشيان وأراكيليان وميناسيان وغيرهم. (١٦٢)

حرف أخرى

اشتغل الأرمن، إضافةً للحرف الرئيسية السابقة، بعدد من الحرف الأخرى ولكن في نطاق ضيق. فقد استدعى محمد علي عدداً من الأرمن «... أرباب صنائع مُعمرين ونجارين وحدادين وبنائين» (١٦٣) للعمل في المنشآت والمصانع والمدارس والمستشفيات والمستودعات وغير ذلك. وقد ارتقى بعضهم إلي مصاف الفنانين العاملين في الورش الحكومية. إذ بسبب مهارة النجار أسانور فقد ارتقى إلي وظيفة رئيس النجارين العاملين في المهمات الحربية. وترجع شهرته إلي إجادته في صناعة السلاحليكات الخشبية. (١٦٤) وبرز من بين الحدادين كيغورك بك رابانيليان الذي تعلم أسرار الحدادة في الأستانة ثم جاء إلى مصر في عام ١٨٤٠ وأصبح حداد باشى - كبير الحدادين - محمد علي الذي منحه البكوية. واشتهر قارييد (الأسطى) هوفانيس بصناعة حدوة الحصان في إسطنبول عباس الأول وسعيد وإسماعيل. (١٦٥) كما تؤكد التعدادات أن قلة ضئيلة من الأرمن قد مارسوا حرف الميكانيكية

وتصليح الساعات وتصليح الآلات الموسيقية والحلاقة والنقاشة وصناعة الطرابيش والتنجيد والطباخة والطحين وصناعة الشرابات. (١٦٦)

وهكذا، اشتغل الأرمن بعدد كبير من الحرف في مصر. ولكنهم قد تفوقوا كمأً وكيفاً بشكل واسع في حرف الصياغة والخياطة والتطريز وإعداد الأحذية والحفر علي الأخشاب والمعادن. وبعمامة، يلاحظ ازدياد مجئ الحرفيين الأرمن إلي مصر خلال الفترات التي تشهد نشاطاً عمرانياً كما حدث إبان العقدين الثاني والثالث من حكم محمد علي وإبان حفر قناة السويس.

هذا، وقد جاء معظم هؤلاء الحرفيين من الأستانة - أكبر تجمع حرفي في الدولة العثمانية - بسبب انخفاض الأجور وازدياد المنافسة بها نتيجةً لازدحامها بالسكان فضلاً عن القلاقل السياسية. (١٦٧) ويلاحظ أنهم جاءوا إلي مصر بحرفهم التي مارسوها واشتهروا بها في الأستانة ومواطنهم الأم باستثناء شريحة غير محددة الحرفة وبلا أدوات اقتصادية. (١٦٨)

ومما هو جديرٌ بالملاحظة أن الأرمن الحرفيين قد استقروا بمصر عموماً. بيد أنهم قد تركزوا في القاهرة بسبب تركيز الأرمن فيها بعمامة فضلاً عن كونها أكبر مركز للحرف في مصر. ولم يتم العثور في أية مادة أُتيحت للبحث علي ما يُشير إلي أن الأسطوات الأرمن كانوا يُدربون صببية من غير جنسهم تحت أيديهم خلال القرن التاسع عشر. لذا، ظل أفراد عائلات أرمنية يحتكرون حرفهم طيلة القرن التاسع عشر. ولا يُمارسون غيرها كما يتضح من بعض أسمائهم مثل «چيفاهيرچيان» (الجواهرجية) و«ترزيباشيان» (الخياطين) و«دميرچيان» (الحدادين) هذا، ولم يدخل الأرمن أية حرف جديدة إلي مصر. ولكنهم احتكروا

بعض الحرف مثل التطريز بالمعادن (السيرما) والحفر علي الأخشاب والزجاج والمعادن.

وأخيراً، حقق الحرفيون الأرمن نجاحاً ملحوظاً في مصر لأنهم أدركوا جيداً ما يتناسب مع نوق السكان وعرفهم وعاداتهم.^(١٦٩) وظل سوقهم ينتعش بدرجة كبيرة دفعت الصحافة الأرمنية إلي القول بأن شهرة شعبهم ترجع إلي مهارة الحرفيين.^(١٧٠)



٥- ملكية الأراضي

تكونت ملكية الأرمن من الأراضي في مصر بطريقتين :

أولاً : المنح التي أنعم بها محمد علي وخلفاؤه على حاشيتهم وكبار موظفيهم.

ثانياً: شراء الأراضي من الأفراد والدولة.

بدايةً، لقد منح محمد علي مساحات واسعة من أراضي الأبعادية لاتباعه وكبار رجال دولته مُعفاة من الضرائب بهدف استصلاحها وزراعتها مما يؤدي بالتالي إلي زيادة مساحة الأراضي المزروعة. وربما كان يهدف من وراء ذلك تكوين فئة من كبار الملاك يعتمد عليها في الحكم. ومالبث أن منحهم في عام ١٨٢٧ حق توريثها لذريتهم ثم حق ملكيتها ملكية كاملة في سنة ١٨٤٢. وقد واصل خلفاؤه من بعده اتباع هذه السياسة. ويُعد منح هذه الأبعاديات البداية التاريخية لنشأة الملكيات الكبيرة في مصر.^(١٧١)

فى هذا الصدد، حصل الأرمن المتعاونون مع الحكام علي منح شأن العناصر الأخرى. فقد منح محمد علي في ٢١ جماد أول ١٢٥٤ هـ مساحة «٢٠٠» فدان من أبعادية البحيرة إلي أنضون أفندى الأرمنى - كاتب بوغوص بك.^(١٧٢) ومنح في ٢٦ شعبان ١٢٥٧ هـ (١٨٤١) مساحة «٣٠٠» فدان في الرحمانية بالبحيرة إلي أرتين بك - تُرجمانه الأول عامنذ.^(١٧٣) كما منح محمد علي في عام ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧) غيطانى بك الأرمنى - طبيب به الخاص - مساحة «٥٠٠» فدان من أبعاديات الجيزة.^(١٧٤) وأنعم في ٢٥ شعبان ١٢٦٣ هـ (١٨٤٧) بمساحة «٥٠٠» فدان من أطيان أبعادية فرتوه بالبحيرة على خسروث بك تشراكيان - تُرجمانه الأول.^(١٧٥) ثم منحه عباس الأول في نهاية جماد أول ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٤٠٠» فدان أخرى بنفس المكان.^(١٧٦)

وقد منح عباس في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان أبعادية كفر أبي حمص بالبحيرة إلي بنبه تاكوهى - زوجة المهندس يوسف حكيكيان.^(١٧٧) ومنح في ١٢ نى القعدة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) مساحة «٤٠٠» فدان من أبعادية دلجا بمعاونة مللوى في مديرية عموم قبلى إلي جرابيد كالوسديان - ناظر الضربخانة.^(١٧٨) ثم منحه ستين فداناً من أبعادية العزيزية بمديرية الجيزة في ١١ رمضان ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).^(١٧٩) وكذا، منح أراكيل بك - شقيق نوبار - مساحة «٢٤٩٥» فدان من أطيان أبعادية أشمون جريس بالمنوفية بموجب أمر في ١٣ جماد أول ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).^(١٨٠)

وقد منح إسماعيل باشا في ٢ صفر ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣) مساحة «٢٠٠» فدان من أبعاديات مديرية الدقهلية إلي أبرام بك - تُرجمانه الثانى.^(١٨١) كما منح مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان أبعاديات مديرية

الدقهلية إلي دليوبك - طبيبه الخاص - بموجب أمرين في ٩ جماد ثان ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥) وفي غرة ذى القعدة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥). (١٨٢)

ويُعد نوبار باشا أكثر الأرمن الذين أنعم عليهم بمنح من الأراضي. فقد منحه محمد علي في ٩ رمضان ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦) - وكان سنتنذ تُرجماناً ثانياً له - مساحة «٤٩٤» فدان من أبعاديات في الأقاليم الوسطى. (١٨٣) ومنحه عباس في ٨ جماد ثان ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) - وكان سنتنذ تُرجمانه الأول - مساحة «٥٠٠» فدان من أبعاديات نواحي الكواوي ومنيل العروس وأبى عوانى في مديرية المنوفية. (١٨٤) كما منحه سعيد باشا بأمر صادر في ٥ رمضان ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠) مساحة «٨٠٠» فدان من متروك وأبعاديات بمديرية المنيا وبنى مزار. (١٨٥)

وفوق هذه المنح التي ساهمت كثيراً في تكوين ملكيات الأرمن، فقد اشتروا أراضٍ عديدة من الأفراد والحكومة. ومما هو جدير بالذكر أن الأخوين يعقوب والكسان ميساكيان - صيارفة القومبانية المصرية - ابنا أسادور الآجنى قد اشتهرا بشراء الأراضي. فقد اشترى بموجب تقسيط في ٢٦ صفر ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤) مساحة أربعين فداناً في صفت اللبن بالجيزة من عمر أفندى - ناظر الجلد - مقابل «٢٩.٠٠٠» قرش. (١٨٦) واشترى في ١١ شعبان ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤) مساحة «٢٢٤» فدان في ميت القائد بقسم ثان الجيزة من حسن حيدر بك مقابل «٢٥٠.٠٠٠» قرش. (١٨٧) وقد آلت إليهما أطيان بوغوص بك البالغة «١٥٠» فدان في المطرية ومُسْطَرْد بالقليوبية في ٢٥ محرم ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦) وفاءً لديون اقترضها منهما. (١٨٨) كما اشترى بموجب تقسيط في ٢٥ شعبان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦) مساحة «١٠٠» فدان في مديرية

المنوفية من خليل أفندي - خازندار الجهادية - مقابل «٣٠.٠٠٠» قرش.^(١٨٩) وقد ألت جميع هذه الأطيان في ٢٥ محرم ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨) إلي تاكوهى زوجة الكسان وطاريز زوجة يعقوب وأولادهما.^(١٩٠)

وقد اشترى أبراهام ميناقيان الأجنى الأرمنى بموجب حجة في ٢٣ رمضان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥) مساحة «١٧٣» فدان من أطيان قمن العروس وكفر الشيخ عثمان بالبهنساوية التابعة للأقاليم الوسطى من عبد الرحمن بك - معاون جناب خديو - مقابل «٧٥.٠٠٠» قرش.^(١٩١) كما اشترى بموجب تقسيط في ٢٦ ربيع أول ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧) مساحة «٣٦٤» فدان في ناحية أطفيح والعطف بالجيزة من أمين لطفي بك بالمعية الخديوية - مقابل «٣٠.٠٠٠» قرش.^(١٩٢) واشترت صفية بنت الخواجه بدروس في ١٨ رمضان ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥) مساحة «٢٤٩» فدان في نواحي بهنساوية من محمود بك بن محمد أفندي مأمور أشغال المحروسة مقابل «١٨.٠٠٠» قرش.^(١٩٣)

كما اشترى رابايل صباح الأرمنى الكاثوليكي التاجر بالحمزاوي بموجب حجة شرعية في ٢٥ ذى القعدة ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) مساحة «٤٩٤» فدان فى منشأة أبى مليح وبنى حلة بالأقاليم الوسطى من نوبار أفندي - ترجمان أول عباس باشا - مقابل «١٢٠.٠٠٠» قرش.^(١٩٤) واشترى مجرديتش الجواهرجى بموجب حجة شرعية في ٢٧ ربيع أول ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥) مساحة «٢٠٠» فدان من أطيان في مديرية بنى سويف والفيوم من خازار إسحق الصراف بحارة اليهود مقابل «٩٢٧٧٥» قرش.^(١٩٥) واشترى يوسف السبع التاجر بمصر في ١٠

رجب ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «١٢٢» فدان في نواحي قمن العروس
وكفر الشيخ عثمان بمديرية بني سويف والفيوم من علي أفندي حيدر
وكيل مديرية القليوبية. (١٩٦)

وكذا، اشترى نوبار باشا - ناظر الخارجية - بموجب حجة في ١١
ربيع أول ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «٣٠٠» فدان في نواحي شراباص
وكفر المياسرة بالادقيلية من موسيو لاويزون مقابل «١٤٦.٢٥٠»
قرش. (١٩٧) كما اشترى في ١٤ شعبان ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «٤٨»
فداناً بنفس النواحي من محمد إبراهيم مقابل «٥٠.٠٥١» قرش. (١٩٨)
واشترت ثوليك هانم زوجة نوبار في غرة رجب ١٢٨٨ هـ (١٨٧١)
مساحة «٣٢» فداناً في ميت السيرج بالقليوبية من عبده باشا - رئيس
قومسيون السكة الحديد - مقابل «٧٥٠.٠٣٢» قرش. (١٩٩) كما اشترى
ميسروب سوكياسيان - مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر المحروسة -
بموجب حجة في ١٦ ربيع أول ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) مساحة «١٠٠» فدان
في نواحي الهجارسه بمديرية الشرقية من أحمد راشد أفندي - مأمور
قلم الوقائع - مقابل «٦٣.٣٧٥» قرش. (٢٠٠)

ومن ناحية أخرى، ظل انتقال أراضي الدولة للأفراد يتم حتى
الاحتلال البريطاني عن طريق المنح أكثر منه عن طريق البيع. وترجع
فكرة بيع أراضي الدولة الزراعية والقابلة للاستصلاح إلي حكم سعيد.
ولكن في ظل الاحتلال البريطاني اتخذت ظاهرة بيع أراضي الدولة
للأفراد شكلاً أكثر اتساعاً حيث كانت الأراضي المملوكة للدولة تتركز في
ثلاثة قطاعات هي أراضي الأملاك الأميرية الحرة وأراضي الدومين ثم
أراضي الدائرة السنّة. وقد طُرحت جميعها للبيع. (٢٠١)

هنا أيضاً، اشترى الأرمن مساحات من هذه الأراضي المطروحة للبيع. فقد اشترى إستيبان المقيم بالمنيا بموجب حجتين شرعيتين محررتين في ٢٣ ذى الحجة ١٢٨٠ هـ وغرة صفر ١٢٨١ هـ (١٨٦٤) مساحة «٣٠٠» فدان من أطيان زهرة والطاهرة وبنى سموح بمديرية المنيا وبنى مزار من أطيان الميري التي طُرحت للبيع مقابل «٢٠٠.٢٠٠» قرش.^(٢٠٢) كما اشترى في ٩ صفر ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «١٤» فداناً في ناحية بني فجر بمديرية المنيا وبنى مزار مقابل «٤٦٩٠» قرش.^(٢٠٣) ثم اشترى في ٢٠ رجب ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) مساحة «١٣» فداناً من أطيان العهد السنية في ناحية زهرة بمديرية المنيا وبنى مزار.^(٢٠٤)

كما اشترى أوهان ميناس الترزي بحارة الحمزاوى في مصر المحروسة بموجب حجة في ٢٤ جماد أول ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢) مساحة ثمانية أفدنة في ناحية ترسا بمديرية الجيزة وأطفيح من أطيان الميري مقابل «١٠٠.٦٠» قرش.^(٢٠٥) واشترى ستة أفدنة بنفس الناحية بمبلغ «١٢.٤٤٧» قرش في ١٠ صفر ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣).^(٢٠٦) واشترى الخواجه موقسيس كريكور الترزي بالسكة الحديد في مصر المحروسة بموجب حجة في ٢٠ جماد أول ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦) مساحة «٣٠٨» فدان من أطيان زاوية سالم بمديرية البحيرة من أراضي الميري مقابل «٣٣٣.٨٢٠» قرش.^(٢٠٧) وكذا، اشترى بوغوص باشا نوباريان وديكران باشا أبرويان مساحات تجاوزت الألف فدان من أراضي الدائرة السنية والدومين.^(٢٠٨)

وهكذا، يُلاحظ أن معظم شرائح الأرمن قد امتلكوا أراضٍ بمصر.

ولكن، في حين تكونت معظم ملكيات الموظفين ورجال الحاشية من المنح في الأغلب، تكونت ملكيات التجار والحرفيين من المشتروات أساساً. ويُلاحظ أيضاً ازدياد منح الأراضي للأرمن خلال حكم محمد علي مما يدل علي مكانتهم لديه وثقته فيهم فضلاً عن حجمهم في الجهاز الحكومي. ورغم كراهية عباس الأول لهم، إلا أنه أعطى عدداً غير قليل من منح الأراضي الذين كانوا علي علاقة شخصية به أو بأحد أفراد أسرته. وانخفضت المنح بشكل ملحوظ خلال حكمي سعيد وإسماعيل عن ذي قبل مما يعكس وضعية الأرمن وقتئذ.

ومما هو جديرٌ بالملاحظة أن ملكيات الأرمن قد تركزت في الجيزة والمنيا والمنوفية والدقهلية والقليوبية - وهي مناطق قريبة من نطاق تركّزهم الأساسي في القاهرة والإسكندرية. كما يُلاحظ أن الملأك الأرمن قد أقاموا بعيداً عن أراضيهم وعهدوا بإدارتها وفلاحتها إلي آخرين عدا فئة قليلة جداً منهم قد استقرت وسط أراضيها وعاشت حياتها كاملة هناك مثل أسرة جُلبينكيان الذين امتلكوا أكثر من «١٥٠٠» فدان بالبحيرة.^(٢٠٩) وقد أقاموا عليها مشروعات لتبييض الأرز وقرز القطن. أكثر من هذا، شيدوا كنيسة «القديس تاتئوس وبارتوغوميوس» في هذه الأراضي كي يؤد فيها العمال والفلاحون شعائر دينهم.^(٢١٠)

وقد استفاد بعض كبار ملأك الأراضي من الأرمن العاملين في جهاز الدولة من وظائفهم وثرواتهم في تطوير وسائل الإنتاج بأطيانهم. فبعد هبوط الأسعار عقب نهاية الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) لجأ نوبار باشا وآخرون إلي استخدام الأسمدة الكيماوية والمحاريث والآلات

الخاصة بدرس القمح وانتقاء التقاوى عن طريق الفرز الآلي بهدف الحصول علي أعلي قدر من المحاصيل.^(٢١١) ولا غرَوفَ في هذا، إذ يُعد نوبار باشا من أكبر مُلاك الأراضى في مصر. فقد كان يملك إبان حكم إسماعيل «٢٩٤٤» فدان من الأراضى العشورية وحدها مُوزعةً علي مديريات المنيا وبني مزار والمنوفية والدقهلية والقليوبية.^(٢١٢)

وفي الحقيقة استغلت شريحة التجار والأثرياء الأرمن الكنيسة لاستثمار الأراضى سرأً خلال القرن التاسع عشر. فقد كانت كنيسة الأرمن بمصر تتبع بطريركية القدس ذات الأراضى والعقارات الواسعة الموقوفة عليها من قبل الخيرين. وكانت كنيسة مصر تُديرها وتُرسل إيراداتها الضخمة إلي القدس. ولكن طمع التجار والأثرياء الأرمن بمصر في الاستئثار بهذه الإيرادات لأنفسهم، لذلك، سعوا إلي تأسيس مطرانية خاصة بهم في مصر ذات هياكل إدارية مستقلة حتى يتمكنوا من اختيار الموظفين المتماشين مع أغراضهم.^(٢١٣) ومن ناحية أخرى ، استفادوا من بوغوص يوسفیان في الحصول علي إعفاءات وتسهيلات لكنيستهم من محمد علي.^(٢١٤) ثم منعوا مطران مصر من إرسال إيرادات الأراضى والعقارات إلي القدس واشتروا بها أراض جديدة سجلوها باسم الكنيسة والفقراء حتى تكون معفاة من الضرائب وفي نفس الوقت لا يستطيع بطريرك القدس أن يطالب بها.^(٢١٥) وجزير بالذكر أن الأرباح الباهظة التي تُدرّها هذه الأراضى قد أغرت شريحة التجار والأثرياء المهيمنين علي شئون الجالية الأرمنية وكنيستها فراحوا يشترون الأراضى ويسجلونها باسم الكنيسة والفقراء ثم يستأثرون بإيراداتها لأنفسهم قبل أن تذهب إلي صندوق الكنيسة.^(٢١٦)

كما استفادت الجالية الأرمنية من الموظفين الأرمن العاملين بالأشغال العامة مثل بوغوص يوسفیان وإستیبان أبرویان - والد دیکران أبرویان - وغيرهما. فقد كان هؤلاء الموظفون مؤثرين منذ أن أصبحوا مسئولين عن تطوير أنظمة الري. كما كانوا علي دراية بخصوبة الأراضي المخطط لاستصلاحها فيشترون لأنفسهم عن طريق عملائهم الأراضي البور ويُعيدون بيعها بسعر مُضاعف. ومن ناحية أخرى، ساعدوا بني جنسهم في الحصول علي الأراضي التي ستُستصلح ويزداد إنتاجها. (٢١٧)



الهوامش

- (١) محمد عفيفي، الأقباط في مصر في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٥٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ١٧٤-١٧٩.
- (٢) دار الوثائق القومية، محافظ الذوات تركي، رقم ٧، وثيقة رقم ٦/٣، ترجمة أمر صادر في ١٣ ربيع ثان ١٢٣١ هـ: محمود متولي، الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص ٢٢٦-٢٢٨، ٢٢٩.
- (٣) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٥٢. (بالأرمنية)
- (٤) سوف يتم تفصيل هذا في الفصل الرابع عند تناول دور الصيارفة الأرمن في الإدارة المصرية.
- (٥) ديوان خديو تركي، س ١/٤٢/٧٢٨)، ص ٢٣، رقم ٧٧، مكاتبة من ديوان خديو إلى قرة كهيا في غرة محرم ١٢٣٥ هـ: ديوان المعية تركي، س ١/٥٠/٩٠)، ص ٦٢، رقم ٣٤٢، أمر من الجنب العالي إلي الصراف أرام بالاستانة في غرة شوال ١٢٤٥ هـ.
- (٦) ديوان المعية تركي، س ١/٤٧/٩)، ص ٢٨، رقم ٢٥٧، مكاتبة من المعية السنية إلي الأغا ناظر السفن في ٨ ربيع ثان ١٢٣٧ هـ: محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، محفظة ٣، وثيقة رقم ١١، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي بوغوص بك في غرة جماد أول ١٢٤٢ هـ.
- (٧) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، محفظة ٣، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص بك في ٢٩ شعبان ١٢٥٨ هـ.

(٨) ديوان المعية تركى، س١/٥٠/٥(١٨)، ص ٣٧، رقم ٣٦٠، مكاتبة من الديوان إلى الخازندار في ٢٤ شوال ١٢٣٩ هـ؛ محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، محفظة ٣، ترجمة أمر من الجنب العالي إلى أرتين بك في ١٧ شعبان ١٢٦٣ هـ.

(٩) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجنب العالي إلى الخواجه بوغوص بك في ١٦ ربيع أول ١٢٣٦ هـ؛ رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجنب العالي إلى أرتين بك في ١٧ رجب ١٢٦٤ هـ.

(١٠) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٣، قائمة بأسماء نظار الخارجية منذ عصر محمد على حتى عام ١٩١٤.

(١١) محافظ النوات تركى، رقم ١، وثيقة رقم ٣٩ / ١ ترجمة أمر من محمد علي إلى الخواجه موشيس صراف ميرمران أكرم حسن باشا في ١٠ ربيع أول ١٢٢٠ هـ.

(١٢) تراجم ملخصات دفاتر تركى، محفظة رقم ١، سجل رقم ١، معية تركى، وثيقة رقم ٢٩ في ٥ شعبان ١٢٢٥ هـ.

(١٣) محافظ بحر برا، رقم ٧، وثيقة رقم ٩١، ورقة ٨٨، ترجمة مكاتبة من محمد نجيب إلى الجنب العالي في آخر رجب ١٢٣٥ هـ.

(١٤) ديوان المعية تركى، س١/٤٧/٢(٥)، ص ٣٧، رقم ٣٧٩، أمر من محمد على إلى الكتخدا في ٢٧ نى القعدة ١٢٣٥ هـ.

(١٥) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أوامر الخزينة تركى، محافظ ٢، ٣، ٤، ٥ خلال الفترة من ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ.

(١٦) الجبرتي، المصدر السابق، ص ص ٤٤٨-٤٤٩.

(١٧) Madden, op. cit., p. 95.

(١٨) كانت التجارة في مصر خلال عصر محمد علي تُجرى بطريقتين رئيسيتين هما نظام الاحتكار الحكومي ونظام الامتياز.

محمود متولي، المصدر السابق، ص ٥٢-٥٣.

(١٩) Hamont, op. cit., Vol. 2, p. 345.

(٢٠) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

(٢١) ديوان خديو تركي، س/٢٠/٢٦ (٧٨٥)، ص ١٠٦، رقم ١٦٤، أمر من الجنا ب العالي إلى ديوان خديو في ٩ ربيع ثان ١٢٤٨ هـ.

(٢٢) ديوان المعية تركي، س/١/٥١/٢ (٥٤)، ص ١١٦، رقم ٤٢٩، أمر من الجنا ب العالي إلى مختار بك في ٩ ذي القعدة ١٢٥٠ هـ.

(٢٣) نفسه، س/١/٦٢/١ (٦٨)، ص ٢٥، رقم ٧٥، أمر من الجنا ب العالي إلى مختار بك في ٣ جماد أول ١٢٥١ هـ.

(٢٤) دار الوثائق القومية، ديوان المعية عربي، س ٨/٢/١ (٧٧)، ص ٤١٩، رقم ٣٣٦، مكتبة من كتخدا باشا إلى مأمور واردات القصر في ٢٠ ربيع ثان ١٢٦٨ هـ.

(٢٥) ديوان المعية تركي، س/١/٥٠/٧ (٢١)، ص ٢٦، رقم ١٣٥، مكتبة من المعية إلى الخواجه بوغوص في ١٢ شوال ١٢٤٠ هـ.

(٢٦) ديوان خديو تركي، س/٢٠/٤/٢٣ (٧٣٣)، ص ٢٠، رقم ٩٩، مكتبة من ديوان خديو إلى مديري مديريات شرق أطفيح والأقاليم الوسطى لغاية أسوان في ١٤ شوال ١٢٤٢ هـ.

(٢٧) ديوان المعية تركي، س/١/٤٧/١٥ (٣٨)، ص ٥٣، رقم ٤٨٢، أمر من الجنا ب

العالي إلى عبد الرزاق أغا مأمور المنصورة ومحلة دمنة في غرة شعبان ١٢٤٥ هـ.

(٢٨) ديوان خديو تركي، س/٢/٤٠/٣٦ (٧٨٥)، ص ١٣، رقم ٢٠، مكاتبة من المجلس العالي إلى ديوان خديو في ١٢ محرم ١٢٤٨ هـ.

(٢٩) نفسه، س/٢/٢٨/٥ (٣٧٤)، ص ٥٤، رقم ٤١٦، أمر من الجنب العالي إلي ديوان خديو في ١٥ جماد ثان ١٢٥٣ هـ.

(٣٠) محافظ الذوات تركي، رقم ٤، وثيقة رقم ١/٢٤٤، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي مختار بك في ١٨ ربيع أول ١٢٥٢ هـ.

(٣١) ديوان خديو تركي، س/٢/٥٦/١ (٨٠٦)، ص ١١٤، رقم ١٠٥، أمر من محمد علي إلي مأمور ديوان الخديوي في ٢ شعبان ١٢٥٠ هـ.

(٣٢) محافظ الذوات تركي، رقم ٧، وثيقة رقم ٧/٥٦، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي مفتش عموم الحسابات المصرية في ١٤ رجب ١٢٥٣ هـ.

(٣٣) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أوامر الخزينة تركي، محافظ ٢، ٣، ٤، ٥ خلال الفترة من ١٢٢٧-١٢٣٥ هـ.

(٣٤) ديوان المعية تركي، س/١/٥٠/٥ (١٨)، ص ٦٥، رقم ٦٤٥، مكاتبة من المعية إلي ناظر مبيضة بولاق في ٢٨ ربيع ثان ١٢٤٠ هـ.

(٣٥) نفسه، س/١/٤٧/٣ (٦)، ص ٨١، رقم ٧٥٥، أمر من الجنب العالي في ٢٢ ذي الحجة ١٢٣٦ هـ.

(٣٦) نفسه، س/١/٤٧/٧ (١٧)، ص ١٦، رقم ١٠٨، أمر من الجنب العالي إلي الخازن دار في غرة صفر ١٢٣٦ هـ.

- (٣٧) محافظ الذوات تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٢/٢٠٦، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف فى ٢٦ صفر ١٢٤٠ هـ.
- (٣٨) ديوان المعية تركى، س ١/٥٠/٧ (٢١)، ص ١٢٤، رقم ٦٢٧، أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص بك فى آخر جماد أول ١٢٤٢ هـ.
- (٣٩) محافظ الذوات تركى، رقم ١٢، وثيقة رقم ٥/٢٦٩، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الشيخ إسماعيل أفندى ناظر شونة الإسكندرية فى ٨ ربيع ثان ١٢٤٤ هـ.
- (٤٠) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، محفظة رقم ٣، أوامر ديوان التجارة، وثيقة رقم ١٢٧، أمر من الجنب العالي إلي بوغوص بك فى ١١ ربيع أول ١٢٤٣ هـ.
- (٤١) نفسه، رقم ٥٠، أوامر ديوان التجارة والمبيعات، أمر من الجنب العالي إلي أرتين بك فى ١٤ جماد ثان ١٢٦٣ هـ.
- (٤٢) محافظ الذوات تركى، رقم ٥، وثيقة رقم ١/١٠٦، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه قرة بت مأمور جمرك بولاق فى ١٣ ربيع ثان ١٢٢٧ هـ.
- (٤٣) نفسه، وثيقة رقم ١٢٢، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي إسحق وهوفانيس أمينى جمرك دسباط فى ١٧ شوال ١٢٣٠ هـ.
- (٤٤) محافظ بحر برا، رقم ٧، وثيقة رقم ٤، ترجمة مكاتبة من محمد نجيب إلي الجنب العالي فى غرة صفر ١٢٢٥ هـ.
- (٤٥) ديوان المعية تركى، س ١/٥٠/٥ (١٨)، ص ٢٣، رقم ١٦٧، مكاتبة إلي يوسف يعقوب الأرمنى ملتزم جمرك جدة فى ٢٣ رمضان ١٢٣٩ هـ.
- (٤٦) ديوان خديو تركى، س ٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ١٦٥، رقم ٣٩١، أمر من الجنب العالي إلي ديوان خديو فى ٢٢ شوال ١٢٤٥ هـ.

(٤٧) ديوان المعية تركى، س١/١٢/١ (٦٨)، ص ٢٢٥، رقم ٣٦١، أمر من الجنا ب العالي إلى بوغوص بك في ٢٩ رجب ١٢٥١ هـ؛ ديوان المعية عربى، س١/٨/١٥ (٥٨)، ص ٢٢٩، رقم ٢٠٨، مكاتبه من المعية السنية إلى وكلاء ديوانر القصر في ٢٦ محرم ١٢٦٧ هـ.

(٤٨) الجبرتي، المصدر السابق، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٤٩) ديوان المعية عربى، س١/٨/٨ (٤٤)، ص ٦٩٥، رقم ٢٢٠، مكاتبه من المعية إلى مجلس الأحكام في ١٦ رجب ١٢٦٦ هـ.

(٥٠) نفسه، س ١/٢/٥ (٦٣)، ص ٨٠٤، رقم ٨٠٨، مكاتبه من المعية السنية إلى ديوان المالية في ١٦ رجب ١٢٦٧ هـ.

(٥١) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

(٥٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر عال من الجنا ب العالي إلى الخواجه بوغوص في ٢٢ شوال ١٢٣٨ هـ؛ رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجنا ب العالي إلى بوغوص بك في ٥ ذى القعدة ١٢٥٧ هـ.

(٥٣) لمزيد من التفاصيل حول إنشاء هذا المصرف أنظر:

محمود متولي، المصدر السابق، ص ص ٥٣ - ٥٤؛ علي الجريتلى، تطور النظام المصرفى فى مصر، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة ١٩٦٠، ص ص ٢٠٠-٢٠٢. أمين مصطفى عفيفى عبدالله، تاريخ مصر الاقتصادية والمالى في العصر الحديث. الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٤٧١.

Hamont, op. cit., Vol. 2, pp. 304-305. (٥٤)

(٥٥) ديوان المعية عربى، س ١/١/٢٢ (٧٨)، صادر المعية إلى الدواوين والأقاليم، ص ١٢، مكاتبة من الديوان إلى الخواجه إسطفان (إستيبان) مترجم ديوان التجارة في ٢٧ ذى القعدة ١٢٢٨ هـ.

(٥٦) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، أوامر ديوان التجارة والمبيعات، مكاتبة من الديوان إلى الخواجه أبراهام أبرويان في ١٠ جماد ثان ١٢٢٨ هـ؛ مكاتبة من الجنب العالي إلى الخواجه بوغوص في ١٠ رجب ١٢٢٨ هـ؛ أمر من الجنب العالي إلى الخواجه أبرو في ١٢ شوال ١٢٥٩ هـ.

(٥٧) نفسه، أمر من محمد علي باشا إلى الخواجه بوغوص في ١٦ ربيع أول ١٢٢٦ هـ؛ رقم ٥٠، أمر من محمد على باشا إلى أرتين بك في ٢٦ جماد ثان ١٢٦٢ هـ؛ ديوان المعية تركى، س ١/٥٠/٤ (١٤)، ص ٢١، رقم ٨٢، أمر من محمد على باشا إلى بوغوص بك في ٢٩ شعبان ١٢٢٨ هـ.

(٥٨) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(٥٩) هيلين أن ريفيلين، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٥٤.

(٦٠) محافظ الذوات تركى، رقم ٥، وثيقة رقم ١/٢١٢، ترجمة أمر من الجنب العالي إلى رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف في ٣ صفر ١٢٤١ هـ.

(٦١) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجنب العالي في ١٦ شعبان ١٢٤٤ هـ.

(٦٢) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

- (٦٣) محافظ الذوات تركى، رقم ٢، وثيقة رقم ٦/٧٣، ترجمة أمر من الجناح العالى إلى زكى أفندى المكتوبى الخاص في غرة صفر ١٢٤٩هـ.
- (٦٤) Ninet, John, Le Commerce Européen d'Importation en Egypte de la Bazar Égyptien, Berne, 1866, p. 9.
- (٦٥) Deeh, op. cit., pp. 15-16.
- (٦٦) Regny. E. de, Statistique de L'Egypte 1870-1873, Alexandrie, p.72.
- (٦٧) Issawi, Charles, Egypt, An Economic and Social Analysis, London, 1946, p. 17.
- (٦٨) محافظ ملخصات دفاتر تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٧٢، ترجمة مكاتبه من حافظ خليل باشا ناظر البحرية إلى كاتب ديوان خديو في غرة ربيع ثان ١٢٧٢هـ.
- (٦٩) ديوان المعية عربى، س/١/١٣ (١٨٩١)، صادر الأوامر، ص ٥٨، رقم ٢٣، أمر كريم إلى نظارة المالية في ٢٣ ربيع ثان ١٢٧٥هـ.
- (٧٠) نفسه، س/١/٢ (١٨٨١)، صادر الأوامر، ص ٣٦٣، رقم ٥٨، أمر كريم إلى محافظ المحروسة في ٢٥ شعبان ١٢٧١هـ.
- (٧١) نفسه، س/١/٧ (١٨٨٥)، صادر الأوامر، ص ٧٠، رقم ١٥٦، أمر كريم إلى محافظ الإسكندرية في ٢٩ ذى الحجة ١٢٧٢هـ.
- (٧٢) أرماقيني (النخلة)، ١٦/٤/١٨٦٥، القاهرة . (بالأرمنية)
- (٧٣) Issawi, op. cit., p. 17.

- (٧٤) تويوزيان، المصدر السابق، ص ٦٢. (بالأرمنية).
- (٧٥) El-Gritly, Ali, "The Structure of Modern Industry in Egypt", L'Egypte Contemporaine, Le Caire, Vol. 38, 1948, p. 509.
- (٧٦) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١١٠. (بالأرمنية)
- (٧٧) محمد فهمى لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٤، ص ص ٤٧٩-٤٨١.
- (٧٨) Pankhurst, Sylvia, Ethiopia, London, 1955, pp. 489-507.
- (٧٩) الإتحاد المصرى ، عدد ١٠٤٣ ، الخميس ١٨٩١/٥/٢٦ :الأهالي، عدد ٣٥ ،
الخميس ١٨٩٥/١/١٧ : عدد ٣٧ ، الثلاثاء ١٨٩٥/١/٢٢ :الإخلاص، عدد ٥ ،
الجمعة ١٨٩٥/٦/٧ .
- (٨٠) Cromer, The Earl of, Modern Egypt, Edition 2, London, 1911. p. 630.
- (٨١) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٨٥ ، ١٨٩٧ ، خانات المهنة ومحل الميلاد
ومحل الإقامة.(بالأرمنية)
- (٨٢) بيزنطيون، ١٨٩٨/١/٣٠ ، الأستانة. (بالأرمنية)
- (٨٣) الأخبار، عدد ١٤١ ، الثلاثاء ١٨٩٧/١/٢٦ : عدد ١٥١ ، السبت ١٨٩٧/٢/٦ :
البريد، عدد ٢٣٧ ، الخميس ١٨٩٨/١٠/٢٠ : عدد ٢٤٠ ، الثلاثاء
١٨٩٨/١١/٢٢ : عدد ٢٤١ الثلاثاء ١٨٩٨/١٢/٦ .
- (٨٤) أحمد أحمد الحقة، تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير، دار
المعارف، القاهرة، ١٩٥٠، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

- (٨٥) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من محمد على باشا إلى الخواجه بوغوص في رجب ١٢٣٩ هـ.
- (٨٦) محافظ الذوات تركي، رقم ٢، وثيقة رقم ٦ / ٤، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي رستم أفندي ناظر مبيعات الأصناف في ٢٦ صفر ١٢٤٠ هـ.
- (٨٧) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢٤ جماد ثان ١٢٤٠ هـ.
- (٨٨) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ٢٢١.
- (٨٩) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٢٤٦ هـ - ١٩٢٨ م، الجزء الثاني، ص ٣٢٢.
- (٩٠) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢٢ جماد أول ١٢٤٢ هـ.
- (٩١) محافظ الذوات تركي، رقم ٩، وثيقة رقم ١٢٣ / ٢، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص في ١٧ شوال ١٢٤٢ هـ.
- (٩٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص في ١٧ رجب ١٢٤٢ هـ.
- (٩٣) أحمد أحمد الحته، تاريخ الزراعة المصرية، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (٩٤) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (٩٥) محافظ الأبحاث، المصدر السابق، ترجمة أمر من الجنب العالي إلي الخواجه بوغوص في ٢٥ ربيع ثان ١٢٣٩ هـ.
- (٩٦) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ٢٣٦.

- (٩٧) أحمد أحمد الحتة، تاريخ الزراعة المصرية، ص ١٤٧.
- (٩٨) Mengin, M. Felix, Histoire Sommaire de L'Egypte Sous Le Gouvernement de Mohammed Ali, Paris, 1839, p. 204.
- (٩٩) أحمد أحمد الحتة، تاريخ الزراعة المصرية، ص ٢٦٢.
- (١٠٠) هيلين أن ريفيلين ، المصدر السابق، ص ص ٢٣٦-٢٣٧.
- (١٠١) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهده عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، ١٩٣٤، ص ٤٤.
- (١٠٢) El-Muwelhi, Ibrahim, "L'Introduction de la Mandarine en Egypte", La Bourse Egyptienne, Le Caire. 13/8/1940.
- (١٠٣) Lutfi Al-Sayyid. Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali. p. 179.
- (١٠٤) Mengin, op. cit., p. 204.
- (١٠٥) Lutfi Al-Sayyid. Afaf, op. cit., p. 179.
- (١٠٦) عمر طوسون، الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا، الطبعة الثانية، الإسكندرية ، ١٩٣٢، ص ١٠.
- (١٠٧) نفسه، ص ٩.
- (١٠٨) ديوان خديو تركى، س ٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٩٥، رقم ٢١٨، مكاتبة من المجلس العالى إالى ديوان خديو في ٥ شوال ١٢٤٥ هـ.
- (١٠٩) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد على باشا، ج٢، ص ٤١٠.
- (١١٠) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٥٠. (بالأرمنية)

- (١١١) عمر طوسون، المصدر السابق، ص ٩.
- (١١٢) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ص ٢٢٠-٢٢١.
- (١١٣) محافظ الذوات تركى، رقم ٩، وثيقة رقم ٢/٢٠٢، ترجمة أمر من الجناح العالي إلي رستم أفندى ناظر مبيعات الأصناف في ١٨ صفر ١٢٤٠ هـ.
- (١١٤) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ٥، رقم ١٠، مكاتبة من المجلس العالي إلي الديوان الخديوى في ٢٨ شعبان ١٢٤٥ هـ.
- (١١٥) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ص ٢٢١-٢٢٣.
- (١١٦) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر في ١١ ربيع أول ١٢٤٦ هـ.
- (١١٧) محافظ الذوات تركى، رقم ٢، وثيقة رقم ٦/٧٣، ترجمة أمر من الجناح العالي إلي زكى أفندى المكتوبجى الخاص في غرة صفر ١٢٤٩ هـ.
- (١١٨) "Livres d'Or de la Fédération Egyptienne de l'Industrie", Le Caire, 1948, p. 201.
- (١١٩) مليكه عريان، مركز مصر الاقتصادى، القاهرة، ١٩٢٣، ص ص ٩٦-٩٧.
- (١٢٠) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٠ (بالأرمنية)؛ مليكه عريان، المصدر السابق، ص ٩٦.
- (١٢١) كارداشيان، المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٦ (بالأرمنية).
- (١٢٢) توبوزيان، المصدر السابق، ص ص ١٠١-١٠٢ (بالأرمنية).
- (١٢٣) البريد، عدد ٢٢٣، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/٥؛ عدد ٢٢٤، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/١٢؛ عدد ٢٢٥، الثلاثاء ١٨٩٨/٧/١٩؛ عدد ٢٢٨، الثلاثاء ١٨٩٨/٨/٩؛ عدد ٢٣١، الثلاثاء ١٨٩٨/٨/٣٠؛ عدد ٢٣٣، الثلاثاء ١٨٩٨/٩/١٣.

(١٢٤) كارداشيان، المصدر السابق ، ص ص ١٠٢-١٠٣. (بالأرمنية)

(١٢٥) توبوزيان، المصدر السابق، ص ص ١٠٢ - ١٠٣. (بالأرمنية)

(١٢٦) الزمان، عدد ٥٢٨، الثلاثاء ١٣/١/١٨٨٥.

(١٢٧) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٣. (بالأرمنية)

"Twentieth Century Impression of Egypt", London. 1909, (١٢٨)
p. 495.

(١٢٩) البريد، عدد ٢٣٥، الخميس ٦/١٠/١٨٩٨.

(١٣٠) اشترك أصحاب الحرفة الواحدة في فكرة الوعي بالمصالح الاقتصادية والدينية - الأخلاقية والإدارية والاجتماعية والمساعدة المتبادلة. وكان أعضاء الطائفة يشتركون معاً في الحياة اليومية بمرها وحلوها.

لمزيد من التفاصيل حول طوائف الحرف المصرية وعددها وتنظيمها وتركيبها
البنائي ومزاياها وعيوبها انظر:

سليمان محمد النخيلي، تاريخ الحركة العمالية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ٢٠-٢٣؛ صلاح أحمد هريدي، الحرف والصناعات في عهد محمد علي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ١٤-٤٩.

(١٣١) أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢، ص ص ٩٨-١٠٠.

(١٣٢) لقد تدفق المواطنون بكثرة إلي المدن خلال النصف الثاني من القرن التاسع

عشر مما زاد كثيراً من أعداد هؤلاء الذين لم يكونوا أعضاء في الطوائف الحرفية مما جعل من الصعب علي هذه الطوائف الاحتفاظ باحتكاراتها. وكان نمو المدن المصرية مصحوباً بتحديث تدريجي لمهن وحرف معينة.

سليمان محمد النخيلي ، المصدر السابق، ص ص ١٨-١٩ ، ٢٤-٢٦: جبريل بيير، دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، ترجمة: عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمي الجمال، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٠١-٣١٢؛

Ninet, op. cit., pp. 11-12.

(١٢٣) أنور عبد الواحد، قصة المعادن الثمينة. دار العلم، سلسلة المكتبة الثقافية، رقم ٨٩، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٨٢.

(١٢٤) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٨٤.

(١٢٥) علي زين العابدين، المصاغ الشعبي في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧٢.

(١٢٦) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أمر إلي الخواجه بوغوص في ٢١ شعبان ١٢٣٢ هـ: ديوان المعية عربي. س ١٢/٢/١ (٩٨)، ص ٦٩٦، رقم ٨٧٢، صادر من المعية السنوية إلي مجلس التجار في ١٨ شعبان ١٢٦٧ هـ.

(١٢٧) محافظ الذوات تركي، رقم ١٢، وثيقة رقم ٤٤٥، ترجمة مكاتبة من عثمان عصمت أمين جمر ك الإسكندرية إلي الخازن دار في ٢١ ذى القعدة ١٢٧٢ هـ: كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٧. (بالأرمنية)

(١٢٨) أمين سامي، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثاني من الجزء الثالث، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٩١٣.

Boudjikianian, Aida K.. "Les Rôles Socio-Economiques et Politiques des Arméniens d'Égypte au XIX Siècle". Colloques Internationaux du CNRS, Paris. 1983. No. 607. p. 444.

(١٣٩) ديوان خديو تركى، س٢/٤٠/١٢، (٧٦٠)، ص ٤٧، رقم ١٢٥، مكاتبة من ديوان خديو إلى راغب أفندى ناظر الضريخانة في ١٠ ربيع ثان ١٢٤٥ هـ.

(١٤٠) نفسه، ص ٥٠، رقم ١٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلى راغب أفندى ناظر الضريخانة في ١٢ ربيع ثان ١٢٤٥ هـ.

(١٤١) نفسه، س٢/٤٠/١٤ (٧٦٦)، ص ١٥٤، رقم ٣٦٣، مكاتبة من المجلس العالى إلى ديوان خديو في ٢ شوال ١٢٤٥ هـ.

(١٤٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٩، ترجمة أمر صادر في ١٦ صفر ١٢٥٤ هـ.

(١٤٣) ديوان المعينة تركى، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص ٢٩، رقم ٧٥، أمر عال إلى الكتخدا في ٢ شعبان ١٢٥٢ هـ.

(١٤٤) على زين العابدين، المصدر السابق، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٤٥) على مبارك، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٠.

(١٤٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٦؛ تعداد الأرمن الكاثوليك في عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المنية. (بالأرمنية)

(١٤٧) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٧٣.

(١٤٨) محافظ الذوات تركى، رقم ٤، وثيقة رقم ١/٩٦، ترجمة أمر عال من محمد علي باشا إلى رئيس التجار محمود حسن أغا في ١٧ محرم ١٢٢٣ هـ.

- (١٤٩) ديوان المعية تركى، س ١/٤٧/١ (٢)، ص ٣٢، رقم ٣٢٨، أمر من محمد على باشا إلى محمد أفندى ناظر الأرز برشيد في ١٥ رمضان ١٢٣٤ هـ.
- (١٥٠) ديوان خديو تركى، س ٢/٤٠/١٧ (٧٧٠)، ص ١٦٢، رقم ٢٤٣، مكاتبة من المجلس العالي إلى ديوان خديو في غرة ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.
- (١٥١) محمد فهمى لهيطة، المصدر السابق، ص ٤٥٥.
- (١٥٢) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامى ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المهنة (بالأرمنية)
- (١٥٣) نادية يوسف خفاجى، فن الزخرفة بالعقد «فن المكرمية»، دار المعارف، سلسلة إقرأ ، رقم ٤٢٩، القاهرة، ١٩٧٧، ص ص ٩٠-٩١.
- (١٥٤) كلوت بك، المصدر السابق، ص ص ٤٧٣-٤٧٤.
- (١٥٥) نادية يوسف خفاجى، المصدر السابق، ص ٩١.
- (١٥٦) Boudjikianian, op. cit., p. 444.
- (١٥٧) سعد الخادم، تاريخ الأزياء الشعبية في مصر. دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٤، ٣٥.
- (١٥٨) الزمان، عدد ٤٤٨، السبت ١١/١٠/١٨٨٤.
- (١٥٩) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٤٧٤.
- (١٦٠) صلاح أحمد هريدى، المصدر السابق، ص ٧٠: ألبويجيان، المصدر السابق، ص ٢٠٢ (بالأرمنية)
- (١٦١) الزمان، عدد ٢٧٦، الخميس ١٣/٢/١٨٨٤.
- (١٦٢) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١٠٦. (بالأرمنية)

- (١٦٣) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٩٤.
- (١٦٤) ديوان المعية عربي، س١/٨/٢٣ (٨٦ ج١)، ص ١٥، رقم ٥، أمر صادر في ٢٧ ذي الحجة ١٢٦٨ هـ.
- (١٦٥) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٩٠، ٩٠، ٣٠٩. (بالأرمنية)
- (١٦٦) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامي ١٨٨٥ و ١٨٩٧، خانة المهنة. (بالأرمنية)
- (١٦٧) Karpat, Kemal H., "Ottoman Population Records and the Census of 1881/82-1893", International Journal of Middle East Studies, London, 1968, No. 9, pp. 257-274.
- (١٦٨) تعدادات الأرمن الكاثوليك في عامي ١٨٨٥، ١٨٩٧، خانة المهنة.
- (١٦٩) حلمي محروس إسماعيل، دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٧٣.
- Issawi, op. cit., p. 35.
- (١٧٠) أزاد بيم (المنبر الحر)، ١٩٠٧/١/١٦، القاهرة. (بالأرمنية)
- (١٧١) علي بركات، تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره علي الحركة السياسية (١٨١٣-١٩١٤)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٧١-٧٢
- (١٧٢) دار الوثائق القومية، سجلات تقاسيط الأبعاد العشورية، رقم ١٢٢٨، ج٥، ص ٢١.
- (١٧٣) نفسه، رقم ١٢٣٠، ج ٧، ص ٥٧.
- (١٧٤) نفسه، رقم ١٢٣٩، ج ١٥، ص ١٢١.

(١٧٥) نفسه، رقم ١٢٢٧، ج ١٢، ص ٦٥.

(١٧٦) نفسه، رقم ١٢٢٩، ج ١٥، ص ١٥٨.

(١٧٧) نفسه، رقم ١٢٢٨، ج ١٤، ص ٨١.

بنه تاكوهى هى شقيقة الاخوين اوتين وخسروف تشاراكبان. وكانت تعمل وصيفة لوالدة عباس الأول.

كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٢. (بالأرمنية)

(١٧٨) سجلات تقاسيط الأبعاد العشورية، المصدر السابق، ص ١٩٣.

استدان عباس الأول مبلغاً كبيراً من المال من جرابيد كالوسديان عندما اضطر للرحيل إلى الحجاز في عام ١٨٤٧ لأسباب سياسية. وعندما تولي عباس حكم مصر كافاه في نظير ذلك بنظارة دار سك العملة بين عامي ١٨٤٩ - ١٨٥٤.

كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٣. (بالأرمنية)

(١٧٩) سجلات تقاسيط الأبعاد العشورية، رقم ١٢٤١، ج ١٧، ص ٧٤.

(١٨٠) نفسه، ص ١٦٠.

(١٨١) نفسه، رقم ١٢٥٣، ج ٢٩، ص ١٢٩-١٤١.

(١٨٢) نفسه، رقم ١٢٧٣، ج ٤٨، ص ١٠-١١، ٢٢٠-٢٢٢.

(١٨٣) نفسه، رقم ١٢٧٣، ج ١٣، ص ٣٤.

(١٨٤) نفسه، رقم ١٢٤٢، ج ١٨، ص ٢٥.

(١٨٥) نفسه، رقم ١٢٤٥، ج ٢١، ص ٩٤.

- (١٨٦) نفسه، رقم ١٢٢٥، ج ١٢، ص ٢١٩.
- (١٨٧) نفسه، رقم ١٢٢٣، ج ١٠، ص ٣٠.
- (١٨٨) نفسه، ص ٩٤.
- (١٨٩) نفسه، رقم ١٢٢٧، قسم ٢ من ج ١٢، ص ٢٤.
- (١٩٠) نفسه، رقم ١٢٨٠، ج ٥٦، ص من ٨٥-٨٦، ١٢٨-١٢٩.
- (١٩١) نفسه، رقم ١٢٢٥، ج ١٢، ص ١٤٨.
- (١٩٢) نفسه، رقم ١٢٤١، ج ١٧، ص ٢.
- (١٩٣) نفسه، رقم ١٢٢٥، ج ١٢، ص ٢١٥.
- (١٩٤) نفسه، رقم ١٢٤٢، ج ١٨، ص ٤٦.
- (١٩٥) نفسه، رقم ١٢٤٣، ج ١٩، ص ٢١٥.
- (١٩٦) نفسه، رقم ١٢٧٤، ج ٥٠، ص من ٨٤-٨٥.
- (١٩٧) نفسه، رقم ١٢٨٣، ج ٥٩، ص ٢١٦.
- (١٩٨) نفسه، رقم ١٢٨٥، ج ٦١، ص من ٩٤-٩٥.
- (١٩٩) نفسه، رقم ١٢٩٤، ج ٧٠، ص من ١٩-٢٠.
- (٢٠٠) نفسه، رقم ١٢٩٧، ج ٧١، ص من ٧٢-٧٤.
- (٢٠١) على بركات، المصدر السابق، ص من ١١١-١٢٢.
- (٢٠٢) سجلات تقاسيط الأبعاد العشورية، رقم ١٢٦٤، ج ٤٠، ص من ٧٧-٧٩.
- (٢٠٣) نفسه، رقم ١٢٧٣، ج ٤٩، ص ٧١.
- (٢٠٤) نفسه، رقم ١٢٨٩، ج ٦٥، ص ١٢٤.

- (٢٠٥) نفسه، رقم ١٢٤٩، ج ٢٥، ص ٢٠٤.
- (٢٠٦) نفسه، رقم ١٢٥٣، ج ٢٩، ص ص ٤-٥.
- (٢٠٧) نفسه، رقم ١٢٧٤، ج ٥٠، ص ص ٨-١٠.
- (٢٠٨) رؤوف عباس حامد، النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧-١٩١٤، دار الفكر الحديث، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٦١.
- (٢٠٩) ديوان المعية تركي، س ١/٥٧/٢ (٥٨)، ص ٢٢، رقم ٩٧، مكاتبة من المعية إلى ناظر دمنهور والرحمانية في ٤ صفر ١٢٤٩ هـ.
- (٢١٠) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٠٧-١٠٨. (بالأرمنية).
- (٢١١) رؤوف عباس حامد، المصدر السابق، ص ١٦٦.
- (٢١٢) على بركات، المصدر السابق، ص ١٧٤.
- (٢١٣) Sanjian, Avedis, K. The Armenian Communities in Syria under Ottoman Dominion, Cambridge, 1965, p. 157.
- (٢١٤) دار الوثائق القومية، سجلات عمالدين تركي، س ١٠/٥١/٥ (٢١٤)، ص ١٩، رقم ٨٤، أمر من الجناب العالي إلى شريف باشا في ١١ محرم ١٢٥٣ هـ.
- Sanjian, op. cit., p. 128. (٢١٥)
- Adalian, op. cit., p. 123. (٢١٦)
- Ibid., pp. 123-124. (٢١٧)



الفصل الرابع

الأرمن في الجهاز الحكومي

١- التعليم

٢- المالية

٣- السكك الحديدية

٤- التجارة والخارجية

٥- الحقانية

٦- الداخلية

٧- الأشغال

لقد أراد محمد علي أن يُنشئ أداة حكومية تُساعدُه على إقامة دولة حديثة. لذا، لم يتردد في تعيين العناصر الملائمة لمشروعاته وإبعاد العناصر المناوئة لها. وارتكز تقلد الوظائف على أساس قدرات الشخص ومدى استفادة الحكومة منه. وفي هذا الصدد، استعان محمد علي بعناصر عديدة مثل الأتراك والأكراد والجراكسة والألبان والأرمن. كما استعان بالأوروبيين على مضض لعدم ثقته في معظمهم لأنه يعرف جيداً أنهم يعملون لمصلحتهم قبل مصلحة الدولة. واتضح له أن أغلبهم غير كفاء للمهام التي عُهدت إليهم علاوة على ارتفاع مرتباتهم.^(١) ثم، بدأ محمد علي يستعين بالمصريين (أولاد العرب) بدلاً من الأتراك في أعقاب الحملة السورية الأولى في عام ١٨٣٢، وبدلاً من الفرنسيين والإيطاليين وغيرهم عقب تدخل القوى الكبرى ضده في عام ١٨٤١ لصالح السلطان العثماني وحجمت إمبراطوريته وسلطاته.^(٢) وجدير بالذكر أن تعيين المصريين قد أغضب الأتراك والأرمن الذين أخذوا يضعون العراقيل أمامهم ويرتفعون عن العمل معهم حتى أن محمد علي قد طلب منهم نبذ أسلوبيهم.^(٣)

وكذا، اتبع محمد علي سياسة إرسال البعثات التعليمية إلى أوروبا في مختلف التخصصات بهدف تكوين جهاز من الموظفين المُنتقين والمخلصين للمساهمة في تنفيذ مخطمحه بتحويل مصر إلى مصاف الدول الحديثة بأسرع، وربما أقصر، الطرق الممكنة.^(٤) هنا أيضاً، أرسل بعض أبناء الأرمن العاملين في خدمة محمد علي وخلفائه ضمن هذه البعثات. فقد أرسل يوسف حكيكيان إلى إنجلترا لدراسة الهندسة ضمن بعثة عام ١٨١٧، وأرسل أربعة من الأرمن الكاثوليك ضمن بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا^(٥) وهم: الأخوان آرتين وخسروف تشراكيان وإسطفان دميروچيان

الذين تخصصوا في الإدارة ويوسف الأرمني الذي تخصص في الزراعة.^(٦)

كما أختير ستة من الأرمن ضمن طلبة بعثة الأنجال إلي فرنسا في عام ١٨٤٤ وهم: الأخوان إسطفان وأرتين خاتشادور والأخوان أوهان ويوسف إسطفان ونويار أفندي الذين تخصصوا في الإدارة والقانون وبييترو أفندي الذي تخصص في الطب. وفي عام ١٨٥٥ أرسل مارجوسوف الكبير ومارجوسوف الصغير لدراسة الطب والهندسة بفرنسا.^(٧) وظل الأرمن يرسلون ضمن البعثات التعليمية إلي أوروبا. ولكن، انخفضت أعدادهم بشكل ملحوظ في البعثات المتأخرة بسبب الإلتجاه إلي إرسال المصريين بكثرة.^(٨)

هنا، يلاحظ عدة نقاط علي الطلبة الأرمن المبعوثين إلي أوروبا:

أولاً : كان هؤلاء الطلاب جميعاً من أبناء الأسرات الأرمنية التي جاءت إلي مصر بطموحات في مستقبل أفضل لأبنائها.^(٩)

ثانياً : أرسلوا جميعاً إلي فرنسا عدا يوسف حكيكيان. ولامناص في أن هذا سيؤثر في صياغة اتجاهاتهم السياسية والثقافية بلا ريب.

ثالثاً: كان الأرمن، لكونهم مسيحيين، أكثر أعضاء البعثات استساغةً وانسجاماً وتفاعلاً مع الغرب.^(١٠) ومن ثم، كانوا أكثر استفادةً مما سيكون له أثاره بعد عودتهم إلي مصر وتقدم وظائف.

رابعاً : تخصص معظم الطلاب الأرمن في العلوم التي يتطلبها بناء دولة حديثة مثل الإدارة والقانون والهندسة والطب.

خامساً : اندمج الأرمن مع أبناء محمد على وأحفاده الذين أرسلوا ضمن هذه البعثات ووثّقوا علاقاتهم بهم مما سيؤثر، ولاشك، في مستقبلهم الوظيفي. ولا غرو أن ارتقى طلبة البعثات إلي أعلى السلم الإداري.

هذا، وقد أسس محمد علي المدارس المختلفة لإعداد الموظفين والتحق بها الأرمن مثل مدرسة القصر العيني التي تأسست في يولية ١٨٢٥ وغيرها.^(١١) وجدير بالذكر أن التعليم ظل طوال القرن التاسع عشر هو الممول الرئيسي للإدارة المصرية بالإداريين والفنيين، حتى أن الإنجليز بعد احتلالهم مصر قد وثّقوا الصلة بين التعليم والوظيفة، فكان حاملو الشهادات يُرشحون تلقائياً لتقلد الوظائف. ومن ناحية أخرى، ظلت عملية التوظيف في أيدي الحكام وحسب هواهم حتى صدور الأمر العالي في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ بتشكيل أول نظارة مسنولة فدخلت قواعد التوظيف في دور التنظيم.^(١٢)

وإضافةً إلي الأرمن المتعلمين الذين تقلدوا وظائف حكومية، فقد اشتغل عددٌ كبيرٌ نسبياً من الأرمن غير الحاصلين علي مؤهلات علمية بالوظائف الحكومية المختلفة. ولم يكن اشتغال الأرمن بالخدمة المدنية المصرية نتيجة لدورهم الاقتصادي، بل نتيجة لعلاقات الأرمن الوثيقة بالحكام والحاجة إلي قدرتهم العملية. ومن ثم، عمل الأرمن تقريباً في معظم أجهزة الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر كما سيأتى.



١- التعليم

يُعد جهاز التعليم^(١٢) أهم أجهزة الحكومة المصرية التي اشتغل بها الأرمن خلال القرن التاسع عشر. إذ ساهموا نسبياً في تنظيم البعثات التعليمية إلى أوروبا وساهموا كثيراً في تنظيم التعليم وتطويره في مصر وفقاً لمتطلبات الحكومة.

كان بوغوص يوسفیان مسئولاً عن تنظيم البعثات التعليمية إلى أوروبا. إذ أسفرت اتصالاته مع أصدقائه الأوربيين عن استبعاد إيطاليا لانتشار أنظمة الحكم الاستبدادي فيها وتعصبها دينياً ضد المسلمين. ولكنه أثر فرنسا التي اتسمت بتسامحها مع الغرباء ومؤسساتها التعليمية ذات المستوى الرفيع فضلاً عن مناخها الصحي. وقد اختار بوغوص عدداً كبيراً من أعضاء بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا، منهم أربعة أرمن كما سبق.^(١٤) وظل بوغوص يُنظم البعثات إلى أوروبا ويتراسل مع المشرفين والمسؤولين هناك.^(١٥) وأقام المبعوثون إلى إنجلترا عند صديقه الحميم بريجز Briggis. فقد أصدر محمد علي أمراً إلى ابنه إبراهيم باشا في نهاية شعبان ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) بإعداد سبعة عشر تلميذاً بواسطة بوغوص إلى بيت بريجز بإنجلترا كي يتعلموا فن البحرية.^(١٦) وبذا، استفاد محمد علي من العلاقات الشخصية لبوغوص يوسفیان.

وكذا، تقلد إسطفان دميرچيان (رسمى) إدارة المدرسة المصرية الحربية ببافيس^(١٧) وساعده خسروف تشاراكيان سكرتير محمد علي ومترجمه آنذاك. وكلاهما من خريجي بعثة عام ١٨٢٦ إلى فرنسا.^(١٨) وقد وُضعت بعثة الأنجال المُرسلة إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ لدراسة المواد العسكرية تحت إشراف إسطفان دميرچيان. وتُعد هذه البعثة أكبر

البعثات التي أرسلت إلى أوروبا - تكونت بدايةً من سبعين طالباً - وأعظمها شأنًا وآخر بعثة كبرى أوفدها محمد علي^(١٩). هذا، وقد اشترك في ٢٠ أبريل ١٨٤٤ كلٌ من إسطفان ووزير الحربية الفرنسي وجومار Jonard في وضع لائحة تُنظّم المسائل التعليمية والإدارية للطلاب. وفي ١٠ يونية ١٨٤٥ وصل الأمير حليم - ابن محمد علي - إلى فرنسا ومعه اثنان وعشرون طالباً تحت إشراف خسروفت تشاراكيان الذي مكث شهوراً قلائل بباريس ثم عاد إلى مصر في نوفمبر ١٨٤٥. وقد وقع خلافٌ حول انتظام المبعوثين الجدد في المدرسة الحربية بباريس. فقد أراد وزير الحربية الفرنسي فصلهم عن الطلبة القدامى في مبنى خارج المدرسة ووضعهم تحت تدريب خاص. ولكن إسطفان عارض هذه الفكرة علي أساس أن محمد علي لن يسمح بتشتيت الطلاب في أماكن متعددة^(٢٠). وظل إسطفان مديراً للمدرسة المصرية بباريس حتى أغلقها عباس الأول في مايو ١٨٤٩. وقد حققت فترة إدارته نجاحاً ملحوظاً عن بعثة ١٨٢٦ حيث أصبحت الإدارة موحدة ومنظمة، وسُمح للطلاب بحرية نسبية في اختيار مواد الدراسة^(٢١). ولذا، أنعم عليه برتبة الشق الأول من رتبة الأميرالاي^(٢٢).

كما شارك الأرمن المبعوثون بعد عودتهم إلى مصر في تنظيم المدارس العليا التي أسسها محمد علي، بل ارتبط تأسيس بعض هذه المدارس وتنظيمها بشخصيات أرمنية. فقد، أعيد افتتاح مدرسة الهندسة ببولاق في ١٥ محرم ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤) وضمّت إليها في شوال ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) مدرستا المهندسين بالقناطر الخيرية والمعادن بمصر القديمة^(٢٣). بدايةً، تعين أرتين تشاراكيان وكيلاً لها منذ مايو حتى ٢٠ أبريل ١٨٣٤^(٢٤). ثم تولي يوسف حكيكيان إدارتها منذ نوفمبر

١٨٢٤ حتى سبتمبر ١٨٢٨. وأنعم عليه خلالها برتبة قائمقام (١٨٢٧) وأميرالاي (١٨٢٨).^(٢٥) وقد أصدر محمد علي أوامره إلي حكيكيان يحثه على ضرورة الجدية والحماس والدقة في التعليم حتى لا يتعرض للإيذاء.^(٢٦) وتعد هذه المدرسة من أهم المدارس التي أسسها محمد علي لأنها أخرجت عدداً كبيراً من المهندسين الذين قدموا خدمات جليلة لمصر.^(٢٧)

وكذا، افتتحت مدرسة الإدارة الملكية بالقلعة في ١٦ جماد أول ١٢٥٠ هـ (٢٠ أبريل ١٨٢٤) تحت إدارة أرتين تشاركيان وإسطفان ديمرجيان لتخريج موظفين ومترجمين يقومون بنقل الكتب التي ترغب الحكومة في ترجمتها من الفرنسية والإيطالية إلي التركية والعربية.^(٢٨) وجدير بالذكر أن أرتين وإسطفان قد نظما دراسات تمهيدية لدراسة الإدارة تتكون من اللغة الفرنسية وعلم المحاسبة ومبادئ الهندسة والجغرافيا - علي نحو ما درساه بفرنسا - يتلقاها التلاميذ في أوقات غير تلك المقررة لدراسة مواد الإدارة. كما كان عليهما، زيادةً على التدريس، إعداد دروس في الإدارة المدنية لكي تلقى على التلاميذ في مراحل تالية. ولكن لم يتمكن المديران لضيق وقتهما، من الإشراف الدقيق علي تنفيذ البرنامج التعليمي، فتعين لهما مساعدان.^(٢٩) وقد نالت هذه المدرسة رعاية خاصة من محمد علي لأنها ترجمت العديد من الكتب التي أراد قراءتها لنفسه. ورغم هذا، أُلغيت ونُقل تلاميذها إلي مدرسة الألسن في نهاية سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٦).^(٣٠)

وقد تأسست مدرسة الزراعة في عام ١٨٢٣ بعد عودة المبعوثين الذين درسوا الزراعة في روفيل بفرنسا - وبينهم يوسف الأرمني - ثم

نقلها محمد علي في سنة ١٨٢٦ إلى نبروه بمديرية الغربية للاستفادة من اتساع مساحتها في سهولة إجراء التجارب. واستدعى محمد علي من فرنسا ستة من الأخصائيين فضلاً عن الآلات الحديثة.^(٣١) وقد أدارها في البداية مسيو جرانجان Grandjean وعمل معه يوسف الأرمني مترجماً ومدرساً. بيد أن الأساليب التي استخدمتها البعثة الزراعية الفرنسية قد قوبلت بمعارضة شديدة من الأهالي والسلطات المحلية، فاستقال جرانجان وغادر مصر. ثم خلفه يوسف الأرمني في نظارة المدرسة بفضل وساطة الأرمن الموجودين في حاشية محمد علي. ولكنه لم يحقق نتائج أفضل، إذ أديرت المدرسة بأسلوب رديء وتكلفت المحاصيل التي زرعها ضعف نفقات الإنتاج.^(٣٢)

كما اشترك يوسف حكيكيان في سنة ١٨٢٦ ضمن اللجنة المنتدبة لتنظيم مدرسة المدفعية بطره.^(٣٣) وتولى نظارة مدرسة الفنون والصنائع (العمليات) التي تأسست في سنة ١٨٢٩ وشهدت حكمها الذهبي إبان نظارته. ثم أغلقها سعيد باشا. ولكن نوبار باشا أعاد فتحها وتنظيمها خلال حكم إسماعيل.^(٣٤) وكذا، تولى يوسف الكاشف تنظيم الشئون الإدارية كالضبط ورئاسة العمال من كتبة وخدم وغير ذلك في مدارس المعادن والهندسة والألسن.^(٣٥)

وجديرٌ بالذكر أن يوسف حكيكيان وأرتين تشراكيان وإسطفان دميرچيان قد اشتركوا في معظم اللجان والمجالس التي أعدت لتنظيم التعليم وتطويره خلال حكم محمد علي بدايةً من لجنة تنظيم المدارس في سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٦) ثم مجلس شورى المدارس وديوان المدارس منذ ذى القعدة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٧) حتى لجنة تنظيم التعليم في سنة ١٨٤١.^(٣٦)

وكذا، ساهم الأرمن في عملية ترجمة الكتب اللازمة لإعداد المناهج التعليمية في المدارس المختلفة . إذ صدرت الأوامر إلى إسطفان وأرتين وحكيكيان ويوسف الأرمني لترجمة الكتب من اللغات الأوروبية إلى اللغتين التركية والعربية أو العكس.^(٣٧) فعلى سبيل المثال، ترجم إسطفان بمفرده عدداً كبيراً من الكتب إلى اللغة التركية مثل «تعليمخانه الفرسان» في سنة ١٨٢٤، واشترك مع حكيكيان وأرتين ويوسف الأرمني ومختار بك وكانى بك في ترجمة أربعة أجزاء من كتاب «روضة العمران» من العربية إلى الفرنسية في سنة ١٨٢٥. وقد ترجم يوسف حكيكيان كتاب «كيفية عمل البارود الأسود» من الإنجليزية إلى التركية في سنة ١٨٣٦ وغيرها.^(٣٨) هذا، وقد رأس ميناس أفندى المترجم بديوان المدارس القسم التركي في قلم الترجمة الذي تأسس في إطار تنظيمات لجنة التعليم في سنة ١٨٤١.^(٣٩)

وهكذا، قام الأرمن بدور هام في تنظيم التعليم وتطويره خلال حكم محمد علي، ويلاحظ أن جميع الأرمن العاملين في مجال التعليم كانوا ممن تلقوا تعليمهم العالي في فرنسا علي نفقة الحكومة المصرية عدا يوسف حكيكيان الذي تعلم في إنجلترا.

كما كانت لهم رؤية خاصة عن التعليم لاسيما يوسف حكيكيان الذي كان يرى أن التعليم من وسائل ارتقاء العقل وأنظمة الحكم، ويُفضل إقامة مؤسسات تعليمية ذات مناهج موحدة تنخرط فيها جميع طبقات الشعب دون تفرقة وتُفرض على الجميع ضرائب تكون بمثابة ميزانية لها، ويتطلع إلى إقامة نظام تعليمي عالمي مُوحد كوسيلة لتوحيد المبادئ الأخلاقية في العالم كله.^(٤٠) بيد أن أهم ملاحظات حكيكيان كانت

إشارته إلي محمد علي بأهمية تعليم البنات في مصر بدايةً من بنات
أعلي الطبقات ونزولاً حتى بنات العامة.^(٤١) ورغم هذا، لم يكن بإمكانهم
تنفيذ شيء من فكرهم لأنهم مجرد منفذين للأوامر وليسوا صناعات للقرار.
ومهما يكن، يشهد هامون - عدو الأرمن - بأن الأرمن العاملين في
الجهاز التعليمي خلال حكم محمد علي كانوا أنشط الأعضاء وأكثرهم
تأثيراً.^(٤٢)

أما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فلم يظهر من
الأرمن في مجال التعليم سوى يعقوب أرتين باشا
(١٨٤٢/٤/١٥ - ١٩١٩/١/٢٠) - ابن أرتين بك تشاركيان مدير التجارة
والأمور الخارجية سابقاً - الذي تولى منصب وكيل نظارة المعارف
العمومية منذ أبريل ١٨٨٤.^(٤٣) ومما هو جدير بالذكر أن يعقوب أرتين
كان يطمح إلى تقلد منصب «ناظر»، لذا، اجتهد بكل طاقته منذ البداية
في إعادة تنظيم شئون التعليم.^(٤٤) ولكن، قوبلت تنظيماته بتذمر شديد
من قبل العاملين بنظارة المعارف. ولذا، قدم استعفاءه إلى الخديو توفيق
بسبب الخلل الواقع في هيئة التعليم وفي سلوك القائمين عليه. ومن ذلك
الخلل، مثلاً، أن كثيراً من التلاميذ يأتون إلي المدارس ليأخذوا الملابس
ثم لا يعودون إليها، بيد أن توفيقاً رفض الاستعفاء لأنه أدرك الفوضى
السائدة في جهاز التعليم فضلاً عن كفاءة يعقوب أرتين.^(٤٥)

منذ ذلك الوقت، استأثر يعقوب أرتين بنصيب كبير في تنظيم نظارة
المعارف يُساعده على ذلك إحرازه ثقة جميع النظار الذين توالوا على
نظارة المعارف، وانشغال هؤلاء النظار بأعمال نظارة الأشغال عندما
كانوا يرأسونها مع نظارة المعارف وتركهم أعمال المعارف إلى يعقوب

أرتين حتى أنهم كانوا لا يذهبون إلي نظارة المعارف سوى يومين فقط في الأسبوع.^(٤٦) وفي الحقيقة لقد ترك يعقوب أرتين بصمات ملموسة على إدارة التعليم وتنظيمه. فهو أول من طبق قوانين التعليم الموضوعة بكل دقة. واستن فكرة تقديم تقرير سنوي عن حالة التعليم إلي حاكم البلاد، ووضع لوائح الشهادات والدبلومات، وأول من فكر في مكافأة المؤلفين والمترجمين.^(٤٧) وأوجد في عام ١٨٩٧ وظيفة «سكرتير عموم نظارة المعارف» لمساعدة الوكيل في جمع مُحَررات أقلام النظارة من عربية وإفرنجية وترجمة وتفتيش لعرضها عليه، وعلي أن يكون مسنولاً بصفة خاصة عن إدارة التفتيش. وقد كانت هذه الأعمال من قبل واقعةً علي عاتق الوكيل بمفرده.^(٤٨)

كما نُظِّم يعقوب أرتين مناهج الدراسة مع نخبة من الأساتذة خلال الفترة بين عامي ١٨٨٥ - ١٨٩٢ تم خلالها تصفية المناهج من المواد الزائدة وتركيزها على المواد العملية.^(٤٩) وقد أولى يعقوب أرتين عناية كبيرة باللغات الأوربية حتى أنه شرع في تدريس مناهج المرحلة الابتدائية باللغة الإنجليزية. بيد أن الضديو عباس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤) رفض هذا وأقر في ١٦ مايو ١٨٩٣ تدريس المناهج باللغة العربية.^(٥٠) ويُعلل أرتين اهتمامه باللغات الأوربية على أنها ضرورية لمعرفة العلوم الحديثة وانتظام الإدارة.^(٥١)

وقد جعل يعقوب أرتين الألعاب الرياضية مادةً أساسيةً في المناهج الدراسية.^(٥٢) كما نُظِّم الامتحانات مع لجنة من نظار المدارس ومفتشيها ومدرسيها خاصةً امتحانات السنة النهائية بالمدارس الثانوية التي كان يسودها الارتباك. فأمرت اللجنة بتوحيدها تحت اسم «امتحانات شهادة

إتمام الدراسة الثانوية»، وأصبح النجاح فيها شرطاً أساسياً للالتحاق بالمدارس العالية.^(٥٣) وكان يعقوب أرتين يحرص فى إعداد المدرسين على أن يكونوا من المتخصصين الذين تعلموا بهدف تعليم الآخرين وممن لديهم دراية تامة بطرق التدريس على أحدث الوسائل التعليمية.^(٥٤) كما اهتم بعملية التفتيش على المدارس وسعى إلى توسيع نطاقه فطالب الحكومة بضرورة توفير السيولة المالية لإعداد مفتشين أكفاء متفرغين لهذا العمل فقط. ولكن، ظل التفتيش حتى نهاية القرن التاسع عشر فى طور التقنين.^(٥٥)

هذا، وقد سعى يعقوب أرتين تدريجياً إلى إلغاء مجانية التعليم بسبب عجز ميزانية الحكومة عن الوفاء بجميع مصروفات التعليم واستفادة الأغنياء منها دون الفقراء ومنحها لأصحاب المحسوبية دون مراعاة للكفاءة. وفى نفس الوقت، طالب بزيادة المصروفات المدرسية بمقدار ما تُنفقه الحكومة على التلميذ وإضافة هذه المصروفات إلى ميزانية نظارة المعارف لاستثمارها فى تحسين المستويين الفنى والمعيشى للمدرسين وفى تطوير المؤسسات التعليمية الموجودة آنذاك فنياً وصحياً ثم فى إنشاء مدارس علي المدى البعيد.^(٥٦)

بيد أن البعض قد ذهبوا إلى أن هذه الإجراءات كانت تهدف إلى تقييد نشر التعليم بين أبناء الشعب المصرى طبقاً للمخطط الإنجليزى بإلغاء المجانية وجعل التعليم بمصروفات مع تقليل عدد المدارس.^(٥٧) ويعزو يعقوب أرتين عدم إنشاء مدارس جديدة إلى أنه لا يمكن فرض ضريبة تعليمية علي الأهالى للإنفاق منها علي هذه المدارس نظراً لسوء حالتهم الاقتصادية، كما أن ميزانية الحكومة لا تسمح بالإنفاق علي

مستلزمات هذه المدارس.^(٥٨) كما كان يرى أن فعالية عدد قليل من المدارس يُعد أفضل بكثير من تكاثر المدارس الرديئة.^(٥٩) ولكنه في نفس الوقت كان مؤمناً بقدرات الجيل الذي يُعد في المدارس المصرية من حيث تحمل عبء مسئولية نشر التعليم العام في المستقبل.^(٦٠) كما ذهب البعض إلى أن يعقوب أرتين كان لا يريد خيراً بنشر روح التعليم الإسلامي لأنه مسيحي.^(٦١) في حين أثنى عليه البعض الآخر لخدمته التعليم نحو رُبع قرن بذل فيه جهوداً واسعة في تنظيمه وتطويره على أسس متينة.^(٦٢) كما أطلق عليه لقب «الأستاذ الكبير» بسبب تنظيماته المثمرة في التعليم.^(٦٣)

وجدير بالذكر أن يعقوب أرتين قد اشترك خلال توليه منصب وكيل نظارة المعارف في أعمال عدة لجان مختلفة. فعلى سبيل المثال، اشترك في عام ١٨٨٦ ضمن لجنة ترتيب مسألة الاجازات للموظفين. وترأس لجنة دراسة دفاتر الأطنان الزراعية لمنطقة سيدى غازى بالبحيرة . ومنذ ٢٠ يونية ١٨٨٦ أصبح عضواً في «لجنة تحديد الأوزان والمسافات».^(٦٤) وفى سبتمبر ١٨٨٦ كان رئيساً للبعثة المصرية المرسلة لحضور مؤتمر علماء اللغات الشرقية المنعقد بفيينا Vienna.^(٦٥) كما كان عضواً دائماً بجمعية المعارف المصرية.^(٦٦) ومنذ ٩ نوفمبر ١٨٨٧ أصبح يعقوب أرتين عضواً في لجنة الآثار التاريخية.^(٦٧) وفى نفس العام أيضاً كان عضواً في لجنة ضرائب التركات. وفى ديسمبر ١٨٨٧ اشترك في لجنة «إخبال نظام الترشيح في الإدارة المصرية». ومثل الحكومة المصرية في مؤتمر التلغراف الدولي الذي انعقد في ١٥ مايو ١٨٩٠ بباريس.^(٦٨) ومنذ عام ١٨٩٥ كان ضمن لجنة مكافحة الآفات وبودة القطن، ونظم المعرض

الزراعى الذى أقيم عامنذ بمصر.^(٦٩) كما كان عضواً دائماً فى مجلس عموم الصحة.^(٧٠)

ونتيجةً لتعدد أنشطة يعقوب أرتين فقد أنعم عليه بعدة رُتب ونياشين مثل رتبة المُتمايز فى ١٢ نوفمبر ١٨٨٢ ، ونیشان درجة ثانية من اليونان فى ٢١ فبراير ١٨٨٤ ونیشان مجيدى درجة ثانية فى ١٢ مارس ١٨٨٤ ، ورتبة الميرميران فى ٢١ أبريل ١٨٨٤ ، ونیشان درجة ثانية من النمسا فى أول يولية ١٨٨٤ ، ونیشان درجة رابعة فى ٥ نوفمبر ١٨٨٤ ، ونیشان درجة ثانية من روسيا فى ٩ مايو ١٨٨٥ ، ونیشان درجة ثالثة من إيطاليا فى ٢٠ يونية ١٨٨٥ ، ورتبة روم بكريلى فى مارس ١٨٨٧ ، ونیشان مجيدى درجة أولى فى مايو ١٨٩١ وغير ذلك.^(٧١)

على أن يعقوب أرتين، وإن حظى بإعجاب توفيق، كان مكروهاً بشدة من عباس حلمى الثانى الذى اعتقد أنه حليفٌ للإنجليز.^(٧٢) والحقيقة أنه يصعب تحديد الاتجاهات السياسية ليعقوب أرتين لأنه أقام علاقات ودية مع الخديو والموظفين وإنجلترا وفرنسا والباب العالى. وكان دائماً يُخفى بأسلوبه الدمث وجهات نظره حول المسائل الحساسة ولا يتهور بتصريحات حماسية أو مثيرة.^(٧٣)

ومهما يكن، فقد قام يعقوب أرتين بدور هام فى تنظيم التعليم وتطويره خلال الفترة التى تقلد فيها منصب وكيل نظارة المعارف. ويساعده على ذلك ثقة النظار فيه وثقافته العلمية الواسعة ونشاطه الدائب فى العمل. وبعامه، تُعد الأعمال التى أداها الموظفون الأرمن فى مجال التعليم المصرى خلال القرن التاسع عشر من أبرز أعمالهم فى مصر.



٢- المالية

بدايةً، عمل الأرمن صيارفة على نطاق واسع في جهاز المالية^(٧٤) خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا إلى ثقة محمد علي الشديدة فيهم فضلاً عن مهاراتهم في الأعمال المصرفية. وجدير بالذكر أن الأرمن قد استأثروا بوظيفة «صراف باشى» الخزينة - كبير صيارفة الخزينة - خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فحتى عام ١٨٢٥ كان يغيازار أميراً بدروسيان الأجنى صراف باشى الخزينة^(٧٥). ثم تقلد الخواجه يعقوب الأرمنى هذه الوظيفة بين عامى ١٨٢٦ - ١٨٣٠^(٧٦). وبعد وفاته في عام ١٨٣٠ تولاهما ابنه يوسف^(٧٧) الذى عُزل فى عام ١٨٣٢ وحل محله الخواجه كاسبار الأرمنى^(٧٨). وأخيراً، تقلدها الكسان - صراف القومبانية المصرية - حتى عام ١٨٥٠^(٧٩).

وقد خُوِّل للصراف باشى امتيازات تُؤهله لاختيار الصيارفة وسن التشريعات الخاصة بهم ومُراقبتهم ومُراجعة حساباتهم الواردة إلى الخزينة الحكومية. وكان للصيارفة الذين يُعينهم فقط الحق فى تمويل المشروعات المختلفة التى تطرحها الحكومة وتسليف القروض بالفائدة للأشخاص والحكومة. كما تم جمع الضرائب المفروضة علي الفلاحين تحت إدارة كبير الصيارفة الذى عيّن تحت إشرافه صرافاً لكل إقليم وقسم وقرية^(٨٠).

ولما كان كبير الصيارفة أرمنياً طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر، فليس غريباً أن يكون معظم الصيارفة العاملين تحت إمرته من بنى جنسه. وتأكيداً لهذا يُمكن ذكر بعضهم علي سبيل المثال. فحتى عام

١٨١٩ كان الخواجه إستيبان الأرمني صرافاً لجرجا تحت إشراف يغيازار كبير الصيارفة.^(٨١) وتقلد الخواجه هوثنيس وظيفة صراف الفيوم منذ عام ١٨٢٦ تحت إشراف الخواجه يعقوب كبير الصيارفة.^(٨٢) وقد شغل أرمني منذ عام ١٨٢٨ وظيفة صراف قسم محلة دمنة بالدقهلية باختيار يعقوب كبير الصيارفة.^(٨٣) وحتى عام ١٨٢٨ كان الخواجه بدروس الأرمني صرافاً للقصور.^(٨٤) كما كان الخواجه آرتين صرافاً لدمنهور حتى هذا العام أيضاً.^(٨٥) وكان صراف إسنا حتى عام ١٨٣١ أرمنياً يُسمى أواديك^(٨٦) ثم خلفه أرمنياً يُسمى جرابيد.^(٨٧) وكذا، تعين الخواجه كريكور صرافاً لجده تحت إشراف الخواجه يوسف كبير الصيارفة منذ عام ١٨٣١.^(٨٨)

كما تقلد الأرمن وظيفة الصراف في عدد من المصالح والمؤسسات الحكومية. فمثلاً، عمل أبراهام الأرمني صرافاً للجهادية حتى عام ١٨٢٦.^(٨٩) ثم خلفه أرمنياً يُسمى الكسان حتى عام ١٨٣٦.^(٩٠) وتولي أرمني يُسمى الكسان وظيفة الصراف في مصلحة الجير حتى عام ١٨٢٨.^(٩١) وعمل الخواجه ميلكون الدياريكري أميناً للخزينة حتى عام ١٨٣٠.^(٩٢) وتعين كيغورك صرافاً لديوان مبيعات الإسكندرية في عام ١٨٣٥ تحت ضمان الكسان كبير الصيارفة^(٩٣) وقد ظل الخواجه مجرديتش صرافاً لقومبانية البفنة حتى عام ١٨٥١.^(٩٤) هذا، وقد شغل عدد من الأرمن وظيفة «صراف باشى الضربخانة» مثل كيغورك من أودوكيا في عام ١٨٣٢ وهاجوب في عام ١٨٣٤ وهامبارتسوم كريكور أميرا بين عامي ١٨٣٥-١٨٤٠ ومهران جرابيد في عام ١٨٤٧ وغيرهم.^(٩٥)

بيد أن أكثر الصيارفة الأرمن قد أساءوا استغلال وظائفهم في اختلاس أموال كثيرة. فعندما علم محمد علي بتلاعب صيارفة الحكومة عموماً في الحسابات، أصدر أوامره في ٢٠ ذى الحجة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) بضرورة مراقبة نشاطهم ووضع نظام دقيق لهم.^(٩٦) وفي ١٥ رمضان ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧) أصدر أوامره بجرد حسابات جميع الصيارفة العاملين في الأقاليم والدواوين والجمارك وتحصيل ما يعجز عندهم منهم ومن ضامنهم وتبديل أماكنهم.^(٩٧) وقد كشف هذا الجرد عن تلاعب واختلاسات بدرجة ملحوظة في حسابات الصيارفة الأرمن. لذا، لم يتوان محمد علي عن إصدار قرار في ٢٤ جماد أول ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨) بطرد جميع الصيارفة الأرمن المستخدمين في الأقاليم والمأموريات وسائر الدواوين واستبدالهم باليهود والمصريين.^(٩٨)

ولكن، لم يُطبق هذا القرار بشكل حاسم. إذ ظل الصيارفة الأرمن يُمارسون وظائفهم بسبب وعورة العمل المصرفي حيث أعرب الصيارفة الجدد عن جهلهم بالأساليب المصرفية التي يعمل بها الأرمن. فعلى سبيل المثال، أظهر الصيارفة اليهود الذين أُرسلوا إلي منوف في عام ١٨٢٩ ليحلوا محل الصيارفة الأرمن أنهم يعرفون من أساليب الأرمن المصرفية عمليتي الوارد والمنصرف ويجهلون عمليتي الخصم والإضافة.^(٩٩) كما اضطر محمد علي إلي إبقاء بعض الصيارفة الأرمن في وظائفهم بسبب ضخامة الإيرادات في بعض المصالح وقدرتهم علي إدارتها. فمثلاً، أصدر محمد علي أوامره في ٢٩ ربيع أول ١٢٥١ هـ (١٨٣٥) بإبقاء الصراف كيشورك بسبب ضخامة العمل في مصلحة الإيرادات العمومية.^(١٠٠) ورغم ثبات اختلاسات الكسان صراف الجهادية، إلا أن محمد علي قد أبقاه بسبب تعقيد ماليات هذه المؤسسة.^(١٠١)

وهنا، تجدر الإشارة إلي أن هذا الفساد لم يكن قاصراً علي الأرمن فحسب، بل كان كل موظف في دائرته يقترب أعمالاً تخريبية تشمئز منها النفوس ويرتكب أعمالاً ابتزازية صارخة. وبذا، كانت الإدارة فاسدة من قمة رأسها حتى إخصص قديميها. (١٠٢) ومهما يكن من أمر، فقد ظل الأرمن يمارسون العمل المصرفي في مصالح الحكومة المصرية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فقد بلغ عددهم أربعة عشر صرافاً في مصالح القاهرة المختلفة وفقاً لتعداد النفوس في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٧). (١٠٣)

كما عمل الأرمن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر في وظائف عديدة بالإدارة التابعة للمالية وفروعها ومصالحها المختلفة. فقد بدأ نوبار باشا أنيس - إنجليزى الجنسية - (١٨٥٢/١/٢١) - ١٨٧٥/٤/١١ خدمته في الحكومة المصرية منذ أول أكتوبر ١٨٧٥ بوظيفة كاتب أول إفرنجى بديوان التجارة حيث كان يعرف اللغات الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية. ثم بمجلس النظار منذ ١٦ أكتوبر ١٨٧٨، وكاتب أول فرنسى بقومسيون الضرائب بالمالية منذ ٧ يناير ١٨٨٠، ومفتش خزينة لمالية منذ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٢، ورئيس قلم السكرتارية بالمالية منذ أول يناير ١٨٨٣، ورئيس قلم الإدارة منذ أول يناير ١٨٨٤، وناظر إدارة السكرتارية بالمالية منذ أول يناير ١٨٩٢. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة خمسة وثلاثين عاماً وستة أشهر وخمسة عشر يوماً. (١٠٤) والتحق ديكران أفندى أبييان بخدمة الحكومة في ٣ يونية ١٨٧٣ في وظيفة مبيض بالخارجية، ثم مترجم وكاتب درجة أولى في إدارة الخزينة العمومية بالمالية منذ أول يناير ١٨٨١ حتى ١٥ مايو ١٨٩٠. وأخيراً، وكيل قلم بإدارة الأموال غير المقررة والدخوليات منذ

٢١ ديسمبر ١٨٩٤. وقد بلغت مدة خدمته في الوظائف الحكومية ثلاثين عاماً وعشرة أشهر وعشرة أيام. (١٠٥) وانتقل سر كيس أراكيل الكاتب في إدارة الأموال المقررة إلى إدارة عموم الحسابات منذ ١٠ فبراير ١٨٩٢. (١٠٦)

ويُلاحظ اشتغال كثير من الأرمن في مصلحة الجمارك التابعة للمالية في وظائف مترجمين وكتبة ومعاونين ومثمنين ومخزنجية وغير ذلك. ورغم عدم حصول أغلبيتهم على مؤهلات علمية، كما يتضح من ملفات خدماتهم، إلا أنهم كانوا يُجيدون اللغات اللازمة للعمل في الجمارك. فمثلاً، اشتغل كريكور چواهرچيان (چيڤاهيرچيان) - جواهرجي من قبل - مثمناً للمجوهرات في جمرک الإسكندرية منذ أول أكتوبر ١٨٧٤. وكان يعرف اللغات العربية والأرمنية والتركية والإيطالية. وقد بلغت مدة خدمته في الجمرک أربعة وثلاثين عاماً وتسعة أشهر وسبعة عشر يوماً. (١٠٧) كما اشتغل الكسان أفندى جرابيد - كاتب طرف التجار قبل ذلك - في وظيفة كاتب عربى بجمرك الإسكندرية منذ ٢٢ أكتوبر ١٨٧٦. وبلغت مدة خدمته ثلاثين عاماً وثلاثة أشهر ويومين. (١٠٨) وبدأ بوغوص أفندى نشان عمله الوظيفي في سنة ١٨٧٦ بوظيفة كاتب ثان اليومية بجمرك الإسكندرية، ثم عمل معاوناً علي الدرجة الرابعة منذ عام ١٨٧٩. وقد بلغت مدة خدمته ثمانية عشر عاماً وشهرين وعشرين يوماً. تقاعد عن العمل في ٧ مايو ١٨٩٣ بسبب ضعف بصره. (١٠٩)

وانتقل الكسان جرابيد (١٨٥٢/١/١ - ١٩١٦/٣/١٤) من العمل بوظيفة كاتب إفرنجي وعربى لدى تاجر إنجليزى إلي الخدمة معاوناً بجمرك الإسكندرية منذ ٤ مايو ١٨٧٧، ثم عمل مخزنجياً بجمرك

بورسعيد منذ يولية ١٨٧٨. وأخيراً، منمور قسم الصادرات بعموم الجمارك المصرية منذ ٣٠ يناير ١٨٨٥. وكان يعرف اللغات العربية والإنجليزية والإيطالية والفرنسية. وبلغت مدة خدمته ثلاثة وعشرين عاماً وثمانية أشهر.^(١١٠) كما بدأ سر كيس أفندى كريكوريان - تاجر أخشاب قبل ذلك، روسى الجنسية - عمله الوظيفى منذ أول يناير ١٨٨١ فزاناً ومثعناً للأخشاب في مصلحة عموم الجمارك، ثم معاوناً بجمرك الإسكندرية منذ سنة ١٨٩٦. ويعرف اللغات التركية والعربية والأرمنية. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة المصرية ستة وعشرين عاماً وأربعة شهور وسبعة أيام.^(١١١) وعمل كبريل أفندى شربوسيان - إيطالى الجنسية - باشمخزنجياً بجمرك الإسكندرية حتى ١٥ أغسطس ١٨٩٣.^(١١٢)

وقد اشتغل أنضون أفندى جرابيد بمصلحة المطرية التابعة للمالية منذ ٦ أغسطس ١٨٩٠ حتى ٣١ ديسمبر ١٨٩٦. وكان يعرف اللغات العربية والفرنسية والإيطالية واليونانية.^(١١٣) كما خدم بعض الأرمن في مصلحة وابورات البوسطة الخديوية التابعة للمالية مثل تاكفور أفندى ملك الذى انتقل من الشركة العزيزية إلى العمل مخزنجياً بتوكيل وابورات المصلحة بالأستانة ابتداءً من ٨ مايو ١٨٧٠ حتى ١٨ أغسطس ١٨٨٧. وقد بلغ إجمالى خدمته في الحكومة احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً، منهم ستة عشر عاماً وثمانية أشهر وثلاثة وعشرين يوماً في وابورات البوسطة الخديوية.^(١١٤) وكذلك، أرداشيس أفندى كونچيان صراف توكيل الأستانة بمصلحة وابورات البوسطة الخديوية ابتداءً من أول يونية ١٨٨٠ حتى ٧ مارس ١٨٩٨. وقد بلغت مدة خدمته سبعة عشر عاماً وتسعة أشهر وسبعة أيام. وتقاعد

عن العمل لإصابته بروماتيزم وذبحة في الصدر وأجزيما مزمنة. (١١٥)

وهكذا، باستثناء الصيارفة الأرمن الذين تلاعبوا في الحسابات إبان حكم محمد علي، فقد عمل الأرمن على امتداد القرن التاسع عشر في معظم الإدارات والمصالح التابعة للمالية ومارسوا أعمالهم بكفاءة.



٣- السكك الحديدية

لقد ساهم الأرمن بشكل واضح في إدارة السكك الحديدية التي تارجحت إدارتها وتبعيتها منذ إنشائها في عام ١٨٥٢ بين أكثر من مصلحة وإدارة ونظارة. (١١٦) ففي البداية، تقلد نوبار نوباريان - تُرجمان أول سعيد باشا - نظارة «مصلحة عموم المرور والسكك الحديدية» منذ ٢ جماد ثان ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧) حتى ٢٣ شعبان ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨). (١١٧) وقد لاقى تعيين نوبار في هذا المنصب ارتياحاً شديداً لدى العثمانيين والأوروبيين لأنه جمع بين كونه رعية عثمانية علي دراية تامة بالعثمانيين ولغتهم، ولكونه تلقى تعليمه في أوروبا وعلي دراية تامة أيضاً بلغاتها وتقاليدها. وكان العثمانيون ممتنعين من وضع أجنبي علي هذه الإدارة. (١١٨)

وجدير بالذكر أن نوبار شرع يُطور نظام السكك الحديدية باستيراد آلات وماكينات حديثة. (١١٩) كما وظّف نوبار أشخاصاً يحتاج العمل إليهم ورفع مرتبات العاملين الأكفاء من تلقاء نفسه دون الرجوع إلي

الوالي. ولكنه امتنع من سيطرة الأجانب على إدارة هذه المصلحة. وطلق يُحجم من سيطرتهم، فأقال الميكانيكيين الأوربيين الذين أضربوا عن العمل واستبدلهم بمصريين (أولاد عرب). عندئذ، ترددت مقولة «حياتنا في خطر». وتوالى احتجاجات القناصل وشركات البريد والنقل المختلفة والأمراء الذين لم يعترفوا بكفاءة المصريين. بيد أن نوبار أمر الميكانيكيين المصريين بممارسة أعمالهم، وبذلك استمرت الخدمة في إدارة السكك الحديدية وحركة القطارات دون انقطاع. كما قلل من استخدام السخرة في أعمال السكك الحديدية لأنها ليست اعتداءً على استقلال الإنسان وحرية فحسب، بل لأنها كارثة علي ثروة مصر ورخائها أيضاً. (١٢٠)

وقد أدى هذا إلى امتعاض سعيد من نوبار. فاستغل مخالفته أمراً بخصوص سرعة إرسال مدافع طلبها بقطار مخصوص فأرسلها نوبار في قطار عادي وأمر بعزله. (١٢١) ورغم قصر هذه الفترة التي تولاها نوبار إلا أنها شهدت إيرادات مرتفعة. (١٢٢) كما اكتسب نوبار خلال هذه الفترة محبة موظفي والسكك الحديدية وعمالها الذين احتشدوا علي شكل مظاهرة في محطة الإسكندرية لوداع نوبار الذي يرى في هذا ظاهرة تحدث لأول مرة في مصر حيث كان يُنظر إلي الموظف المعزول علي أنه مُذنب ويُلحق به العار. (١٢٣)

وعندما تأسست نظارة الأشغال العمومية في ١٠ شعبان ١٢٨١ هـ (١٨٦٤) برئاسة نوبار أُحيلت إليها إدارة السكك الحديدية. ولم يكن لها مدير خاص، بل كانت وظيفة نوبار تُسمى «ناظر الأشغال ومدير السكك الحديدية والتنظيم» حتي ٩ يناير ١٨٦٦. وقد خول إسماعيل لنوبار حق

الاقتراض واستبدال الموظفين من أجل جعل السكك الحديدية علي غرار مثيلاتها في أوروبا. (١٢٤) وخلال هذه الفترة، اصطلم نوبار بإسماعيل الذي أمر بإنشاء خطى سكك حديد المنيا ولبليس لخدمة أطيانه. وكان نوبار يرى تأجيل إنشاء هذين الخطين - رغم إفادتهما للبلاد - لأن هناك أولويات ملحة. (١٢٥) وفي يونية ١٨٦٥ انتشر وباء الكوليرا في مصر، فلجأ نوبار إلي مكافحة الوباء بتقديم وجبة غذائية جيدة للعاملين بالسكك الحديدية مما أدى إلي تقليل الضحايا إلي الحد الأدنى. (١٢٦)

وقد أديرت السكك الحديدية وميناء الإسكندرية منذ ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ بواسطة لجنة خماسية مُختلطة مكونة من إنجليزيين ووطنيين وفرنسي على أن يرأسهم إنجليزى. (١٢٧) هنا، تولى بوغوص نوبار - ابن نوبار باشا - منصب المدير الوطنى الثانى فى هذه اللجنة حتى ٢١ أبريل ١٨٧٩. (١٢٨)

كما تكونت إدارة السكك الحديدية وميناء الإسكندرية منذ ٢٥ ديسمبر ١٨٧٩ من ثلاثة مديرين: إنجليزى - ويرأس مجلس الإدارة - وفرنسى ووطنى. (١٢٩) وفى هذا، توالى ثلاثة أرمن على منصب المدير الوطنى بمجلس الإدارة وهم: تاكفور هاجوييان منذ ٢٢ نوفمبر ١٨٨٦ حتى ١٨ أغسطس ١٨٨٨. (١٣٠) ويعقوب آرتين منذ ٤ سبتمبر ١٨٨٨ حتى ١٤ مايو ١٨٩١. (١٣١) وأخيراً، بوغوص نوبار منذ ١٨ مايو ١٨٩١ حتى ١٨ نوفمبر ١٨٩٨. (١٣٢) ويُعد بوغوص نوبار أكفأ هؤلاء المديرين. إذ اقترح العديد من المشروعات والأفكار لتطوير أنظمة السكك الحديدية. منها علي سبيل المثال اقتراحه في فبراير ١٨٩٢ إلي الحكومة باستخدام السكك الحديدية الضيقة بدلاً من العريضة علي نحو ما هو مُتبع في أوروبا مما سيؤدى إلي توفير النفقات. (١٣٣)

وهكذا، ساهم أربعة من الأرمن زمنياً بحوالي عشرين عاماً في إدارة السكك الحديدية منذ إنشائها في عام ١٨٥٢ وحتى نهاية القرن التاسع عشر. ولما كانت إدارة السكك الحديدية تنقسم بالطابع الأوروبي، فقد كان الأرمن من أكثر العناصر في مصر صلاحيةً للالتحاق بالجهاز الإداري للسكك الحديدية نظراً لكونهم مسيحيين وجُيِّدُونَ اللغات الأوروبية. ويُلاحظ مما سبق أن نوبار وابنه بوغوص قد ساهما نسبياً في تطوير السكك الحديدية.

وإضافةً إلى هذه الوظائف الإدارية، فقد اشتغل بعض الأرمن في وظائف مُعاونين ومُفتشين وكُمسارية ونظار محطات وفنيين وكتبة وغير ذلك في مصلحة السكك الحديدية. ويُمكن ذكر بعضهم علي سبيل المثال. فقد بدأ يوسف بك مانوج (١٨٣٦/٧/٢٢ - ١٩٠٨/١٢/١١) حياته الوظيفية في عام ١٨٦١ مُستخدماً بسكك حديد الزقازيق. ثم ارتقي حتى وظيفة وكيل تفتيش عموم التلغرافات بالسكة الحديد وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة أربعين عاماً وشهرين ويومين.^(١٣٤) كما بدأ أنتيموس أفندي كولهلبيان الأزميزري عمله الوظيفي في ١٨ يناير ١٨٦٥ تذكريعياً بمحطة كفر الزيات، ثم مُفتشاً للتذاكر بمحطة مصر منذ يولية ١٨٧٩. وناظراً لمحطة بنى سويف منذ مارس ١٨٩٧. وناظراً لمحطة أسيوط منذ يناير ١٨٩٩، ومعاون أول محطة مصر منذ أكتوبر ١٨٩٩. وكان يعرف اللغات الأرمنية والعربية والتركية والفرنسية والإيطالية واليونانية. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة تسعة وثلاثين عاماً وعشرة أشهر وستة عشر يوماً.^(١٣٥)

وأيضاً، التحق أسادور شيردجيان الأزميزري (١٨٤٠ -

٢٩/٥/١٩١٥) - ابن مارتا أخت نوبار باشا - بخدمة الحكومة في
٢ يونية ١٨٦٥ بوظيفة أشارجى إنجليزى، ثم ارتقى حتى مُفتش مكاتب
تلغراف قسم الإسكندرية بالسكة الحديد. وقد بلغت مدة خدمته أربعين
عاماً وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً.^(١٣٦) كما عمل عدد من الأرمن
كمسارية في محطات السكك الحديدية المختلفة مثل أفيديك كونچيان
الذى عمل كمسرياً في محطة مصر منذ أول ديسمبر ١٨٧٢ حتى ١٥
مارس ١٨٨٩.^(١٣٧) وتاكفور أفندى چورچ (كيغورك) الذى عمل كمسرياً
في محطة المنصورة منذ أول يناير ١٨٨٢ حتى أول أغسطس
١٨٨٧.^(١٣٨)



٤- التجارة والخارجية

يلاحظ اشتغال كثير من الأرمن مترجمين وسكرتيرين وغير ذلك فى
جهاز التجارة والخارجية.^(١٣٩) ويرجع هذا إلى تضرعهم فى لغات عديدة،
كما كانوا، لكونهم مسيحيين، من أكثر العناصر صلاحيةً للتعامل مع
عملاء هذا الجهاز من الأوروبيين وغيرهم حتى أن هامون قد أطلق على
هذا الجهاز لقب «الديوان الأرمنى» لكثرة الأرمن العاملين به.^(١٤٠) فقد
عمل فى ديوان التجارة والأمور الإفرنجية عددٌ من المترجمين الأرمن مثل
أنضون أفندى جرابيد الذى حصل على رتبة البكباشية فى سنة
١٨٣٤^(١٤١) وأريستاجيس الطونيان الذى أنعم عليه برتبة قائمقام فى
سنة ١٨٤٦.^(١٤٢)

وثمة عدد من الأرمن الذين عملوا مُترجمين بنظارة الخارجية مثل أراكيل أبرويان الذي اشتغل بكتابة التحريرات الإفرنجية منذ عام ١٨٦٦ حتى ١٨٧٣^(١٤٣) وإسكندر بك بوزارى الذى ظل يرتقى حتى وصل إلى وظيفة رئيس قلم ترجمة نظارة الخارجية. وقد تقاعد عن الخدمة فى ١٦ يونية ١٨٨٤ لإصابته بفتق كبير مع نزلة شعبية مزمنة. وبلغت مدة خدمته فى الحكومة تسعة وثلاثين عاماً وثلاثة أشهر وستة أيام^(١٤٤). وأيضاً، جرابيد بك شيردجيان الذى تعلم بالمدارس الأرمنية فى أزمير، ثم تعيّن منذ ٨ مايو ١٨٧٠ بواسطة خاله نوبار باشا فى وظيفة كاتب بالقلم الإفرنجى بنظارة الخارجية، وأصبح منذ ٢٠ مايو ١٨٧٩ مُترجماً لوكيل إدارة قلم المحفوظات بالخارجية، ثم أميناً للمحفوظات الإفرنجية بنظارة الخارجية. وقد بلغت مدة خدمته فى الحكومة المصرية تسعة وثلاثين عاماً وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً^(١٤٥). كما تعيّن أرتين أفندى إستيبان [١٨٦٢-١٩٤١/٥/٢] بواسطة نوبار باشا مُترجماً بنظارة الخارجية وأخذ يرتقى حتى أصبح رئيس قلم فى سنة ١٨٩٥. وكان يجيد اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والتركية^(١٤٦).

وجدير بالذكر أن ديكراڤ أبرويان [١٨٤٦/١/١٥ - ١٩٠٤/٦/٢٨] قد تقلد عدة وظائف بالخارجية قبل أن يتولى وكالتها ثم نظارتها. فقد بدأ حياته الوظيفية كاتباً بالقلم الإفرنجى بمصلحة السكك الحديدية منذ ٤ ذي القعدة ١٢٨١ هـ (١٨٦٥) بناءً على طلب نوبار^(١٤٧). ثم انتقل إلى الخارجية - عندما تولى نوبار نظارتها - فى سنة ١٨٦٦ وتقلد بها وظائف كاتب سر ثم رئيس قلم إفرنجى وسكرتير خصوصى حتى يناير ١٨٨٢ عندما تعيّن وكيلًا للنظارة. وكان يعرف اللغات الفرنسية

والإنجليزية والإيطالية والتركية واليونانية. وقد أنعم عليه برتبة صنف
المتمايز من الدرجة الثانية في سنة ١٨٧٨. (١٤٨)

وهكذا، يلاحظ أن أغلبية الأرمن العاملين بجهاز التجارة والخارجية
كانوا من المتعلمين الذين يجيدون عدة لغات. لذا، فلا غرو أن عملوا
مترجمين أساساً.



٥- الحقانية

ثمة بعض الأرمن الذين توظفوا في السلك القضائي بالحقانية (١٤٩)
من تلقوا دراساتهم القانونية جميعاً في فرنسا إما ضمن طلبة البعثات
الحكومية مثل إسطفان خاتشادور (بعثة الأنجال في سنة ١٨٤٤)
ويوسف عزيز بوزارى (بعثة عام ١٨٦٢) (١٥٠) أو على نفقة أسرهم مثل
يوسف تشراكيان والأخوين أرتين وجراييد رايزيان وغيرهم. (١٥١) ويمكن
استعراض بعض هؤلاء. فمثلاً، أصبح إسطفان خاتشادور عضواً
بقومسيون التجارة منذ عام ١٨٦٢ (١٥٢)، ثم مستشاراً بمحكمة
الاستئناف المختلطة بالإسكندرية منذ أول يولية ١٨٧٦. (١٥٣) وكذا، تعين
يوسف عزيز بوزارى (١٨٤٦/١١/١٤ - ١٩١١/٨/٢٠) مساعداً للنائب
العمومي بمحكمة القاهرة المختلطة منذ ١١ يولية ١٨٧٨، ثم قاضياً
للدائرة الأولى بمحكمة المنصورة المختلطة منذ أول نوفمبر ١٨٧٨،
وأخيراً مستشاراً بمحكمة الاستئناف المختلطة بالقاهرة منذ ٢٩ فبراير

١٨٩٦. وكان يوسف عزيز يعرف اللغات الفرنسية والإيطالية والعربية والأرمنية. وبلغت مدة خدمته في الحكومة ثلاثة وعشرين عاماً وشهراً واحداً وعشرة أيام. (١٥٤)

وكذا، تقلد يوسف تشراكيان (١٨٤٤/٨/٢٣ - ١٩٢٣/٢/١١) - ابن أرتين تشراكيان - وظيفة قاضى الدائرة الأولى بمحكمة الإسكندرية المختلطة ابتداءً من ١٢ ديسمبر ١٨٨٦. (١٥٥) وأيضاً، تولى جرابيد رايزيان (١٨٥٠-١٩٠٣/١١/١٩) وظيفة مساعد النائب العمومى منذ ١١ يولية ١٨٧٨، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة منذ أول يولية ١٨٨٤، ومستشاراً بمحكمة الاستئناف منذ ٢١ يونية ١٨٩٤. وأخيراً، نائباً عمومياً للمحاكم المختلطة ابتداءً من ٢٠ نوفمبر ١٨٩٧. (١٥٦)

كما تعين أرتين رايزيان (١٨٥٣-١٩١١/١١/٢٨) مساعداً للنائب العمومى بمحكمة القاهرة المختلطة منذ ٨ سبتمبر ١٨٧٨، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة منذ ٢٩ يناير ١٨٨٤. وقد بلغت مدة خدمته في الحكومة ثلاثة وثلاثين عاماً وشهرين وعشرين يوماً. (١٥٧) وكذا، توظف بوغوص هاجوبيان في وظيفة مساعد النائب العمومى لدى محكمة الاستئناف والمحاكم المختلطة منذ ٧ فبراير ١٨٩٢. (١٥٨) ثم وكيل نيابة منذ ٢٥ يناير ١٨٩٥. (١٥٩)

وبخلاف هذه الوظائف الكبيرة، ثمة أرمن عملوا مترجمين وكتبة ومُبيضين ومُحضرين وغير ذلك في المحاكم وإدارات الحَقانية المختلفة. ويساعدتهم علي هذا إجادتهم للغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية التي استُخدمت في المحاكم دون العربية. وتأكيداً لهذا يمكن ذكر بعض الأمثلة. فقد عمل أنولف كوربريان - فرنسى الجنسية - مُبيضاً بمحكمة

الإسكندرية المختلطة حتى ٥ يونية ١٨٩٤. (١٦٠) وتعين بدروس هوقسيب مُحضراً بمحكمة المنصورة المختلطة بدايةً من ١٩ يناير ١٨٨٩. (١٦١) كما اشتغل أنضون ونيس شويانيان مُحضراً بمحكمة مصر المختلطة منذ ١٩ مايو ١٨٩٢. وكان يعرف اللغات الفرنسية والإيطالية والعربية والتركية والأرمنية والإنجليزية. (١٦٢) وكذلك، تقلد يعقوب أغا تشاراكيان - تاجر من قبل - وظيفة جاويش بقسم قضايا الحقانية ابتداءً من أول مايو ١٨٨٤ حتى ١٨ أكتوبر ١٨٩٥. وكان يعرف اللغات التركية والإنجليزية والفرنسية والأرمنية والعربية. وقد بلغت مدة خدمته إحدى عشر سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً. وتقاعد عن العمل لإصابته بكسور في قدميه ويديه. (١٦٣)



٦- الداخلية

اشتغل بعض الأرمن في جهاز الداخلية (١٦٤) بالأعمال الكتابية والحسابية والترجمة والسكرتارية مثل يعقوب أفندى جرابيد (١٨٥٦/١٠/٦ - ١٩١٦/٣/٣١) الذي بدأ خدمته الحكومية في ٢٣ يونية ١٨٧٦ بوظيفة كاتب إفرنجي بنظارة الخارجية، ثم ارتقى في عام ١٨٩٥ إلي وكيل قلم ببوليس مصر. وكان يعرف اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والأرمنية. وقد بلغت مدة خدمته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً. (١٦٥) وأيضاً، أرام بك پاپازيان الذي بدأ عمله الحكومي منذ أول مارس ١٨٨٣ بوظيفة كاتب

إفرنجى بديوان عموم الجندرمة والبوليس حتى ٤ مارس ١٨٩٢، ثم وكيل قلم بمصلحة السجون منذ ٥ مارس ١٨٩٥، وكان يُجيد اللغات الأرمنية والتركية والعربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية. وقد أُنعم عليه بالرتبة الثالثة في سنة ١٨٩٥. وبلغت مدة خدمته في الحكومة ثمان وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً.^(١٦٦)

كما اشتغل بالداخلية أيضاً هوفانيس بك هاجوبيان (١/٤/١٨٥٦ - ١٨/١/١٩١٧) الذي التحق بالعمل الحكومي في أول أبريل ١٨٨٣ في وظيفة وكيل رئيس قلم بديوان عموم البوليس، ثم رئيس قلم بقسم المحاسبة بالداخلية منذ أول يناير ١٨٩٥. وكان يعرف اللغات الأرمنية والتركية واليونانية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والعربية. وقد بلغت مدة خدمته ثلاثة وثلاثين عاماً وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.^(١٦٧) وأيضاً، تقلد خاتشادور بك وظيفة تشريفاتي نظارة الداخلية منذ أوائل عام ١٨٧٤.^(١٦٨) وانتقل حبيب أفندي إسكندريان الكاتب بقسم الضبطية بمحافظة مصر إلي البوليس مع ترقيته إلي الدرجة الرابعة بدايةً من ١١ يولية ١٨٩٨.^(١٦٩)



٢- الأشغال

ثمة قليل من الأرمن الذين توظّفوا في بعض المصالح التابعة للأشغال.^(١٧٠) ففي مصلحة الري، عمل كالوسد مارجوسوف - ابن أخت

نوبار باشا - مهندساً من الدرجة الأولى. ^(١٧١) وعمل كالباكچيان رساماً بمصلحة الري منذ ١٦ يونية ١٨٨٨. ^(١٧٢) وكذا، اشتغل هوشيب أفندي خانكي مُترجماً بإدارة مصلحة الري منذ أول يناير ١٨٨٦. ^(١٧٣) هذا، وقد توظّف أرتين أفندي مهران رساماً بمصلحة التنظيم والإدارة. ^(١٧٤) وأنعم عليه الخديو عباس حلمي الثاني بالنيشان المجيدي من الدرجة الخامسة في عام ١٨٩٧. ^(١٧٥) كما اشتغل تاتبوس موتافيان مُفتشاً للأثار في مصلحة الأنتيكلخانة المصرية منذ عام ١٨٨١ حتى ١٨٨٧. ^(١٧٦)

وهكذا، يتضح مما سبق أن الأرمن قد خدموا تقريباً بمعظم المصالح الحكومية في مصر خلال القرن التاسع عشر. وعلي الرغم من عدم حصول بعضهم علي مؤهلات علمية، كما ثبت من ملفات خدمتهم، إلا أن إجادتهم عدة لغات قد ساعدهم علي الالتحاق بالوظائف المختلفة لاسيما تلك التي تحتاج إلي لغات في معاملاتها مثل مصالح الخارجية والجمارك والسكك الحديدية والمحاكم المختلطة وغير ذلك. وثمة حقيقة تُؤكدُها دراسة ملفات الموظفين الأرمن مؤداها أن معظمهم قد بدأوا حياتهم العملية مُترجمين وكتبه إفرنجيين ناهيك عن اشتغالهم عموماً بالوظائف الإدارية والكتابية وإقلالهم في الوظائف الفنية.

هذا، وقد اتضح جلياً من ملفات خدمة الموظفين الأرمن حُسن سيرهم وسلوكهم مما أدى، مع كفاءتهم، إلي أن يخدموا فترات طويلة قاربت، بل جاوزت أحياناً، أربعين عاماً لدى بعضهم. ويُلاحظ أنهم قد تقاعدوا عن العمل إما لأسباب مرضية أو لتقدمهم في السن أو لوفاتهم أو لإلغاء المصالح التي يعملون بها عدا بعض الموظفين الأرمن الذين رُفّوا لسوء سلوكهم. ^(١٧٧)

بيد أن أهم نتيجة لاستغلال الأرمن بمعظم أجهزة الحكومة المصرية خلال القرن التاسع عشر وارتباطهم بالحكام على نحو وثيق أن أصبحوا علي دراية كبيرة بأوضاع البلاد وأنظمتها مما جعلهم مؤهلين ، للقيام بدور أكبر، من مجرد موظفين أكفاء في الجهاز الحكومي بتعيينهم في عدة مناصب ذات ثمة سياسية. وسوف يتضح هذا خلال الفصل التالي.



الهوامش

(١) لقد منح محمد علي الوظائف في شكل هبات تُجرى لها رواتب أو تُستبدل بمعاشات أو (إحسانات) في حالة العجز عن أداء العمل. وقد تكون هذه الإحسانات إما مال أو أطياف زراعية. وتُقيد الماهية في «ديوان الروزنامة» وهو قيمة ما يستحق الموظف، وتُحرر له به «رُجعة» أو «سند» بقيمة استحقاقه من الديوان. وكان الموظف يتحول بمجرد تعيينه في الحكومة إلى أداة طيعة تُوجهه كيفما تشاء. لذا، أطلقت كلمة «مُستخدَم» علي أى موظف في دواوين الحكومة مما يُوضح حرص الوالي علي التحكم في جهاز الموظفين وتوجيهه على النحو الذى يُريد. كما كان بوسع الحكومة أيضاً أن تتخلص من الموظف في الوقت الذى ترغب حين ترى أنه لم يعد قادراً على أداء المهام الموكولة إليه. ويتم ذلك عن طريق رفته ويسمى وقتئذ «سقط»: أى أنه لم يعد صالحاً لتولي وظائف الميرى.

حلمي أحمد شلبى، الموظفون في مصر في عصر محمد علي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٢٤-٢٦، ٩٤-٩٥.

(٢) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ص ١٥٥-١٥٩.

(٣) تعامل محمد علي مع موظفيه على أنهم عبيدٌ لديه. وقد أدى ذلك إلي خلق مجتمع من الموظفين الحريصين علي مصالحهم الشخصية. ولم يكن هناك انتماء إلى النظام الذى أراده محمد علي إلا بالقدر الذى يخدم مصالحهم. ولهذا، لجأ محمد علي إلي التوازن بين عناصر الموظفين، فجعل وظائف الإدارة العليا للأتراك والجرأكسة والأرمن وغيرهم، وترك وظائف الكتبة

والعمل في الدواوين للأقباط. وقلما حصل الأقباط علي وظائف الإدارة ، بل إن الوظائف الديوانية (وظائف الكتبة والعمل في الدواوين) أسند رئاستها إلي أفراد من الأتراك والجراسكة والأرمن لضمان حدوث توازن بين كل هذه العناصر.

حلمى أحمد شلبي، الموظفون، ص ٢٧، ٣١، ٥٣.

(٤) Silvera, Alain, "The First Egyptian Student Mission to France Under Muhammed Ali". The International of Middle Eastern Studies, London . May 1980. No. 2, p. 17.

(٥) أرسل محمد علي في عام ١٩١٧ بعض الطلبة إلي إنجلترا لتلقي فن بناء السفن والملاحة ومناسيب الماء وصرفه والميكانيكا. أما بعثة عام ١٨٢٦ إلي فرنسا فتعد أولي البعثات الكبرى إلي أوروبا. وكان عدد البعثة في أول إرسالها أربعين طالباً، ثم لحق بهم أربعة آخرون فصار عددهم أربعة وأربعين طالباً. وقد رجع منهم خمسة قبل إتمام دروسهم لضعف صحتهم أو نقص كفاءتهم.

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص ص ٤٠٨-٤١١.

(٦) عمر طوسون، البعثات التعليمية، ص ٣٥، ٣٩، ٤٤، ١٠٦.

(٧) نفسه، ص ص ٢٠٤-٢٠٥، ٣٢٨-٣٣٢.

(٨) Heywarth-Dunne. J., An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1938, p. 262, 330.

(٩) Silvera, op. cit., p. 8.

(١٠) Heywarth - Dunne, op. cit., p. 159.

(١١) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٨٧، ٢٢١ - ٢٢٢.

(١٢) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢، ص ٣٣٦ - ٣٥٥، ٤١٢-٢٧٦.

(١٣) حول تطور جهاز التعليم في مصر خلال القرن التاسع عشر انظر :

أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، نظام القضاء والإدارة ، القاهرة، ١٩٢٢، ص ٨٢؛ أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥، ٩٢-٩٦، ١٠٣-١٠٤، ١٢٨-١٣٣؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ١٤٣-١٤٦.

(١٤) ورد لدى Silvera أن بوغوص يوسفیان أرمني كاثوليكي المذهب. هذا خطأ. لأن بوغوص أرمني مسيحي على المذهب الأرثوذكسي. ويكفي أن كنيسة الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية قد تسمت «بوغوص - بدروس» نسبة إلى الأخوين بوغوص ويدروس يوسفیان اللذين تبرعا بمعظم نفقاتها. Silvera, op. cit., p.8.

(١٥) محافظ الذوات تركي، رقم ٣، وثيقة رقم ٤/١٣٤، ترجمة أمر عال من الجناح العالي إلى بلال أغا ناظر الجروم في غرة جماد ثان ١٢٤٢ هـ.

(١٦) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٣٤٥.

(١٧) تأسست المدرسة المصرية الحربية ببافيس تحت رئاسة وزير الحربية الفرنسية، وكان نظامها في البداية لا يتفق والروح الحربية من حيث مواد

الدراسة التي اتسمت بالطابع الثقافي. ثم أدخلت بها العلوم العسكرية. وجدير بالذكر أنها كانت مدرسة تحضيرية للمدارس الحربية العليا بفرنسا. وقد التحق بها بعض من أهل للدراسة ببعض مدارس فرنسا المدنية. وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات. وقد انقسمت المدرسة إلي فصلين أحدهما للأقوياء والآخر للضعفاء. هذا، وقد ظلت هذه المدرسة مقراً لكل أعضاء البعثات التي أرسلت إلي فرنسا فيما بعد . ولهذا، عدت البعثات التي أرسلت إلى فرنسا بعد بعثة عام ١٨٤٤ ملاحق لها.

زكى صلاح ومحمود مرسى، البعثات العلمية في القرن التاسع عشر، جزآن، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٩، الجزء الأول، ص ٤٩.

Heywarth-Dunne, op. cit., p. 243. (١٨)

(١٩) أطلق على باشا مبارك على بعثة عام ١٨٤٤ إلي فرنسا لقب «بعثة الأنجال» لأنها ضمت الأمير عبد الحليم والأمير حسين - الذي توفي أثناء تعلمه - من أبناء محمد علي والأميرين أحمد وإسماعيل (الخدو إسماعيل باشا) من أبناء إبراهيم باشا. وقد بلغت نفقاتها «٩٤٦١٥» جنيه.

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص ص ٤١٧-٤٢٢.

(٢٠) ذكر هيوارث دان أن أرمنيين قد اشتركوا في إدارة بعثة عام ١٨٤٤ إلي فرنسا وهما خسروث تشراكيان و خليل تشراكيان. يُخطئ هيوارث دان. لأن هذين الشخصين هما شخص واحد. فقد أطلق إبراهيم باشا علي خسروث تشراكيان اسم خليل بعد أن عمل معه مترجماً أثناء معركة نصيبين في عام ١٨٢٩. كما منحه إبراهيم باشا لقب صاغ.

Heywarth-Dunne, op. cit., pp. 243-248;

كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢١. (بالأرمنية)

- (٢١) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 262.
- (٢٢) أمين سامى ، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج٢، ص ٥٥٨.
- (٢٣) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٦٢.
- (٢٤) "Artin bey...", p. 425.
- (٢٥) ملف يوسف بك حكىكيان، رقم ٩٠٩، محفظة ٦١٩، عين ٣، دولا ب ٥.
- (٢٦) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٧٤، ٤٢٥.
- (٢٧) عبد الرحمن الرافعى. عصر محمد علي، ص ٤٠٠.
- (٢٨) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 149.
- (٢٩) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٣٢٧-٣٢٩.
- (٣٠) Heywarth-Dunne, op. cit., p. 149.
- (٣١) أحمد أحمد الحنة، تاريخ الزراعة المصرية، ص ص ١٥١-١٥٣.
- (٣٢) ثمة أسباب عديدة قد أدت إلى تدهور مدرسة الزراعة بنبروه. فلم يُعد التلاميذ إعداداً كافياً يتناسب مع مدرسة خصوصية للزراعة. وإذا، انصرفوا إلى دراسة مبادئ في النحو والخط والجغرافيا والحساب. كما أن نبروه لم تكن مكاناً ملائماً للمدرسة نظراً لبعدها عن إشراف الحكومة المركزية في القاهرة. فضلاً عن رداءة التربة وعظم اتساعها وعدم ملائمة البناء الذى يشغله حقل التجارب وفساد الإسطبلات والشون ووجودها في نفس المكان الذى تشغله غرف النوم وقاعات الدراسة.
- أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج٢، ص ٤٧١، ٤٧٣؛
أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٣٥٢ - ٣٥٥؛

Heywarth-Dunne, op. cit., pp. 151-152.

(٣٣) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٤٠٩-٤١١.

(٣٤) Heywarth-Dunne, op. cit., pp. 149-150. 357.

(٣٥) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٣٢٤، ٣٧٥، ٣٨٠.

(٣٦) Burton, F. Richard, Personal Narrative of a Pilgrimage to El Medina and Meccah, 2 Vols. London. 1857. Vol. 1. p. 123.

(٣٦) أحمد عزت عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص ٩٢-٩٥، ٩٨-١٠٠، ١٢٨-١٣٢.

(٣٧) ديوان المعية تركي، س ١/٥٨/٢(٤٤)، ص ٨٣، رقم ٤٦٠، أمر من الجنب العالي إلى ناظر الجهادية في ٣ جماد ثان ١٢٤٨ هـ: س ١/٥٥/١(٤٩)، ص ١٢١، رقم ٦٦٣، أمر من الجنب العالي إلى أدهم بك في ١٠ محرم ١٢٥٠ هـ: س ١/٥٤/٢(٧٧)، ص ٢١، رقم ١٢٧، مكتبة من المعية إلي ناظر الجهادية في ٢٤ ربيع أول ١٢٥٢ هـ.

(٣٨) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج٢، ص ٤٠٦، ٤١٥، ٤٢٥، ٤٦٨، ٤٧١.

(٣٩) انقسم قلم الترجمة إلى أربعة أقسام: ترجمة العلوم الرياضية، ترجمة الأدبيات، ترجمة العلوم الطبية والطبيعية. قسم الترجمة التركية.

أحمد عزت عبد الكريم: المصدر السابق، ص ١٣٢، ٣٤١-٣٤٤.

(٤٠) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٨٢-٨٣.

- (٤١) تقرير جون باورنج منشوراً في : محمد فؤاد شكرى وأخران، بناء دولة مصر محمد علي، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٦٦٦.
- (٤٢) يذكر هامون مدير مدرسة الطب البيطرى خلال حكم محمد علي أن خصومه في مصر كانوا ديوان المدارس والأرمن والمجلس الخصوصى.
Hamont, op. cit., Vol. 2, p. 280.
- (٤٣) كان يعقوب أرتين خلال الفترة من ١٨٨٨/٩/٤ حتى ١٨٩١/٥/١٤ مديراً وطنياً في إدارة السكك الحديدية. وقد تقاعد عن الخدمة في ١٠ ديسمبر ١٩٠٦ لظروف صحية بعد أن خدم في الحكومة المصرية اثنتين وثلاثين عاماً وشهراً واحداً وعشرة أيام.
- دار المحفوظات العمومية بالقاهرة، ملفات الموظفين، ملف يعقوب أرتين باشا، رقم ٢٣٠٤٩، محفظة ٨٩٩، عين ١، دولا ب ٤٤.
- Rae, W. Farser, Egypt To-Day, London, 1892, p. 300. (٤٤)
- (٤٥) الزمان، عدد ٧١٢، السبت ١٨٨٥/٩/١٢.
- (٤٦) أمين سامى، التعليم في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٧، ص ٨٩.
- (٤٧) نفسه.
- (٤٨) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المعارف، محفظة رقم ١٨، ترجمة مذكرة من سعادة وكيل المعارف محررة في ٢٠ فبراير سنة ١٨٩٧، رقم ٦٤.
- (٤٩) يعقوب أرتين، القول التام في التعليم العام، ترجمة: علي بهجت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٤، ص ٧١، ٨٢، ٨٧.
- (٥٠) أحمد شفيق، مذكراتى في نصف قرن، القسم الأول من الجزء الثانى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٤٩-٥٠، ٩١.

- (٥١) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ٧٤.
- (٥٢) Rae, op. cit., p. 191.
- (٥٣) يعقوب أرتين ، المصدر السابق، ص ص ٨٦-٨٩.
- (٥٤) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المعارف، محفظة رقم ١٨، صورة المحرر من نظارة المعارف إلى اللجنة المالية في ١٨٩٧/٧/٧.
- (٥٥) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ص ١١٣-١١٨.
- (٥٦) نفسه، ص ٢٣، ٣٥-٣٦، ٤٦-٤٧، ٥٣-٥٤، ٦٠-٦١.
- (٥٧) حسن الفقى، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ١١٠.
- (٥٨) يعقوب أرتين، المصدر السابق، ص ١٩، ٣٣.
- (٥٩) Miliner, Alfred. England in Egypt. London, 1903. pp. 303-304.
- (٦٠) Rae, op. cit., p. 301.
- (٦١) محمد عبده، الأء، "ال كاملة، الجزء الأول، الكتابات السياسية، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٩، ص ٧٠٤.
- (٦٢) أمين سامى، التعليم في مصر، ص ٨٩.
- (٦٣) محمد شريف سليم، «يعقوب أرتين باشا»، مقال في المقتطف ١٩١٩/٣/٥؛ مجلة التربية الحديثة، العدد الرابع، السنة العاشرة، أبريل ١٩٣٧، ص ٣٧٩.
- (٦٤) Davidian , Seraphin. Genealogie et Biographie de S.E. Yacoub Artin Pacha. Le Caire. 1917. p. 16.

- (٦٥) القاهرة، عدد ٢٢٧، الثلاثاء ١٤/٩/١٨٨٦.
- (٦٦) القاهرة الحرة، عدد ٥٦٢، الإثنين ٣١/١٠/١٨٨٧.
- (٦٧) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الآثار، محفظة رقم ٤/٣/أ، ترجمة مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلى مجلس النظار وناظر الداخلية محررة في ٢٣/٧/١٨٩٦.
- (٦٨) Davidian, op. cit., pp. 16-17.
- (٦٩) الإخلاص، عدد ٢١، الخميس ١٣/١٠/١٨٩٥.
- (٧٠) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، مصلحة الصحة العمومية، محفظة رقم ٢/٢/أ، تقرير إلي مجلس النظار وناظر الداخلية محرر في ٢٣/٧/١٨٩٦.
- (٧١) ملف يعقوب أرتين، مصدر سابق: الزمان، عدد ٤٦٣، الأربعاء، ٢٩/١٠/١٨٨٤.
- (٧٢) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٨، ٩٠.
- (٧٣) Rac, op. cit. pp. 300,301.
- (٧٤) حول تطور جهاز المالية في مصر خلال القرن التاسع عشر أنظر:
أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ص ٨١-٨٣؛ طلعت
إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ١٢٧-١٤١؛ عبد الرحمن
الرافعي، عصر إسماعيل، جزآن، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة،
١٩٨٢، الجزء الأول، ص ٥٠.

(٧٥) ديوان المعية تركي، س ١/٤٧/٢ (٥)، ص ٣٨، رقم ٣٨١، أمر من الجنا ب العالي إلى كتخدا في ٢٧ ذى القعدة ١٢٣٥ هـ.

(٧٦) ديوان خديو تركي، س ٢/٤٩/٦ (٧٧٩)، ص ١٣٠، رقم ٨٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلي حسين بك ناظر المهمات الحربية في ٢١ صفر ١٢٤١ هـ: س ٢/٤٠/٨ (٧٥٠)، ص ٨٥، رقم ١٨٩، مكاتبة من ديوان خديو إلى الخواجه يعقوب كبير صيارفة الخزينة في ٢٠ شوال ١٢٤٤ هـ.

(٧٧) نفسه، س ٢/٤٩/٣ (٧٥٦)، ص ١٠٢، رقم ٤٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلى الجنا ب العالي في ١٣ ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.

(٧٨) ديوان المعية تركي، س ١/٥٨/٢ (٤٤)، ص ٨٨، رقم ٥٠٤، أمر من الجنا ب العالي إلي حبيب أفندي في ٩ جماد أول ١٢٤٨ هـ: س ١/٥٥/١ (٤٩)، ص ٥٥، رقم ٢٧٤، مكاتبة من المعية إلي حافظ أفندي ناظر الحرير في ١٠ صفر ١٢٤٩ هـ.

(٧٩) ديوان المعية عربي، س ١/٢/٢ (٢٥٨)، ص ٣٧١، رقم ٣٨٢، مكاتبة من المعية السنية إلي مأمور تحصيلات القومانية في ١٧ ربيع أول ١٢٦٧ هـ.

(٨٠) Hamont, op. cit., Vol.1, p. 51.

(٨١) ديوان المعية تركي، س ١/٤٧/٥ (١١)، ص ١، رقم ١، مكاتبة من المعية إلي متصرف جرجا في غرة محرم ١٢٣٥ هـ.

(٨٢) ديوان خديو تركي، س ٢/٣٠/٢ (٧٣٢)، ص ٥١٥، رقم ٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلي حسين أغا مأمور نظام الفيوم في ١١ ربيع أول ١٢٤٢ هـ.

(٨٣) نفسه، س ٢/٣٠/٧ (٧٣٩)، ص ٩، رقم ٤٧، مكاتبة من ديوان الخديو إلي عبد الرحمن أغا ناظر قسم محلة دمنة في ٨ محرم ١٢٤٤ هـ.

- (٨٤) نفسه، س٢/٤٠/٨ (٧٥٠)، ص٣١، رقم ٦٥، مكاتبة من ديوان خديو إلى أحمد باشا في ١٣ رمضان ١٢٤٤ هـ.
- (٨٥) نفسه، س٢/٤٠/١٥ (٧٦٣)، ص١٥٤، رقم ٣١٥، مكاتبة من ديوان خديو إلى رستم أفندي مأمور نصف البحيرة في ٥ ذي الحجة ١٢٤٤ هـ.
- (٨٦) نفسه، س٢/٤٠/٢٤ (٧٨٤)، ص٧٣، رقم ١٤٣، مكاتبة من المجلس العالي إلى ديوان خديو في ٣ جماد ثان ١٢٤٧ هـ.
- (٨٧) نفسه، س٢/٤٠/٢٦ (٧٨٥)، ص ٤٤، رقم ٧٥، مكاتبة من المجلس العالي إلى ديوان خديو في ١٦ صفر ١٢٤٨ هـ.
- (٨٨) ديوان المعية عربي، س١/٥/١ (٣)، ص ١٩٥، رقم ٩٥١، أمر من الجنب العالي إلى كتحدا ولي النعم والي جده في ٢٦ شعبان ١٢٤٧ هـ.
- (٨٩) ديوان خديو تركي، س٢/٤٩/٦ (٧٧٩)، ص ١٣٠، رقم ٨٤٣، مكاتبة من ديوان خديو إلى حسين بك ناظر المهمات الحربية في ٢١ صفر ١٢٤٢ هـ.
- (٩٠) ديوان المعية تركي، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص٢١، رقم ٥٣، أمر عال إلى الوكيل باشي في ١٠ رجب ١٢٥٢ هـ.
- (٩١) ديوان خديو تركي، س٢/٤٠/٥ (٧٤٥)، ص ١٠٠، رقم ١٦٤، مكاتبة من مأمور ديوان خديو إلى مأمور أشغال المحروسة في ١٨ محرم ١٢٤٤ هـ.
- (٩٢) نفسه، س٢/٤٩/٣ (٧٥٦)، ص ١٠٢، رقم ٤٥٤، مكاتبة من ديوان خديو إلى الجنب العالي في ١٣ ربيع ثان ١٢٤٦ هـ.
- (٩٣) ديوان المعية تركي، س١/٧٩/١ (٦٢)، ص ٨٩، رقم ٦٤٨، أمر من الجنب العالي إلى باقي بك في ١٩ صفر ١٢٥١ هـ.

(٩٤) ديوان المعية عربى ، س١/٢/٥٩ (٨١ ج ٥)، ص ٩٠٤، رقم ٨٠٦، مكاتبة من المعية إلى مجرديتش صراف قومبانية البقعة في ٢٩ شعبان ١٢٦٨ هـ.

(٩٥) Deny, John, "Sommaire des Archives Turques du Caire". Societé Royale de-Geographie d'Egypte. Le Caire. 1930, p. 218, 259.

(٩٦) محافظ الذوات تركى. رقم ٢، وثيقة رقم ٢٤/١٩٧، ترجمة أمر عال من الجنا ب العالى إلى إبراهيم بك وكيل ناظر الغلال في ٢٠ ذى الحجة ١٢٤٢ هـ.

(٩٧) نفسه، وثيقة رقم ٤/٢٤٩، ترجمة أمر من الجنا ب العالى إلى أمين أفندى وكيل مبيع الأصناف في ١٥ رمضان ١٢٤٣ هـ.

(٩٨) ديوان المعية تركى ، س ١/٥٧/١ (٢٦)، ص ٢٥، رقم ٣١٦، أمر من الجنا ب العالى إلى المعية في ٢٤ جماد ثان ١٢٤٤ هـ.

(٩٩) ديوان خديو تركى. س٢/٤٠/١٢ (٧٦٠)، ص ١٠٧، رقم ٣٠٧، مكاتبة من ديوان خديو إلى محمد أفندى مأمور منوف في ٢ جماد أول ١٢٤٥ هـ.

(١٠٠) ديوان المعية تركى، س١/٦٢/١ (٦٨)، ص ١، رقم ١، أمر من الجنا ب العالى إلى برهان بك في ٢٩ ربيع أول ١٢٥١ هـ.

(١٠١) نفسه، س١/٥٥/٥ (٨٦)، ص ٢١، رقم ٥٢، أمر عال إلى كتحدا في ١٠ رجب ١٢٥٢ هـ.

(١٠٢) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ١٥١.

(١٠٣) تعداد النفوس، محافظة مصر، رقم ٢٧٠، إجمالى السجلات فى عام ١٢٨٥ هـ، ص ٤٨.

(١٠٤) أصبح نوبار باشا أنيس مراقباً لسكرتارية المالية منذ أول أبريل ١٩٠٧. رُفِت لوفاته في ١١ أبريل ١٩١٢.

ملف نوبار باشا أنيس، رقم ٢٤٩٥٠، محفظة ١٠٤٣، عين ٢، دولا ب ٥١.

(١٠٥) رُفِت ديكران أفندي أبيبيان في ٢١ يناير ١٩٠٣ بسبب إلغاء إدارة الأموال غير المقررة والدخوليات.

ملف ديكران أفندي أبيبيان، رقم ٢١٦٦٧، محفظة رقم ٨٠٤، عين ٢، دولا ب ٣٩.

(١٠٦) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/٥/د، ترجمة مذكرة من اللجنة المالية إلى مجلس النظر بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٩٢.

(١٠٧) تقاعد عن الخدمة في ٢٠ ديسمبر ١٩٠٩.

ملف كريكور جواهرجيان، رقم ٢٤٠٦٠، محفظة ٩٧٥، عين ٤، دولا ب ٤٧.

(١٠٨) تقاعد عن العمل في ١٧ يونيو ١٩٠٥ بسبب ضعف بصره.

ملف الكسان أفندي جرابيد، رقم ٢٢٥٦٠، محفظة ٨٦٥، عين ٢، دولا ب ٤٢.

(١٠٩) ملف بوغوص أفندي نشان، رقم ١٧٨٨٥، محفظة ٥٩٨، عين ١، دولا ب ٢٩.

(١١٠) تقاعد الكسان جرابيد عن العمل في ٩ مايو ١٩٠١ لإصابته بجمي وأمراض رئوية.

ملف الكسان جرابيد، رقم ٢٠٩٠٧، محفظة ٧٥٢، عين ٤، دولا ب ٣٦.

(١١١) تقاعد سرركيس أفندي كريكوريان عن العمل في ٨ يونيو ١٩٠٧ لضعف بصره وإصابته بلس في البول.

ملف سرركيس أفندي كريكوريان، رقم ٢٣٢، محفظة ٩١٤، عين ٤، دولا ب ٤٤.

- (١١٢) ملف كبريل أفندي شربوسيان، رقم ١٧٩٨٠، محفظة ٦٠١، عين ١، دولا ب ٢٩.
- (١١٣) ملف أنضون أفندي جراييد، رقم ١٩٢٨٩، محفظة ٦٦٢، عين ٢، دولا ب ٣٢.
- (١١٤) ملف تاكفور أفندي مليك، رقم ١٤١٥١، محفظة ٤٧٤، عين ٤، دولا ب ٢٢.
- (١١٥) ملف أرداشيس أفندي كونجيان، رقم ١٧٩٦٦، محفظة ٦٨٨، عين ٣، دولا ب ٣٣.

(١١٦) استمرت السكك الحديدية في مصر منذ نشأتها عام ١٨٥٢ وحتى عام ١٩١٩ حانرة من حيث إدارتها وتبعيتها، فهي تارة مصلحة قائمة بذاتها وتارة أخرى تتبع مصلحة أخرى وتارة ثالثة تتبع نظارة الأشغال والمعارف ورابعة تتبع محافظة مصر وخامسة تُديرها هي وميناء الإسكندرية لجنة أجنبية مختلطة وسادسة تتبع رئاسة مجلس النظار وغير ذلك حتى استقرت تبعيتها لوزارة المواصلات التي أنشئت عام ١٩١٩. وللمزيد :

فاطمة علم الدين، تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٨٣-٨٨.

(١١٧) ملف نويار باشا، مصدر سابق.

(١١٨) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ١١٢.

(١١٩) محافظ الأبحاث، رقم ٤٥، ترجمة إفادة صادرة في غرة ذي القعدة ١٢٧٤ هـ مستخرجة من سجل رقم ٥٠٩ تركي، ص ٨٠.

(١٢٠) Nubar Pacha, Memoires. Introduction et Notes de M. Boutros Ghali, Librairie du Liban, Beyrouth, 1983, pp. 169-173, 182-184.

(١٢١) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ٣١٨.

(١٢٢) جنين مارلو، تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨-١٨٨٢، ترجمة: عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٧٩-٨٠.

Nubar Pacha, op. cit., p. 186. (١٢٣)

(١٢٤) محافظ الأبحاث، رقم ٤٧، ترجمة إفادة صادرة فى ٩ رجب ١٢٨١ هـ، مستخرجة من سجل ٥٣٩ تركى، ص ٤٦؛ أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٥٥٢، ٥٨٢-٥٨٣.

Nubar pacha, op. cit., p. 246. (١٢٥)

(١٢٦) تعين نوبار في عام ١٨٥٠ مديراً للإدارة الصحية (الكورنتينه) خلفاً للمهندس يوسف حككيان.

Ibid., pp. 250-253.

(١٢٧) «سكك حديد مصر في ١٢٥ عام ١٨٥٢-١٩٧٧»، مطابع السكة الحديد، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٩.

(١٢٨) فاطمة علم الدين، المصدر السابق، ص ٨٧.

(١٢٩) «سكك حديد مصر في ١٢٥ عام-»، المصدر السابق.

(١٣٠) نفسه، ص ٢٤؛ محافظ مجلس الوزراء، مصلحة السكة الحديد، محفظة رقم ١/٢، صورة أمر عال صادر في ٢٥ صفر ١٣٠٤ هـ.

(١٣١) فاطمة علم الدين، المصدر السابق، ص ٨٧.

(١٣٢) نفسه؛ مصلحة السكة الحديد، محفظة رقم ٢/٢/١، وثيقة رقم ١٩، مذكرة من بوغوص نوبار إلي رئيس النظار في ١٨٩٧/٤/٤.

(١٣٣) الإتحاد المصري، عدد ١١١٥، الخميس ١٨٩٢/٢/١١؛ «سكك حديد مصر في ١٢٥ -»، ص ص ٢٣٤-٢٣٧.

(١٣٤) تقاعد يوسف بك مانوج عن العمل في ١٦ أكتوبر ١٩٠٠.

ملف يوسف بك مانوج، رقم ٢٢٧٢٧، محفظة ٩٥٢، عين ٤، دولا ب ٤٦.

(١٣٥) تقاعد أنتيموس كولهلين عن العمل بسبب مرضه في ١٥ مارس ١٩٠٤.

ملف أنتيموس كولهلين، رقم ٢٢٠٩٢، محفظة ٨٣٥، عين ٤، دولا ب ٤٠.

(١٣٦) تقاعد أسادور بك شيردجيان عن العمل بسبب الإصابة في ١٥ يونية ١٩٠٤.

ملف أسادور بك شيردجيان، رقم ٢٢٢٦٧، محفظة ٨٤٧، عين ٣، دولا ب ٤١.

(١٣٧) ملف أفيديك كونجيان، رقم ١٥٦٠٩، محفظة ٥٢٠، عين ١، دولا ب ٢٥.

(١٣٨) ملف تاكلور أفندى چورچ، رقم ١٤٢٣١، محفظة ٤٧٦، عين ٤، دولا ب ٢٢.

(١٣٩) سوف يتم شرح تطور جهاز التجارة والخارجية في مصر خلال القرن التاسع عشر في الفصل القادم.

(١٤٠) Hamont, op. cit., Vol. 2, p. 280.

(١٤١) ديوان المعية تركي، س ١/٦٠/٢ (٥٩)، ص ٨٩، رقم ٢٩١، أمر من الجنا ب

العالي إلي خازن دار الإسكندرية في ٢٥ شعبان ١٢٥٠ هـ.

(١٤٢) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفي الحكومة المصرية ابتداء من

رُتبة البكباشي مُستخرجة من سجل رقم ٣٦٨ تركي عمل ما بين ١٣٦٥ -

١٣٦٨ هـ.

(١٤٣) ملف أراكيل بك، رقم ٥٧٤٢، محفظة ٢٣٧، عين ١، دولا ب ١١: الوقائع المصرية، عدد ٥٣٦، الإثني ١٨٧٣/١٢/٩.

(١٤٤) ملف إسكندر بك بوزارى، رقم ١٠٦٠٨، محفظة ٣٦٧، عين ٣، دولا ب ١٧.

(١٤٥) ملف جرابيد بك شيردجيان، رقم ٢٣٧٨٩، محفظة ٩٥٥، عين ٤، دولا ب ٤٦.

(١٤٦) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٤: الزمان، عدد ٤٤٦، الخميس ١٨٨٤/١٠/٩.

(١٤٧) ديوان المعية تركى، س١/٥٥/٢٣ (٥٣٩)، ص ٦٩، رقم ١٤، أمر إلي نوبار باشا في ٤ ذي القعدة ١٢٨١ هـ.

(١٤٨) تعيين ديكران سكرتيراً لمجلس النظار منذ ٣١ ديسمبر ١٨٧٨ حتى ١٨٨١.

ملف ديكران باشا، رقم ١٨٢٦٦، محفظة ٦١٢، عين ٤، دولا ب ٢٩.

(١٤٩) حول تطور الجهاز القضائى فى مصر خلال القرن التاسع عشر :

عبد الرحمن الراقى، عصر محمد علي، ص ص ٥٢٦-٥٢٧: عصر إسماعيل.

ج ١، ص ص ٥٠-٥٣: أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص

٨٢: طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ١٢٥، ١٤٢.

(١٥٠) عمر طوسون، البعثات العلمية، ص ٣٣٣: زكى صالح ومحمود مرسى، المصدر السابق، ص ١٣٥ وما بعدها.

(١٥١) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٥٢، ٢٦٦، ٢٩٠، ٣٠٨. (بالأرمنية)

"Livres d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte 1876-1926", (١٥٢) Alexandrie, 1926, p. VI.

(١٥٤) توقف يوسف عزيز عن العمل في ٢٠ أغسطس ١٩١١ بسبب وفاته.

ملف يوسف بك عزيز، رقم ٢٤٧٩٩، محفظة ١٠٣١، عين ٣، دولا ب ٥٠.

(١٥٥) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ١/١/١، مذكرة من
سكرتارية مجلس النظار إلي نظارة الحقانية في ١٣/١٢/١٨٨٦.

"Livres d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte, p. VI. XVIII. (١٥٦)
XXIII:

فهرست الأوامر العلية والذكريات الصادرة في سنة ١٨٩٧، مطبعة بولاق،
القاهرة، ١٨٩٨، ص ٢٣.

(١٥٧) ملف أرتين بك رايزيان، رقم ٢٤٩١٢، محفظة ١٠٤٠، عين ١، دولا ٥١؛
محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ١/١/١، مرسوم خديوى
بتعيين أرتين رايزيان قاضى بمحكمة الإسكندرية في ٢٩/١/١٨٨٤.

"Livres d'Or les Juridictions Mixtes d'Egypte, p. XXIV (١٥٨)

(١٥٩) فهرست الأوامر العلية والذكريات الصادرة في سنة ١٨٩٥، مطبعة بولاق،
القاهرة، ١٨٩٦، ص ١٦.

(١٦٠) ملف أدولف كوريريان، رقم ١٨٣١٨، محفظة ٦١٤، عين ٤، دولا ٢٩.

(١٦١) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الحقانية، محفظة رقم ١/٢/٧، مذكرة من
الحقانية إلى مجلس النظار، رقم ٢٨، محررة في ١٩/١/١٨٨٩.

(١٦٢) بلغت مدة خدمة أنضون ونيس شويانيان في الحكومة ثمانية عشر عاماً
وشهرين وسبعة عشر يوماً.

ملف أنضون ونيس شويانيان، رقم ٢٤٤١١، محفظة ١٠٠٥، عين ٢،
دولا ٤٩

(١٦٣) ملف يعقوب أغا تشاركيان، رقم ١٨٨٥١، محفظة ٦٣٩، عين ١، دولا ٣١.

(١٦٤) حول تطور جهاز الداخلية في مصر خلال القرن التاسع عشر:

عبد الرحمن الراجعي، عصر محمد علي، ص ٥٢٦، أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ١٣٧.

(١٦٥) ملف يعقوب أفندي جرابيد، رقم ٢٧٣٣٨، محفظة ١٢٥٠، عين ٣، دولا ب ٦١.

(١٦٦) ملف آرام بك بابازيان، رقم ٢٥١٣٢، محفظة ١٠٥٩، عين ١، دولا ب ٥٢؛ فهرست الأوامر العلية والذكرينات الصادرة في سنة ١٨٩٥، ص ١٥٠.

(١٦٧) تقلد هوفانيس هاجوييان وظيفة وكيل إدارة بقسم المستخدمين واللوازم بالداخلية منذ أول نوفمبر ١٩٠١. رُفَّت لوفاته في ١٨ يناير ١٩١٧.

ملف هوفانيس بك هاجوييان، رقم ٢٧١٢٧، محفظة ١٢٢٣، عين ٤، دولا ب ٦٠.

(١٦٨) الوقائع المصرية، عدد ٥٨٣، الأحد ٢٩/٢/١٨٧٤.

(١٦٩) البريد، عدد ٢٢٤، الثلاثاء ١٢/٧/١٨٩٨.

(١٧٠) حول تطور جهاز الأشغال العمومية في مصر خلال القرن التاسع عشر:

أحمد قمحة وعبد الفتاح السيد، المصدر السابق، ص ٨٤؛ طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ١٤١-١٤٣.

(١٧١) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الري، محفظة رقم ٢/٢/١، كشف بأسماء الخدمة بإدارة عموم المباني الصناعية، رقم ٥، محرر في ١٨٨٦/٢/١٠.

(١٧٢) مصلحة الري . محفظة رقم ٢/٢/ب، مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلي رئاسة مجلس النظار رقم ٦٨٣ محررة في ١٨٨٨/ ٦/١٦.

(١٧٣) نفسه، محفظة رقم ٢/٢/أ، كشف بأسماء الخدمة المصرح بتعيينهم لتفتيش
الرى بموجب قرار من مجلس النظار في ٢٤/١٠/١٨٨٥.

(١٧٤) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة التنظيم، محفظة رقم
٦/٤/أ، كشف بأسماء المُستخدَمين التملية بتفتيش مصر، رقم ٢.

(١٧٥) فهرست الأوامر العلية والذكريات الصادرة في سنة ١٨٩٧، ص ٢٩.

(١٧٦) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، مصلحة الآثار، محفظة رقم ٤/٣/أ،
وثيقة رقم ٤٥، ترجمة مذكرة من نظارة الأشغال العمومية إلى رئاسة مجلس
النظار، رقم ٦١٦، محررة في ٢٨/١٢/١٨٨٧.

(١٧٧) كان أنضون أفندي جرابيد المفتش بمصلحة المطرية مثلاً للموظفين الأرمن
الذين رُفُتُوا لسوء سلوكهم. ويتضح من ملف خدمته أنه نال العديد من
الجزاءات الإدارية والمالية كما أثبت التحقيق الذي أُجرى معه أنه استغل
مركزه في الحصول على أسماك من الصيادين دون دفع ثمنها أو قيدها.
وكان يستولي على أدوات المصلحة لنفسه مثل الغاز والشمع والأدوات
المعدنية والملح وغيرها. كما كان يصرف الملح بشوائبه. وكان موظفو المصلحة
يُتاجرون في الأسماك خلسة من وراء الحكومة ويتقاسمون أثمانها معه.
واستغل جرابيد عمال المصلحة في الخدمة بمنزله الخاص لأداء أعمال
النظافة والطبخ وغيرها. كما كان يُشغل أشخاصاً من خارج المصلحة دون
تصريح حكومي لهم بذلك. وكان المفتش جرابيد يغيب كثيراً عن عمله ناهيك
عن سوء خلقه وسمعته

ملف أنضون أفندي جرابيد، مصدر سابق.



الفصل الخامس

الدور السياسي للأرمن

١- الأرمن في البلاط

٢- إدارة الإقليم

٣- النظريات

١- الأرمن في البلاط

انتشر الأرمن في بلاط الحكام، لاسيما محمد علي، يُمارسون مهاماً متعددة. فقد كان يغيازار أميراً بدروسيان صراف محمد علي الخاص، وكان لابان ماماس باش ممون محمد علي حتى عام ١٨٣١ ثم خلفه ابن أخته هوقانيس حتى عام ١٨٤١. وكان ماييس حداده الخاص حتى عام ١٨٢٨ ثم خلفه هوقانيس حتى عام ١٨٤١ ثم كيغورك بك رابانيليان منذ عام ١٨٤٥. وثمة ترزي أرغنى لمحمد علي وصانغ أيضاً. وكذا، هناك أطباء أرمن للحكام مثل الطبيب چيوغانى بوزارى طبيب محمد علي وإستيبيان كيغوركيان طبيب إبراهيم باشا وحريمه.^(١)

ولامراء فى أن مثل هذه الأعمال قد جعلت الأرمن علي مقربة من الحكام وأدت إلي توثيق الصلة بهم. بيد أن أهم وظيفة مارسها الأرمن في البلاط، بل وأخطرها قاطبةً، هى وظيفة «التَرْجُمان» الخاص بالحكام. وتكمن أهمية هذه الوظيفة في جَهل معظم الحكام باللغات الأوربية. ومن ثم، وقوف المترجمين على أسرار الدولة برمتها. وبالتالي، غدا حتمياً علي الحكام انتقاء أخلص العناصر لتقلد هذه المهمة. ولامراء فى أنه تبعاً لهذا فقد تبوأ المترجمون مكانة خاصة لدى الحكام تمخض عنها قيامهم بدور هام في البلاط.

وهنا، تجدر الإشارة إلي أن وظيفة «التَرْجُمان» كانت معروفة في مصر منذ العصر المملوكي (١٢٥٠ - ١٥١٧). وقد وصف حسين أفندي الروزنامجى عمل صاحبها بقوله: «وكانت خدمته الوقوف في كل ديوان لأجل تعريف الكلام بكل لسان».^(٢) وثمة اثنان من التَّرَاجمة قد اشتهرا في الإدارة العثمانية بمصر وهما «ترجمان باشى» - أى كبير تراجمة

مصر - و«ترجمان صغير» - أى ترجمان قاضى عسكر أفندى. وقد انحصرت مهمتهما في الترجمة من التركية إلى العربية أو العكس.^(٣)

أما منذ حكم محمد علي فقد أصبح مطلوباً من التُّرجمان ليس فقط معرفة اللغتين التركية والعربية، بل لابد ، وهو الأهم، من إجادة لغات الدول الأوربية التى يتعامل معها الحكام. ومما هو جدير بالذكر أن هذه الميزة قد توفرت لدن الأرمن الذين أجادوا عدداً من اللغات الشرقية والأوربية. لذا، عملوا مترجمين لمحمد علي وخلفائه بشكل يكاد يكون احتكراً. ولتأكيد هذا يمكن رصد عدد ليس بقليل من الأرمن الذين عملوا مترجمين خصوصيين للحكام في مصر علي امتداد القرن التاسع عشر. فحتى عام ١٨١٠ عمل مجرديتش حكيكيان - والد المهندس يوسف حكيكيان - ترجماناً لمحمد علي.^(٤) وظل بوغوص يوسفيان الأزميرى ترجماناً لمحمد علي حتى عام ١٨٢٦ عندما عُيِّن في منصب ناظر ديوان التجارة.^(٥)

هذا، وقد استدعى بوغوص يوسفيان - ناظر ديوان التجارة - عدداً من أقاربه وأبناء موطنه (أزمير) ليعملوا مترجمين لدن محمد علي. إذ بفضل وساطته تعين خاتشادور أوهانيسوف ترجماناً لمحمد علي منذ عام ١٨٣٠.^(٦) وتقلد جرابيد (شارلو) نوباريان - شقيق نوبار - وظيفة ترجمان محمد علي بين عامى ١٨٣٠ - ١٨٣٩.^(٧) وعمل ميناس ميكانيليان ترجماناً ثانياً لمحمد علي منذ عام ١٨٣٥.^(٨) واشتغل أريستاجيس الطونيان درى بهذه الوظيفة أيضاً لدى محمد علي.^(٩) وكذا، عمل إسطفان دميرچيان ترجماناً في معية محمد علي منذ ٢٥ شوال ١٢٣٤ هـ (١٨٣٧).^(١٠)

وأيضاً اشتغل أرتين تشاركيان بهذه الوظيفة بين عامى ١٨٣٩ - ١٨٤٤.^(١١) ثم خلفه شقيقه خسروث تشاركيان الذى أصبح في عام ١٨٤٧ رئيساً لديوان المعية. كما عمل ترجماناً لحريم محمد علي وإبراهيم وعباس الأول.^(١٢) وبدأ إسكندر بك بوزارى - ابن جيوشانى بوزاري طبيب محمد علي الخاص - حياته الوظيفية ترجماناً ثالثاً لمحمد علي فيما بين عامى ١٨٤٣-١٨٤٨.^(١٣)

وكذا، عمل نوبار نوباريان ترجماناً ثانياً لمحمد علي منذ ٤ جماد ثان ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤)، ثم ترجماناً لإبراهيم باشا وعباس حلمي الأول. وأصبح باشرتجماناً في ٢٥ صفر ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠).^(١٤) وقد ظل نوبار، علي فترات متقطعة، يقوم بمهام الباشترجمان خلال حكمي عباس الأول وسعيد وأوائل حكم إسماعيل بسبب إجادته واستقامته وحسن وقوفه علي الأمور والمصالح.^(١٥) كما بدأ شقيقه أراكيل نوباريان - حاكم الخرطوم فيما بعد - حياته الوظيفية ترجماناً لإبراهيم باشا ثم أصبح باشرتجماناً في ٢٨ صفر ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦) وأنعم عليه بالرتبة الثانية المتمايزة.^(١٦) ومنذ بداية حكم إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) عمل أبرام بك ترجماناً ثانياً له.^(١٧) ثم رئيساً للمترجمين منذ ٢٨ جماد أول ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤).^(١٨) وقد حل شقيقه أبراهام محله رئيساً للمترجمين منذ عام ١٨٦٩.^(١٩)

وهكذا، يتضح أن الأرمن قد استأثروا تقريباً بوظائف المترجمين الخصوصيين لمحمد علي وخلفائه. ويرجع هذا إلي ثقة الحكام فيهم ، وإجادتهم اللغات، ولباقتهم في إدارة الأحاديث. ناهيك أن المترجمين الأرمن كانوا يُهَيَّئُونَ الفرصة لبني جنسهم كي يشغلوا أماكنهم عندما يُعَيَّنُونَ في وظائف أخرى. بيد أنه يلاحظ ازدياد عدد مترجمي محمد علي

وإبراهيم وعباس الأول عن سعيد وإسماعيل. ويرجع هذا إلي عدم معرفة الأول بلغات أوربية، بينما تعلم الحكام بدايةً من سعيد في أوربا وعرفوا لغاتها مما أدى إلي قلة احتياجهم لترجمين خصوصيين بدرجة كبيرة.

ورغم كثرة المخاطر المحيطة بعمل المترجمين الخصوصيين، لاسيما مع حكام متقلبين في أهوائهم مثل محمد علي وخلفائه، إلا أن الأرمن قد نجحوا في اكتساب ثقتهم وحبهم بل وتفضيلهم ومحاباتهم. فمنذ فترة مبكرة من حكم محمد علي يؤكد الجبرتي في أكثر من موضع أن الأرمن قد صاروا «أخصاء الدولة وجلساء الحضرة وندماء الصحة» و«أصحاب الرأي والمشورة».^(٢٠) ناهيك أن محمد علي كان يوصي كثيراً باستخدام ترجمة أرمن لأنهم أكثر كفاءة وأعلي قدراً.^(٢١) هذا، وقد كان محمد علي في وقت فراغه يُفضل الاستماع إلي قصة نابليون من خلال ترجمات أريستاجيس الطونيان. وقد سرته إحدى ترجماته فأطلق عليه لقب «دُرِّي» (اللؤلؤ) الذي التصق به منذ ذلك الحين.^(٢٢) كما اختار محمد علي مترجمه الخاص أرتين تشراكيان كي يُترجم له كتاب الأمير ليكيافيللي Machiavelli^(٢٣) فأخذ أرتين يُترجم حوالي عشر صفحات يومياً، وعندما بلغ اليوم الرابع، سأم محمد علي الاستماع إليه، وعلّق على أرتين قائلاً: «... أقول لك بصراحة إنه ليس لدى ميكيافيللي شيئاً أتعلمه منه، بل أعرف جيداً حيلاً أكثر مما يعرف، ولست بحاجة إلي معرفة ما تبقى».^(٢٤)

وقد أثنى الزائرون والرحالة الأجانب الذين زاروا مصر علي القدرات اللغوية وعلى لباقة المترجمين الأرمن العاملين في البلاط. فمثلاً، أهدى قيصر الروس نيشان القديس اسطانيسلاس من الطبقة الثانية إلي

خسروث تشاركيان في سنة ١٨٤٩. ^(٢٥) كما أشاد الرحالة الإنجليزي السير ريتشارد بيورتون Burton خلال رحلاته بالقدرات اللغوية للمترجمين الأرمن العاملين في البلاط المصري بقوله: «لقد سمعته يتحدثون مراراً بأنقى لهجة وعبارة ممتازة، ويتقنون اللغات الأوربية بدرجة فائقة إلى جانب لغتهم الأم والتركية والعربية والفارسية والهندية». ^(٢٦)

وتُكشف مذكرات نوبار عن نجاح المترجمين في التسلل إلى عقول الحكام ونواياهم ومعرفة ما يدور فيهما خلال ساعات الصفاء والشكوى التي كان يحلو للحكام تبادل أطراف الحديث خلالها مع مترجميهم. ومن خلال هذه الأحاديث عرفوا طبائع أسيادهم ونقاط الضعف لديهم فضلاً عن العديد من الأسرار. فمثلاً، عندما توترت العلاقات بين محمد علي وابنه إبراهيم، أفصح إبراهيم لمترجمه وسكرتيه نوبار عن تخوفه من أن يُخطط والده لاغتياله. ثم تلقى إبراهيم خطاباً من أبيه مُفعماً باتهامات وراعى خيانة، لذلك أمر رجاله بأن يكونوا مُستعدين للاشتباك في حالة تعرضه لمحاولة اغتيال. ويؤكد نوبار أن إبراهيم كان على يقين من أن أباه يُخطط لقتله، لذلك ظل مُستعداً لقتل أبيه. ^(٢٧)

وكذا، أفصح إبراهيم لنوبار خلال رحلاتهما في أوروبا وجلساتهما الخاصة عما يدور بخلد من طموحات عندما يتولي حكم مصر. فيذكر نوبار أنه عندما كان إبراهيم في فرنسا بكى لأنه رأى الريف الفرنسي جذاباً وأخضر في حين كانت مصر بائسة. فقال لنوبار: «سوف أُغيرُ كل هذا إذا أطال الله في عمري». وكان إبراهيم جالساً في بيزا Piza في عام ١٨٤٧ فصاح بصوت عال قائلاً لنوبار: «لا لن أموت، لقد خلقني الله لخير مصر، لأجعلها غنية ومزدهرة، وليس من العدالة أن يُميتني قبل أن

أجعلها مزدهرة وسعيدة». ورغم قسوة إبراهيم المشهورة، إلا أنه كان مؤمناً بضرورة تطبيق العدالة ويتطلع دوماً إلى تنفيذها في مصر. هذا، وتجدر الإشارة إلي أن نوبار قد أدرك نقاط ضعف سيده. لذا، كان يُسرَى عنه كثيراً، وقت أزماته النفسية وثوراته، حتى وقت متأخر من الليل بأن يُعيد إلى مسامعه ذكريات انتصاراته الرائعة.^(٢٨)

وأيضاً، تكشف مذكرات نوبار عن قيام المترجمين بدور الجاسوسية لصالح الحكام. فقد عين محمد علي نوبار مترجماً وسكرتيراً لإبراهيم كي يُراقبه وينقل أخباره إلى ولي أمره بوغوص الذي سينقلها بدوره إلى محمد علي.^(٢٩) والحق، ليس هذا غريباً علي حاشية محمد علي التي كانت مسرحاً للمؤامرات والمنافسات وتكونت بداخلها التكتلات لاكتساب ثقته ورضاه. وقد شكّل الأرمن تكتلاً فعالاً داخل هذه الحاشية بزعامة بوغوص يوسفیان.^(٣٠) ويؤكد هامون هذه الحقيقة بقوله: «إن الأرمن هم الأقوى في بلاط الوالي».^(٣١)

كما قام المترجمون بتنفيذ بعض المهام الخاصة التي يكلفهم بها الحكام. فعلى سبيل المثال، قام المترجم أبراهام بك بدور كبير في تحويل المناخ المعادى لإسماعيل في الأستانة إلى مناخ ودي مما جعله يحصل علي كثير من السلطات بفضل الرشاوى العديدة التي كان يمنحها عن طريق أبراهام ذي الشخصية الدبلوماسية.^(٣٢)

وهكذا، يتضح أن المترجمين الأرمن قد وثّقوا علاقاتهم بالحكام وأظهروا لهم إخلاصهم وتفانوا في خدمتهم. ويُعد هذا بمثابة البوابة الرئيسية التي عبروا منها إلي الوظائف الكبرى المتباينة. ولكن، يلاحظ أن الذين تعلموا تعليماً متواضعاً لم يتخطوا أكثر من كونهم مترجمين

عدا بوغوص، أما المتعلمون تعليماً عالياً فقد كانت وظيفة المترجم بالنسبة إليهم بمثابة الخطوة الأولى نحو منصب حكومي أعلى. ولما كان هؤلاء المترجمون على اتصال دائم بالحكام، فقد وقفوا على كثير من الأسرار واكتسبوا مزيداً من الخبرات التي جعلتهم مؤثرين، وبحق، في الجهاز الحكومي المصري خلال القرن التاسع عشر. كما يُلاحظ أن هؤلاء المترجمين قد جاؤا من المدن المتحضرة في الدولة العثمانية خاصة أزمير عن طريق آبائهم أو قريب حميم لديهم مثل بوغوص يوسفیان الذي استدعى معظمهم من موطنه أزمير. ولهذا، انحصر معظمهم في عائلات يوسفیان ونوباریان وأبرویان - التي توثقت علاقاتها أكثر فأكثر بالقرابة والمصاهرة - وتشراکیان. وأخيراً، لا غرو أن ارتقى أفراد هذه العائلات إلى أعلي السلم الإداري بمصر عندما تقلدوا مناصب النظار وحكام الأقاليم التابعة لمصر على نحو ما سيتضح الآن.



٢- إدارة الأقاليم

ثمة أرمنيان قد أدارا الأقاليم التابعة لمصر وهما: أراكيل بك نوباریان حاكم الخرطوم وسنار وأراكيل بك أبرویان حاكم مصوع. وهما منطقتان واعرتان جغرافياً مكتظتان بالمشكلات السياسية والاجتماعية وغيرها.

بدايةً، شغل أراكيل بك نوباریان (١٨٢٧/١٢/٢٧ - ١٨٥٨/٩/١٢)
- شقيق نوبار باشا - منصب مدير الخرطوم وسنار وملحقاتها منذ ٢

جماد ثان ١٢٧٣ هـ حتى ٦ ربيع ثان ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ - ١٨٥٨).^(٣٣) وقد ارتبطت ظروف تَقْلُدِه هذا المنصب بزيارة الوالي سعيد باشا إلى السودان وما نتج عنها. ففي يناير ١٨٥٧ توجه سعيد باشا إلى السودان في زيارة تَفْقُدِيَّة أدرك خلالها معاناة الأهالي بشدة من فداحة الضرائب وظلم الحكام. ووفق سعيد يُصلح أحوال السودان المتردية بعد أن كاد يُخليه لولا وساطة الأعيان. فأمر بإعفاء الأهالي من الضرائب المتأخرة عليهم وعدل نظامها بحيث انخفضت انخفاضاً كبيراً، وأنشأ محطة في صحراء كروسكو لتسهيل نقل البريد والمسافرين بين مصر والسودان، وأنشأ نقطة عسكرية على نهر السوياط لمنع تجارة الرقيق ومطاردة النخاسين. كما أصدر أوامره إلى مديري الأقاليم السودانية بمراعاة العدالة بين الأهالي في الضرائب والسخرة والقضاء.^(٣٤)

ومن الناحية الإدارية، وسّع سعيد في سودنة الإدارة نسبياً بإنشاء مجالس محلية تتألف أعضاؤها من رؤساء العشائر والعائلات السودانية، وعزل الموظفين الأتراك الذين أساءوا معاملة الأهالي واستبدلهم بسودانيين. كما ألغى منصب الحكمدارية العامة وقسم السودان إلى خمس مديريات مستقلة عن بعضها: سنار وكردفان والتاكة وبربر ودنقلة وتتبع كل منها حكومة القاهرة مباشرة.^(٣٥) كما ضم الخرطوم إلى سنار في مديرية واحدة جاعلاً أراكيل بك نوباريان مديراً لها ومشرفاً عاماً على الإصلاحات التي أقرها نظراً لما يُوصف به من حسن التدبير والسياسة.^(٣٦)

ولكن، قُوبِلَ أراكيل بمعارضة شديدة من قبل أقوى القبائل السودانية وكادت معارضتهم تتقلب ضد حكومة القاهرة لأنها أقامت عليهم حاكماً

مسيحياً لأول مرة. عندئذ، استقر رأى ضباط أراكيل على ضرورة محاربتهم وإخماد معارضتهم بسرعة حتى لا تحذو القبائل الأخرى حذوهم. بيد أن أراكيل أبى أن يبدأ حكمه بمحاربة رعاياه وأثر مواجهة الموقف سلمياً. فتوجه أعزل السلاح إلى القبيلة المعارضة وتجاوز مع زعيمها أبى سن حول ماهية معارضتهم: «أهى ضد الحكومة أم ضده بصفته مسيحياً؟. أعرب أبو سن عن أنها ضده شخصياً بوصفه ممسيحياً. عندئذ، رد عليه أراكيل قائلاً: «إذا كان الأمر كذلك، فأفعل بى ما تشاء حتى لا يُقال أننى كنتُ سبباً فى إراقة دماء الرعايا المخلصين لمولانا». فهزت هذه الكلمات مشاعر أبى سن الذى رد قائلاً: «لقد هزمتنى».(٣٧)

وبذا، نجح أراكيل فى استيعاب الموقف والقضاء على أول أزمة واجهته فى مستهل حكمه وأصبح المعارضون من أهم أعوانه. عندئذ، شرع أراكيل يُنظم أحوال مديريته ويُشرف على برنامج سعيد الإصلاحى. فاستبدل الكتبة والصيارفة غير المستقيمين فى مديريته وباقى مديريات السودان بغيرهم من المؤهلين والأكفاء الذين استدعاهم من القاهرة. وكوّن مجلساً للتجار يفصل فى منازعاتهم. كما أسس فرقةً عسكريةً لكنها أُلغيت بسبب صغر سن أفرادها وارتفاع نفقاتهم.(٣٨) وبذل مجهوداً كبيراً لجعل الخرطوم مدينة لائقة صحياً، فكلّف L'Ori - موظف الصحة الرئيسى - بتحسين الصحة العامة للنهر المقابل للخرطوم.(٣٩)

ورغم صرامة أراكيل إلا أنه كان حاكماً مستنيراً نجح خلال حكمه القصير فى تطبيق قسط من العدالة وتحجيم السخرة ووضع قوانين لضبط علاقات الأهالى. ولذا، أطلق عليه السودانيون لقب «الأمير العادل». ومع هذا، ظل يُعانى من اضطهاد بعض المسلمين المتشددین

ضده لكونه مسيحياً^(٤٠). وقد مات أراكيل على أثر إصابته بالدوسنتاريا أثناء عودته إلي الخرطوم بعد أن سوى مشكلة رفض إحدى القبائل دفع الضرائب فتَجَرَّع دواءً شديداً لإيقاف المرض لكنه قضى عليه. ويذكر نوبار أنه كان يدعو شقيقه للعودة إلي مصر فكان أراكيل يرد عليه قائلاً: «إن أمنيته هي مغادرة الخرطوم. ولكن، لمن أترك هؤلاء النُعاة؟»^(٤١)

وثانيةً، شَغَلَ أراكيل بك أبرويان (١٨٣٣-١٨٧٥/١١/١٦) من مُستخدَمِي الخارجية منصب محافظ مُصَوِّعٍ التابعة آنئذٍ لمديرية عموم شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر^(٤٢) تحت رئاسة منزجر Munzinger باشا^(٤٣) منذ أول ديسمبر ١٨٧٣ حتى ١٦ نوفمبر ١٨٧٥^(٤٤).

وقد بدأ أراكيل بك حكمه بإنجاز عدة مشروعات من أهمها إنشاء خط حديدى بين مصوع وكسلا انتهى في عام ١٨٧٤^(٤٥). كما احتك أراكيل بالقناصل الأوربيين الذين اتهموا إدارته بأنها تغض الطرف عن تجار الرقيق حتى أن أهالي مصوع يحصلون علي أرباح ضخمة من وراء هذه التجارة المحرمة. وأذاع القساوسة الفرنسيون في أورباً بأن مملكة الحبشة المسيحية قد تخربت علي أيدي أشخاص مسلمين من رعية الحكومة المصرية يتاجرون في الرقيق بمساعدة الحكومة المحلية في مصوع. إزاء ذلك، رأى أراكيل تشديد مراقبة تجار الرقيق بالسواحل المصرية وحتى تتأكد أورباً بالبراهين القوية أنه جار مجازاة تجار الرقيق وقمعهم^(٤٦).

وفي تلك الأثناء، أدت أطماع الخديو إسماعيل في ضم الحبشة لأملاكه إلي إرسال حملتين: الأولى بقيادة أرندروب بك Arendrupp^(٤٧) للهجوم عليها من جهة الشمال عن طريق مصوع، والثانية بقيادة منزجر باشا - مدير شرقي السودان ومحافظة سواحل البحر الأحمر - للهجوم

عليها من جهة الجنوب عن طريق ميناء «تاجورة» الواقع علي خليج عدن.^(٤٨) وقد اشترك أراكيل - محافظ مصوع - ضمن حملة أرندروب فعمل بدايةً مترجماً لكبار الضباط لأنه كان يُجيد اللغات التركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.^(٤٩) ثم، طلب من الخديو إسماعيل الإشتراك عسكرياً في الحرب مع أرندروب فسمح له بذلك.^(٥٠)

وتجدرُ الإشارة إلي أن أراكيل كان طموحاً يسعى إلى إحراز مكانة عالية، لذا، كان من أكبر أنصار الحملة علي الحبشة وأنشطهم. فقداد فرقةً عسكريةً مكونةً من «٨٠٠» سوداني ضمن حملة أرندروب التي زحفت بتهور عبر الجبال لمحاربة جيش الملك الحبشي يوحنا نيجوس البالغ عشرة أضعاف الحملة المصرية. وبعد اشتباك في منطقة تُسمى جوندت Giundet انهزم الجيش المصري وأبيدت فرقة أراكيل فيما عدا شخص واحد يُسمى حسين البربري الذي وقع أسيراً.^(٥١)

هذا، وقد اختلفت الآراء حول موت أراكيل أبرويان. فيذكر البعض أنه قُتل علي أيدي الأحباش^(٥٢)، بينما يذكر آخرون أنه قد انتحر خشية الوقوع في الأسر.^(٥٣) بيد أنه قد ورد في أوراق ربط معاش أراكيل عن كيفية وفاته: «أنه توجه إلى حرب الحبشة مع أرندروب بك بناءً علي أوامر الحضرة الخديوية وقُتل علي أيدي الأحباش».^(٥٤)

وهكذا، ساهم الأرمن في إدارة الأقاليم التابعة لمصر، ورغم صعوبة المناطق التي أداروها جغرافياً واقتصادياً وسياسياً، إلا أنهم نجحوا نسبياً في إدارتها. أكثر من هذا، اشتركوا في تنفيذ مشروعات مصر التوسعية في إفريقيا.



ارتقى الأرمن إلى أعلى المناصب في مصر بكونهم نظار ورؤساء نظارات. أكثر من هذا، ظلت بعض النظارات كالتجارة والخارجية حكرًا عليهم ، أو تكاد، طوال القرن التاسع عشر. ناهيك عن تَقْلُد نوبار باشا أكثر من نظارة إلى جانب رئاسته النظار ثلاث مرات. ولامراء في أنها جميعاً مناصب جد هامة ذات حساسية قام الأرمن من خلالها بدور ملحوظ في السياسة المصرية على امتداد القرن التاسع عشر.

في الابتداء، لقد استأثر الأرمن بمنصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية الذي تعددت مُسمياته علي امتداد القرن التاسع عشر. فعندما اتسعت تجارة مصر الخارجية بين عامي ١٨١٩ - ١٨٢٦ استلزم هذا تنظيم ديوان خاص للتجارة بالإسكندرية تَقْلُد إدارته بوغوص يوسفیان - ترجمان باشى محمد علي - منذ ٤ أبريل ١٨٢٦ تحت مُسمى «ناظر ديوان التجارة». وعندما أُعيد تنظيم الإدارة في عام ١٨٢٧ نُظمت الأمور التجارية والخارجية في «ديوان التجارة المصرية والأمور الإفرنجية». وقد أداره بوغوص أيضاً تحت مُسمى «مدير ديوان التجارة المصرية والأمور الإفرنجية» حتى وفاته في ١١ يناير ١٨٤٤. (٥٥)

ثم خلفه آرتين تشراكیان (شكرى) - ترجمان باشى محمد علي - في هذا المنصب تحت مُسمى «مدير التجارة والأمور الخارجية» منذ ٢٧ ذى الحجة ١٢٥٩ حتى ٨ ذى القعدة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٤/١/١٢ - ١٨٥٠/٩/١٤). (٥٦)

ويُلاحظ أنه بعد عزل آرتين لم يُعين عباس مديراً لهذا الديوان - ربما لانحسار العلاقات التجارية الخارجية إبان حكمه. واكتفي بتعيين إسطفان ديمرجيان (رسمى) منذ غُرة ذى الحجة ١٢٦٦ حتى ١٧ صفر

١٢٧٠ هـ (١٨٥٠/٩/٢٠ - ١٨٥٣/١١/٢٠) تحت مُسمى «وكيل إدارة الأمور الأجنبية المصرية»^(٥٧) كما عيّن أراكيل نوباريان - ترجمان باشى - في ٢٧ رجب ١٢٦٨ هـ (١٨٥١) وكيلاً لديوان المبيعات والتجارة.^(٥٨) وفي ١٣ ذى القعدة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣) فصل عباس ديوان الخارجية عن ديوان التجارة والمبيعات بالإسكندرية ونقله إلي القاهرة.^(٥٩)

وعندما تولي سعيد حكم مصر في عام ١٨٥٤ عيّن إسطفان دميرچيان رسمى في منصب «مأمور ديوان الأمور الخارجية» منذ ٢٣ محرم ١٢٧١ حتى ١٤ صفر ١٢٧٤ هـ (١٨٥٤/١٠/١٤ - ١٨٥٧/١٠/٢).^(٦٠) وفي نهاية عام ١٨٥٧ نظم سعيد الدواوين الحكومية في أربع نظارات هي: الداخلية والمالية والحربية والخارجية.^(٦١) وبخصوص منصب ناظر الخارجية، فقد شغله نوبار نوباريان منذ ٢٣ شعبان ١٢٨٢ حتى ٨ ربيع ثان ١٢٩١ هـ (١٨٦٦/١/١٠ - ١٨٧٤/٥/٢٤)، ثم منذ ٣ جماد أول ١٢٩٢ حتى ٧ ذى الحجة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥/٦/٧ - ١٨٧٦/١/٤).^(٦٢) ومنذ ١٨ ذى الحجة ١٢٩٠ هـ (١٨٧٥) تأسست نظارة للتجارة ، بسبب اتساع تجارة مصر الخارجية، وأحيلت إدارتها إلي نوبار باشا بجانب نظارة الخارجية.^(٦٣)

وأيضاً، عندما تشكلت أول نظارة مسئولة برئاسة نوبار باشا احتفظ لنفسه بنظارة الخارجية خلال نظارته الأولى منذ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى ١٩ فبراير ١٨٧٩، ثم خلال نظارته الثانية منذ ١٠ يناير ١٨٨٤ حتى ٧ يونية ١٨٨٨.^(٦٤) وكذا، تقلد ديكران أبرويان - زوج ابنة نوبار -

منصب وكيل نظارة الخارجية منذ ٢٨ يناير ١٨٨٢ حتى ١٣ مايو ١٨٩١^(٦٥) ثم أصبح ناظراً للخارجية أربع مرات متتالية منذ ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ١٥ أبريل ١٨٩٤ خلال نظارتي مصطفى فهمي الأولي والثانية ونظارة حسين فخرى الأولي ونظارة مصطفى رياض الثالثة^(٦٦).

وهكذا، استأثر الأرمن بنصيب كبير في تقلد منصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية خلال القرن التاسع عشر كما يؤكد الجدول الآتي^(٦٧):

تسلسل	الاسم	المدة بالايام	نسبة كل ناظر إلي جميع النظار	نسبة كل ناظر إلي النظار الأرمن	عدد المرات
١	بوغوص يوسفیان	٦٤٩٢	٪٢٤.١٠	٪٣٧.٥٤	١
٢	آرتين تشراكیان	٢٤٣٧	٪٩.٠٥	٪١٤.٠٩	٢
٣	إسطفان دمیرچیان	٢٢٤٤	٪٨.٣٣	٪١٢.٩٧	٣
٤	نویار نویاریان	٥٠٥٤	٪١٨.٧٦	٪٢٩.٢٢	٤
٥	دیكران أبرویان	١٠٦٨	٪٣.٩٧	٪٦.١٨	٤
٥	الإجمالي	١٧٢٩٥	٪٦٤.٢١	١٠٠.٠٠	١٢

إذن، شغل النظار الأرمن زمنياً مساحة «١٧٢٩٥» يوم من مجموع «٢٦٩٣٥» يوم هي عدد الأيام منذ تأسيس ديوان التجارة في ٤ أبريل ١٨٢٦ حتى نهاية القرن التاسع عشر بنسبة ٪٦٤.٢١^(٦٨). أما من حيث عدد الأشخاص، فقد تقلد خمسة أرمن من مجموع ثلاثة وعشرين شخصاً تعاقبوا على هذا المنصب خلال القرن التاسع عشر بنسبة

٧٣. ٢١٪. ومن حيث عدد المرات، فقد شغل الأرمن اثنتى عشرة مرة من مجموع ثلاثين مرة تغيير خلالها المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية بنسبة ٤٠٪.

ومن حيث ترتيب المدد حسب إجمالي النظار: بوغوص ١٠. ٢٤٪ ، نوبار ١٨. ٧٦٪، آرتين ٩. ٥٪، إسطفان ٨. ٣٣٪، ديكران ٣. ٩٧٪ . هنا، يلاحظ بقاء بوغوص ونوبار فترات أكبر عن آرتين وإسطفان وديكران. ويرجع هذا بعامة إلى نجاح بوغوص ونوبار في موازنة علاقاتهما بالحكام والقوى الدولية خاصة إنجلترا، في حين تذبذبت علاقات الآخرين بالحكام والقوى الأوروبية لاسيما إنجلترا التي ما برحت تضطهدهم حتى نجحت مساعدتها في إقالتهم.^(٦٩)

وجدير بالذكر أنه قد تعددت مهام المسئول الأول عن جهاز التجارة والأمور الخارجية خلال القرن التاسع عشر . ففي النصف الأول، كان همزة الوصل الرئيسية بين الحكام والقناصل الأوروبيين بمصر من حيث استخدام وساطتهم في قضاء مُستلزمات الحكام من بلادهم أو طلب مُساعدتهم في التخلص من رعاياهم المشاغبين أو حتى إبلاغهم بقطع العلاقات مع بلادهم. وكذا، كان عليه توجيه أوامر الحكام إلي وكلاء مصر التجاريين في الخارج لعقد صفقات البيع والشراء. وأيضاً، عقد الصفقات التجارية مع التجار الأوروبيين المقيمين في مصر فضلاً عن تنظيم أحوالهم. أما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد تزايدت مهامه بسبب اتساع العلاقات المصرية الخارجية وتنوعها وتعددها نتيجةً لحاجة أوروبا إلي القطن المصرى خاصةً خلال الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥)، وديون سعيد وإسماعيل من الدول

الأوربية وما ترتب عليها من علاقات متنوعة مع الداننين وحكوماتهم. ناهيك عن ازدياد عدد المهاجرين الأوربيين إلى مصر منذ بداية حكم سعيد وبلوغهم الذروة علي عهد الاحتلال الإنجليزي وما نجم عن هذا من سوء استغلال نظام الامتيازات والمحاكم المختلطة وغير ذلك.^(٧٠)

لذا، ترتب علي هذا اتساع اختصاصات الإدارة المصرية المسئولة عن الشؤون التجارية والخارجية واحتلالها مكانة خاصة في الجهاز الحكومي نظراً لدقة معاملاتها. وأيضاً، استلزم هذا أن يتصف المسئول عن ذلك الجهاز بقدرات خاصة في معاملة الأجانب مما دعا إلى التيقن في اختياره.^(٧١) وجدير بالذكر أنه قد توافرت في الأرمن بعض الصلاحيات التي جعلتهم من أنسب العناصر للتعامل مع الأوربيين، إذ توثقت معرفتهم بأوروبا عن طريق وساطتهم التجارية والدبلوماسية بين الأوربيين والعثمانيين، وعن طريق تعلمهم في أوروبا واقتنائهم لغاتها ومحاكاتهم أساليب الأوربيين في الخيافة والثقافة ناهيك عن كونهم مسيحيين.^(٧٢) كما توثقت هذه المعرفة من خلال عملهم مترجمين في بلاط الحكام ومصاحبتهم الحكام في أسفارهم إلى أوروبا.

وهكذا، كان الأرمن، وهم رعايا عثمانيين، عارفين جيداً بأحوال الشرق والغرب وعاداتهما في أن واحد. ومن ثم، أثر الأوربيون وغيرهم التعامل مع الأرمن في أغلب الأحيان. ويكفي دليلاً على هذا أن تعيين بوغوص في سنة ١٨٢٦ ناظراً لديوان التجارة قد لاقى ترحيباً واسعاً في الدوائر الأوربية التي أثرت التعامل معه عن أي باشا تركي.^(٧٣) وكذا، أكد الخديو إسماعيل علي حساسية المعاملات الأجنبية وأهمية القائم عليها في إرادته التي أصدرها في ٢٣ شعبان ١٢٨٢ هـ

(١٠/١/١٨٦٦) بتعيين نوبار ناظرًا للخارجية بقوله: «كما هو معلوم لديكم أن معاملات الحكومة مع الأجانب من المواد الدقيقة والمهمة جداً، فبناءً عليه يجب أن يكون مقام نظارة الخارجية من أهم مقامات الحكومة، وحيث أن درايتكم ومعلوماتكم مشهورة ومُسلم بها في إدارة الأمور المهمة، فبناءً عليه اقتضت إرادتي إحالة مقام نظارة الخارجية إلي معاليكم...»^(٧٤)

أما عن علاقات النظار الأرمن بالحكام والقوى الدولية، فقد ارتبطت بطبيعة النظام السياسي الاقتصادي السائد ونوعية تعليم هؤلاء النظار وعلاقاتهم الشخصية بالحكام والقوي الكبرى ناهيك عن مصالحهم ومواقفهم الخاصة من الأحداث في بعض الأحيان. ولعل هذا يتضح جلياً من خلال رصد علاقاتهم بالحكام والقوي الدولية الكبرى علي امتداد القرن التاسع عشر.

بالنسبة لعلاقة بوغوص يوسفیان بمحمد علي، فقد ساءت في عام ١٨١٠ عندما اتهم البعض بوغوص باختلاس مبلغ من إيرادات جمرک دمياط الذي كان يُديره بالأصالة عن محمد علي، وفشل بوغوص في تبرئة نفسه أمام الباشا الذي أمر بإعدامه. ولكن بعض أصدقاء بوغوص قد أنقذوه من هذا المصير، ثم استدعاه محمد علي لتسوية الكشوفات التجارية التي تعرضت للارتباك والتشويش إبان غيابه.^(٧٥)

بعد هذه الحادثة، توثقت العلاقات بشدة بينهما حتى أصبح بوغوص المرأة الشخصية لمحمد علي والمخلص الوحيد له بين حاشيته. بالنسبة لمحمد علي، فقد أدرك قدرات بوغوص التجارية والإدارية والدبلوماسية غير العادية فأراد الاستفادة منه، ومن ولائه، قدر الإمكان. أما بوغوص،

فقد شعر بالذنب تجاه محمد على وعاش دوماً في هلع من مزاجه المتقلب وشخصيته المرتابة.^(٧٦) وفي نفس الوقت، أدرك بوغوص حاجات محمد علي وسياسته، فقرر، ويومئذ، أن يقوم بدور مُفرخ المواهب من بنى جنسه لخدمة مشروعات محمد علي. وبذا، يُمهد الطريق أمام الأرمن للقيام بدور سياسى - اجتماعى في مصر زيادةً علي دورهم العام كتجار وأصحاب امتيازات. ونظراً لأن بوغوص كان وحيداً بلا زوجة أو ولد، ومن ثم، ليس بحاجة إلي اقتناء المال وتكديسه، فقد انصرف عن متابعة مصالحه الذاتية وصب رعايته الأبوية علي مجموعة من أقاربه ليحميهم ويوجههم.^(٧٧) وفعلاً، نجح بوغوص في تشكيل جماعة من الأرمن النابغين الذين خدموا في الإدارة المصرية مترجمين وسكرتيرين وكبار موظفين خلال حكم محمد على. وفوق هذا، ظلت سلالتهم في خدمة الحكومة المصرية حتى نهاية القرن التاسع عشر.^(٧٨)

وكان محمد علي يُحب بوغوص ويرعاه بسبب ولائه وتفانيه في خدمته. فعندما علم محمد علي أنه مريض بالإسكندرية، أرسل إليه طبيبه الخاص جوانى وأمره ألا يعود إلي القاهرة حتى يُشفى بوغوص.^(٧٩) وكان محمد علي يشعر بالوحدة دائماً إلا في وجود بوغوص الذي لا مثيل له لأنه رجل ذكى وواع ومهذب وودود. كما كان الباشا علي دراية تامة بكل ما يجرى حوله من خلال بوغوص الذي عرف معلومات غزيرة عن الأسواق الأوروبية والأحداث السياسية حتى قيل أنه «مستشار محمد علي وفيلسوفه وصديقه الوحيد».^(٨٠) ورغم محبة محمد علي لبوغوص وثقته فيه، إلا أنه عندما كان يتكاسل عن أداء واجباته لا يتردد محمد علي في أن يلفت نظره إلي ترك الكسل وبذل أقصى مجهود لإعلاء البلاد وإعمارها حتى لا يُعامله معاملةً سيئة.^(٨١)

وقد اعتقد كثيرون بأن بوغوص قد اقتنى ثروة ضخمة مستفيداً من مكانته في خدمة محمد علي. ولكنه لم يفعل هذا لأن تراكم الثروة لن يفيدوه وهو بلا أسرة. ويسجل نوبار في مذكراته أنه بفحص مقتنيات بوغوص بعد وفاته لم يكن بها سوى تسعة عشر شلناً ، وسبعة عشر قيراطاً من الماس ملكاً لمحمد علي، وست أوراق بيضاء مختومة أعطاها محمد علي إياه أثناء سفره إلى السودان ولكنه لم يستخدمها ولم يستغلها. (٨٢) هذا، ولم يُحدد محمد علي راتباً منتظماً لبوغوص، بل انتمنه علي أن يفعل ما يروق له. فكان عند حسن الظن ولم تمتد يده إلى المساس بالمال العام. (٨٣) ولعل مثل هذا السلوك الصادر عن شخصية مرتابة مثل محمد علي إنما يدل علي ثقته التي لم يحظ بها سوى هذا الرجل.

وقد ارتبطت مكانة بوغوص في مصر بشخصية محمد علي. لذا، عندما داهمت محمد علي الشيخوخة ولم يعد قادراً على الإدارة، تعرض للمضايقات خاصة من عباس الأول - كتحدا مصر حينئذ - الذي حدد له راتباً، فاستاء بوغوص كثيراً من هذا السلوك وأضرب عن الطعام والشراب حتى مات من الهزال في يناير ١٨٤٤ بالإسكندرية عن عمر يناهز الاثنين والسبعين عاماً . وعندما علم محمد علي أن دفن بوغوص تم بدون مراسم عسكرية، هاج وأرسل خطاباً إلى حاكم الإسكندرية يُوخيه ويهدده لتغاضيه عن إقامة جنازة عسكرية لبوغوص وأمره باستخراج الجثة وإعادة دفنها بمراسم عسكرية كاملة بأقصى سرعة. (٨٤) هذا، وقد حزن عليه محمد علي بشدة كعزيز لديه. ويمناسبة وفاته أصدر أوامره إلى ابنه إبراهيم باشا بالافراج عن جميع السجناء بالإسكندرية. (٨٥)

وجدير بالذكر أن بوغوص قد احتفظ بعلاقات ودية مع جميع الدول الأوروبية والشرقية التي تعامل معها محمد على بسبب ذكائه وخبرته بالأمور التجارية والسياسية وحسن أخلاقه وحسن تصرفه. واستفاد محمد على من علاقات بوغوص الودية في إنجاز العديد من حاجاته.^(٨٦) بيد أن بريطانيا كانت هي الدولة التي مال إليها بوغوص بدرجة كبيرة، ويرجع هذا إلى علاقات أسرته يوسفیان وأبرویان - التي ينتمى إليهما بوغوص - التجارية والدبلوماسية في أزمير ببريطانيا. فقد عمل أبناء أسرته يوسفیان وأبرویان وكلاء تجاريين للبيوتات الإنجليزية الكبيرة ومترجمين في القنصليات الإنجليزية بالدولة العثمانية. كما حل بوغوص محل خاله أراكيل أبرویان في وظيفة مترجم أول بالقنصلية الإنجليزية في أزمير منذ عام ١٧٩٦. وفي عام ١٨٠٠ صاحب بوغوص القبطان الإنجليزي سيدني سميث Sidney Smith بصفته مترجماً أثناء الحملة الإنجليزية البحرية على الفرنسيين بمصر. ناهيك عن علاقات المصاهرة بين عائلات ثوربورن وبريجز الإنجليزيتين ويوسفیان.^(٨٧)

وأخيراً، يؤكد جميع من كتبوا عن فترة حكم محمد علي أن بوغوص كان أهم موظف في الإدارة المصرية وأنه الشخص الوحيد الذي شغل مكانة قوية عند محمد على لأنه لم يخن الثقة التي وضعها فيه.^(٨٨) وأنه خدم مصر بكل جهوده وله أياد بيضاء في نهضتها وثروتها. وكان آلة نكاء على غاية الاستعداد في يدي محمد على.^(٨٩)

وبعد وفاة بوغوص، وخلال الفترة الممتدة من ١٨٤٤ حتى ١٨٤٩ اختل التوازن البدني والعقلي لمحمد علي، فترك علاقات الحكومة المصرية بالدول الكبرى وبالجاليات الأجنبية في يدي أرتين تشراكیان

الذى خلف بوغوص في منصبه منذ ١٣ يناير ١٨٤٤ حتى ١٤ سبتمبر ١٨٥٠. وهو الرجل الثانى في سلسلة أهل الثقة من الأرمن الذين قاموا بدور همزة الوصل الرئيسية بين محمد علي والأوربيين.^(٩١)

وخلال الفترة التى تقلد فيها أرتين منصب المسئول الأول فى جهاز التجارة والخارجية، انتهج سياسة موالية لفرنسا ربما لتعلمه بها وكونه كاثوليكياً. وقد تمثلت مظاهر هذه السياسة فى إطلاق حرية التصرف للموظفين الفرنسيين داخل الحكومة المصرية، ومحاباة المقاولين الفرنسيين عند فتح عطاءات الحكومة، وابتداء مهندس فرنسى العمل فى قناطر الدلتا منذ أبريل ١٨٤٧ طبقاً للتصميمات الفرنسية، ثم فى تعزيز المهندس جاليس Galice الفرنسى لاستحكامات الإسكندرية طبقاً للمواصفات الفرنسية وغير ذلك.^(٩٢)

وفى مقابل هذه المحاباة لفرنسا، كره أرتين بريطانيا وناوى سياستها وساهم فى سحب الكثير من امتيازاتها بمصر. ولذا، عانى Murray القنصل البريطانى بمصر فى هذه الفترة الكثير من الصعوبات فى التفاوض حول العديد من الأمور الهامة. وأوعز أرتين إلى محمد علي بإلغاء أمره إلى جالوى Galloway الإنجليزى بإنشاء خط حديد القاهرة - السويس لتقريب الطريق إلى الهند. كما بذل مجهوداً كبيراً فى تحويل إدارة الشركة الهندية الشرقية الإنجليزية إلى إدارة الترانزيت المصرية، وفى حماية إدارة الجمارك والبريد والمحاكم التى تنظر فى الشئون التجارية من هيمنة القناصل الإنجليز.^(٩٣)

وفى نفس الوقت، اضطهد الإنجليز أرتين وسعوا أكثر من مرة إلى عزله. ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك خلال حكم محمد علي.^(٩٤) أكثر من

هذا، اضطهد الإنجليز أقاربه وأصدقاءه. ففي عام ١٨٤٧ توجه الطبيب بيدان بك تشراكيان - من أسرة أرتين - على رأس فريق لتسليم ملكة بريطانيا هدايا من الحكومة المصرية. فأرادت الملكة الإنعام عليه بنيشان الفارس. عندئذ، ثارت الصحافة الإنجليزية ضدها لأن بيدان من أقارب أرتين، ومنحه هذا النيشان يُعد إذلالاً لهيبة بريطانيا. ولهذا، فشلت محاولة الإنعام بالنيشان علي الطبيب بيدان.^(٩٤) ويلاحظ أن بريطانيا هي الدولة الكبيرة الوحيدة التي لم تُنعم علي أرتين بأية نياشين، في حين أنعمت عليه الحكومات العثمانية بنيشان افتخار، والفارسية بنيشان الأسد والشمس، والروسية القيصرية بنيشان أنا العذراء، والإيطالية بنيشان سان جورج فضلاً عن نياشين أخرى من الحكومات البروسية والفرنسية والبرتغالية.^(٩٥)

وعندما تولي عباس الأول حكم مصر في ٢ أغسطس ١٨٤٩ أخذ ينقلب علي أكبر معاوني محمد علي الخصوصيين، لاسيما من ذوى التوجهات الفرنسية، الذين كانوا محل ثقته وعلي رأسهم أرتين الذي هرب من مصر في أغسطس ١٨٥٠، واشترك أرتين من منفاه في المؤامرات التي حيكت ضد عباس بالأستانة من أقاربه والصدر الأعظم رشيد باشا الذي كان متلهفاً علي استخدام القوى المعارضة ضد عباس لاسترداد السلطة العثمانية الفعالة علي مصر. واستغل مرى - قنصل بريطانيا العام في مصر - غياب أرتين وتزايد المعارضة ضد عباس في الأستانة لزيادة النفوذ البريطاني في مصر بالوقوف إلي جانب عباس وحمله مقابل هذا علي إنشاء الخط الحديدي الذي ألغاه محمد علي بناءً علي نصيحة أرتين.^(٩٦)

وهكذا، يُلاحظ أنه في إطار الاقتصاد الموجه الذي ساد حتى نهاية حكم محمد علي، تمتع ناظرا التجارة والعلاقات الخارجية بقسط كبير من النفوذ استمداه من ارتباطهما بمحمد علي وولائهما له وتنفيذهما لسياسته. ولكن، مع سيادة الحرية الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتغلغل رأس المال الأوربي في السوق المصري وارتباط المصالح به، لم تعد سياسة الولاء للحاكم تتفق وهذه التطورات.

لذا، أُقِيل ناظر الخارجية إسطفان دميرجيان في سنتي ١٨٥٣ و١٨٥٧ بسبب عدائه للرأسمال الأوربي خاصةً البريطاني.^(٩٧) بيد أن نوبار نوباريان قد استثمر فرصة الحرية الاقتصادية وتطور الأوضاع السياسية في الوصول إلى عدة مناصب هامة بفضل تحالفه مع الرأسمال الأوربي.^(٩٨)

وكذا، أسفر توغل رأس المال الأوربي عن الاحتلال البريطاني لمصر في عام ١٨٨٢، وأصبح الخديو توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) ألعوبة في أيدي الإنجليز، ولكن ابنه عباس حلمي الثاني بدأ حكم مصر في يناير ١٨٩٢ باتباع سياسة عدائية ضد الإنجليز. وجديرُ بالذكر أن ديكران أبرويان الذي تولي نظارة الخارجية منذ ١٤ مايو ١٨٩١ حتى ١٥ أبريل ١٨٩٤ قد أيدته بشدة في هذه السياسة، وأبدى وطنيةً شديدةً أدهشت عباساً لدرجة أن قال: «كنتُ قبل أن أصير خديوياً أعرفُ أن ديكران باشا أرمنى. ولقد دُهِشتُ لرؤيتي أرمنياً مثله أن يكون مخلصاً لمصر إلي هذه الدرجة». وفي نفس الوقت، تغيرت حكومة بريطانيا حيث حل جلاستون Gladstone الذي يميل إلى سرعة الجلاء عن مصر محل سالسبورى Salisbury المؤيد لاحتلال مصر. لهذا، رأى ديكران، وهو علي وعي تام

بالرأي العام البريطاني من خلال مطالعته للصحف الإنجليزية، في هذه الظروف فرصة مناسبة لخلع نير بريطانيا. (٩٩)

ومن ناحية أخرى، استاء عباس الثاني بشدة من مصطفى فهمي - رئيس النظار وقتئذ - بسبب استسلامه للسياسة الإنجليزية حتى صار «أداة سهلة جداً في يدي المعتمد البريطاني بمصر» مما جعل المصريين يطلقون علي نظارته لقب «نظارة الأراجوزات» باستثناء ديكران أبرويان الذي أعطى لهذه النظارة توازناً نسبياً وأبى أن يكون أراجوزاً. ولذا، استغل عباس فرصة مرض مصطفى فهمي في أواخر ديسمبر ١٨٩٢ لتغيير نظارته وترشيح ديكران أبرويان رئيساً للنظار لأنه رجل صادق ونشيط ومستنير. والأهم، أنه ليس دمية. (١٠٠)

بيد أن كرومر رفض هذا الترشيح خوفاً من المشاكل التي سيتعرض لها عندما يتولي ديكران النظارة، لذلك ما برح يقاوم هذا الترشيح بكل ما أوتى من قوة. فاقترح بدايةً علي عباس تعيين رئيس نظار مسلم أفضل من ديكران أبرويان الأرمني المسيحي. وعندما رفض عباس هذا الاقتراح، أرسل برقيةً إلى روزبري Rosbery - وزير خارجية بريطانيا - مفادها أن عباساً ليس علي معرفة وثيقة بالرأي العام ولا يفهمه، وطالبه بإرسال برقية تُفيد بأن تعيين ديكران لا يتفق مع هيبة الحكومة المصرية مما سيجعل عباساً يتنحى عن تصميمه. وقد جاء رد روزبري متفقاً مع رأي كرومر في أنه من الأفضل أن يكون رئيس النظار مسلماً وأن يتجنب تعيين ديكران بكل ما أوتى من سلطة ونفوذ. ثم واصل كرومر تحديه لديكران وشدد الهجوم عليه مستنداً إلي أنه ليس مصرياً ولا يتفق مع المصريين في جنسهم ولغتهم وعاداتهم وديانتهم.

وأشاع كرومر أن ديكران يتظاهر بعدائه للإنجليز وليس جديراً بدرجة تُوْهله لتقلد هذه المهمة. أكثر من هذا، أعلن كرومر أن تعيين ديكران رئيساً للنظار سوف يدعو للأسف بدرجة قصوى لأنه سيسبب العديد من المشكلات للإنجليز.^(١٠١)

هذا، ويكمن السبب الحقيقي وراء اعتراض كرومر علي تعيين ديكران أبرويان رئيساً للنظار في أنه كان مائلاً للإنجليز. وبالأحرى، كان يُريد العمل مع المصريين الوطنيين. كما خشى كرومر أن تُعاق سياسته وسلطته إذا حاول ديكران أن يحكم مصر طبقاً لأفكاره المستنيرة والتي لن يستسيغها كرومر علي الإطلاق.^(١٠٢)

وقد صرح كرومر بأنه لن يتدخل في حالة اختيار عباس أى شخص لرئاسة النظارة خلفاً لمصطفى فهمى باستثناء ديكران الذى لا يُريد أن يراه في هذا المنصب. كما كررت الخارجية البريطانية تشديدها إلي كرومر بضرورة تجنب تعيين ديكران بقدر المستطاع. ونقل كرومر هذه التعليمات إلي عباس الذى أبدى تصميمه علي تعيين ديكران خلفاً لمصطفى فهمى. وفي ١٥ يناير ١٨٩٣ أُقيل مصطفى فهمى ورفض ديكران قبول منصبه خوفاً من تشكيل نظارة لا يُرجى دوامها.^(١٠٣)

وتجدرُ الإشارة إلي أن ديكران ظل يُناوئ السياسة البريطانية في مصر حتى زيارة عباس الثانى للأستانة في مايو ١٨٩٣ والتي كان يبغى من ورائها كسب السلطان العثمانى إلي جانبه ضد النفوذ البريطانى. وبينما كان عباس يسعى وراء ذلك، طفق ديكران يطوف السفارات الأجنبية بالأستانة مدافعاً عن مصر التى استوطنها ومؤيداً حجتها، بيد أن السلطان العثمانى، الواقع تحت السيطرة البريطانية، قد خيب

أمالهما، فنصح عباساً بطريقة أبوية أن يفوض أمره إلى الله ويرضى بما قسمه له ويُقيم دوماً علاقات حسنة مع الإنجليز، وأنذر ديكران بالأ يتبع سياسة قد ينتج عنها قلق وألا يُشير علي الخديو بمثل هذا. عندئذ، توقف ديكران عن معاداة الإنجليز.^(١٠٤)

ولكن، ظل الإنجليز ينظرون إلى ديكران علي أنه مصرى وطنى غير مخلص لهم. ويذكر كرومر أنه لا يمكن توجيه أى لوم أدبى إليه علي عدم إخلاصه لأنه لم يكن ماقْتناً للإنجليز بالمعنى المألوف للكلمة، بل كان يُعارض الخطوط العامة للسياسة البريطانية في مصر. ويعزو كرومر موقفه هذا إلى طموحاته الشخصية فى الوصول إلى رئاسة النظار.^(١٠٥) بيد أن ديكران يُصرح علانيةً أنه ككل مصرى ينتظر الوقت الذى لا تحتاج فيه مصر إلى مساعدة القوة العسكرية الإنجليزية، ويتمنى استعادة مصر وحدها حكم السودان لأن به منابع النيل الذى هو حياتها.^(١٠٦) ورغم ميوله إلى فرنسا - تعلم بها وصب تفكيره في قوالب فرنسية - إلا أنه لا يُحبذ احتلالها لمصر في حالة خروج بريطانيا لأنه يرى أن الخديو ومعيته قادرون علي تولى الحكم دون أية مساعدة أجنبية. ولكنه كان من أنصار استمالة فرنسا لتأييد المسألة المصرية ضد بريطانيا.^(١٠٧)

وجديرٌ بالذكر أن ديكران أبرويان لم يستمد مكانته وشخصيته المميزة من مجرد قرابته لنوبار باشا ومصاهرته وتدريبه سياسياً علي يديه فقط، بل لانتماؤه إلى المدارس الفكرية السياسية الحديثة، وإخلاصه لمصر وسعيه جاهداً إلى تحقيق بعض آمال أهلها.^(١٠٨) ورغم هذا، لم يكن مقبولاً لدى الكثيرين لكونه أرمنياً مسيحياً. ولكن، تجدر الإشارة

إلى أن معظم معاصريه قد وصفوه بأنه من أصغر الرجال البارزين في الإدارة المصرية وأدهامهم وأكفأهم ويبرزه قليلا من النظار الكبار في كفاءته. (١٠٩)

وهكذا، يتضح أن الأرمن قد قاموا من خلال تقلدهم منصب المسئول الأول في جهاز التجارة والخارجية بدور هام في مجال العلاقات بين مصر والأستانة وأوروبا. بيد أن نوبار باشا يعد، وبحق، أهم الأرمن قاطبة الذين ساهموا بدور محوري في السياسة المصرية خلال القرن التاسع عشر. فقد تقلد العديد من المناصب الكبرى في الحكومة المصرية قام من خلالها بدور بارز في السياسة المصرية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فإلى جانب مناصبه السابقة، أصبح نوبار أول ناظر للأشغال العمومية منذ ١٠ شعبان ١٢٨١ حتى ٢٢ شعبان ١٢٨٢ هـ (١٨٦٤-١٨٦٥). (١١٠) وكما سبق، تولى نوبار نظارة الخارجية منذ ١٠ يناير ١٨٦٦ حتى ٢٤ مايو ١٨٧٤، ثم منذ ٧ يونيو ١٨٧٥ حتى ٦ يناير ١٨٧٦، وتأسست نظارة التجارة تحت إدارته في عام ١٨٧٥. وعندما تأسست النظارات المسئولة منذ نهاية حكم إسماعيل، شكل أول نظارة مسئولة منذ ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ حتى ١٩ فبراير ١٨٧٩، ثم شكلها ثانية خلال حكم توفيق منذ ٦ يناير ١٨٨٤ حتى ٧ يونيو ١٨٨٨، ومرة ثالثة خلال حكم عباس حلمي الثاني منذ ١٦ أبريل ١٨٩٤ حتى ١١ نوفمبر ١٨٩٥. (١١١)

في بداية حكم إسماعيل، أصبح نوبار ساعده الأمين ومستشاره الرئيسى وأداته التنفيذية لمعظم مشروعاته لاسيما المشروعات التي تحتاج إلى مفاوضات مع الأستانة والدول الكبرى. بيد أن العلاقات قد

اهتمت نسبياً بين إسماعيل ونوبار حينما تدخل الأخير من واقع عمله ناظراً للأشغال في شئون دوائر إسماعيل الزراعية فضلاً عن إخفاقه في مفاوضات تقليص شروط امتياز حفر القناة ومفاوضات قرض السكن الحديدية بباريس في أكتوبر ١٨٦٥. لذا، نقله إسماعيل في ١٠ يناير ١٨٦٦ من نظارة الأشغال إلى نظارة الخارجية ليكون مسئولاً عن العلاقات مع الأستانة والدول الكبرى وشركة قناة السويس.^(١١٢)

ومنذ ذلك الحين، انشغل نوبار بعدة مفاوضات في الأستانة حول توسيع استقلال مصر الذاتي أسفرت عن صدور فرمانات ١٨٦٦ و ١٨٦٧ و ١٨٧٢ التي بمقتضاها تم تعديل نظام وراثة العرش المصري بحيث يكون في أكبر أبناء الوالي، كما حصل إسماعيل علي لقب «خديو» الذي ميزه عن بقية الولاة العثمانيين، وعلي حق عقد المعاهدات مع الدول الأجنبية بشأن التجارة والمرور وبوليس الأجانب، وحق سن القوانين التي تمس الأوضاع الداخلية، وحق عقد القروض وزيادة عدد الجيش والأسطول. كما قام نوبار بمفاوضات متواصلة مع الدول المتمتعة بالامتيازات من أجل إصلاح النظام القضائي في مصر أسفرت عن إنشاء المحاكم المختلطة في أوائل عام ١٨٧٦.^(١١٣)

ثم، بدأت العلاقات تتأزم بين إسماعيل ونوبار عندما أخذ الأخير ينتقد سياسة إسماعيل المالية. ففي عام ١٨٧١ انتقد نوبار قانون المقابلة الذي نص علي إعفاء كل من يدفع ضريبة الأرض لست سنوات مقدماً من نصف الضريبة إلي الأبد. وحينما فكر إسماعيل في فرض رسوم جمركية داخلية علي البضائع المنقولة من إقليم إلى آخر شريطة أن يدفعها المصريون فقط، أصر نوبار علي تطبيقها علي الأجانب، وأمكنه

أن يفرض رأيه رغم معارضة القناصل. واستنكر نوبار استحواذ إسماعيل وأسرتة علي «١.٢٠٠.٠٠٠» فدان من مجموع «٤.٢٠٠.٠٠٠» إلي «٤.٤٠٠.٠٠٠» فدان صالحة للزراعة في مصر. وأيضاً، استنكر القسوة المتبعة في تحصيل الضرائب واتجاه إسماعيل إلي فرض الاحتكار علي تجارة السودان. وكذا، اعترض علي سياسة إسماعيل التوسعية في إفريقية. كل هذا، أدى إلي إعفائه من الخدمة في ٢٤ مايو ١٨٧٤، ثم اضطر إسماعيل إلي إعادته للخدمة في ٧ يونية ١٨٧٥ نظراً لحاجته الشديدة إليه. (١١٤)

وفي ديسمبر ١٨٧٥ وصلت بعثة «كيث» Cave بناءً علي طلب إسماعيل لإجراء تحقيق في مالية مصر التي ازدادت سوءاً. (١١٥) وقد أدرك نوبار أن البعثة ترمي إلي تدخل بريطانيا في شئون مصر الداخلية. ولهذا، سعى إلي عرقلتها متفقاً مع الحكومة الفرنسية بإفاد «أوترى» المكروه لدن إسماعيل، في بعثة مالية إلي مصر لموازنة بعثة كيث. (١١٦) ولكن، تجدر الإشارة هنا إلي أن نوبار كان يطمح شخصياً من وراء نشاطه ضد بعثة كيث إلي التقرب لدى الباب العالي لتعيينه بسبب أصله الأرمني والياً علي أرضروم التي كان ثمة مشروع بمنحها استقلالاً ذاتياً. ورغم فشل هذا المشروع، اكتسب نوبار إلي جانبه قناصل روسيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا فضلاً عن الباب العالي والقنصل الروسي بالأستانة الذين نصحوا إسماعيل بالتعقل وعدم الاستسلام للنفوذ البريطاني وحده. (١١٧)

عندئذ، تازمت العلاقات بشدة بين إسماعيل ونوبار. إذ ازدادت انتقادات نوبار لسياسة إسماعيل الاقتصادية وللسخرة وجباية الضرائب

مقدماً والإنفاق الباهظ علي الجيش. كما انتقد إسماعيل في أنه يحيط نفسه بمستشارى سوء لا يتبنون بالعواقب ويسيرون بالبلاد صوب الخراب. وبالمثل، اتهم إسماعيل نوبار بأنه المحرك لبعثى كيف وأوترى، وبحب السلطة وإدعائه الليبرالية رغم ميله للطغيان. وأيضاً، أدرك إسماعيل الورطة التى ورطه نوبار فيها بإنشاء المحاكم المختلطة مما سيؤدى إلي خضوع الحكومة المصرية ودوائر إسماعيل الزراعية لسلطتها القضائية، ومن ثم، اهتزاز سلطته المطلقة.^(١١٨)

والحق، أن النزاع بين إسماعيل ونوبار كان يدور حول مستقبل مصر. لذا، أخطأ الخديو في تجاهل نصيحة نوبار بالاعتماد علي ألمانيا والنمسا وإيطاليا وروسيا ومقاومة أى تدخل في شئون الداخلية. ولما شعر نوبار بفقده لثقة إسماعيل، استقال من نظارة الخارجية في ٤ يناير ١٨٧٦ وأمره الخديو بمبارحة مصر. وجدير بالذكر أن نوبار قد شن من منفاه في أوروبا حملة ضخمة ضد إسماعيل مستغلاً فيها تردى الأوضاع المصرية وخبرته بشئونها فضلاً عن تأزم العلاقات الدولية بعد تصدى بريطانيا للتوسع الروسى في البلقان. وكان نوبار منذ بعثة كيف قد اقتنع بأن جسارة ديون مصر لابد أن تؤدى إلى التدخل الأجنبي الذي ربما يقضى علي استقلال مصر تماماً. ولهذا، رأى أن أفضل وسيلة للحفاظ علي مصالح الشعب المصرى هى إما الاحتلال البريطانى لمصر أو فرض الحماية البريطانية عليها. وقد لاقت هذه الفكرة ترحيباً من بسمارك في برلين ومن العسكريين الإنجليز ووزارات الخارجية والهند والخزانة البريطانيين. وكذا، اتصل نوبار بكل من يهمهم ديون مصر ونصحهم بعدم إجراء تخفيض في فائدة الديون قبل اتخاذ الخطوات

اللازمة لتقدير قيمتها ومدى مقدرة مصر علي الدفع وإجراء تحقيق حول الأسباب التي أدت إلي الارتباك المالي.^(١١٩)

وفعلاً، تشكلت لجنة التحقيق العليا الأوربية في ٢٧ يناير ١٨٧٨ لفحص إيرادات مصر أولاً ثم شملت فحص المصروفات فيما بعد بموجب مرسوم ٣٠ مارس ١٨٧٨.^(١٢٠) وفي هذه الأثناء، ركز نوبار حملته ضد إسماعيل في مسألتين: الأولى أن سلطته المطلقة هي العقبة الأول في وجه أى إصلاح ودعا إلى تنازله عن سلطته لحكومة دستورية يدخلها بعض الأوربيين، والثانية أن أملاك الأسرة الحاكمة هي السبب الأول في شقاء مصر ودعا إلي إعادتها للدولة. وبإيحاء من حملة نوبار، وتمشياً مع مصالح الدائنين قررت اللجنة تنازل إسماعيل عما بقي من أملاكه إلي الدولة فضلاً عن تنازله عن سلطته المطلقة لمجلس نظار يتكون بصورة يقبلها الدائنون.^(١٢١)

وبات واضحاً أن نشاط نوبار ضد إسماعيل سوف يُرشحه لدى الأوربيين لتشكيل النظارة المقترحة. ويُعد هذا الترشيح بمثابة «العلاج المر» الذي كان علي إسماعيل ابتلاعه بعد ظروف طرد نوبار من الخدمة في عام ١٨٧٦.^(١٢٢) وفعلاً، وصل نوبار إلي مصر في ١٥ أغسطس ١٨٧٨ بعد أن حصل على ضمانات من بريطانيا ضد احتمال إقالة إسماعيل لنظارته الجديدة. وبعد أن وافق إسماعيل علي قرارات لجنة التحقيق، كُلِّف نوبار علي مضض في ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ بتشكيل النظارة مُقراً مبدأ المسؤولية الوزارية.^(١٢٣)

وهكذا، بدا أن نوبار قد انتصر علي إسماعيل في هذه الجولة. بيد أن الظروف التي تألفت فيها نظارة نوبار^(١٢٤) المعروفة بـ «النظارة

الأوربية» كانت سيئة جداً. فرغم تأييد بريطانيا وفرنسا لنوبار، كان لابد من تأييد إسماعيل - الذى كان لا يزال مُسيطرًا علي الموقف - لكي تستطيع النظارة البقاء والاستمرار. ولكن نوبار أصر علي استبعاده عن أية مشاركة في الحكم وإحالة إلي مجرد حاكم اسمي. كما أن إسماعيل قد قبل النظام الجديد علي كره منه، لذلك حمل مشاعر فاترة نحو النظارة وأخذ يتحين الفرص لاسترداد سلطته. أكثر من هذا، جهر إسماعيل بنفوره من نوبار ونظاره المسيحيين مما أدى إلي سحق الشعب عليه وتحمله كل ما أصاب مصر من مشكلات.^(١٢٥)

وفي نفس الوقت، كان نوبار مكروهاً من المصريين الذين اعتبروه بمثابة أداة إنجليزية لفرض الحماية علي بلادهم، وأنه يدين بتعيينه للأجانب الذين يسندونه. واعتقد الموظفون المصريون أنه أثرى علي حساب شعبهم بوصفه عميلاً للرأسماليين الأوربيين، ورأى فيه الفلاحون مؤسس المحاكم المختلطة التي أسلمتهم إلي شراة المرابين اليونانيين، كما امتعضت منه الطبقات الثرية بسبب تصديه للمحسوية والظلم والفساد التي عمت إدارة البلاد.^(١٢٦) ناهيك عن جهله باللغة العربية وكونه مسيحياً من الأرمن المكروهين بشدة من المسلمين وقتئذ بسبب ثورتهم ضد السلطان العثماني.^(١٢٧)

علاوة على هذا، تألفت النظارة في وقت كانت فيه الخزنة تُعاني الإفلاس، بحيث لم يقبض الجنود ومعظم الضباط رواتبهم مدى عشرين شهراً، وازداد شقاء الشعب بسبب عدم انتظام مياه النيل. وعلي حين كان ريفرس ويلسون Rivers Wilson - ناظر المالية - يملأ نظارة المالية بالإنجليز، خُفضت رواتب المصريين وأغلقت المدارس وأُحيلت منات

الضباط إلى الاستيلاء بحجة الاقتصاد دون قبض متأخرات رواتبهم. وبيع الفلاحون محاصيل عام ١٨٧٨-١٨٧٩ مقدماً بربع قيمتها لكي يدفعوا الضرائب التي ازدادت وقتئذ. (١٢٨)

وفي إطار هذا الجو المفعم بالصعاب والمساوي، لم يلتفت أحد إلى اهتمام نوبار بتطبيق قوانين المحاكم المختلطة وغيرها على المصريين والأجانب سواء، وفرض الضرائب على الأجانب المقيمين في مصر، وتحجيم استغلال المناصب والفساد السائدين في الجهاز الإداري. (١٢٩)

والحقيقة أنه لم يتوفر للنظارة الوقت الكافي لتنفيذ برنامجها الإصلاحى في الوقت الذى تعرضت فيه لسخط واسع النطاق، وطفق إسماعيل يستغل هذا السخط لإقالة نوبار بعد أن جنبه الخطر الذى كان يتهده من جراء التحقيق. وقد جاءت الضربة التى أسقطت النظارة فى ١٨ فبراير ١٨٧٩ عندما تجمهر أكثر من «٢٥٠٠» ضابط من المُسرحين الذين ساءت أحوالهم حول نوبار وويلسون وهاجموهما فيما عُرف بـ «حادثة الضباط». عندئذ ، تدخل إسماعيل مُسيطرأ على الموقف، وأعلن أنه لن يكون مسئولاً عن الأمن العام إلا إذا استرد سلطته علي البلاد كما اشترط استقالة نوبار الذى كان سبباً في تصدع مركزه. وعندما سأل القنصلان الإنجليزى والفرنسى نوبار عما إذا كان علي استعداد لحفظ النظام أجاب بالنفى وقدم استقالته في ١٩ فبراير ١٨٧٩. (١٣٠)

وعبثاً، حاولت بريطانيا إعادة نوبار إلي منصبه أمام إصرار إسماعيل علي استعداده لقبول أى حل في نظير عدم عودة نوبار إلي الحكم. وهكذا، بدا أن إسماعيل قد انتصر علي نوبار في هذه الجولة.

والحقيقة أنه رغم اقضاء نوبار عن الحكم، وتشكيل نظارة برئاسة الأمير محمد توفيق في ١٠ مارس ١٨٧٩، ظل مبدأ حرمان إسماعيل من سلطته موجوداً، وواصل الناظران الأجنيبان تحديهما له، كما أن الناظر الوطنيين الذين عملوا مع نوبار - مثل رياض وعلي مبارك - واصلوا علاقتهم بنوبار. (١٣١)

هذا، وقد ظل نوبار بعيداً عن الخدمة في الحكومة المصرية منذ استقالته في فبراير ١٨٧٩، ولم يسمح له توفيق - الذي خلف إسماعيل بعد خلعه - بالعودة إلى مصر وأثر بقاءه في الخارج مُراعاةً للحالة السياسية. (١٣٢) وقد ظل هكذا حتى نشبت أزمة بين إقطن بارنج Evelyn Baring (كرومر) - المعتمد البريطاني في مصر - ومحمد شريف باشا الذي شكل النظارة منذ أغسطس ١٨٨٢ حول مسألة إخلاء السودان في أعقاب كارثة هكس - جنوبي الأبيض بالسودان - في ٥ نوفمبر ١٨٨٣. وعندما لاحظ كرومر تصميم شريف علي عدم إخلاء السودان، أبلغ حكومته بأنه لا يستطيع العثور علي نظار مصريين يقومون بتنفيذ الإخلاء. وبالتالي، يجب أن تكون الحكومة البريطانية مستعدة لتعيين نظار إنجليز بصفة مؤقتة في حالة إرغام الحكومة المصرية علي الإخلاء. أكثر من هذا، هدد كرومر بتولييه إدارة البلاد مما أزعج الخديو ودفعه إلي قبول الإخلاء واستقالة شريف. (١٣٣)

عندئذ، عُرِضَت النظارة علي رياض باشا الذي رفضها من منطلق تأييده لشريف ولم يبق في الميدان سوى نوبار الأكثر مرونة الذي قبل تشكيل النظارة (١٣٤) في ١٠ يناير ١٨٨٤ علي أن يكون إخلاء السودان هو البند الأول في برنامجها. (١٣٥) وجدير بالذكر أن إخلاء السودان يُعد

أكبر الانتقادات التي وُجّهت إلي نظرة نوبار الثانية نظراً لأهمية السودان السياسية والاستراتيجية والاقتصادية بالنسبة لمصر. (١٣٦)

ورغم أن نظرة نوبار الثانية قد تشكلت علي أساس قبول النصائح البريطانية، إلا أن مدتها قد شهدت صراع نوبار ضد الاحتلال البريطاني لمنع تغلغه إلي سائر المناصب الهامة في الإدارة المصرية. فقد كان نوبار يستنكر بشدة تدخل أية قوة أجنبية في الشؤون الداخلية لمصر. وكان من رأيه أن الاحتلال البريطاني العسكري يهدف إلي حفظ الأمن، أما إدارة البلاد فهي من شأن النظارة. (١٣٧) وكان نوبار يتشكك في قيمة استخدام الموظفين البريطانيين في الإدارة المصرية، كما انتقد بريطانيا في أنها قدمت كثيراً من النصائح وقليلاً من المساعدة في حين أن المطلوب هو العكس. (١٣٨)

ولذا، دخل نوبار في صراع مع الاحتلال البريطاني لزعزعته ومنع تغلغه في الجهاز الإداري المصري. في الابتداء، اصطدم مع كليفورد لوييد Clifford Lioyed وكيل نظارة الداخلية حول إعادة تنظيم البوليس، وتصاعد خلافهما حتى هدد نوبار باستقالته في أبريل ١٨٨٤. ثم استغل نوبار الخلاف بين لوييد وبينسون ماكسويل Benson Maxwell الإنجليزي - النائب العام بالمحاكم الأهلية - حول سوء معاملة المسجونين، فتخلص من الأول في مايو ١٨٨٤ ثم من الثاني في يناير ١٨٨٥. (١٣٩) وعقباً، حاولت بريطانيا تعيين مفتشين إنجليزين عموميين بدلاً من لوييد أمام إصرار نوبار الذي كان يرى أن نظارة الداخلية مرتبطة بحياة البلاد الخاصة والتدخل البريطاني في شئونها يحدث ارتباكات عديدة في حياة البلاد. (١٤٠)

ثم، واصل نوبار صراعه ضد التدخل البريطانى في الإدارة مستغلاً بدء مفاوضات أحمد مختار - درومند وولف Drummond Wolff في أغسطس ١٨٨٥ من أجل تحديد موعد لجلاء القوات البريطانية عن مصر.^(١٤١) فسعى إلى الحد من سلطات مفتشى الرى الإنجليز الذين كانوا يستغلون وظائفهم ويكسرون اللوائح ويتصرفون كما لو كانوا فوق القانون. ولهذا، اصطدم نوبار كثيراً بـ سكوت مونكريف Scott Moncrieff وكيل نظارة الأشغال العمومية.^(١٤٢) وكذا، مع إدجار فينسينت Edgar Vincent - مستشار نظارة المالية - الذى سعى إلى تطبيق سياسة مالية سوف ترهق اقتصاديات البلاد.^(١٤٣)

وفي أوائل عام ١٨٨٨ انتهز نوبار وفاة فالنتين بيكر Valentine Baker رئيس البوليس وسعى إلى إعادة تنظيم البوليس للتخلص من الضباط الإنجليز وإعادة تبعيته إلى مديرى المديرية وإلغاء مركزه الرئيسى في القاهرة. أكثر من هذا ، اشتكى نوبار السير إقطن بارنج (كرومر) إلى حكومته.^(١٤٤) وإلى هذا الحد أصبح الصدام مكشوفاً بين نوبار والمعتمد البريطانى في مصر، وسعى كلاهما للنيل من الآخر. في تلك الأثناء، كان الخديو السابق إسماعيل في زيارة للأستانة، فخشى توفيق - الذى كان علي علاقة سيئة بالسلطان وقتئذ - أن يكون ظهور والده في الأستانة إيذاناً بخلعه، ولهذا اعتمد علي نوبار في هذا الوقت مما شجع الأخير علي المضى قدماً في صراعه ضد كرومر الذى اشتكاه إلى حكومته. بيد أن الخارجية البريطانية التى كانت قد أدركت ضعف مركز نوبار منذ فشل مفاوضات مختار - وولف في يولية ١٨٨٧ فضلاً عن شدة السخط عليه لئله المحاكم بقضاة مسيحيين، أيدت قنصلها

العام وأوعزت إلي توفير قبول نصائح كرومر في الشؤون الداخلية كي تقف بجانبه في الشؤون الخارجية. عندئذ، أثر توفير التأييد البريطاني علي تأييد نوبار الذي أُقيل في ٧ يونية ١٨٨٨. ^(١٤٥) ويُعلق كرومر علي إقالة نوبار بقوله: «كان أمام نوبار فرصة للبقاء رئيساً للنظار حتي آخر حياته، لكنه مع الأسف لم يتصرف نحو ذلك». ^(١٤٦)

وقد ظل نوبار بعيداً عن الخدمة في الحكومة المصرية منذ إقالته في يونية ١٨٨٨ حتى وقع الجفاء بين الخديو عباس الثاني ورئيس نظاره مصطفى رياض باشا علي أثر ما عُرف بـ «أزمة الحدود». ^(١٤٧) عندئذ، استقال رياض فرشح كرومر نوبار كي يخلفه في رئاسة النظارة بحجة عدم إمكان تطويع المسلمين برئيس نظار له ميلو إسلامية متشددة. وفي ١٦ أبريل ١٨٩٤ شكّل نوبار نظارته الثالثة ^(١٤٨) علي قاعدة التوفيق بين الموظفين البريطانيين والوطنيين. ^(١٤٩) ولكن، استسلم نوبار تماماً في هذه النظارة للنفوذ البريطاني في الإدارة المصرية. وقد اتضح هذا من تعديله لنظام البوليس وإلغاء وظيفة مفتش عموم البوليس وتعيين مستر الدون جورست Eldon Gorst أوز مستشار لنظارة الداخلية في ٣ نوفمبر ١٨٩٤ ثم تأسيس محكمة من شأنها محاكمة المتهمين بالاعتداء علي ضباط جيش الاحتلال وجنوده في ٢٥ فبراير ١٨٩٥. ^(١٥٠)

ثم، وقع الخلاف بين عباس الثاني ونوبار بسبب رفض الأخير رجوع الخديو الأسبق إسماعيل إلي مصر. فسعى عباس إلي التخلص من نوبار. بيد أنه قد أرجأ هذا خشية وقوع أزمة. ورغم شعور نوبار بموقف عباس، إلا أنه لم يفكر في الاستقالة استناداً إلي كونه مؤيداً من الاحتلال. وكوسيلة للتخلص من نوبار، أعرب عباس إلي اللورد كرومر

عن رغبته في إعادة مصطفى فهمي - المعروف بولائه الشديد للإنجليز -
إلى النظارة. عندئذ، لم ير الإنجليز داعياً للتمسك بنوبار الذي استقال
في ١١ نوفمبر ١٨٩٥. (١٥١)

ويُعلق كرومر علي استسلام نوبار للسياسة البريطانية خلال نظارته
الثالثة بقوله: «وإني أعتقد أن نوبار باشا يستحق شكر البلاد التي
استوطنتها علي الأعمال التي أتاها في مدة الثمانية عشر شهراً المذكورة
إلي درجة تفوق كثيراً مدة توظيفه الطويلة السابقة». (١٥٢) وأكثر من هذا،
أنعمت عليه ملكة بريطانيا بنيشان النجمة الهندية من الدرجة الأولى في
أعقاب استقالته نظير خدماته «الجليلة» لحكومتها. (١٥٣)

وهكذا، خدم نوبار فترة طويلة في الحكومة المصرية امتدت منذ أوائل
الأربعينيات حتى منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر، عاصر خلالها،
بل واشترك، في العديد من الأحداث المحلية والدولية التي مرت بمصر.
هذا، وتكشف مذكرات نوبار عن وجهات نظره في حكام مصر الذين
عاصروهم وخدم معهم وعن فترات حكمهم منذ محمد علي حتى
إسماعيل. ورغم أنه يذكر مراراً في مذكراته أن انتقاداته للحكام
ومواقفهم نابعة من حبه لمصر، إلا أنه يشتُم من بين سطور المذكرات أنها
في الغالب كانت صدى قبوله ورفضه لدي هؤلاء الحكام. (١٥٤)

في الابتداء، أثنى نوبار علي محمد علي وحكمه - وكان وقتئذ موظفاً
صغيراً في معيته - فوصفه بـ «المتبرير العبقري» صاحب التحول الكبير
في مصر الحديثة، والتي اختفت بموته العبقرية التي كانت تُوجه مصر
وتركت بصماتها علي كل شئ فيها حتي التربة والنيل، أكثر من هذا،
ذهب نوبار إلي أن مصر هي محمد علي ذاته. (١٥٥)

ولازال نوبار موظفاً صغيراً أثناء حكم عباس الأول - ولم يكن وقتئذ غير ممقوت من عباس - فوصفه بأنه نموذج للأمير الشرقي، وكذا، وصفه بالكسل والتشكك والتهور في ارتكاب الجرائم، ووصف فترة حكمه بالصمت والركود، ولكنه أقر بأن المصريين لم يُعانوا في فترة حكمه من الضغوط المالية والاقتصادية التي أثقلت كاهلهم في عهد محمد علي. (١٥٦)

ومنذ حكم سعيد أخذ نوبار يتقلد بعض الوظائف الهامة ولكنه كان ممقوتاً - إلي حد - في ذلك الوقت، ولولا حاجة سعيد إليه لأقصاه عن الخدمة. وقد انتقد نوبار سعيداً بشدة في مساعدته الأجانب علي التغلغل داخل البلاد وانصياعه التام لرغباتهم، كما انتقده في عشقه لذاته وللمظاهر وافتقاره إلي الاحترام. ويلخص نوبار رأيه في شخصية سعيد بقوله: «وُلد سعيد للتدمير وليس للتعيمير». وفوق هذا، اعتبره نوبار من الأسباب الرئيسية لبدء مرحلة التدهور في مصر. (١٥٧)

أما أثناء حكم إسماعيل، فقد تقلد نوبار أكثر من منصب كبير رغم تأزم علاقاته مع إسماعيل الذي كرهه بشدة. وقد أبقاه إسماعيل في خدمته علي كره منه نظراً لحاجته الماسة إليه. وقد أدرك نوبار هذا، فبادله نفس الشعور كما يبدو من كتاباته عن إسماعيل وفترة حكمه التي شغلت أكثر من نصف مذكراته تقريباً. وينتقد نوبار إسماعيل يوماً في اهتمامه بالترف والبذخ والملاذات والإسراف فضلاً عن أخذه قشور المدينة الحديثة وفتح أبواب الاستدانة. ويلقى نوبار علي عاتقه مسئولية الكوارث التي حلت بمصر. (١٥٨)

وأخيراً، يلخص نوبار رأيه في سياسة حكام مصر والتطورات التي

مرت بمصر في أن محمد علي قد أحدث التطور في مصر بفضل أسلوبه في التفكير والعمل، ولكن سعيداً برعونته قد أوجد حالة من الاضطرابات في مصر يصعب اجتيازها، حتى جاء إسماعيل بسياسته المتخبطة بقلب أوضاعها تماماً حتى أفقدها استقلالها. (١٥٩)

هذا، وقد تعرض نوبار ذاته للعديد من الانتقادات خاصة فيما يتعلق بتأسيسه المحاكم المختلطة وتعاونيه مع الأوربيين. بالنسبة للمحاكم المختلطة، تؤكد المراسلات التي تبودلت بين إسماعيل ونوبار حول حيثيات تأسيسها أن نوبار كان يتحرك في مفاوضات مع الدول صاحبات الامتياز بناءً على رغبة إسماعيل وأوامره ونصائحه لإصلاح النظام القضائي المصري المتردى. (١٦٠)

وبالتالي، لا يُعد نوبار وحده مسئولاً عن تأسيس المحاكم المختلطة. ورغم هذا، كان له فكره الخاص حول تأسيسها. فقد كان يرى أن استقلال مصر لا يتوقف على امتياز من الباب العالي يكلف البلاد ثمناً باهظاً، بل على قوة مصر وحسن إدارتها. ويُعد ذلك في رأيه، مسألة جد صعبة طالما تُوجد سبع عشرة قنصلية إلى جانب الحكومة المصيرة لا تقل سلطة كل منها عن سلطة الخديو ذاته. ومن ثم، رأى نوبار أن يُهدد العدالة ويُقيم الإصلاح القضائي على أساس الوحدة في التشريع والقضاء والتنفيذ، كما تطلع إلى إصلاح القضاء وجعله يهيمن على الخديو والأوربيين والمصريين على حد سواء. وبذا، تسود العدالة بين الجميع وتُحجم سلطة الخديو المطلقة وسلطة القناصل الغاشمة. (١٦١)

بيد أن مشروع نوبار لم يتحقق على هذا النحو بسبب مطامع الدول وأغراضها. فقد استسلم نوبار أمام إصرار أعداء مشروعه على اقتصار

المحاكم المختلطة علي البت في القضايا التجارية والمدنية وإبقاء القضايا الجنائية من اختصاص السلطات القنصلية. ومالبثت هذه المحاكم أن تعرضت لانتقادات عديدة بسبب اختلاف قوانينها عن الشريعة الإسلامية، واستعمالها اللغات الفرنسية والإنجليزية والإيطالية بدلاً من اللغة العربية - لغة البلاد - واكتظاظها بقضاة أوروبيين يتصفون في الغالب بالمحاباة لبني جنسهم وعدم نزاهة أحكامهم. ناهيك عن جهل معظم المصريين بقوانينها مما عرضهم لابتزاز الأفاكين والمرابين الأوروبيين والشرقيين. (١٦٢)

وقد أصبح بمقتضى قوانين المحاكم المختلطة الحق لأى أجنبي في مقاضاة الخديو أو حكومته، بل كانت الحكومة ذاتها ملزمة بتنفيذ أحكامها، مما أدى إلي تصويب ضربة عنيفة إلي ما كان يتمتع به ولاة مصر من حكم مطلق. وربما، كان هذا أهم ما يرمى إليه نوبار من وراء الإصلاح القضائى. (١٦٣) ورغم أن هذه المحاكم قد نالت من سلطة الخديو المطلقة ونظمت القضاء القنصلي وأدخلت مصر في دائرة التقنين الأوربي الحديث وخففت من ضغط القضاء علي السياسة واستفاد المصريون من بعض أحكامها، إلا أنها كانت مظهراً من مظاهر النفوذ الأجنبي في مصر واستسلام حكومتها عن حقوقها المطلقة. (١٦٤)

أما فيما يتعلق بمسألة تعاون نوبار مع الأوروبيين فهي حقيقة ثابتة لا تقبل النقاش. فقد كان نوبار من أنصار اشتراك العنصر الأوربي في حكم مصر. ولكن، رغم استعداده لاستغلال الضغط الأوربي في الضرب علي يد الخديو وحمله علي السير في طريق الصواب، فإن حجر الزاوية في سياسته أن تحكم مصر نفسها، فهو يقبل النفوذ الأوربي ليس في

حد ذاته بل كوسيلة لتنفيذ سياسته الخاصة بمصر وحكومتها. ويرى نوبار أن العنصر الوطني لا تتوفر لديه الخبرة الكافية التي تمكنه من حمل أعباء الإدارة دون مساعدة خارجية، وأنه ليس من الاستقلال بحيث يستطيع وحده أن يواجه السلطة الخديوية المطلقة.^(١٦٥) ولهذا، كان نوبار يتطلع باستمرار إلى قيام حكومة قوية يدخلها الأوروبيون بدلاً عن حكم الخديو الاستبدادي ويكون هو علي رأس هذه الحكومة.^(١٦٦) كما كان يُصرح كثيراً بأنه في حالة جلاء بريطانيا عن مصر، سوف يضع موظفاً أوروبياً على رأس كل مصلحة لشدة الحاجة إليه.^(١٦٧)

ورغم اعتقاد نوبار الراسخ بضرورة اشتراك الأوروبيين في حكم مصر وإدارتها ومساعدته إياهم علي هذا، إلا أنه كان شخصياً آخر من يسمح لمقالييد الحكم بأن تقلت من يديه أو يكون مخلب قط في أيدي الأوروبيين ، بل لم يتنازل عن قيد أنملة من سلطته إلى الأوروبيين.^(١٦٨) أكثر من هذا، سعى بحزم إلى تطبيق القوانين علي الموظفين المصريين والأوروبيين علي حد سواء. كما كان يغضب ويثور عندما يتخطى الأوروبيون حدودهم المتفق عليها.^(١٦٩)

أما فيما يتعلق بعلاقة نوبار بالقوي الكبرى، فقد كان نوبار علي علاقة وثيقة بها منذ شبابه المبكر عندما كان يعمل مترجماً لمحمد علي وإبراهيم وعباس ومصاحبته إياهم في رحلاتهم خارج مصر فضلاً عن قيامه بمعظم مفاوضات الحكومة المصرية مع الأستانة وأوروبا. ناهيك عن تعلمه في أوروبا وإجادته لغاتها.

بدايةً، لم يكن نوبار موالياً للباب العالي ورفض أكثر من مرة عروض ساستها عليه بتولي بعض المناصب العامة في الأستانة. وقد ارتكز نوبار

في رفضه علي أنه لا يمكن التخلي عن مصر بسهولة، كما أن الحكم المطلق يسهل التصدى إليه في مصر عنه في الأستانة، وظل يُفضل يوماً أن يكون شخصاً عادياً في مصر علي ألا يكون موظفاً لدي الباب العالي^(١٧٠). ولكنه في نفس الوقت قد فطن إلي دور الأستانة في صنع القرار بمصر، فوثق علاقته بها عن طريق مصاهرته لأسرة يراميان التي تُعد من أشهر الأسرات الأرمنية في الأستانة وأوثقها علاقةً بالباب العالي. وبذا، أنجز نوبار كثيراً من المهام ونال كثيراً من المزايا والرتب والنياشين^(١٧١).

وقد كان نوبار يعتقد أن بريطانيا تهتم اهتماماً حقيقياً برخاء الشعب المصرى. لذا، وثق علاقته بها وأيد مشروعاتها في مصر^(١٧٢). وفي نفس الوقت، كانت بريطانيا تسعى لدى الدول، اسمياً فقط، كي تحصل أرمينية - موطن نوبار الأصلي - علي استقلالها التام عن الدولة العثمانية^(١٧٣). بيد أن بريطانيا كانت تبغى من وراء توثيق علاقاتها بنوبار أن تُقيم حماية بريطانية علي مصر. وقد تنبه نوبار إلي هذا وأخذ يُحارب التغلغل البريطانى في مصر قدر المستطاع^(١٧٤).

ورغم أن نوبار قد تلقى تعليمه بفرنسا، إلا أنه كان علي خلاف دائم مع حكومتها. ويرجع هذا إلي ظروف مشروع قناة السويس وأعمال فردينان ديليسيس وانحياز نابليون الثالث Napoleon III إلي شركة قناة السويس أثناء نزاعها مع الحكومة المصرية فضلاً عن مقاومة فرنسا للإصلاح القضائى المصرى. كما كانت فرنسا لا تترتاح إلي نوبار بسبب ميوله البريطانية وعرقلة العديد من مشروعاتها في مصر^(١٧٥).

هذا، وقد حقق نوبار مركزاً مرموقاً في الساحة الدولية بسبب

علاقاته المتنوعة مع القوي الكبرى ومهارته الدبلوماسية وقوة تقديره للأشخاص والأشياء.^(١٧٦) ويكفي دليلاً على هذا، أن أوروبا قد رشحته حاكماً عاماً لبلغاريا Bulgaria. فعندما نشبت القلاقل في البوسنة والهرسك، انعقد مؤتمر أوربي في الأستانة يهدف إلى إدخال إصلاحات في إدارة الولايات المسيحية بالدولة العثمانية. وفي هذا المؤتمر، تم اقتراح تعيين نوبار في منصب حاكم عام لبلغاريا.^(١٧٧) ورغم موافقة بريطانيا وفرنسا وألمانيا على هذا الاقتراح، إلا أن هذا المشروع قد تجمد برمته نتيجةً لاندلاع الحرب الروسية - العثمانية في ٢٧ أبريل ١٨٧٧.^(١٧٨)

كما أراد نوبار الاستفادة من مكانته الدولية في خدمة أرمينية موطنه الأصلي. فاقترح في مؤتمر برلين ١٨٧٨ مشروعاً لإصلاح بلاده يقوم على تنظيم إدارتها تحت إشراف الدول الأوروبية، وتعيين حاكم عام باختيار هذه الدول وبموافقة السلطان العثماني، وتنظيم القضاء والشرطة وغير هذا على أيدي موظفين أوروبيين. ورغم موافقة بريطانيا وفرنسا على هذا المشروع، إلا أنه قد أخفق أمام معارضة الباب العالي والبطريك الأرمني في الأستانة.^(١٧٩)

وقد ذهب البعض إلى أن نوبار كان يهدف من وراء هذا المشروع أن يصبح نفسه حاكماً عاماً لأرمينية، بل ذهبوا أكثر من هذا إلى أنه يهدف إلى استقلال أرمينية استقلالاً تاماً عن الدولة العثمانية. على أيدي الإنجليز. ولذا، وفقاً لرأيهم، ظل يخدم المصالح البريطانية في مصر نظير ذلك.^(١٨٠) والحق، أن هذا الرأي متأثر بتصاعد ثورة الأرمن ضد السلطان العثماني الذي كان لا يزال يحتل مكاناً هاماً في مشاعر

المسلمين. ويكفي دليلاً على هذا، أن نوبار نفسه لم يكن يتمتع بشعبية لدى الأرمن. فقد طلب الأرمن مراراً من نوبار أن يتوسط لدى الدول الكبرى كي تتدخل لصالحهم، بيد أنه لم يفعل لتأكده من أنه لا توجد دولة أوروبية علي استعداد للتدخل الفعلى ضد الباب العالي لأنهم يرغبون في بقاءه حاجزاً ضد الطموحات الروسية في المياه الدافئة. وعلي هذا، اعتقد الأرمن أن نوبار لا يعبأ بقضيتهم. (١٨١)

ولم يكن نوبار محبوباً بين المصريين رغم أنهم قد أطلقوا عليه لقب «أبى الفلاح». (١٨٢) ويرجع هذا إلي كونه أرمنياً مسيحياً، وجهله باللغة العربية لغة الأهالي، وتأسيسه المحاكم المختلطة والأهلية، ومساعدته علي تغفل رأس المال الأوربي في مصر ناهيك عن إصراره علي التحالف مع الأوربيين في حكم مصر. وكذا، أخطأ نوبار حينما تجاهل التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت خلال سبعينيات القرن التاسع عشر. وبذا، لم ينجح في الخروج بنتائج صحيحة من حدوث الثورة العربية. (١٨٣)

ورغم الحملة العنيفة التى شنتها بعض الجرائد المصرية ضد نوبار، إلا أنها لم تنكر أنه من أهم الشخصيات التى اتسمت «... بالحنو علي المصريين والرافة بهم والاهتمام بمصالحهم والعناية بأمورهم والسهر علي أحوالهم...». (١٨٤) ويؤكد نوبار هذه المقولة في مذكراته خاصة عندما يتحدث عن تصديه للاستبداد والفساد والمحسوبية والسخره والامتيازات والضرائب وغيرها من الأشياء التى أثقلت كاهل المصريين. (١٨٥)

كما يؤكد نوبار في مذكراته علي حبه لمصر. ففي رسالة بعث بها من

الإسكندرية إلى زوجته في مدينة نيس الفرنسية في ٢٥ فبراير ١٨٦٧ قال فيها: «... إننى أحب مصر... ولا يمكننا الحياة في مكان غيرها...». وفي رسالة أخرى يقول: «... فى كل مرة أسافرُ فيها إلى الخارج، كنتُ أشعر بالحزن يوماً لبُعدي عن مصر. لذا، كنتُ اشتاق إليها وأشعرُ بفرحة شديدة عند عودتى إليها...» (١٨٦) بيد أن الإنجليز ظلوا يشككون فى حب نوبار لمصر بدعوى أنه ليس مصرياً، وينظر إلى الأشياء من خلال كونه أرمنياً يُقيم بمصر. (١٨٧)

وهكذا، يتضح مما سبق أن الأرمن يعدون أهم الجاليات التى تقلدت مناصب ذات سمة سياسية فى مصر خلال القرن التاسع عشر. ويؤكد كرومر هذه الحقيقة بقوله: «إن الأهمية السياسية للأرمن ترجع إلى شغل كثير منهم المناصب العالية فى الحكومة المصرية منذ حكم محمد علي. فقد كان الأقباط يشغلون وظائف متواضعة فى الجهاز الحكومى، ولم ينجح السوريون حتى فى شغل الوظائف الثانوية رغم كفاءتهم. أما الأرمن فقد نجحوا فى الوصول إلى أعلى المناصب، وقاموا بدور مؤثر فى إدارة الشؤون العامة بمصر.» (١٨٨)



الهوامش

- (١) ألبويچيان، المصدر السابق، ص ص ٥٩-٦٥. (بالأرمنية)
- (٢) جرت مناقشات بين حسين أفندي الروزنامجى - أحد موظفى الروزنامة علي عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) وبين إستيف أحد رجال الإدارة المالية للحملة الفرنسية. وقد أسماها حسين أفندي «ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية». وحققها محمد شفيق غريال ونشرها تحت اسم «مصر عند مفترق الطرق ١٧٩٨ - ١٨٠١» فى حولية كلية الآداب، جامعة فؤاد، المجلد الرابع، ج ١، مايو ١٩٣٦، ص ١٣، ٦٥.
- (٣) ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٤٤٢.
- (٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ص ٧٢-٧٤.
- (٥) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٢٧٩، ٤٣٧.
- (٦) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٧. (بالأرمنية)
- (٧) Cattaui, René. Le Règne de Mohammed Ali d'Après Les Archives Russes en Egypte, 3 Vols, Roma. 1933, Vol.2, p. 119. 186, 360, 348;
- ديوان المعية تركى، س ١/٦٠/٢ (٥٩)، ص ١٤١، رقم ٤٤٧، أمر من الجناب العالى إلى بوغوص بك في ٢٧ ذى القعدة ١٢٥٠ هـ.
- (٨) محافظ الأبحاث، رقم ٧، ترجمة إفادة صادرة في غرة صفر ١٢٥١ هـ.

- (٩) نفسه، رقم ١١٧، أسماء موظفي الحكومة المصرية ابتداء من رتبة البكباشى مستخرجة من سجل رقم ٣٦٨ معية تركى عمل ما بين ١٣٦٥-١٣٦٨ هـ.
- (١٠) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.
- (١١) "Artin bey _____", p. 428.
- (١٢) محافظ الأبحاث، رقم ٤٥، ترجمة إرادة إالى مدير المدارس في ٦ شعبان ١٢٦٠ هـ: كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٣١. (بالأرمنية)
- (١٣) ملف إسكندر بك بوزارى، مصدر سابق.
- (١٤) ملف نوبار باشا، مصدر سابق.
- (١٥) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٤٤٤.
- (١٦) نفسه، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ١٩٤: كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢١٥. (بالأرمنية)
- (١٧) محافظ الأبحاث، رقم ١٢٢، كشف بأسماء كبار موظفي الحكومة المصرية في أول عهد المغفور له جنتمکان إسماعيل باشا عمل في ذى القعدة ١٢٧٩ هـ.
- (١٨) ديوان المعية تركى، س١/٥٥/٢٣ (٥٢٩)، ص ٤١، رقم ٥٤، أمر إالى ناظر المالية في ٢٨ جماد أول ١٢٨٠ هـ.
- (١٩) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٨٢٤.

- (٢٠) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٣٦٢، ٣٨٤.
- (٢١) ديوان المعية تركي، س ١/٥٥/١ (٤٩)، ص ٦١، رقم ٣٠٦، أمر من الجناح العالي إلى سامي بك في ٢٦ صفر ١٢٤٩ هـ.
- (٢٢) أرشالويس أرااديان، ١٨٤٧/٧/٢٥، أزمير (بالأرمنية).
- (٢٣) ميكياڤيلي Machiavelli، كاتب وسياسي إيطالي، ارتبط اسمه بارتكاب الخطأ والجرائم والفسق في السياسات. وُلِدَ في ٣ مايو ١٤٦٩ بفلورنسا Florence. وقد نشأ إبان العصر الذهبي لفلورنسا عندما كان يحكمها لورينزو دي ميدتشى Lorenzo de' Medici. كما شهد ميكياڤيلي هجوم الملك الفرنسي شارل الثامن Charles VIII علي فلورنسا وإسقاطه أسرة ميدتشى وتأسيسه جمهورية بها في عام ١٤٩٤. وقد عمل في عام ١٤٩٨ سكرتيراً بمحكمة فلورنسا ثم قاضياً ثانياً بها. وظل يتقلد وظائف متباينة حتى عام ١٥١٢. وجدير بالذكر أنه أقام علاقات حميمة مع الحكام واشترك في عدة مهام دبلوماسية وأنشطة سياسية ودرس التاريخ لاسيما تاريخ فلورنسا وروما القديمة مما ساعده علي الكتابات السياسية والتاريخية. وتجدر الإشارة إلي أنه أَلَفَ العديد من الكتب منها علي سبيل المثال Discourses Upon Livy (١٥١٨)، The Art of War (١٥١٩)، The History of Florence (١٥٢٥). بيد أن كتاب الأمير The Prince (١٥١٣) يُعد أهم كتبه وأشهرها. ويتلخص هذا الكتاب في أن الغاية تُبرر الوسيلة. ومما هو جدير بالذكر في هذا السياق أن كثيراً من السياسيين قد تأثروا بهذا الكتاب. توفي ميكياڤيلي في ٢٢ يونيو ١٥٢٧.
- Collier's Encyclopedia, 24 Vols, New York, 1992, Vol. 15, pp. 163-166.

Senior, op. cit., Vol. 2, pp. 176-177. (٢٤)

(٢٥) أرشالويس أرااديان، ١٨٤٩/٤/١١، أزمير. (بالأرمنية)

(٢٦) يُعد الرحالة ريتشارد بيورتون (١٨٢١-١٨٩٠) من أهم كُتّاب الرحلات الإنجليزي وأشهرهم. وكان قد زار مصر في سنة ١٨٥٣ وأقام مدةً في القاهرة والسويس ثم حج إلي مكة ودخل المدينة المنورة متنكراً في زي تاجر عربي. وتُعد رحلته من أغزر الكتب وأحفلها بالمعلومات حول بلاد الشرق العربي. ومن أهم أعماله الأخرى ترجمته «ألف ليلة وليلة». وقد رافقه إدوارد بالمر (١٨٤٠-١٨٨٣) الذي زار شبه جزيرة سيناء وأقام بمصر حتى مصرعه علي أرضها.

Burton, op., cit., Vol.1, p. 118;

محمود علي مكي، «بدرويات سولدان رحالة من بيرو في مصر في منتصف القرن التاسع عشر»، الهلال، يونية ١٩٩٢، ص ص ٩١-٩٢.

Nubar Pacha, op. cit., p. 40. (٢٧)

Ibid., pp. 45-46, 50-53. (٢٨)

Ibid., p. 53. (٢٩)

(٣٠) هيلين آن ريفلين، المصدر السابق، ص ١٥٠.

Hamont, op. cit., Vol.2, p. 280. (٣١)

(٣٢) لمزيد من التفاصيل حول المهام التي قام بها أبراهام بك في الأستانة انظر:

Crabites, Pierre, Ismail the Maligned Khedive, London, 1933, pp. 161-206.

- (٢٣) محافظ الأبحاث، رقم ١١٦، ملف بأسماء الحكام المصريين الذين تولوا شئون السودان.
- (٢٤) صاحب سعيد باشا خلال هذه الرحلة عدد من الأشخاص مثل راغب باشا وذى الفقار باشا وإبراهيم بك النبراوى ودليسيبىس والدكتور أباته ونوبار وأخيه أراكيل بك.
- إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، جزء ان ، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٤ هـ، الجزء الثانى، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (٢٥) محمد فؤاد شكرى، مصر والسودان، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٦٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧٧.
- (٢٦) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ص ٢١١-٢١٢.
- (٢٧) Bertrand, Emile, Nubar Pacha 1825-1899, Le Caire, 1904, pp. 70-72.
- (٢٨) أمين سامى، تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ص ٢٢١-٢٢٢، ٢٣٠، ٣٠٣.
- (٢٩) Hill, Richard, A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan, Oxford, 1951, p. 58.
- (٤٠) Ibid; Hanotaux, Gabriel, Histoire de la Nation Egyptienne, 7 Vols, Paris, 1940, Vols 5, p. 570.
- (٤١) Nubar Pacha, op. cit., p. 166.

(٤٢) تارّجحت إدارة مصوع بين جدة ومصر خلال حكم محمد علي. ولكن، منذ ١٢ سبتمبر ١٨٤٦ أُحيلت إدارة جمركى مصوع وسواكن إلي محمد علي الذي أحال إدارتها إلي مديرية التاكة. وفي عام ١٨٤٩ أُعيدتا إلي إيالة جدة. ثم ، سعى إسماعيل لاسترداد مصوع وسواكن لدى السلطان العثماني الذي أصدر فرماناً في مايو ١٨٦٥ بإحالة سواكن ومصوع إلي الإدارة المصرية. وفي ٩ محرم ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥) دخلت إدارة مصوع ضمن «حكمدارية التاكة ومصوع وسواكن». وفي ربيع أول ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠) فُصلت مصوع وسواكن وغيرهما من الأقاليم السودانية المطلة علي البحر الأحمر ومديرية التاكة عن حكمدارية السودان وشكّل منها جميعاً محافظة عُرُفت بـ «محافظة سواحل البحر الأحمر». وفي ١٥ رجب ١٢٨٨ هـ (١٨٧١) انفصلت مصوع وأصبحت محافظةً مستقلةً علي رأسها منزنجر محافظاً، ثم اتحدت إدارة مصوع وسواكن مرة أخرى في ١٤ محرم ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢) في محافظة واحدة تحت إدارة منزنجر. وفي ٢٨ ذى الحجة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٣) صدر أمر بإحالة مديرية التاكة تحت إدارة منزنجر محافظ مصوع وسواكن وسُمي «مدير عموم شرقي السودان ومحافظ سواحل البحر الأحمر». وبسبب هذا التعديل عُيّن علاء الدين بك محافظاً لسواكن وأراكيل بك محافظاً لمصوع.

شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧١-٤٠.

(٤٣) منزنجر سويسرى الجنسية، حضر إلي مصر ثم سافر منها إلي السودان والحبشة واستقر به المقام أخيراً في مصوع. وتزوج هناك بسيدة من أهالي إقليم «بوغوص» الذي كان تابعاً في ذلك الوقت للحبشة، وقد عينته فرنسا قنصلاً لها في مصوع بعد ذلك. ولما قامت إنجلترا بحملتها علي الحبشة

المعروفة بحملة «نايبر» سنة ١٨٦٨ استعانت بمنزنجر لما له من المعرفة بأحوال هذه البلاد وطرقها. ومما يُذكر لمنزنجر أنه ساهم إلي حد كبير في الإصلاحات التي قامت بها الإدارة المصرية في مصوع وسواكن. كما أنه زار بربره تنفيذاً لأمر الحكومة المصرية وكتب تقريراً وافياً عنها وكان ذلك تمهيداً لامتداد التنظيم المصري إليها. وأُرسل إلي زيلع لبحث الطرق واستكشاف الجهات المؤدية منها وإليها. ومنزنجر هو الذي شجع الحكومة المصرية علي المغامرة بمحاربة الحبشة وهون عليها الأمر. وانتهاز فرصة انشغال الملك يوحنا ملك الحبشة بمحاربة قبائل الجالا - وكانت العلاقات بين مصر والحبشة في ذلك الوقت متوترة - فسار علي رأس قوة من الجنود المصريين الذين تحت إمرته فاستولي علي «كيرن» عاصمة «بوغوص». كما شجع كبار الأحباش علي نقض ولائهم للملك يوحنا. وقد زاد هذا من شدة التوتر بين البلدين وانتهى الأمر بقيام الحروب بين الطرفين. وقد قاد منزنجر نفسه إحدى هذه الحملات علي الحبشة فأنحر من مصوع علي رأس أربعة بلوكات من الجنود المصريين لينزل في «تاجورة» وقد هُزمت هذه الحملة وقُتل عدد كبير من أفرادها منهم منزنجر وزوجته.

شوقي عطا الله الجمل، سياسة مصر في البحر الأحمر، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٤٤) ملف أراكيل بك، مصدر سابق.

(٤٥) لقد خلط ريتشارد هل بين أراكيل حاكم الخرطوم وسنار أثناء حكم سعيد وأراكيل حاكم مصوع إبان حكم إسماعيل من حيث علاقاتهما بنوبار باشا. فقد ذكر أن الأول قريب نوبار من ناحية أمه، بينما الثاني هو ابن أخت نوبار، والحقيقة أن الأول هو شقيق نوبار والثاني قريب نوبار من ناحية الأم.
Hill, op. cit., pp. 58-59.

(٤٦) شوقي عطا الله الجمل، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر ١٨٥٦٣-١٨٧٩، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٩، ص ص ١٤٤ - ١٤٥.

يذكر شوقي الجمل في صفحة رقم ١٤٣ من هذا الكتاب أن أراكيل بك محافظ مصوع هو ابن أراكيل باشا حاكم الخرطوم وسنار إبان حكم سعيد. يُخطئ شوقي الجمل. لأن أراكيل نوباريان - مدير الخرطوم وسنار - لم يحصل علي الباشوية ولم يتزوج. والحقيقة أن أراكيل بك حاكم مصوع هو ابن بدروس أبرويان قريب والده نوبار باشا. كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٩، ٢١٥. (بالأرمنية)

(٤٧) أرنديوب بك من ضباط أركان الحرب، أصله دانمركي، ثم جاء مصر وتعرف إلي الجنراك استون باشا رئيس أركان الحرب، فرغب إليه الخدمة في الجيش المصري فقبل. عبد الرحمن الرافي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ١٤٨.

(٤٨) لمزيد من التفاصيل حول حروب إسماعيل في الحبشة أنظر: عبد الرحمن الرافي، المصدر السابق، ص ص ١٤٤-١٥٢.

(٤٩) Simon, Gabriel, L'Ethiopie, Voyage en Abyssinie et Chez Les Gallas-Rais, 2 Vols, Paris, 1885, Vol. I, p. 110.

(٥٠) ملف أراكيل، مصدر سابق.

(٥١) Simon, op. cit., pp. 110-115.

(٥٢) ميخائيل شاروبيم، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٠٠، الجزء الرابع، ص ٨٥٠.

Simon, op. cit., p. 115.

(٥٣) إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، جزءان .
مكتبة مديبولي، القاهرة، ١٩٩٠، الجزء الثاني، ص ٨٢؛

Hill, op. cit., p. 59.

(٥٤) رُبط معاش أراكيل إلي أمه ماريا كرامر أرملة أبراهام (بدروس) أبرويان
القاطنة في فلورنسا بإيطاليا.
ملف أراكيل بك، مصدر سابق.

(٥٥) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٥٦) أمين سامي، تقويم النيل وعصر عباس حلمي باشا الأول ومحمد سعيد
باشا، المجلد الأول من الجزء الثالث، ص ١١.

(٥٧) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.

(٥٨) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفي الحكومة المصرية ابتداء من رتبة
البكباشي مستخرجة من سجل رقم ٢٦٨ معية تركي عمل ما بين
١٢٦٥-١٢٦٨ هـ.

(٥٩) نفسه، رقم ١٢٣، ترجمة أمر صادر إلي كاتب ديوان خديوي في ١٢ ذي
القعدة ١٢٧٠ هـ مستخرج من محفظة رقم ٢، معية تركي، ورقة رقم ٢٥.
وثيقة رقم ١٥٧.

(٦٠) ملف إسطفان بك، مصدر سابق.

(٦١) عبد الرحمن الراقعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ٥٠.

(٦٢) ملف نوبار باشا، مصدر سابق.

(٦٣) محافظ الأبحاث، رقم ١٢٣، ترجمة أمر صادر إلي نوبار باشا في ١٨ ذي
الحجة ١٢٩٠ هـ.

(٦٤) محافظ مجلس الوزراء . مجلس النظار، محفظة رقم ١/٣، كشف بأسماء العتوفة والدولة رؤساء النظارات المصرية من عهد تشكيل مجلس النظار في عام ١٨٧٨ وتواريخ تشكيلها واستقالاتها.

(٦٥) نفسه، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٣، وثيقة رقم ٢، تعريب أمر كريم صادر في ٢٨/١/١٨٨٢؛ ملف ديكران باشا، مصدر سابق.

(٦٦) نفسه، مجلس النظار، محفظة رقم ٢/١، المصدر السابق.

(٦٧) تم إعداد هذا الجدول من مدد تولية النظار السابق ذكرها إضافةً إلى :

محافظ مجلس الوزراء، نظارة الخارجية، محفظة رقم ٢، قائمة بنظار الخارجية في مصر منذ عهد محمد علي حتى عام ١٩١٤؛ كما وردت نفس القائمة في: الأهرام، الأربعاء ١١/٤/١٩٢٣.

(٦٨) تجدر الإشارة إلى أن بوغوص يوسفیان قد تولي أثناء عمله باشرتزمان محمد علي إدارة علاقات الأخير التجارية والخارجية والدبلوماسية قبل تأسيس ديوان التجارة في عام ١٨٢٦.

(٦٩) سوف يتم تفصيل هذا عند الحديث عن علاقات هؤلاء النظار بالحكام والقوي الدولية في جزء لاحق من هذا الفصل.

(٧٠) بونان لبیب رزق، الخارجية المصرية ١٨٢٦-١٩٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٢٥-٢٦، ٤٣-٤٥.

(٧١) نفسه، ص ص ٤١-٤٢.

(٧٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، عصر حكيكيان، ص ص ٩٣-٩٤:

Rae, op. cit., pp. 181-182.

- (٧٣) هيلين أن ريفيلين، المصدر السابق، ص ٢٦٣.
- (٧٤) أمين سامى، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثانى من الجزء الثالث، ص ٦٣٤.
- (٧٥) لمزيد من التفاصيل حول هذه الحادثة وملابساتها أنظر:
- چرچى زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، دار الهلال ، القاهرة، ١٩٢٢، ص ص ٢٢٦-٢٢٨.
- (٧٦) Nubar Pacha, op. cit., pp. 9-10.
- (٧٧) Adalian, op. cit., p. 138.
- (٧٨) Lutfi Al-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p. 76.
- (٧٩) ديوان المعية تركى، س١/٥٣/٢ (٢٩)، ص ٤١، رقم ٢٠٨ ، أمر من الجنب العالي إلى الخواجه جواني في ٢ ذي القعدة ١٢٤٤ هـ.
- (٨٠) Paton, A. A, A History of Egyptian Revolution. 2 Vols. (٨٠) London, 1863, Vol. 2, p. 83, 231.
- (٨١) محافظ الأبحاث، رقم ٥٠، ترجمة أمر من الجنب العالي إلى بوغوص في ٤ جماد ثان ١٢٥٩ هـ.
- (٨٢) Nubar Pacha, op. cit., pp. 8-9.
- (٨٣) Lutfi AL-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p. 76.
- (٨٤) Nubar Pacha, op. cit., p. 9.
- (٨٥) Enkere, Gabriel, Ibrahim Pacha 1789-1848, Cairo, 1948, p. 443.

- (٨٦) أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٥٣٠.
- (٨٧) Carmont, Pascal. "Le Role des Armeniens en Egypte au XIX^{eme} Siecle", Le Messager, Le Caire, 8/12/1991, No. 1719, p. 1, 3, 15/12/1991, No. 1729, p. 1, 3;
- أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٥٢٨؛ هيلين أن ريثيلين، المصدر السابق، ص ٢٦٨.
- (٨٨) Mengin, op. cit., p. 182, 259; Hamont, op. cit., Vol. 1, p. 439, Vol.2, p. 117; Cattani, op. cit., Vol.2, p. 26, 144, 163, 228.
- (٨٩) أمين سامى، المصدر السابق، ص ٥٣٠.
- (٩٠) جون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٦١-٦٢.
- (٩١) نفسه، ص ص ٦٢-٦٣.
- (٩٢) نفسه، ص ص ٥٣-٥٤؛ أمين سامى، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٥٣١؛
- Paton, op. cit., p. 232.
- (٩٣) Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, p. 23.
- (٩٤) أزكاسير (وطنى)، ١٨٤٧، ص ٢٠٥، أزمير. (بالأرمنية)
- (٩٥) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٦. (بالأرمنية)
- (٩٦) جون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٦٦ - ٦٨.
- (٩٧) Senior, op. cit., pp. 163-164, 170, 220-222; Carmont, op. cit., p. 3.

(٩٨) سوف يتم الحديث عن نوبار في جزء لاحق من هذا الفصل.

(٩٩) كرومر ، عباس الثاني، ترجمة مطبعة التوفيق بمصر، بدون تاريخ، ص ص ٢٦-٢٨.

(١٠٠) Lutfi Al-Sayyid. Afal. Egypt and Cromer. A Study in Anglo-Egyptian Relations, London, 1960, p. 78, 103.

(١٠١) Ibid., pp. 103-104.

(١٠٢) Ibid., p. 104.

(١٠٣) كرومر ، المصدر السابق، ص ص ٢٢-٢٤.

(١٠٤) نفسه، ص ص ٥٤-٥٥.

(١٠٥) Cromer, op. cit., p. 632 .

(١٠٦) أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ٧٤:
Carmont, op. cit., 19/1/1992, No. 1725, p. 1,3.

(١٠٧) Rae, op. cit., p. 297.

(١٠٨) Adams, Francis. The New Egypt. A Social Sketch, London, 1893, p. 54.

(١٠٩) Rae, op. cit., p. 297, 300.

(١١٠) أمين سامي، تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، المجلد الثاني من الجزء الثالث، ص ٥٥٢.

(١١١) محافظ مجلس الوزراء، مجلس النظار، محفظة رقم ٢ / أ، قائمة بأسماء العظوفة والدولة ورؤساء النظار المصرية وتواريخ تشكيلها واستقالاتها.

- (١١٢) جون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
- (١١٣) عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ١، ص ص ٧٩-٨٦؛ ج ٢، ص ص ٢٦٧-٢٧٠.
- (١١٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٢٤-٢٧.
- (١١٥) عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ٢، ص ص ٦٥-٦٦.
- (١١٦) جون مارلو، المصدر السابق، ص ٢٩٧.
- (١١٧) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٢٣.
- (١١٨) نفسه، ص ٣٤: جون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.
- (١١٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٤٧-٤٩، ٥٧.
- (١٢٠) عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل، ج ٢، ص ص ٧٨-٨٠.
- (١٢١) جون مارلو، المصدر السابق، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.
- (١٢٢) نفسه، ص ٣٣٥.
- (١٢٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٦٣-٦٩.
- (١٢٤) تشكلت نظارة نوبار بعد التعديل الذي دخل عليها من : نوبار باشا رئيساً لمجلس النظار وناظرأ للخارجية والحقانية، رياض باشا للداخلية، راتب باشا للحربية، السير ريفرس ويلسون للمالية، المسيو دي بلينيير للأشغال، علي باشا مبارك للمعارف والأوقاف.
- فؤاد كرم، النظارات والوزارات المصرية، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ص ٧١-٧٨.

(١٢٥) Cromer, op. cit., pp. 50-53.

(١٢٦) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٢٧) Cromer, op. cit., p. 56.

(١٢٨) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية ، ص ص ٧٢-٧٣.

(١٢٩) نفسه، ص ٧٤.

(١٣٠) Cromer, op. cit., pp. 58-63 .

(١٣١) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مصر والمسألة المصرية، ص ص ٧٧-٨١.

(١٣٢) أحمد شفيق، المصدر السابق، ج ١، ص ٩٠.

(١٣٣) طلعت إسماعيل رمضان، محمد شريف باشا ودوره في السياسة المصرية،

دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ٣٢٧-٣٤٤.

(١٣٤) تولى نوبار الرئاسة والخارجية والحقانية، وثابت للداخلية، ومصطفى فهمى

للمالية، وعبدالقادر حلمي للحربية والبحرية، وعبد الرحمن رشدى للأشغال،

ومحمود فلكى للمعارف العمومية.

فؤاد كرم، النظارات، ص ص ١٢٧ - ١٣٠.

(١٣٥) Milner, op. cit., pp. 73-7 .

(١٣٦) عبد الرحمن الرافعى، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، الطبعة

الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٢٠ - ١٢٣.

(١٣٧) Rae, op. cit., p. 304

(١٣٨) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٣.

Milner, op. cit., pp. 91-92. (١٣٩)

(١٤٠) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ٨٣.

(١٤١) عبد الرحمن الرافعي، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، ص ص ٧٩-٨٥.

Chafik, Ahmed, L'Egypte Moderne et les Influence Etrangeres. (١٤٢)
Le Caire, 1931, p. 155.

Milner, op. cit., pp. 86-87. (١٤٣)

(١٤٤) القاهرة، عدد ٦٥٥، الثلاثاء ٢١/٢/١٨٨٨.

(١٤٥) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ٨٤-٨٥.

Cromer, op. cit., p. 297. (١٤٦)

(١٤٧) نشبت أزمة الحدود أثناء رحلة الخديو عباس حلمي الثاني إلى الوجه القبلي في يناير ١٨٩٤. فوصل إلى وادي حلفا يوم ١٨ يناير ١٨٩٤ وهناك عرض فرقة من الجيش المصرى كان يتولي قيادتها ضابط بريطانى. ولاحظ عباس نقصاً في نظام الجنود وتدريباتهم، فأبدى ملاحظاته في هذا الصدد إلي محمد ماهر باشا وكيل نظارة الحربية الذى كان يرافقه في سياحته. ثم ندد بالجيش ونظامه، وذاعت هذه الملاحظات، فثارت ثائرة اللورد كيتشنر وعدها إهانة له. وجعل منها أزمة تتعلق بالكرامة الإنجليزية، فبادر بتقديم استقالته من منصبه، وأبلغ الأمر إلي كرومر الذى استشاط غضباً من مسلك الخديو. وأرسل إلي حكومته يستطلع رأياها فيما يجب عمله، فكان جوابها أن يُطالب الخديو إصدار أمره بشكر السردار وامتداح الضباط الإنجليز. وإبعاد ماهر باشا من منصبه، ومعنى هذا اعتذار الخديو عن ملاحظاته ويادر رياض

باشا رئيس النظار إلى نصيح الخديو بالاعتذار والإذعان لمطالب الاحتلال.
وانتهت الحادثة بالتسليم.

عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، الطبعة
الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

(١٤٨) تشكلت نظارة نوبار الثالثة من نوبار للرئاسة والداخلية، ومصطفى فهمي
للحربية والبحرية، وحسين فخري للأشغال والمعارف، ويطرس غالي
للخارجية، وأحمد مظلوم للعالية، وإبراهيم فؤاد للحقانية.

فؤاد كرم، النظارات، ص ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١٤٩) كرومر، المصدر السابق، ص ص ٦٦-٦٧.

(١٥٠) عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل، ص ٢٢٩.

(١٥١) طلعت إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ٩٦-٩٧.

(١٥٢) كرومر، المصدر السابق، ص ٦٧.

(١٥٣) المقياس، عدد ١٩، الأحد ١٢/٢٩/١٨٩٥.

(١٥٤) Nubar Pacha, op. cit., p. 94, 108, 211.

(١٥٥) Ibid., pp. 5-6, 74-77.

(١٥٦) Ibid., pp. 78-80.

(١٥٧) Ibid., pp. 143-145.

(١٥٨) Ibid., pp. 211-241.

(١٥٩) Ibid., pp. 535.

- (١٦٠) مجموعة مراسلات بين إسماعيل ونوبار حول تأسيس المحاكم المختلطة مترجمة من الفرنسية إلى العربية في:
- محافظ الأبحاث ، رقم ١١٥: ومجموعة أخرى نشرها إلياس الأيوبي في كتابه عن عصر إسماعيل، ج ٢، ص ٥٢٨-٥٦٥.
- (١٦١) محمد صبرى، تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي إلى اليوم، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٣٠، ص ١٢٢-١٢٣، ١٤٤.
- (١٦٢) طلعت إسماعيل رمضان، القضاء المصرى فى ظل السيطرة البريطانية ١٨٨٢ - ١٩٢٢، المنصورة، ١٩٩٠، ص ١٢-١٣: لطيفة محمد سالم، تاريخ القضاء المصرى الحديث، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٤٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١، ص ٧٤-٨٤، ١٠٦-١٠٩.
- (١٦٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ٢١.
- (١٦٤) طلعت إسماعيل رمضان، القضاء المصرى، ص ١٤-٢٠: لطيفة محمد سالم، المصدر السابق، ص ١١٦.
- (١٦٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر السابق، ص ٦٥.
- (١٦٦) جون مارلو ، المصدر السابق، ص ٣٦٣.
- (١٦٧) أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثانى، ص ١٩٧.
- Sabry, L'Empire Egyptien sous Ismail, p. 46. (١٦٨)
- Chafik, op. cit., p. 155 . (١٦٩)
- Nubar Pacha, op. cit., p. 391. (١٧٠)
- (١٧١) نجيب مخلوف، نوبار باشا وما تم علي يده، القاهرة، ١٩٠٤، ص ١٥-١٦.

- (١٧٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ٦٥.
- (١٧٣) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، الطبعة الثانية، جزآن، مطبعة اللواء بمصر، بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.
- (١٧٤) إسماعيل رمضان، الإدارة المصرية، ص ص ٨٢-٨٥، ٢٦١.
- (١٧٥) أحمد عبد الرحيم مصطفى، مصر والمسألة المصرية، ص ٨٠.
Rac, op. cit., p. 304.
- (١٧٦) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ج٢، ص ص ١٦٤-١٦٥.
- (١٧٧) نجيب مخلوف، المصدر السابق، ص ص ٦-٧.
- (١٧٨) Nubar Pacha, op. cit., p. 478.
- (١٧٩) Archarouni, Victoria, Nubar Pacha 1825-1899, Le Caire, 1960. pp. 223-233.
- (١٨٠) مصطفى كامل، المصدر السابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٦: أحمد شفيق، المصدر السابق، القسم الأول من الجزء الثاني، ص ١٩٥: البريد، عدد ٥١، الثلاثاء ١٨٩٥/٧/٢؛ الأمامي، عدد ١٣١، الاثنين ١١/١١/١٨٩٥.
- (١٨١) نجيب مخلوف، المصدر السابق، ص ١٨٨.
- Archarouni, op. cit., 234-238.
- (١٨٢) وأيضاً، أُطلق اسم نوبار علي شارع في ميدان لافولغلي، وعلي ترعة في مديرية التحرير، ومحطة سكة حديد طنطا، ونوع من القطن وحى كبير في شبرا الخيمة.
- الإتحاد المصرى، الخميس ١٨/٩/١٨٩٠.

(١٨٣) محمد عبده، المصدر السابق، ص ٧٠٤: إلياس الأيوبي. المصدر السابق،
ج ٢، ص ص ١٥٠-١٥١؛

توبوزيان، المصدر السابق، ص ٨٦. (بالأرمنية)

(١٨٤) الأهالي ، عدد ١٣٩ ، الإثنين ١٢/٩/١٨٩٥ .

Nubar Pacha, op. cit., pp. 83-84. (١٨٥)

Ibid., p. 280. (١٨٦)

Rac, op. cit., p. 304. (١٨٧)

Cromer, op. cit., p. 630. (١٨٨)



الفصل السادس

الأرمن في المجتمع المصري

١- مجتمع الأرمن

٢- التعليم

٣- الصحافة

٤- الفنون

١- مجتمع الأرمن

يُمثل الأرمن في مصر نموذجاً من أنقي العائلات القوقازية الكبيرة، وتقرب ملامحهم من ملامح اليونانيين إلي حد كبير، ولكن هينتهم تبدو أكثر كآبة وأجسادهم أكثر التفافاً، ووجوههم بيضاوية أكثر طولاً وعرضاً، وتعبيرات وجوههم أقل لطفاً ويشاشةً من اليونانيين مع لون أقل بياضاً، والنساء الأرمنيات جميلات للغاية. ولكن، السمنة الزائدة لديهن تفقدن كثيراً من اللطف الطبيعي الذي يمتاز به جنسهن.^(١) ويعيب الأرمنى أنه منكش علي نفسه، لا ثقة له بالغير، عصبى وعنيد.^(٢) بيد أنه يمتاز بالثابرة والاجتهاد^(٣) وتقديس العمل. ويكفي دليلاً علي هذا، أن الأرمن قد اعتادوا علي العمل في يوم رأس السنة استبشاراً بحسن العمل خلال العام الذي مضى والذي سيأتى.^(٤)

وينتمى الأرمن من الناحية القانونية إلي الطوائف الشرقية غير الإسلامية التي نزحت إلي مصر من المناطق التابعة للدولة العثمانية. وبذا، لا يُعد الأرمن «أجانب» لأنهم كالمصريين من رعايا الدولة العثمانية.^(٥) ولكنهم كانوا معافين من الخدمة في الجيش ويدفعون مقابل ذلك ما يُسمى بـ «البدلية العسكرية».^(٦)

وينقسم الأرمن دينياً إلي : الأرمن الأرثوذكس، وهم أغلبية يخضعون لمطرانهم الخاص، والأرمن الكاثوليك، وهم أقلية يخضعون للسيادة الروحية لبابا روما. وباستثناء المتحدثين باللغة العربية، فهم يتشابهون في سماتهم وعاداتهم الاجتماعية مع أقرانهم في الدولة العثمانية. ورغم أن الخلاف بين الأرثوذكسية والكاثوليكية ضئيل ، إلا أن العداوة بين الأرمن كبيرة جداً. وجدير بالذكر أن بابا روما أصدر كثيراً من

المنشورات* علي صفحات الجرائد يُهنئ فيها الأرمن الذين تركوا كنيستهم الوطنية ودخلوا الكنيسة الكاثوليكية ويُحرض بقية الأرمن علي الاقتداء بهؤلاء الأشخاص. كما ثمة تأثيرات فرنسية تُلاحظ بوضوح علي الأرمن الكاثوليك.^(٧)

وتجدر الإشارة إلي أن هناك طائفة أرمنية بروتستانتية قليلة جداً في مصر. ولذا، لم تكن لها كنائسها ومؤسساتها الخيرية. وكان الأرمن البروتستانت خلال عامي ١٨٦٠-١٨٦٥ يؤتون صلواتهم أيام الآحاد في بيت بالقاهرة. وعندما ازداد عددهم نسبياً في عام ١٨٧٥ ذهبوا للصلاة في كنائس الأقباط. ثم امتنع معظمهم عن الصلاة في هذه الكنائس لجهلهم باللغة العربية التي تُقام بها شعائر صلاة الأقباط. ولكن، عندما تزايدوا بشكل كبير بعد مذابح عام ١٨٩٦ تعيّن لهم، ولأول مرة، رئيساً يُنظم أحوالهم ويُقيم الصلاة هو إستييان المرعشي في عام ١٨٩٦، وجاء بعده أريستاجيس تيكيان في عام ١٨٩٨.^(٨)

ولم يكن للأرمن الكاثوليك رئيساً دينياً خاصاً بهم حتي عام ١٨٢٠ فبدأ رعاة الأرمن الكاثوليك بلبنان في إرسال قساوسة إلي مصر لمراعاة شئون طائفتهم وإقامة الطقوس الدينية بدلاً من الذهاب إلي الكنائس الكاثوليكية الأخرى. فأسس الأب سيروفي أيفازيان كنيسة صغيرة في مصر القديمة في عام ١٨٢٢، ثم أسس الأب بارسينغ أفتاريان كنيسة بدرب الجنينة في عام ١٨٤١. ورغم المحاولات التي بذلها الأرمن الكاثوليك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر للحصول علي تنظيم ملى معترف به من الحكومة المصرية، إلا أن ذلك لم يحدث آنئذ.^(٩) أما الأرمن الأرثوذكس فقد كانوا أكثر الطوائف الأرمنية تنظيماً.

فبعد التصديق علي الدستور الملى الأرمني بالأستانة في عام ١٨٦٣، صدرت أوامر بطيريركية الأستانة إلي القاهرة بتشكيل مجلس يسير علي الدستور الأرمني.^(١٠) وكان بالقاهرة «٢٢٣» أرمنى لهم حق الانتخاب، وتم ترشيح «٢٧» شخصاً لاختيار تسعة منهم يُشكلون المجلس. كما تم تحديد موعد الانتخاب في يوم الأحد ١٢ أبريل ١٨٦٤ وأُرسلت خطابات إلي الناخبين.^(١١) وفعلأً، حضر في يوم الأحد المذكور «١٢٣» ناخب. وأسفرت الانتخابات عن أول مجلس ملي أرمنى في مصر ويتكون من : كريكور أفندي يغيان وأزاريا أغا بدروسيان وشكيب أفندي نشانيان وكيفورك بك رابانيان وبوغوص أفندي جرابيديان وهوفانيس أفندي بغداساريان وموقسيس أغا أريجيان وخاتشير أفندي ميكانيان. هذا، وقد أعلن الناجحون فور إعلان النتيجة أنهم سيراعون أعمال الكنيسة والمدرسة والفقراء، وسيعملون علي حل المشكلات التي تنشأ بين أفراد الجالية ، وسيؤسسون صندوقاً لجمع الأموال التي ترد إلي الكنيسة من الضرائب والأطيان والأوقاف والتبرعات والإيجارات، وسوف يُعدون سجلات تحوى كل الأرمن الموجودين من كل الأعمار فضلاً عن تسجيل المواليد والزواج والوفيات. ولما كان هذا المجلس تحت إشراف المجالس السياسية والدينية في الأستانة، فهم علي استعداد دائماً لتقديم الحسابات والتقارير إليهم. وفي حالة حدوث مشكلة كبيرة بمصر تُرفع إلي مجلس الأستانة.^(١٢) (أنظر ملحق رقم «١»)

وتنقسم مطرانية الأرمن الأرثوذكس في مصر إلي مطرانية القاهرة ومطرانية الإسكندرية، ولكل منهما جمعية عمومية تنتخب المجلسين الملى والروحاني للفصل في المسائل الدينية والأحوال الشخصية وسائر شئون.

الطائفة، وكلتا الجمعيتان تُكوّنان جمعية عمومية بمثابة لجنة تشريعية للمطرانية لها الحق المطلق في انتخاب المطران أو عزله وفي تعديل اللوائح وغير ذلك. وتُوجد الرئاسة العليا للأرمن الأرثوذكس في إيتشميادزين - المركز الروحي للأرمن في بلادهم.^(١٣)

وينقسم الأرمن إلى شرائح اجتماعية لكل منها سماتها وتقاليدها. فتنبوا الأرستقراطية الأرمنية - مثل عائلات يوسفيان ونوباريان وأبرويان وتشراكيان وحكيكيان ودميرجيان - قمة الهرم الاجتماعي. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأرستقراطية تدرج في شريحة الذوات أو أعيان (كبار ملاك الأراضي الزراعية) المجتمع المصري وتتساوى معهم في الرتب والثروات والجاه.^(١٤) ويذهب البعض إلى أن جذور عائلات يوسفيان وأبرويان ونوباريان تمتد إلى نواة واحدة هي أسرة بجرادوني Bagratides الملكية^(١٥) التي هاجرت إلى أزمير بعد زوال حكمها في أني.^(١٦)

وفي الواقع كان للأرستقراطية الأرمنية تقاليدها المتأصلة التي أدت إلى توثيق العرى فيما بينهم بشدة. فقد احتفظت أسرتا أبرويان ونوباريان بذاكرة واعية لماضييهما الإقطاعي ساهمت في صياغة اتجاه أدوارهما الخاصة في الحياة. وسعت الأسرتان بعد زوال حكمهما وأملاكهما أن تستعيدا، عن طريق التجارة، الثروة والوضعية اللتين كانا قد اكتسباهما عن طريق الإقطاع. ورغم تلاشى وضعهما الطبقي كنبلاء، فقد ظلت الأسرتان متمسكتين بأصولهما النبيلة في الميلاد والتربية ومتشبثتين بالتقاليد الإقطاعية.^(١٧)

وكذا، احتفظت الأرستقراطية الأرمنية بظاهرة «القيادة» التي تُوجه

شريحتهم وتُهيمن عليها. يصدق هذا علي بوغوص يوسفیان وأرتین تشراکیان خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر كما يصدق علي نوبار نوباریان وديكران أبرویان ويعقوب أرتین خلال النصف الثاني. ويلاحظ وجود ظاهرة «التبني الفكري» بين الأرستقراطية الأرمنية. فمثلاً، تبني بوغوص يوسفیان توجيه آل نوباریان فكرياً، وتبني نوبار نوباریان توجيه آل أبرویان. ويدل استخدام هذه الشريحة لأسماء أجدادهم من القادة والزعماء المشهورين مثل نوبار وأراكيل وبوغوص وغيرهم علي رغبتهم في تخليد ذكراهم وطبيعة طموحاتهم المحفورة في نفوسهم التي يسعون إلي تحقيقها.^(١٨)

ومما هو جدير بالذكر هنا، أن أبناء هذه الشريحة قد تزوجوا فيما بينهم للحفاظ علي تقاليدهم وتدعيم مكاسبهم الاقتصادية والاجتماعية. فقد تصاهرت، علي سبيل المثال، أسرنا تشراکیان وحکیکیان الكاثوليكيتين، وتزوج ديكران أبرویان الأرثوذكسي من زيبا ابنة نوبار نوباریان.^(١٩) ورغم هذا، كانت تُثار بعض الأحقاد بين أبناء هذه الشريحة بسبب وصول بعضهم إلي مراكز حكومية مرموقة وعدم وصول آخرين، رغم كفاءتهم، إلي مثل هذه المراكز. فمثلاً، كان المهندس يوسف حکیکیان حزيناً بمرارة لأنه لم يتقلد منصباً مرموقاً كأقرانه الأرمن مثل أرتین تشراکیان وإسطفان دمیرجیان ونوبار نوباریان. لذا، ظل يمتعض هؤلاء الأرمن معتبراً نفسه إنجليزياً لأنه تلقى تعليمه في إنجلترا.^(٢٠)

هذا، وقد تلقت الأرستقراطية الأرمنية تعليمها في أوروبا واصطبغت بأنواقها وثقافتها. ورغم إجادة معظمهم اللغات الإنجليزية والإيطالية والألمانية وغيرها، إلا أنهم أثروا الحديث باللغة الفرنسية شأن طبقة

الأعيان في مصر. ويرجع هذا إلى تعلم معظمهم في فرنسا، ومن ثم، صبغوا حياتهم بالأنواق الفرنسية. فقد كان ديكران أبرويان علي سبيل المثال يُجيد اللغة الإنجليزية بطلاقة، لكنه أثر الحديث بالفرنسية التي كان يتحدث بها كالفرنسيين تماماً. كما كان مولعاً بقراءة الأدب الفرنسي أكثر من أى أدب أوروبي آخر وشغولاً باقتناء اللوحات النادرة للفنانين الفرنسيين.^(٢١) ومما يلفت النظر هنا، أن معظم أبناء هذه الشريحة كانوا لا يعرفون اللغة الأرمنية - لغة وطنهم الأم - كما لا يعرفون اللغة العربية، لغة الشعب المصرى الذى يعيشون في رحابه. يصدق هذا علي نوبار نوباريان وديكران أبرويان وغيرهما.^(٢٢)

وقد كانت هذه الشريحة تعتقد أن مصر قادرة عى التقدم بشكل مناسب شريطة أن تُترك لهم إدارتها. وينتقد ميلنر Milner وجهة نظرهم سلبياً لأنهم أقلية مسيحية في بلد مسلم وأن الحكومة تستخدمهم مجرد أدوات تنفيذية فقط.^(٢٣) ويذهب كرومر معلقاً علي موقف ديكران أبرويان من السياسة الإنجليزية إلي أن المتمصرين كانوا أكثر من سواهم من فئات الشعب المصرى نقمةً وسخطاً علي السيادة البريطانية.^(٢٤) وكذا، يشهد كرومر بأن الأرستقراطية الأرمنية، علي قلة أعدادها، تمثل صفوة عقلية في الشرق الأدنى.^(٢٥)

وفعللاً، قامت هذه الشريحة بدور هام في الحياة المصرية بعامة وفي الحياة الأرمنية بخاصة. وتقلد أبناؤها أعلي المناصب الحكومية كما تبوأوا مكان الصدارة في الأرستقراطية المصرية وفي الجالية الأرمنية. وربما كان وصول أبناء هذه الشريحة إلي أعلي المناصب الحكومية وحصولهم علي أفخم الألقاب التشريفية بمثابة تعويض عن حكمهم

وأملآكهم اللذين فقداهما في موطنهم الأم قبل مجيئهم إلى مصر. ويمكن القول بأن سلائل أمراء أرمينية قد أصبحوا باشوات في مصر.

وبعامة، كان معظم الأرمن يعيش في مستوي لائق من البذخ الذي بدأ منذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشر حسبما يذكر الجبرتي مشيراً إلى الأرمن واليونانيين بقوله: «... فهم الآن أعيان الناس، يتقلدون المناصب، ويلبسون ثياب الأكابر، ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم وبأيديهم العصي يطربون الناس ويُفرجون لهم الطرقات، ويتسرون بالجواري بيضاً وحبوشاً، ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأغلي الأثمان، ومنهم من له دار بالمدينة ودار مطلة علي البحر للنزاهة ومنهم من عمر له داراً وصرف عليها ألوفاً من الأكياس»^(٢٦)

وتجدر الإشارة إلى أن منازل الأرمن الأثرياء كانت تحظى بكل مظاهر الفخامة والعظمة وتكتظ بالعبيد والخدم الذين تخصص كل منهم في عمل بعينه. فثمة الفراش الذي يُنظم المنزل ويرتبه، والسقاء الذي يوفر المياه، والطباخ الذي يُعد الطعام، والقهوجي الذي يحضر القهوة، والسائيس الذي يرفع الحيوانات وغيرهم. فمثلاً، اكتظ منزل الخواجه الكسان ميساكيان - صراف القومبانية المصرية - بالعديد من الخدم مثل الحاج إبراهيم العربي وأحمد بن محمد وأحمد علي منصور وسليمان سليمان وأحمد سالم وقاسم محمد ومحمد عبد الله (السائيس) وسعد محمد (سائيس) وعبد الله يوسف (سائيس) وأحمد سرور (سقا حريم) وغيرهم.^(٢٧)

وفي حين كان معظم طبقة الحرفيين بمصر يعيشون في فقر وتكشف

ولا تزيد ممتلكاتهم عن غرفة بها حصيرة ووسادتين ومرتبة وبعض الحطام، كان الحرفيون الأرمن في مستوى معيشى أفضل من نظرائهم أبناء البلد. ويرجع هذا إلي وفرة ما يصنعونه وجودته الفائقة نتيجةً لنشاطهم واهتمامهم وخبرتهم في أداء حرفهم منذ نعومة أظفارهم.^(٢٨) وثمة دليل أثرى علي ارتفاع المستوى المعيشى للحرفيين الأرمن يبدو في هداياهم التي قدموها إلي كنائسهم. ففي عام ١٨١٨ أهدي الخياط مهديسى جراييد كائساً ذهبياً إلي كنيسة القديس سرقيس بالقاهرة، وأهدى الحداد مايس فانوساً فضياً إلي كنيسة العذراء بـ «٢٢٨» درهم، كما أهدى الحداد هوثانيس مصباحاً فضياً بـ «٢٦٣» درهم.^(٢٩) وتبرع بعض الحرفيين بمبالغ كبيرة لتشييد كنيسة أسدقادرادزين (العذراء) في عام ١٨٢٩ مثل الطباخ تاكفور الذى تبرع بـ «٤٠٠٠» قرش وصانعى الأحذية في الجهادية الذين تبرعوا بـ «٢٥٠٠» قرش.^(٣٠)

وتُوجد في سفح الهرم الاجتماعي الأرمنى شريحة من الفقراء الذين اعتمدوا فى حصولهم علي المال علي إعانات المجلس الملى والأثرياء الأرمن ومساعدة الحكومة المصرية. فتكتظ محاضرات المجلس الملى الأرمنى بالعديد من قرارات الإعانة للفقراء مثل قراره في ١٧ أبريل ١٨٧٢ بمنح السيدة موقسيس خمسة جنيهات شهرياً وقراره في ١١ أغسطس من نفس العام بمنح السيدة مينيشيه بشاريان خمسة فرنكات شهرياً وغيرهما.^(٣١) وبناءً علي طلبات رعاة الأرمن، كانت الحكومة المصرية تُنعم علي فقراء الأرمن بالأموال والأطيان الزراعية والعقارات فضلاً عن الإعفاءات الضريبية وغيرها. ففي عام ١٢٨٠ هـ (١٨٦٤) أحسنت الحكومة المصرية بخمسين جنيهاً لصالح فقراء الأرمن الكاثوليك.^(٣٢) وبناءً علي طلب راعى الأرمن الأرثوذكس الأسقف

سوكياسيان، فقد وافقت الحكومة المصرية في عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٤) علي بناء سور حول مقابر الأرمن الفقراء بالإسكندرية.^(٣٣) وفي عام ١٨٨٨ ألغت الحكومة الرسوم المفروضة علي الأوقاف التي تركها الخواجه هاجوب أشيكيان لصالح الفقراء بناءً علي طلب راعيهم.^(٣٠) وبفضل مساعي ديكران أبرويان، وافقت الحكومة في ٢١ يولية ١٨٨٩ علي إلغاء الرسوم المقررة على «١٢٢» فدان خراجية اشترتها الكنيسة في بنى سويف لايقاف ريعها علي الفقراء.^(٣٥)

هذا، وقد كان أبناء هذه الشريحة يثورون كثيراً ضد المجلس الملي والأثرياء مطالبين مزيداً من الإعانات. ففي خلال عامي ١٨٥٥ - ١٨٥٦ تصاعدت ثورتهم بدرجة دفعت الراعي الأول كبريل المرعشى إلى الاستنجد بالحكومة المصرية التي أنعمت عليهم بـ «٤٠٠» فدان بناحية شربين تُخصص عوائدُها للفقراء.^(٣٦) وتجدر الإشارة إلي أن تحقيق مطالب هذه الشريحة قد ارتبط بمزاج الأثرياء وبطبيعة العلاقات القائمة بين طبقات الجالية. وجدير بالذكر أن الأثرياء كانوا يستبدون بأمور الجالية ويقلصون الحقوق المكفولة للفقراء ويضطهدون من يجروا علي المطالبة بحقه.^(٣٧) وتُعلق الصحافة الأرمنية علي ذلك بقولها: «إن أعضاء المجلس الملي الأرمني في مصر يأمرّون الناس كما يأمر الرجال الأفارقة زيجاتهم».^(٣٨)

وأيضاً، تفشت بين الشرائح المتدنية من الأرمن بعض الأمراض الاجتماعية الناجمة عن الفقر مثل الخيانة الزوجية واللواط والزنا واللصوصية والمشاغبات وغيرها.^(٣٩) كما كانت تنشب مشاجرات كثيرة بين أبناء هذه الشريحة من ناحية، وبينهم وبين رجال الدين والأثرياء الأرمن من ناحية أخرى.^(٤٠)

أما الأرمن اللاجئون إلى مصر منذ بداية تسعينيات القرن التاسع عشر فقد تجمعوا بالمنات تحت الخيام والعشش في أفنية الكنائس والمدارس الأرمنية بالقاهرة والإسكندرية. وأقيمت في هذه الأماكن وفيما حولها وبالقرب منها كثير من المطاعم والمقاهي ومحال البقالة وبيع الدخان والحلاقة وغيرها لقضاء حاجات اللاجئين.^(٤١)

في ابتداء الأمر، قامت الكنيسة بتوفير حاجات اللاجئين من إيراد أملاكها وعقاراتها ثم ساعدتها «لجنة إعانة» مكونة من عشرة أفراد من الأرمن الأثرياء الذين ما انفكوا يُنظمون توزيع المساعدات ويُوفرون أعمالاً مناسبة لبعض اللاجئين. وأيضاً قدمت إليهم مساعدات مالية وملابس وأحذية ووجبتين غذائيتين يومياً تشملان لحوم باستثناء يومى الأربعاء والجمعة من كل أسبوع فقد قدمت إليهم وجبات خاصة بالصيام. وعينت اللجنة أيضاً طبيباً خاصاً وأعدت أجزاء خاانة لرعاية المرضى وتقديم الأدوية اللازمة إليهم بالمجان.^(٤٢) كما صنع هؤلاء اللاجئون كثيراً من الأشغال اليدوية وعرضوها للبيع في ملجأ رودولف بالإسكندرية خلال يومى ٨-٩ من شهر ديسمبر ١٨٩٦ فاشتراها بعض الأثرياء الأرمن وغيرهم على سبيل مساعدتهم.^(٤٣)

بيد أنه مع بدايات عام ١٨٩٧ أخذت مساعدات لجنة الإعانة تنقص رويداً رويداً، فأصبحت تُقدم للاجئين طبقاً واحداً فقط من الحساء وحوالي «١٠٠» جرام خبز يومياً، ثم أعطت خبزاً فقط، وأخيراً قطعت هذا الخبز أيضاً. أكثر من هذا، أُنذرت اللجنة بجموع اللاجئين بأن يُسارعوا في الابتعاد عن أفنية الكنائس والمدارس ويبحثوا عن حلول لمشاكلهم.^(٤٤) وربما، يتماشى هذا منطقياً مع قرارات الحكومة ابتداءً

من يناير ١٨٩٧ «بترحيل الأرمن الذين لم يتيسر وجود شغل لهم إلى الأستانة العليا علي وابورات الحكومة المصرية بنصف أجرة».^(٤٥) وفي حين كانت الحكومة المصرية تخشى من إيواء الأرمن اللاجئين علي علاقاتها بالسلطان العثماني، كانت لجنة الإعانة ووجهاء الأرمن يخشون علي علاقاتهم ومصالحهم لدن الحكومة المصرية. ولهذا، تقلصت مساعدتهم بشكل ملحوظ إزاء الأرمن اللاجئين عندما أصدرت الحكومة المصرية قراراتها بترحيل الأرمن. وتصف بعض الصحف المعاصرة قرارات الحكومة المصرية إزاء الأرمن بأنها «... إجراءات لا تليق بحكومة حرة...».^(٤٦)

وثمة ملاحظة مؤداها ارتفاع معدل حالات الزواج بين الأرمن في مصر خلال التسعينيات علي أثر تزايد هجرة اللاجئين. فمثلاً، ازدادت حالات الزواج داخل الطائفة الأرثوذكسية من أربع حالات خلال عام ١٨٩٣ إلي ثلاث عشرة حالة خلال عام ١٨٩٤ ، ثم عشرين حالة خلال عام ١٨٩٦ فتلاثين حالة خلال عام ١٨٩٨.^(٤٧) ويرجع هذا إلي تزايد عدد الأرمن بعامه أننذ ناهيك عن رغبة بعض اللاجئين بلا زيجات، في الزواج والاستقرار بمصر حفاظاً علي هويتهم وتقاليدهم.

وقد نجم تلقائياً عن ازدياد حالات الزواج ازدياد في أعداد المواليد بين الأرمن. فقد ازداد عدد مواليد الجنسين بين الأرمن الأرثوذكس من أربعة وثلاثين مولوداً خلال عام ١٨٩٣ إلي تسعة وثلاثين مولوداً خلال عام ١٨٩٤ ، ثم إلي ثمانية وأربعين مولوداً خلال عام ١٨٩٦ ، ثم إلي خمسة وتسعين مولوداً خلال عام ١٨٩٨.^(٤٨) وتدل زيادة أعداد المواليد بين الأرمن علي ارتفاع معدل خصوبتهم مما يؤدي إلي زيادة التراكم

العددي في قاعدة هرمهم السكاني واتساعه وظهور ما يُعرف
ديموجرافياً بـ «ظاهرة التجديد» (الإشباب) Rejuvenation^(٤٩) التي
سوف تنعكس طبيعياً على معدلات النمو السكاني الأرمني في مصر.

وأيضاً، واكب اتساع قاعدة الهرم السكاني الأرمني ضيق في القمة
بزيادة أعداد الوفيات بين كبار السن، فقد ازداد عدد الوفيات بين الأرمن
الأرثوذكس من سبع وثلاثين حالة خلال عام ١٨٩٣ إلى خمس وأربعين
حالة خلال عام ١٨٩٤، ثم إلى تسع وأربعين حالة خلال عام ١٨٩٦، ثم
إلى خمس وثمانين حالة خلال عام ١٨٩٨.^(٥٠) ويُرجح أن أغلب المتوفين
كانوا من الأرمن اللاجئين الذين اعتلت صحتهم أثر مشقات رحلة
الهروب مع قلة النظافة وسوء التغذية.

وجديرٌ بالذكر أنه كان للأرمن خلال النصف الثاني من القرن التاسع
عشر بعض المؤسسات الخيرية مثل «الجمعية الخيرية الأرمنية». ففي عام
١٨٨٦ أسس بعض وجهاء الأرمن الكاثوليك هذه الجمعية أمام المحكمة
المختلطة بحى الأزيكية في القاهرة. ويأتى علي رأس هؤلاء الوجهاء
يعقوب أرتين باشا، والسيدة تاكوهى حكيكيان، وتيتو باشا حكيكيان
ونخلة بك صالح ويعقوب أفندي فرحيان وغيرهم.^(٥١) وقد وضع الأعضاء
لائحة الجمعية في أربعة وخمسين بنداً وعرضوها علي مطران الأرمن
الكاثوليك برناباس أكشهيرليان الذي رفضها خشية أن تدخل أملاك
الكنيسة تحت سيطرة الجمعية. وعبثاً، حاول أعضاء الجمعية إقناع
المطران بأنهم لا يرمون إلي هذا الهدف. بيد أن الأعضاء كانوا
متحمسين بشدة لمشروع الجمعية فطبّعوا لائحة الجمعية باللغة العربية
ووزعوها علي الأرمن. ولم تمض فترة وجيزة حتى ازداد عدد الأعضاء

إلى أربعين شخصاً. ومابرت الجمعية تُزاول نشاطها بعيداً عن الكنيسة التي أشاحت بوجهها عن تقديم أية مساعدات للجمعية. وقد منحت هذه الجمعية فقراء الأرمن الأموال والأرز والدقيق واللحوم والملابس المتنوعة في المناسبات والأعياد.^(٥٢)

ولم يقتصر أعضاء هذه الجمعية على الأرمن في مصر فقط، بل انضم إليها بعض الأرمن في مناطق أخرى وساهموا في نشاطاتها. فمثلاً، جمع الخواجه إستييان - أحد أعضاء الجمعية بمصوع - «٨١٥» فرنك من أهل البر والإحسان هناك لصالح الفقراء الذين ترعاهم الجمعية الخيرية الأرمنية بالقاهرة.^(٥٣) كما كانت هذه الجمعية تلقى دعماً مالياً من الحكومة المصرية التي ترمى إلى تنشيط المشروعات الخيرية. فمثلاً، أنعم الخديو عباس حلمي الثاني في فبراير ١٨٩٤ بأربعين جنيهاً على الجمعية الخيرية الأرمنية.^(٥٤)

هذا، وقد أقامت الجمعية الخيرية الأرمنية العديد من الحفلات الفنية وخصصت إيراداتها لتلبية احتياجات الفقراء الأرمن في مصر. فعلى سبيل المثال، أقامت في يوم الخميس ١٧ مارس ١٨٨٧ حفلاً موسيقياً راقصاً بدار الأوبرا الخديوية حضره الخديو توفيق وحرمة وحاشيته ونواب الدول الأوربية وعشرون سيدة من سيدات الطبقة الراقية من بينهن: زوجة إقلن بارنج (كرومر) - المعتمد البريطاني في مصر - وزوجة القنصل الفرنسي في مصر وغيرهن فضلاً عن كثير من الأعيان ذوي الوجاهة والاحترام. ولما كان إيراد هذا الحفل مخصصاً لفقراء الأرمن، فقد تعهدت زوجة كرومر ببيع الشاي فجمعت «٩٠٠» فرنك وتعهدت قوليك هانم، زوجة نهار، ببيع القهوة فجمعت «٨٠٠» فرنك

وتعهدت زيبا زوجة ديكران أبرويان ببيع الشرابات فجمعت «١٢٠٠» فرنك. وقد بلغ إجمالي إيرادات هذا الحفل «١٥٠٠» جنيه وهو مبلغ ضخم لم تجمعهُ أية جمعية في مصر آنذاك.^(٥٥) وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحفلات الفنية - الخيرية لم تكن قاصرةً علي القاهرة فحسب، بل أُقيمت مثيلاتها في الإسكندرية أيضاً. فمثلاً، أقامت الجمعية الخيرية الأرمنية في يوم الخميس ١٨ فبراير ١٨٩٧ حفلاً فنياً بمسرح عباس حلمي بالإسكندرية استعرضت خلاله شركة التمثيل العربي رواية «صلاح الدين الأيوبي» بالمجان علي أن يُقدم إيراداتها لصالح فقراء الأرمن.^(٥٦)

وكذا، اعتادت الجمعية أن تحتفل سنوياً بمناسبة تصديق الحكومة العثمانية علي «نظامنامه الملة الأرمنية» في عام ١٨٦٣. فقد أقامت الجمعية، علي سبيل المثال، في يوم الأحد ١٣ يونية ١٨٨٨ حفلاً بهذه المناسبة في مقر قهوتها بالأزبكية امتد منذ الساعة الثالثة بعد الظهر حتى مطلع فجر اليوم التالي. وقد أرسل الخديو توفيق فرقة الموسيقى الأميرية للاشتراك في هذا الحفل الذي اشتمل أيضاً علي أغان باللغات الأرمنية والتركية والعربية فضلاً عن مختلف الألعاب النارية والبهلوانية. وأثنى الحاضرون علي كفاءة اللجنة المنظمة وحماتها واتقائها لعملها وجاذبية برنامجها.^(٥٧)

أما علاقات الأرمن بالعناصر المختلفة الموجودة في المجتمع المصري، فقد اختلفت من عنصر إلي آخر حسب سياسة الدولة إزاء هذه العناصر ووضعية الأرمن في مصر ناهيك عن مصالحهم الذاتية.

بالنسبة لعلاقات الأرمن بالأتراك العثمانيين في مصر، فقد ارتبطت بوضعية الأرمن في الدولة العثمانية وقيامهم بدور مؤثر في حكومة

الأسنانة دعا كلوت بك إلي وصفه قائلاً: «... والباحثُ في أحوال بلاد الدولة العلية يُخيل له أن السلطة العثمانية أصبحت بين الأتراك والأرمن ملكاً مشاعاً يستقل هؤلاء بالنصف من خيراتها». وتجدر الإشارة إلي أن الأرمن قد اعتادوا ملازمة الأتراك في انتقالهم من مكان إلي آخر. وبذا، جاء كثير منهم إلي مصر.^(٥٨) ولذا، كان كبار الأرمن الذين هاجروا إلي مصر من الدولة العثمانية يعدون أنفسهم من الطبقة الحاكمة مما جعلهم يحتلون وضعا فريداً بين الأقليات غير الإسلامية.^(٥٩) ورغم أن البعض قد وصف علاقة الأرمن بالأتراك بأنها كانت علي وفاق تام^(٦٠)، إلا أن البعض الآخر قد ذهب إلي أن الأتراك كانوا ينظرون إلي الأرمن بعين العجرفة والصلف والكبرياء والسمو.^(٦١)

ويذهب كرومر إلي أن الأرمني كان لا يستطيع في وجود باشا تركي أن ينس أنه رعية مسيحية وأن التركي هو حاكمه المستبد حتى عندما تآزمت العلاقات الأرمنية العثمانية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ويؤكد كرومر ما ذهب إليه بملاحظة أرمني من الطبقة الوسطى يدخل حجرة باشا تركي. فعندما يصل الأرمني إلي باب الحجرة، يُكثّر من تقديم انحناءات الاحترام بكل خشوع. ثم يُشير إليه الباشا باحتقار ليجلس، دون أن ينهض من مقعده، بيد أن الأرمني لا يفعل هذا في الحال، بل يضع يديه متشابكتين أمام جسده، ويرمي ببصره إلي الأرض، ويمشي بجوار الحائط خجلاً أو يُحاول أن يتقدم تدريجياً دون أن يرفع قدميه عن الأرض، ويجلس ببطء شديد علي حافة الكرسي أو الكنبه، ويضم ركبتيه أمامه، ويضع يديه متشابكتين علي صدره، ويظل في هذا الوضع الذليل حتى يُوافق الباشا المتغطرس علي أن يُوجه إليه كلمات قلائل. ويُشير كرومر إلي أن الأرمني المتعلم أو ذى المكانة العالية

لا يؤدي كل هذه الحركات التي تُشبه البانتومايم (التمثيل الصامت). كما يُشير كرومر إلي أن الأجيال الجديدة من الأرمن كانت أقل خضوعاً للأتراك عن آبائهم وأجدادهم.^(٦٣)

بيد أن علاقات الأرمن بالأتراك العثمانيين في مصر قد اتخذت طابعاً عدائياً صارخاً خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر أثر اندلاع الثورة الأرمنية وإقامة المذابح. وباستثناء شريحة الموظفين التي أثرت دوام علاقات حسنة مع الحكومة المصرية والأتراك حفاظاً علي وظائفها وأوضاعها^(٦٤)، طفقت شرائح الأرمن الأخرى تُناصب الأتراك عداءً وصل إلي حد قتلهم. فمثلاً، قتل أرمني چاويشاً تركياً جهة الموسكى في أبريل ١٨٩٥ فحكم عليه بالإعدام. ورغم التماس نحو ألفى مسيحي إلي الحكومة المصرية بالعفو عنه إلا أن الخديو عباس رفض التماسهم ونفذ الإعدام في ٢٨ أبريل ١٨٩٥. وفي ٣ مايو ١٨٩٥ احتفل الأرمن بأقامة صلاة على روح الجاني الأرمني، ثم توجهوا بعد الصلاة إلي مدفنه ووضعوا عليه أكاليل الزهور وخطبوا بالأرمنية والفرنسية بما يعني أنهم لا يعدونه أثماً بل شهيداً في المسألة الأرمنية.^(٦٥) كما قتل أرمنيان جندياً تركياً بالقاهرة في سبتمبر ١٨٩٥، وقد وكّل وجهاء الأرمن المحامي المشهور آنند يوسف أفندي أضاف أمام المحاكم الأهلية للدفاع عنه.^(٦٥) ورغم هذا، أصدرت محكمة مصر الابتدائية الأهلية حكمها بالإعدام شنقاً علي هذين الأرمنيين القاتلين. وعبثاً، استأنف المتهمان هذا الحكم.^(٦٦)

وإضافةً إلي حوادث القتل، شرع كثير من شباب الأرمن في التنديد بالأتراك عن طريق الأدب والفن. فمثلاً، قدمت جمعية من شباب الأرمن

في الإسكندرية رواية يدور موضوعها حول هجوم أفراد حزب الطاشناق علي البنك العثماني بالأستانة في عام ١٨٩٦. بيد أن الحكومة المصرية قد منعتهم خوفاً علي علاقاتها بالسلطان.^(٦٧)

أما العلاقات بين الأرمن واليونانيين فقد كانت سيئة جداً بسبب النزاع التقليدي بين كنيستهما الوطنيتين المتشدتين ناهيك عن منافستهما اقتصادياً. وتجدر الإشارة إلي نشوب العديد من المشكلات والمنازعات بين الأرمن واليونانيين في مصر وجميع أنحاء الدولة العثمانية حول المسائل الدينية. من ذلك نزاعهما ، علي سبيل المثال، حول ترميم كنيسة القيامة في القدس سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٥).^(٦٨) ونظراً لكثرة هذه المنازعات وتنوع أسبابها فمأبرحت الحكومة العثمانية تُصدر أوامرها «... بمنع التداخل الواقع من بطاركة وأساقفة الروم الكاثوليك والأرمن ضد كنائس بعضهم وردع من يعتنق من أفراد تلك الطوائف مذهباً آخر وتبديل هيئة البطاركة والأساقفة إلي مثل ما حصل في دار السعادة وعدم امتياز بعضهم علي بعض».^(٦٩)

هذا، ولم تقتصر هذه المنازعات حول المسائل الدينية فحسب، بل امتدت أيضاً إلي المسائل الشخصية. فقد نشب النزاع بين الخواجه يغيازار الأرمني - كبير صيارفة الخزينة - وأحد كبار التجار اليونانيين حول الزواج من فتاة نصرانية، ثم تصاعد نزاعهما إلي محمد علي الذي أمر بترك الحرية للفتاة كي تختار الشخص الذي تُريده.^(٧٠) وكذا، أُصيب الثرى عبد الله أيقاز الأرمني الكاثوليكي بمرض عقلي مما دعا أسرته إلي توكيل مسيو عبده ديمترى الثرى اليونانى لمباشرة ثروته. بيد أن هذا قد أثار الأرمن الذين ناشدوا الحكومة المصرية بتشكيل مجلس

من الأرمن أو المسلمين لمباشرة الثروة بدلاً من عبده ديمتري اليوناني لأنه ليس من جنسهم ولا على ملتهم وسوف يُسبب توكيله استعمار بيران البغضاء والعداوة في قلوب الأرمن.^(٧١)

أما علاقات الأرمن باليهود فقد اتسمت بالمنافسة الاقتصادية حينما سيطر الصيارفة الأرمن نسبياً على النشاط المصرفي الحكومي وغيره خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. ونشط اليهود نسبياً خلال النصف الثاني باحتكارهم الصيرفة والبنوك وصناعة الأقمشة وغير ذلك.^(٧٢) وكذا، قلق الأرمن خاصةً من بداية حكم سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣) من تدفق العناصر الأوربية التي كانت تهدف إلى الكسب السريع بأى ثمن ناهيك أن الأوربيين كانوا مصدر تهديد للأرمن لما يتسمون به من همة ونشاط وكفاءة. هذا، وقد كان الأرمن يدركون أن كل زيادة في نفوذ هذه العناصر تعنى إضعاف شأنهم.^(٧٣)

وقد اتسمت العلاقات بين الأرمن والأقباط بالود إلى حد كبير، ولذا، كان مطران الأرمن في مصر يُساهم أحياناً في تعيين وانتخاب بعض قساوسة الكنيسة القبطية ورهبانها فضلاً عن البت في بعض مشكلاتها. فقد أصدر كتخدا باشا أمراً إلى القمص روفائيل رئيس دير ابشواى بمديرية الفيوم وبنى سويف في ٢٨ ذى الحجة ١٢٦٨ هـ (١٨٥٢) للاستعانة بمطران الأرمن في انتخاب بطريرك الأقباط.^(٧٤) وكذا، أمر بارسال عبد الملك الهورى رئيس دير السيدة بالمخزن إلى مطران الأرمن لأجل انتخاب بطريرك للأقباط.^(٧٥)

وكان مطران الأرمن يتدخل في بعض الأحيان لحل مشكلات الطائفة القبطية خاصةً فيما يتعلق بطريقة تنصيب بطاركتهم. فمثلاً، ثار

الأساقفة بمصر في عام ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣) بسبب انتخاب بطريركهم علي غير القواعد المتبعة في ملتهم مما دعا الحكومة إلي مطالبة مطران الأرمن بالتدخل لحل هذه المشكلة.^(٧٦) وأيضاً، كان مطران الأرمن يتدخل لحل بعض المشكلات الخاصة بالأقباط . من ذلك علي سبيل المثال أن شنودة القبطى قد استولي علي قطعة أرض بالإسكندرية من أملاك عارف بك مدير الشرقية وباعها بادعاء أنها من أوقاف كنيسة الأقباط مما ترتب عنه نشوب أزمة بين عارف بك وشنودة القبطى. ثم أحييت هذه القضية إلي مطران الأرمن للتحقيق فيها وإجراء اللازم وتبليغ الحكومة ما ستُسفر عنه التحقيقات.^(٧٧)

وجديرٌ بالذكر أن بعض الأقباط قد تركوا كنيستهم ودخلوا في اختصاص كنيسة الأرمن. وربما، يرجع هذا إلي رغبتهم في الاستفادة من المزايا الاقتصادية التي يتمتع بها الأرمن وكنيستهم في مصر. فمثلاً، تقدم إلي المجلس الملى الأرمنى القبطيان جرجس عبد الملك ومارجوس بن ملك وأسرتهم من الإسكندرية بطلب الدخول في اختصاص كنيسة الأرمن والتحول إلى الهوية الأرمنية. وقد وافق المجلس علي طلبهما شريطة أن يظلوا شرفاء.^(٧٨) بيد أن بعض الأقباط قد استغلوا عملية التحول من كنيستهم إلي الكنيسة الأرمنية للاستفادة المادية. فقد احتال رجل قبطى من جهات الصعيد علي مطرانية الأرمن الأرثوذكس بقصد أن ينال منها عشرة جنيهاً. ولكن، بطريقة غير خارجة عن حد شرف النفس. فأقبل علي المطرانية يحمل خطاباً فيه: «بما أننى أحب من صميم الفؤاد أن أترك الديانة القبطية وأتشرف بالدخول في الديانة الأرمنية فأرجو تفهيم ولدي عما يجب على إجراؤه

لتشريفى باتمام مقصدى. وعلى سبيل الهدية برسم فقراء الملة الأرمنية قد أرسلت مع ولدى المذكور «١٠٠» أردب قمح و«١٥» أردب عدس وخمسة قناطير مسلى فالتمس قبولها على حقارتها. وثقوا بأننى فى كل سنة أرسل برسم فقرائكم هدية مثل هذه لأنى قطعت هذه الهدايا عن بطركخانة الأقباط وقررت جعلها برسم بطركخانتكم من الآن فصاعداً». وبعد أن قرأ رئيس المطرانية هذا الخطاب أخذه العجب من إرسال هذه الهدية دون معرفة سابقة بهذا القبطى. وقد طلب القبطى منه عشرة جنيهات ليدفع منها عوائد الدخولية وبعض مصروفات ووعده باعادتها إليه فور وصول نقود له من والده. غير أن رئيس المطرانية قد لاحظ أن فى الأمر ضميراً مستتراً وأبى أن يسلمه المبلغ المذكور، فخرج القبطى المحتال صفر اليدين.^(٧٩)

ولم تكن ثمة علاقات ودية بين الأرمن والمصريين المسلمين خلال القرن التاسع عشر. فقد كان الأرمن ينظرون إلى المصريين بعين العجرفة والصلف ويتظاهرون بالكبرياء عليهم كما كانوا يتحاشون مخالطتهم ويتقون لقاءهم.^(٨٠) أما المصريون فقد امتعضوا كثيراً من الأرمن الذين استوطنوا بلادهم واستفادوا من اقتصاده. وكذا، حطمت السياسة الاجتماعية الحرة لحمد علي البناء الطبقي فى مصر. فبدأ المسيحيون، وعلى رأسهم الأرمن، يُقيمون بمحاذاة النيل فى المساكن المشيدة حديثاً أنشؤ. ولم يكتثر الأرمن بقواعد ملابس النصارى وحملوا الأسلحة النارية. ولذا، فقد ثار المسلمون مما دعا محمد علي فى عام ١٨١٧ إلى أن يأمر المسيحيين بأن يعوبوا إلى ارتداء العمامات الزرقاء ولا يركبوا الأحصنة والبغال. ومما أثار المصريون ضد الأرمن أن الأخيرين قد اصطفوا فى الشوارع يرتدون ملابس زاهية ويحرسهم الخدم الذين

يُطهرون الشارع العمومي من الحشود بهرواتهم. وفي عام ١٨٢٠ أدى تشييد مبان جديدة في سوق خان الخليلى لتُوجر للأرمن واليونانيين كمحلات ومستودعات إلى أزمة إسكان وارتفاع في أجور العمال.^(٨١) وأيضاً، امتلك الأرمن خلال حكم محمد علي ثروات فاحشة وأراض وعبيد وتبوأوا أعلى المناصب ونالوا أفخم الألقاب.^(٨٢)

وقد ظل المصريون يتمتعون الأرمن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما يتضح جلياً من اعتدائهم عليهم ونهبهم وسلبهم إبان أحداث الثورة العربية.^(٨٣) وظل الموظفون (مسلمون وأقباط) يُنصبون الأرمن الموظفين في الجهاز الحكومي المصرى عداءً شديداً ويسعون في إزاحتهم عن مناصبهم.^(٨٤) وبعامّة، كان معظم المصريين يبغضون الأرمن لأنهم يبتزون أموالهم بوسائل الخديعة، ويُفضلون الأوربيين علي الأرمن لأنهم يرون فيهم سنداً يعتمدون عليه في وقت الحاجة.^(٨٥)

ثم، تصاعدت كراهية المصريين للأرمن عندما ثار الأخيرون ضد السلطان العثماني. وانبرت بعض الصحف المعاصرة تُهاجم «فئة الأرمن الذين يقطنون مصر ويتمتعون بالرفاهية والراحة في ظل الدولة العلية ويأكلون عيش المصريين ثم يُساعدون أعداء دار خلافتهم علي ما هم عليه من الثورات والأمور الممقوتة».^(٨٦) وأيضاً، وصفت الأرمن بأنهم «قوم جاءوا إلي مصرنا لاستدار خيرها، وكانوا قد حضروا إليها صانعين لا درهم ولا دينار فأصبحوا نوات ثروة ويسار احترفوا بحرفة المخانجية وبيع الحشيش وتهريب التبناك والدخان وغيره. وبهذه الوسيلة استحوذوا علي أموال المصريين غنيمة باردة. وهم عاثين فساداً في جميع أنحاء القطر... وكل هذا نتيجة إهمال رجال مصلحة خفز

السواحل وتغافلهم عن تهريبها. فنرجو من أولياء الأمر التنبه بشدة الانتباه ونطلب إلي إخواننا المصريين نبذ مبيوعات هذه الطائفة الغادرة عملاً بطاعة أمير المؤمنين».^(٨٧)

بيد أن ثمة فئة ضئيلة جداً من المصريين أخذت منذ قُبل نهاية القرن التاسع عشر تدعو المصريين إلي نبذ التعصب الجنسي والديني بين المصريين والأرمن.^(٨٨) وأيضاً، ذهب بعض الأرمن إلي أن «مصر هي الدولة الوحيدة في ظل الظروف السياسية المحيطة بالشعب الأرمني التي كنا نستطيع أن نعيش فيها حياة أرمنية كاملة، حياة بمدرستها وصحافتها ومسرحها ومؤسساتها المختلفة».^(٨٩)

وأخيراً، لم تنقطع الصلة بين الأرمن في مصر وموطنهم الأم علي امتداد القرن التاسع عشر. وقد تمثلت مظاهر هذه الصلة في إنشاء أرمن مصر الأثرياء المدارس بمواطنهم الأم وإنفاقهم علي التلاميذ والتبرع للمؤسسات التي تخدم التعليم فضلاً عن نشر الكتب القومية. ولتأكيد هذا يمكن ذكر بعض الأمثلة. فقد تبرع نوبار باشا بـ «٤٠٠٠» جنيه من إجمالي المصاريف البالغة «٥٠٠٠» جنيه لتأسيس مدرسة «شاهنزيان» بالأسقانة.^(٩٠) وأسس تاركفور باشا هاجوبيان علي نفقته الخاصة مدرسة «تاروهيان» بأزمير - موطنه الأم - تخليداً لذكرى ابنته تاروهي التي توفيت في ريعان شبابها.^(٩١) وكذا، تبرع التاجر الثرى بوغوص جرابيديان بـ «٢٠٠» جنيه ذهب سنوياً لصالح مدرسة «اولينا» ببلدة زيتون - موطنه الأصلي - لتغطية جميع نفقات المدرسة.^(٩٢) وفي عام ١٨٩٨ أسس جرابيد ميلكونيان - صاحب مصانع ميلكونيان

للسجائر - صندوقاً لجمع أية تبرعات لإرسالها إلي مدرسة «أراميان»
بقيصرية - موطنه الأصلي. (٩٣)

وجديرٌ بالذكر أنه قد تأسست في عام ١٨٤١ بأزمير جمعية
«سونياتس»، وهي أول جمعية أرمنية تُؤسس لخدمة التعليم الأرمني في
الولايات الأرمنية الست. وتهدف هذه الجمعية إلي الاهتمام بالتربية
والتعليم ونهضة القرى. كما أن سونياتس هي الجمعية الأرمنية الوحيدة
التي كان لها أعضاء في جميع أنحاء العالم. (٩٤) وقد اشترك الكثيرون
من أرمن مصر الأثرياء في تدعيم هذه الجمعية مالياً مثل : إستيبان
أبرويان - والد ديكران باشا - والأخوين الصرافين يعقوب والكسان
ميساكيان والطبيب إستيبان كيغوركيان والتاجر جرابيد أغا كالوسديان
وغيرهم. (٩٥) ويُعد نشر الكتب القومية والتعليمية والثقافية من الأمور
التي اهتم بها الأرمن الأثرياء في مصر لتنعمية الروح الوطنية ونشر
الثقافة بين الأرمن. فقد ترجم الأب شخسخيان المخطاطاري رواية
«مغامرات تيليماك» للكاتب الفرنسي فينيلون من الفرنسية إلي الأرمنية
وتم نشرها علي نفقة بوغوص بك يوسفیان في عام ١٨٢٦. وكلف نوپار
باشا المستشرق الفرنسي فيكتور لانجولا بترجمة أمهات الكتب الأرمنية
القديمة إلي اللغة الفرنسية علي نفقته الخاصة ليُساعد بذلك الدارسين
عن أرمنية في أوروبا. (٩٦) ونشر التاجر الثرى هاجوب أشيكيان علي
نفقته عدداً كبيراً من الكتب القومية مثل كتاب «حرب فارتان» للكاتب
يغيشيه، وكتاب «التعليم التركي للأرمن باللغة الأرمنية» وكتاب «تربية
الأطفال والشباب» وغير ذلك. وفي عام ١٨٩٠ نشر أبراهام باشا بارتوغ
- من كبار الملاك - كتاب «تاريخ القدس» للأسقف أسادور دير
هوقانيسيان علي نفقته الخاصة. (٩٧)

وأيضاً، كان الأرمن الأثرياء في مصر يُساعدون الأرمن الذين يتعرضون لأزمات مادية أو يُصابون بأضرار ناجمة عن كوارث طبيعية . وكذا، مساعدة الأرمن الذين تعرضوا للإيذاء بسبب المذابح. ففي عام ١٨٨٠ ترأس تاكفور باشا هاجوبيان حملة لجمع التبرعات بالإسكندرية لإعانة الأرمن المنكوبين في الولايات الأرمنية العثمانية بسبب انتشار المجاعات هناك. وقد تم جمع «٨٠٦» جنيه أرسلت إلى بطريركية الأستانة لتوزيعها على المحتاجين.^(٩٨) وعندما احترقت قرية أرسلان بك في أوائل عام ١٨٨٧، وهي قرية بها «٤٥٠» بيت وسكانها حوالي «٢٠٠٠» أرمني، حيث أصيبوا بنكبة كبيرة ترأس تاكفور باشا هاجوبيان لجنة لجمع التبرعات في مصر لمساعدتهم.^(٩٩) وتبرع نوبار باشا بـ «٤٠٠» جنيه لإعانة المنكوبين في ساسون بسبب المذابح.^(١٠٠) وتشكلت لجنة من وجهاء الأرمن تجمع التبرعات لمساعدة المنكوبين من جراء المذابح، وكانت هذه التبرعات تُرسل تباعاً إلى البطريرك الأرمني بالأستانة ماتيوس أزميرليان ليُوزعها على المحتاجين عن طريق المسيو جوسير مدير بنك الأنجلو إچيبشيان.^(١٠١)



٢- التعليم

كانت الجالية الأرمنية أولى الجاليات سبقاً إلي إنشاء المدارس أثناء حكم محمد علي. ويرجع هذا إلي مكانتهم المؤثرة في البلاط وتوليهم عدة مناصب عالية أهدتهم لنيل حظوة محمد علي ورعايته.^(١٠٢) فضلاً عن اهتمام الأرمن بالتعليم عموماً كوسيلة للحفاظ على هويتهم ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم.^(١٠٣)

وتجدر الإشارة إلي أن أول مدرسة أرمنية في مصر قد تأسست في عام ١٨٢٨ بجوار كنيسة القديس سركيس في حارة زويلة بالقاهرة. وقد سُميت مدرسة «يغيازاريان» تخليداً لذكرى يغيازار أميراً بدروسيان - كبير صيارفة محمد علي - الذي تبرع بجميع نفقاتها. وتُعد يغيازاريان من المدارس البدائية التي تكونت في الغالب من فصلين أو ثلاثة بالكاد، وتضم عدداً ضئيلاً من الأطفال الذين يدرسون اللاهوت واللغة الأرمنية بشكل أساسي على أيدي القساوسة المنتدبين من القدس والأسكندرية وأزمير.^(١٠٤) وفي ١٥ سبتمبر ١٨٥٤ استُبدلت بمدرسة يغيازاريان مدرسة أحدث مكونة من طابقين سُميت مدرسة «خورينيان» نسبة إلي المؤرخ الأرمني موسى خورين (موفسيس خوريناتسي)^(١٠٥)، وقد شُيدت بجوار كنيسة العذراء في درب الجنينة. وفي مايو ١٨٩٧ انتقلت إلي بولاق وتغير اسمها إلي مدرسة «كالوسديان» نسبة إلي التاجر جرابيد كالوسديان الذي أوقف معظم ثروته لخدمة التعليم.^(١٠٦)

وُرجح بأن مدرسة «أراميان» الواقعة في حي مطرق (ميدان كانتو) بالإسكندرية قد تأسست في أربعينيات القرن التاسع عشر التي شهدت نمو الجالية الأرمنية وازدهارها بالإسكندرية. ولكن، ظلت الدراسة غير منتظمة بها حتى أوائل الخمسينيات عندما تقلد إدارتها كل من كبريل ميسروبيان وغوجاس ماموريان وغازاروس كاسباريان فنظموها وطوروها،^(١٠٧) ثم انتقلت أراميان في عام ١٨٦٧ إلى شارع أبي الدرداء وحملت اسم «بوغوصبيان» تخليداً لذكرى بوغوص بك يوسفیان - ناظر التجارة والأموال الإفرنجية أثناء حكم محمد علي - الذي كان قد تبرع بالأرض التي أقيمت عليها المدرسة. وكانت فصول المدرسة الجديدة يدخلها الضوء والهواء بقدر مناسب، وبها أيضاً قاعات للأنشطة المدرسية المختلفة.^(١٠٨)

هذا، ولم يقتصر تأسيس المدارس الأرمنية في مصر خلال القرن التاسع عشر علي القاهرة والإسكندرية فحسب، بل تأسست أيضاً بالزقازيق في أوائل التسعينيات علي نفقة الأسرات الأرمنية القاطنة هناك مدرسة صغيرة (كتاب) تضم عشرة أطفال من الجنسين يدرسون اللغات الأرمنية والفرنسية والعربية وبعض المعلومات العامة علي أيدي مدرسين من بنى جنسهم.^(١٠٩)

وقد وقعت هذه المدارس تحت إشراف الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، واشترك في إدارتها والإشراف عليها كل من راعي الأرمن ولجنة سُميت بـ «لجنة رعاية المدرسة» مكونة من بعض أعيان الأرمن وغيرهم من الغيورين علي المصلحة العامة والمهتمين بالتربية والتعليم. وثمة لجنة خاصة بمدرسة خورينيان بالقاهرة وأخرى خاصة بمدرسة بوغوصبيان

بالإسكندرية. وقد شملت مهام هذه اللجان النواحي التنظيمية ووضع اللوائح وتعيين المدرسين ورفستهم وتحديد رواتبهم ووضع المناهج والإشراف علي الامتحانات وغير ذلك. (١١٠)

ولعله من الجدير بالذكر أن جميع المديرين والمدرسين بالمدارس الأرمنية كانوا من الأرمن الوافدين للعمل في مصر من الأستانة وأزمير باستثناء مدرسي اللغة العربية الذين كانوا في الغالب من المصريين المسلمين المتخرجين في الأزهر الشريف. (١١١) وتجدر الإشارة إلي أن مدرسة خورينيان كانت مشتركة وبها لجان سيدات ينتخبها المجلس الملي لرعاية التلميذات. (١١٢) أما مدرسة بوغوصبيان فقد ظلت في أغلب الفترات قاصرة علي البنين. ويرجع هذا إلي قلة عدد الفتيات الملتحقات بالمدرسة واللأني دخلن المدارس الأجنبية مما أدى إلي عدم توافر الأعداد الكافية لفتح قسم خاص بالفتيات. (١١٣)

ويلاحظ أن جميع تلاميذ المدارس الأرمنية حتى نهاية القرن التاسع عشر كانوا من أبناء الطبقات الدنيا، أما أبناء الأثرياء فقد أرسلوا إلي المدارس الأجنبية في مصر أو إلي أوروبا. ولذا، ظلت أعداد التلاميذ في المدارس الأرمنية قليلة جداً خلال القرن التاسع عشر. فمثلاً، بلغ عددهم ثمانية عشر تلميذاً في مدرسة بوغوصبيان خلال عام ١٨٥٢، (١١٤) وخمسة عشر تلميذاً وتلميذة في مدرسة خورينيان خلال العام الدراسي ١٨٦٤-١٨٦٥. (١١٥)

ومما يستلفت النظر أن التعليم لم يكن مجانياً بالمدارس الأرمنية فقط، ولكنها قدمت أيضاً لتلاميذها الكتب المدرسية والكراسات والأدوات الكتابية والزى الرسمي ووجبة غذائية. فمثلاً، في نوفمبر ١٨٦٦ قررت

لجنة رعاية مدرسة خورينيان شراء الكتب المدرسية ومستلزمات العام الدراسي بأكملها من الأستانة ومنحها مجاناً للتلاميذ.^(١١٦) وكذا ، خصصت اللجنة « ١٠ . ٠٠٠ » قرش لتفصيل ملابس التلاميذ سنوياً.^(١١٧)

هذا ، ولم تكن للمدارس الأرمنية ميزانية ثابتة ، بل اعتمدت في توفير متطلباتها المالية علي الأوقاف التي يتركها الأثرياء من أجل المشروعات الخيرية وعلي إيرادات الحفلات وبيع المشغولات اليدوية التي تصنعها الفتيات فضلاً عن التبرعات. فعلي سبيل المثال ، أوقف التاجر الثرى جرابيد أغا كالوسديان معظم ثروته (تشمل « ٦٠٠ » فدان في قرية الشيخ عثمان بالجيزة ومراكب في النيل وأموال وغير ذلك) لخدمة الأنشطة التعليمية.^(١١٨) وتبرعت الجمعية الخيرية الأرمنية بالقاهرة في عام ١٨٨٧ بـ « ١٥٠ » جنيه لرفع مستوى التعليم بمدرسة خورينيان.^(١١٩) وفي ١٨ مارس ١٨٨٧ أقامت الجالية الأرمنية احتفالاً راقصاً تحت رعاية السيدة ثوليك هانم زوجة نوبار باشا خُصص دخله لمدرسة خورينيان.^(١٢٠) كما خُصص دخل معرض المشغولات اليدوية التي صنعتها الفتيات بمدرسة خورينيان في عام ١٨٨٩ لشراء ملابس التلاميذ.^(١٢١)

كانت مقررات مدرسة خورينيان بالقاهرة هي: لغة أرمنية يومياً ، لغة فرنسية ثلاث مرات أسبوعياً ، لغة عربية وإنجليزية مرتان أسبوعياً ، الأشغال اليدوية للفتيات يومياً.^(١٢٢) أما مقررات مدرسة بوغوصبيان بالإسكندرية فهي: اللغة الأرمنية وقواعدها ، اللغة الفرنسية ، الترجمة من اللغة الأرمنية وإليها ، الدين والتاريخ الأرمني والحساب والجغرافية ، خاصة أرمنية وأوربا ، والفيزياء والموسيقى والخط الأرمني والفرنسي والرسم والتربية البدنية.^(١٢٣)

هنا، يلاحظ علي هذه المقررات أنها تهدف إلي الحفاظ على لغة الأرمن وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم خشية ذوبانهم في المجتمع المصري.^(١٢٤) وثمة أيضاً اهتمامها باللغات وعلي رأسها اللغة الأرمنية. إذ كان المدرسون يتكلمون مع الطفل في السنوات الأولى باللغة الأرمنية فقط ويهتمون بتنميتها لأن اللغة العربية كانت وسيلة التحدث لمعظمهم.^(١٢٥) وأيضاً، اهتمت هذه المقررات باللغة الفرنسية لأنها لغة الثقافة والفكر وقتئذ. ودرست اللغة العربية بعد أن قل استخدام اللغة التركية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. أما اللغة الإنجليزية فلم تدخل المقررات الأرمنية إلا بعد الاحتلال البريطاني لمصر في عام ١٨٨٢.^(١٢٦) كما يلاحظ اهتمامها بالتاريخ الأرمني لدرجة أن الأرمن قد ثاروا بشدة عندما فكر السلطان عبد الحميد الثاني إلغاء مادة التاريخ الأرمني من مقررات المدارس الأرمنية في جميع المناطق التابعة له. ولكنه قد عدل عن هذا لشدة اعتراض الأرمن.^(١٢٧)

وجدير بالذكر أن مدارس الأرمن قد قامت بالعديد من الأنشطة الرياضية والفنية والثقافية بمناسبة احتفالات الجالية بأعيادها القومية. ففي ٢٤ فبراير ١٨٨٧ احتفلت مدرسة بوجوصبيان بذكرى قارتان^(١٢٨) فأجريت مسابقة ثقافية للتلاميذ، وذكر الأب خاتشادور باريجيان - راعي الأرمن - أن الهدف من هذا الحفل هو شحن الأرمن بالروح الوطنية. كما ربط شاهان ماماسيان - مدير المدرسة - هذا الحفل بالإرهابات الثورية للأرمن ضد السلطان العثماني، واختتم الاحتفال بضرورة استلهم العزيمة وروح النصر من قارتان.^(١٢٩) كما أقامت مدرسة خورينيان في ٢٤ مايو ١٨٨٧ احتفالاً بمناسبة مرور سبعة وعشرين عاماً علي صدور الدستور الملي الأرمني بالاشتراك مع الجمعية

وزيادة على هذا، كانت تُقام حفلة في نهاية العام الدراسي يتم خلالها مراجعة النتائج علانية واختبار التلاميذ في اللغات أمام الحاضرين من الأعيان والأجانب. وتُعلق موضوعات الإنشاء باللغتين الأرمنية والفرنسية علي الحائط ويختتم مدير المدرسة الحفل بتلاوة التقرير السنوي عن المدرسة. (١٣١) كما كانت تُعقد اختبارات دورية لتقويم مستوى المدرسين كل في تخصصه. ففي أثناء احتفال مدرسة خورينيان بنهاية عامها الدراسي ١٨٩٦ - ١٨٩٧ تشكلت لجنة من يوسف عزيز بوزاري - القاضى بالحاكم المختلطة - والأسقف هاجوب بابازيان - راعى الأرمن - والأديب هاروتيون ألبيار لإجراء اختبار لجميع مدرسى المدرسة كل في تخصصه. (١٣٢)

ورغم هذا، لم تُحقق المدارس الأرمنية خلال القرن التاسع عشر الهدف من إنشائها، ألا وهو الحفاظ علي هوية الأرمن ولغتهم وثقافتهم وعاداتهم. فقد أثر الأرمن الالتحاق بالمدارس الأجنبية عن مدارسهم بسبب سوء الإدارة وعدم انتظام المقررات ورغبتهم في تحقيق مستقبل أفضل بعد التخرج في المدارس الأجنبية. هذا، وقد أُغلقت مدرسة خورينيان أكثر من مرة بسبب قلة أعداد التلاميذ. (١٣٣) كما ظلت اللغة العربية هي لغة محادثتهم حتى أن الصحافة الأرمنية انتقدت هذا الوضع بقولها: «يجب علي مدرسة خورينيان أن تُعلم التلاميذ اللغة الأرمنية وتُذكرهم بأنهم إذا كانوا يعيشون في مصر إلا أن أصلهم أرمن». (١٣٤) ناهيك أنه لم تكن ثمة مدارس خاصة بالأرمن الكاثوليك أو البروتستانت الذين التحقوا بمدارس الأقباط والإرساليات الأجنبية. (١٣٥)

وجدير بالذكر أن بعض الأرمن قد أسهموا في تأسيس المدارس الخاصة والحضانات بمصر مثل السيدة أوجينى كريكوريان التى افتتحت في يولية ١٨٨٦ مدرسة خاصة في حى عابدين بالقاهرة لتعليم الفتيات: القراءة والكتابة باللغات العربية والتركية والفرنسية والإنجليزية فضلاً عن التفصيل والخياطة والرسم وشغل قصب الفضة علي الطرز العثمانية والأوربية. وكذا، الصبيان من أربع إلي ست سنوات اللغات السابقة كتابة وقراءة علي أيدي متخصصين.^(١٣٦)



٣- الصحافة

لقد أسهم الأرمن في إصدار الصحف في مصر بلغات متباينة. وفي الواقع، ارتبط ظهور الصحافة الأرمنية في مصر بتأسيس المجلس الملي الأرمنى في عام ١٨٦٤ حيث اقترح أعضاؤه خلال مداولاتهم إصدار صحيفة باللغتين الأرمنية والتركية من أجل تنوير الأرمن. ^(١٣٧) وقد تعزز هذا الاقتراح بفضل مؤازرة مجرديتش كيغيسيزيان - راعى أرمن مصر المستنير والمولع بالصحافة - ونوبار باشا المشهور في مصر. ^(١٣٨) وفعلاً، صدرت في ١٦ مارس ١٨٦٥ صحيفة «أرماقيني» (النخلة)، باكورة الصحافة الأرمنية في مصر، وهى صحيفة قومية وسياسية وأدبية كانت تصدر نصف شهرية. كان صاحب امتيازها هو هوفسيب مانوجيان - الموظف بالحكومة المصرية ورئيس لجنة رعاية مدرسة خورينيان . أما جامع حروفها وطابعها ومحررها فهو الصحفى أبراهام

مراديان (١٨٣٣/١٠/٢١ - ١٩٠٣/٩/١) الذي أطلق عليه لقب «أبي الصحافة الأرمنية في مصر». (١٤٠)

وتجدر الإشارة إلي أن أرماقينى قد انتهجت سياسة تملق السلطات العثمانية والمصرية والأرستقراطية ورجال الدين. فقد دعت الأرمن إلي التمتع بالحريات التى أغدقتها عليهم الحكومة العثمانية من منطلق رحمتها الواسعة وذكرت «... بأن الإرادة الإلهية قد وضعت الأرمن تحت حماية السلطات العثمانية التى لا تبدو كئى سلطة حاكمية، بل ترعى الشعب كالأب الراعى، لذلك ليس هناك مبرر للشكوى أو التذمر إطلاقاً»، كما وصفت أرماقينى الحكومة المصرية بأنها تستحق امتنان الجميع. (١٤١) وسعت الصحيفة إلي تثبيت سلطة الكنيسة الأرثوذكسية وتدعيمها. وقد عبر أبراهام مراديان عن هذا في افتتاحية العدد الأول بقوله: «على كل منا واجب لا بد أن يؤديه أولاً نحو ربه، ثم نحو نفسه، ثم نحو شعبه، ولا شك أن من أعطانا الحق في الحياة، ولا زال يُعطينا، هو الله، لذلك يجب علينا أن نُطيعه طاعةً عمياء». (١٤٢) لذا، اعترض كثير من الأرمن علي منهج أرماقينى ، وانتقد كيخسيسيزيان - أبوها الروحى - بشدة. في نفس الوقت الذى تعرضت فيه مصر لوباء الكوليرا مما دعا مراديان إلي إغلاق الصحيفة فى مايو ١٨٦٥ والرحيل إلي الأستانة. (١٤٣)

أما خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر فقد ظهرت في مصر عدة صحف أرمنية انتهجت جميعها - علي خلاف أرماقينى - سياسة الهجوم علي السلطات العثمانية ومن يؤاليهم كرد فعل للثورة الأرمنية ضد السلطان وما نتج عنها من حركات قمع ومذابح. وقد

اتسمت جميعها بالطابع السياسى الثورى وبترويجها فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية خاصة وأن معظم محرريها كانوا من الأدباء والمفكرين الثوريين الهاربين من الاضطهادات العثمانية. ففي عام ١٨٨٩ أسس الأب «غيغونت پاپازيان» صحيفة «نيغوص» (النيل) الأسبوعية بالإسكندرية.^(١٤٤) ولكنها ما كادت تصدر في عددها الخامس مهاجمة الباب العالي حتى أقتيد الأب غيغونت تحت الحراسة إلى الأستانة. ثم توقف إصدارها بناءً على طلب الحكومة العثمانية.^(١٤٥)

وفي عام ١٨٩٧ أسس الأخوان الأدبيان «ديكران وأرتين ألبيار» صحيفة «باروس» (المنارة) النصف أسبوعية بالإسكندرية، ولكنها قد توقفت أيضاً في أوائل عام ١٨٨٩ بسبب معارضة السلطات العثمانية لما تنشره.^(١٤٦) وجدير بالذكر أن صحيفة باروس هي الصحيفة الأرمنية الوحيدة التي تحدثت عنها بعض الصحف المصرية وتمنت لها دوام الإصدار.^(١٤٧) وربما يرجع هذا إلى شهرة مؤسسيها لدى المصريين.

وكذا، أسس «كريكور صرافيان» في عام ١٨٩٧ صحيفة «ليراير» (جالب الأخبار) اليومية بالإسكندرية. وفي عام ١٨٩٩ أسس «سيمباد بوراط وسيمباد پاپازيان» صحيفة «نور أور» (يوم جديد) النصف أسبوعية بالقاهرة، ثم أسسا أيضاً في أبريل من نفس العام صحيفة «بيونيغ» (العنقاء = طائر خرافى) النصف شهرية بالإسكندرية. وأيضاً، أسس «يغيشيه طوروسيان» - المدرس بمدرسة كالوسديان - صحيفة «أرشالويس» (الفجر) سنتنذ.^(١٤٨)

هنا، يلاحظ ظهور عدد كبير من الصحافة الأرمنية في الإسكندرية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر. ويرجع هذا إلى أن الإسكندرية قد استوعبت عدداً كبيراً من الأرمن الهاربين، كما كانت

لموقعها الجغرافي مناسبةً لاتصال الثوريين الهاربين بموقع الأحداث في الأستانة حتى أنهم قد فكروا في اتخاذها نقطة مركزية تنطلق منها ثورتهم ضد السلطان. ناهيك عن تواجد جالية أرمنية مزدهرة بها. (١٤٩)

وهكذا، تأسست الصحافة الأرمنية في مصر منذ عام ١٨٦٥ ، أى بعد سبعة وستين عاماً من معرفة مصر بالطباعة عند مجئ الحملة الفرنسية وبعد أربعة وأربعين عاماً من افتتاح مطبعة بولاق. وقد اتسمت بأنها موجهة أساساً إلى الأرمن بلغتهم سواء فى مصر أو خارجها، وتُعبّر بالدرجة الأولى عن قضاياهم الخاصة ومشاكلهم الداخلية. وتباينت وجهات نظرها إزاء الدولة العثمانية، إذ تعلقتهما عندما كانت العلاقات الأرمنية العثمانية ودية، وهاجمتهما عندما ساءت علاقاتهما أثر تصاعد ثورة الأرمن ضد الدولة العثمانية. ولذا، أغلقت معظمها وأُقتيد محروها إلى السجن والنفى.

هذا، ولم تقتصر إسهامات الأرمن في مجال الصحافة على إصدار صحف بلغتهم القومية فحسب، بل شاركوا أيضاً فى إصدار الصحف في مصر باللغات التركية والعربية والأوربية. فقد تقلد أريستاجيس آلطونيان (١٨٠١ - ١٨٥٨) نظارة جريدة الوقائع المصرية بين عامي ١٨٤٠-١٨٤٤. (١٥٠)

ولكن، يُعد أديب إسحق من أبرز الأرمن الذين أسهموا في نهضة الصحافة المصرية وتطور الفكر المصرى علي الرغم من قصر فترة تواجده بمصر خصوصاً وقصر عمره عموماً، إذ توفي قبل أن يكمل العقد الثالث من عمره.

وُلد أديب بن عيسد الله الأرمني الكاثوليكي فى ٢١ يناير ١٨٥٦

بدمشق. وأدخله والده مدرسة الآباء العازاريين فتلقى فيها مبادئ العربية والفرنسية. ثم اشتغل بالجمرك في الحادية عشرة من عمره نظراً لحاجة أسرته الشديدة إلى المال، وأثناء عمله بالجمرك تعلم اللغة التركية وتمكن من مطالعة كتب الإنشاء في العربية والفرنسية والتركية وراسل المجلات الأدبية، ولم يكمل الثانية عشرة من عمره حتى اجتمع من نظمه نحو ألف بيت أكثرها في الغزل وبعضها في المدح والعتاب والرثاء. وانتقلت أسرة أديب إلى لبنان مما أتاح له فرصة التعرف على نخبة كبيرة من الأدباء، وانتظم في سلك الجمعية الماسونية التي أنشئت في عام ١٨٧٣ ببيروت، ثم قام بتحرير جريدتي «ثمرات الفنون» و«التقدم».^(١٥١)

وجاء أديب إلى القاهرة أثناء حكم الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩) واتصل بجمال الدين الأفغانى وحضر كثيراً من دروسه في المنطق والفلسفة الأدبية والعقلية، ثم أوعز الأفغانى إليه بإنشاء جريدة «مصر» الأسبوعية التي أصدر أول أعدادها في ١٣ يولية ١٨٧٧ بالاشتراك مع سليم نقاش، ثم أسسا «التجارة» اليومية معاً في عام ١٨٧٨.^(٢) بيد أن أديب إسحق قد انتقد الحكومة بشدة مما دعاها إلى إصداها سرها بإلغاء جريدتيه في أواخر عام ١٨٧٩. فسافر أديب إلى فرنسا صدر هناك جريدة «مصر القاهرة» وتعرف بكثير من رجال فرنسا حتى كتبت عنه بعض الصحف الفرنسية. هذا، وقد كتب أديب مقالات كثيرة عن الشرق كما ألف كتاباً بعنوان «تراجم مصر في هذا العصر». وانتهاز فرصة وجوده في باريس وتردد علي المكتبة الأهلية واطلع فيها علي طائفة كبيرة من المؤلفات الفرنسية والمخطوطات العربية. ثم عاد إلي بيروت بسبب شدة مرضه بالصدر فتولي تحرير جريدة «التقدم» للمرة

عاد أديب إسحق إلي مصر في أواخر عام ١٨٨١ وعُين ناظر قلم الإنشاء والترجمة بنظارة المعارف وأُذنت له الحكومة بإصدار جريدته «مصر» وعُين أديب في الوقت ذاته سكرتيراً لمجلس النواب ونال البكوية من الرتبة الثالثة ثم أحال امتياز الجريدة إلي شقيقه عوني إسحق ليتفرغ هو لمهام منصبه وظل رغم هذا يُحرر القسم الأكبر منها. ولما وقعت أحداث الثورة العربية بمصر إضطر أديب إلي العودة إلي بيروت. وبعد احتلال الإنجليز لمصر عاد أديب إليها مرة أخرى محاولاً إعادة إصدار جريدته فلم يتمكن من هذا وأبعد إلي بيروت بعد أن وُضع في السجن بضع ساعات. تولى أديب في بيروت تحرير جريدة «التقدم» للمرة الثالثة واستقر به المقام هناك إلي أن توفي في ١٢ يونية ١٨٨٥ عن تسع وعشرين سنة. (١٥٤)

هذه ، إلمامة سريعة بسيرة أديب إسحق. أما الآن فنستعرض دوره في مجال الصحافة المصرية وتطويرها مع بيان أهم أرائه وأفكاره السياسية. والحق، يُعد أديب إسحق من كبار كتاب المقالة الصحفية وخير من يُمثل فن المقالة في الأدب العربي الحديث. فقد اشترك - كما سبق - في تحرير جريدتي «ثمرات الفنون» و «التقدم» ببيروت وإنشاء جريدتي «مصر» و «التجارة» بمصر و«مصر القاهرة» بباريس. وسوف يتم التركيز نسبياً علي جرائد «مصر» و «التجارة» و«مصر القاهرة» لأنها وثيقة الصلة بمصر.

فيما يتعلق بجريدة «مصر»، فقد أنشأها أديب إسحق ولم يكن عنده من معداتها إلا عشرون فرنكاً. ولكن، لم يكد يظهر العدد الأول منها

حتى أعجب الناس بهذه الجريدة وتسبقوا إلي اقتنائها، وأصبح الناس يتحدثون بعبارة أديب إسحق ومزاياها ويحفظون أقواله كما يحفظون الحكم والأمثال. وقد أحدث هذا حركة في الأفكار لما كانت تقوم به الجريدة من نضال من أجل قضية الوطن وبسبب هذه المقالات الثورية التي كان أديب إسحق يكتبها بعنف وينقد فيها الحكومة نقداً جارحاً مما جعلها تتعرض للإلغاء. (١٥٥)

وتجدر الإشارة إلي أن «مصر» تُعد في مقدمة الجرائد السياسية من حيث نضج التفكير وسلامة التعبير. فقد اشتمل كل عدد منها علي مقال في السياسة الداخلية أو الخارجية، ونُشر فيها علي التوالي رواية فرنسية مُعربة، وعرض فيها أديب لمعاني الأوربيين وأسلوبهم في تناول الحياة، كما خصص إحدى صفحات الجريدة للعناية بشئون بلد شرقي، بينما توزعت الأخبار الداخلية في بقية صفحاتها. (١٥٦) وخلاصة القول، كانت «مصر» عنواناً للكفاح من أجل الديمقراطية وحرية البلدان الشرقية، وقد تعرضت هذه الجريدة للإلغاء في أواخر عام ١٨٧٩ ثم أعيد إصدارها في أواخر عام ١٨٨١ وصدر العدد الأول منها في ٣ نوفمبر ١٨٨١. (١٥٧)

ولم يكتف أديب إسحق بجريدة «مصر» ولكنه أصدر بالاشتراك مع سليم نقاش في عام ١٨٧٨ جريدة «التجارة». وقد قصرها أديب في البداية علي شئون التجارة، وهي تُعد بهذا من المصادر الهامة فيما يتعلق بالنشاط التجاري لمصر أثناء حكم الخديو إسماعيل، وفيها لون من التخصص لم يكن معروفاً في كثير من صحف الشرق الأدنى خلال القرن التاسع عشر. (١٥٨) ولكن، لم يطل تخصص «التجارة» بشئون التجارة بل ازدلفت إلي السياسة وأخذت تُنافس شقيقتها «مصر» في

أما جريدة «مصر القاهرة»، فقد أنشأها أديب إسحق في باريس وصدر العدد الأول منها في ٢٤ ديسمبر ١٨٧٩ ، وكانت تصدر نصف شهرية. وكان أديب يكتبها بخط يده أو خط مساعده عبدالله مراه. وأخذ أديب في باريس يُردد شكواه من الظلم الذي يرضخ فيه المصريون والشرقيون عموماً، ويتغنى بالحرية التي ينعم بها الفرنسيون والأوربيون. (١٦٠)

وقد ترك أديب إسحق بعض مؤلفات وترجمات علي جانب كبير من الأهمية وإن كان قد فقد بعضها. من مؤلفاته: ١- رواية غرائب الإتفاق (فُقدت)، ٢- كتاب نزهة الأحداق في مصارع العشاق، ٣- كتاب آثار الأدهار، وهو معجم تاريخي جغرافي مرتب هجائياً صدر الجزء الأول منه في سنة ١٨٧٥، ٤- تراجم مصر في هذا العصر، وقد عرض فيه الكثير من كبار الشخصيات المصرية من الحكام والنظار والعلماء وغيرهم. ومن أهم ترجماته: ١- رواية أندروماك، ٢- رواية شارلمان، ٣- رواية الباريسية الحسنة، ٤- جزء من كتاب المعاصرين (لم يُطبع)، ٥- كتاب في الأخلاق والعادات، ٦- كتاب في الصحة. وزيادة علي هذا ، نظم أديب إسحق قصيدة تاريخية وصف فيها حوادث مصر سنة ١٨٨٢. هذا، وقد جُمعت آثار أديب إسحق المطبوعة والمخطوطة وراثاً الشعراء فيه وأقوال الجرائد في شأنه في كتاب سُمي «الدرر». وقد جمع شقيقه عوني إسحق هذه المقالات. (١٦١)

أما فيما يتعلق بأراء أديب إسحق السياسية فيمكن استعراضها من خلال مقالاته التي كتبها في جرائده وعلي ضوء أهم الدراسات عنه.

وجديرٌ بالذكر أن الحرب الروسية العثمانية بين عامي ١٨٧٧ - ١٨٧٨ كانت أهم القضايا السياسية علي المستوى الخارجي التي تشغل بال الصحافة آنئذ. فقد كتب أديب في جريدة «مصر» عام ١٨٧٧ مقالاً بعنوان «الملك والرعايا» تحدث فيه عن الملك الاستبدادي والملك الشورى ليصل من ذلك إلي السخرية بنوع الحكم الروسى القيصرى. ويقول: «ولم يكف الروسية بقاؤها مستبدةً علي حين تحول سائر الدول إلي الشورى، حتى كانت سبباً في توقيف غيرها عن ذلك القصد النبيل فإنها قد منعت الدولة العثمانية حيناً عن نجاز ما شرعت فيه من إصلاح داخليتها وتنظيم شُوارها بهذه الحرب التي دعى إليها الغرور علي أن الدولة لم يكن يمنعها من ذلك مانع، فإنها لم تُهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها». ويبين أديب أن الحماس الذى ظهر في هذه الحرب لم يكن نتيجةً للتعصب الدينى كما زعم البعض وإنما هي غيرة وطنية تجددت فيهم بما رأوه من حُسن مقاصد حكومتهم. ويذكر أن العثمانيين جميعاً علي اختلاف مذاهبهم ومآربهم قد جادوا بالأرواح والأموال دفاعاً عن وطنهم. (١٦٢)

وظل أديب طوال فترة الحرب الروسية العثمانية يتابع أخبارها علي صدر صحيفتى «مصر» و«التجارة». كما استمر بعد الحرب في عرض مشاكل الدولة العثمانية داخلياً وخارجياً مبيناً أنه لا يبيث الشكوى اعتراضاً أو انتقاداً «وإنما هي نفثة مصدور يبعث عليها قُرب اليأس من النجاح بما نري من استقرار الخلل واستمرار الفساد». هذا، وقد تمثلت وسائل إصلاح شأن الدولة في رأيه في جمع الكلمة العثمانية وضم العصبة الشرقية بهدف درء الخطر الأجنبى. (١٦٣)

وكان منهج أديب إسحق قائماً على تقوية الدولة العثمانية والعمل على توحيد الشعوب التي تتألف منها. ورغم أن أديب كان عصبي المزاج فإنه كان في مجال السياسة من دُعاة الاعتدال بقدر المستطاع. وكانت عنايته بأخبار الدولة العثمانية وبالشام لا تقل عن عنايته بأخبار مصر.^(١٦٤) ومما تجدر الإشارة إليه هنا، أن أديب إسحق قد دعا إلى ضرورة قيام جامعة عربية تضم العرب جميعاً، ولم ينس ترديد أمجاد العرب العلمية والسياسية والأدبية، غير أنه يأخذ عليهم الضعف والاستكانة وتشبثهم إلى مذاهب مختلفة وترك أمورهم للقضاء والقدر.^(١٦٥)

ويذكر أديب أن سبب ضعف الشرقيين العداء الناجم عن التعصب في أمور الدين والطاعة العمياء للمستبدين. وفي اعتقاده «أن الشرقيين لن ينالوا المفقود عن قُربه ولن يحفظوا الموجود علي قلته إلا بالتأذر والاتحاد وحسم أسباب التنافر والفساد وعدم دفع عجلة التمدن والتهور وسلطة الحرية بالتعصب». ويرى أن الأمم القوية لاسيما الأوربية تسعى جاهدةً لنهب كنوز الشرق وتقسيم أقطاره المتفرقة. ونوه أديب بأنه لا سبيل إلى مقاومة أطماع الغرب إلا بالاتحاد وأنه من الممكن تحقيق ذلك عن طريق الدعوة من أقاصى آسيا إلى أقاصى إفريقيا للعمل على جمع الكلمة ولم الشمل. وبذا، كان أديب يدعو إلى الوحدة الشرقية وقيام دولة شرقية.^(١٦٦)

وقد انتقد أديب أوضاع مصر المالية والإدارية والسياسية في بداية حكم الخديو توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) في مقالة بعنوان «أحوالنا» نشرت في جريدة «مصر». كما عارض أديب بشدة الامتيازات الأجنبية والتدخل

الأجنبي. وسخر من الحياة النيابية في مصر ودعا إلي إصلاحها علي أسس سليمة، ونادى بإصلاح أحوال مصر الداخلية.^(١٦٧) وجدير بالذكر أن أديب إسحق قد اتخذ موقفاً سلبياً من الثورة العربية، فقد كان أديب إبان الثورة من أصحاب الدعوة إلي الاعتدال في طلب الحرية. لذا، سخط عليه رجال الثورة العربية ومنعوا جريدته «مصر» من أن تكون لسان حالهم. واستعاض الثوار يومئذ صحف أديب صحفاً أخرى أهمها جريدة «المفيد» التي أخذت تُهاجم الصحافة السورية في مصر مما اضطر كثيراً من السوريين إلي الهجرة من مصر ومن بينهم أديب إسحق الذي هاجر إلي بيروت. وخلاصة القول، أن أديب كان ناقماً علي الثورة العربية ولكنه استاء جداً لما أسفرت عنه من احتلال بريطانيا لمصر واختلال الأمن بها.^(١٦٨)

أما منهجه الاجتماعي، فقد ركز علي الاهتمام بالأخلاق والتعليم العام، فالجهل - في رأيه - ضعف، والضعف يؤدي إلي الرذيلة، كما كان من أكبر المدافعين عن حقوق المرأة، والداعين إلي رقيها. ورغم هذا، كان هو شخصياً «أدنى إلي التحلل من القواعد الدينية». وعندما كان في باريس كان «يستجيب لدواعي الشباب، فكان لا يرى إلا مخموراً».^(١٦٩)

ويُعد أديب إسحق من رواد النهضة الحديثة في النثر والترسل، فهو من صفوة الأدباء الذين نهضوا بالنثر العربي من عقالة، وأصفوا علي الكتابة الصحفية جُملاً، ونفثوا منها روحاً، ووهبوا لها حياةً وحركة.^(١٧٠) ويمكن القول، أن أديب إسحق قد دخل الصحافة من باب الأدب، وهي ظاهرة ليست جديدة علي الصحافة المصرية والعربية، فهكذا كان الوضع بالنسبة للكثيرين ممن مارسوا الكتابة الصحفية، وبخاصة في هذا

الوقت المبكر من حياة الصحافة المصرية، عندما كان المقال متقدماً علي الخبر، وكانت الصحف لا تزال تخلو من التقارير والتحليلات والتعليقات. وعلي هذا، كان الأدب هو المدرسة التي اتقن فيها أديب إسحق استخدام الألفاظ، واستعراض القدرات اللغوية مما كانت الصحف تحتاجه في ذلك الوقت. (١٧١)

ويمتاز أسلوب أديب إسحق في الكتابة الصحفية بالجنوح إلي الزينة اللفظية كالسجع والجناس والطباق (المقابلة)، والميل إلي إيراد كلامه مورد الحكمة وصوغه في قالب المثل وخطابية الأسلوب في كثير من المواضع فيما كتب، والاستشهاد في مقالاته بالمأثور من الكلام مثل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأشعار، فضلاً عن خياله الواسع في كثير مما يكتب. (١٧٢) ويؤكد الكثيرون أن أديب إسحق قد طور كثيراً في لغة الكتابة الصحفية وأسلوبها بمصر. إذ بفضل انتقل الإنشاء الصحفي من العبارة الضعيفة الركيكة إلي الرشاقة والطلاوة مع استخدام عبارة متينة صحيحة. فقلده الكتاب في عبارته وفي أسلوبه. (١٧٣)

وهكذا، يتضح أن أديب إسحق يُعد من أبرز أعلام النهضة الفكرية، أديباً وسياسياً، في مصر الحديثة والعالم العربي رغم قلة إنتاجه في عمره القصير. بيد أن إسهامات الأرمن في مجال الصحافة المصرية لم تكن بيضاءً برمتها، إذ تعاونت فئة منهم مع الاحتلال البريطاني وروجت لخططاته مثل الكسان صرافيان صاحب جريدة الزمان وإسكندر كريكور صاحب مجلة الزراعة.

لقد أسس الكسان صرافيان صحيفة «الزمان» في ٦ مارس ١٨٨٢،

وهى أول صحيفة يومية تصدر في القاهرة. (١٧٤) وعندما احتل الإنجليز مصر في عام ١٨٨٢ ، كانت الزمان أولى الصحف التي رحّبت بهذا الاحتلال ووقفت بجانبه. (١٧٥) وأخذت تُروج علي امتداد جميع أعدادها لقوة بريطانيا العظمى وتُسوِّغ مزايا احتلالها لمصر أمام الرأي العام، بل دعت المصريين في أكثر من موضع إلي قبول الاحتلال والتعاون مع قواته وسلطاته من أجل «خير» مصر. (١٧٦)

ولم تكف الزمان بتأييد الاحتلال البريطاني وترويج مخططاته، بل ناصبت عداءً لجميع خصوم بريطانيا في الداخل والخارج. فقد انتقدت العربيين بضرارة ، واشتدت انتقاداتها للثورة المهدية في السودان ووصفت أصحابها بالعصاة السودانيين. (١٧٧) ولما كانت جريدة «الاهرام» ذات ميول فرنسية فقد انتقدتها الزمان بشراسة وشوّهت كل أخبارها وأشبعتها سخريّة في جميع أعدادها. (١٧٨) كما شنت حملات لاذعة علي أعداء بريطانيا خارج مصر خاصة روسيا وفرنسا. وقد ذهبت الزمان إلي أن بريطانيا هي الدولة الأم الكبرى في العالم. وأن قوتها تفوق قوتي روسيا وفرنسا بفضل اقتصادها المزدهر وقوتها البرية والبحرية. (١٧٩) وأيضاً، أولت الزمان اهتماماً بالغاً بنشر أخبار أرمينية والأرمن سواء ما يحدث منها في الدولة العثمانية أو أوروبا أو مصر. وطالبت الباب العالي دوماً بتطبيق الإصلاحات التي أقرتها معاهدة برلين في سنة ١٨٧٨ بخصوص الولايات الأرمنية. (١٨٠)

ورغم أن الزمان كانت مؤيدةً من قبل الإنجليز إلا أنها قد توقفت عن الإصدار في ٢٤ أكتوبر ١٨٨٣ لمدة ثلاثة أشهر، ثم في ٩ فبراير ١٨٨٥ لمدة شهر. (١٨١) كما أن الإنجليز كانوا لا يُفوتون أية هفوة من صرافيان

ضدهم. فقد ثاروا ضد الزمان عندما لمحت بطريق غير مباشر إلي مساوئ اللورد رود سبروك الحاكم البريطاني العام في الهند وكادوا يعتقلون صرافيان.^(١٨٢)

هذا، وقد تمنى صرافيان احتلال بريطانيا للأستانة حتى يتحرر الأرمن من الحكم العثماني، واشتدت انتقاداته ضد الباب العالي الذي أصدر فرماناً بمنع دخول الزمان إلي الأستانة أو أية منطقة تابعة له.^(١٨٣) وبذل السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) كل سلطته للقبض علي صرافيان، لكن كرومر - المعتمد البريطاني في مصر - رفض تسليم صرافيان إلي السلطنة العثمانية كمجرم سياسي.^(١٨٤) ثم، رأت الحكومة المصرية والسلطات البريطانية إغلاق الصحيفة في ٢٩ يولية ١٨٨٦ خوفاً من تعثر مفاوضات وولف - مختار الغازي حول تحديد موعد لجلاء القوات البريطانية عن مصر.^(١٨٥) وقد رفع صرافيان التماسين للحكومة المصرية ومجلس العموم البريطاني في لندن راجياً إعادة فتح جريدته مرة أخرى وموضحاً أنه خدم بريطانيا خدمات صادقة يُعد بمقتضاها من المخلصين لحكومتها.^(١٨٦) بيد أن الحكومة المصرية لم تلتفت لالتماسه وشرعت، إرضاءً للباب العالي، في طرده من مصر. ولكن، تدخل الإنجليز وأرسلوه إلى قبرص الواقعة تحت حمايتهم.^(١٨٧)

وكذا، شجعت بريطانيا حركة القوميات لدن العناصر المتباينة في الدولة العثمانية بهدف تمزيقها من الداخل ونسف كيانها. وفي هذا، رُوِّجت فكرة «إسرائيل للإسرائيليين» وساعدت علي إصدار الصحف الداعية لهذه الفكرة في مصر.^(١٨٨) وتجدر الإشارة إلي أن بعض الأرمن

قد اشتركوا تحت ضغط الإنجليز في الحملة الدعائية لإنشاء وطن قومي لليهود مثل إسكندر كريكور الذي أصدر مجلة «الزراعة». وقد خصصت هذه المجلة كثيراً من صفحاتها للدفاع عن اليهود وإثبات أنهم شعبٌ مزارع - علي عكس ما يُشاع عنهم - مستدلةً على ذلك بتقدم زراعتهم في يافا ويمشروعات البارون روتشيلد لشراء خمسة ملايين متر مربع في شرق الأردن لزراعتها. وقد كان الهدف من كل هذا تجميع اليهود الشرقيين من رعايا الدولة العثمانية حول فكرة الاستقرار في وطن قومي في فلسطين ثم إنشاء دولة إسرائيل. (١٨٩)

وبذا، نجح الاحتلال البريطاني في استقطاب بعض الأرمن العاملين في مجال الصحافة لمساعدته علي تثبيت أقدامه وتسويغ مشروعاته وترويج مخططاته.

وأيضاً، اشترك الأرمن في إصدار الصحف باللغات الأوربية في مصر مثل الكسندر بيزيرچيان الذي أصدر مجلة "The Sphinx" بالإنجليزية في عام ١٨٩٣، وديكران كيليجيان بالاسم المستعار «كون دي كلانيج» الذي أصدر صحيفة "La Bourse Egyptienne" بالفرنسية في عام ١٨٩٩. (١٩٠)

وهكذا، أصدر الأرمن في مصر صحافة خاصة بهم تُعبر عن قضاياهم أساساً، وأسهموا في إصدار صحف باللغة العربية تُدافع عن حقوق المصريين، وأخرى وقفت بجوار الاحتلال البريطاني وروجت لمشروعات الاستعمارية المتباينة.

وأخيراً، يجب التنويه عما أسداه يعقوب أرتين باشا وكيل نظارة المعارف للثقافة المصرية وغيرها. إذ يُعد يعقوب أرتين، وبحق، من أبرز

المثقفين في مصر بخاصة ولدن الأرمن بالأخص. تلقى تعليمه في أوروبا وعرف اللغات: الأرمنية والتركية والعربية والفارسية واليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية.^(١٩١) بيد أنه استغرق في الثقافة الفرنسية حتى أنه قد كتب جميع أعماله باللغة الفرنسية. وتجدر الإشارة إلى أنه قد اشتهر بعملين كبيرين هما: "L'Instruction Publique en Egypte" (طُبِعَ بباريس ١٨٩٠) الذي ترجمه علي بهجت إلى اللغة العربية بعنوان (القول التام في التعليم العام)، و "La Propriété Foncière en Egypte" (القاهرة ١٩٠٨) الذي ترجمه سعيد عمون إلى اللغة العربية تحت مُسمى (الأحكام المرعية في شأن الأراضي المصرية). ويُعد هذان العملان دراستان علميتان استندتا إلى المادة الوثائقية المودعة بالأرشيفات الحكومية. هذا، وقد كان يعقوب أرتين يُفضل أن تتحدث الجداول والإحصائيات عن نفسها من أن يُقدم تفسيراً مباشراً للأشياء.^(١٩٢)

هذا، وقد كان يعقوب أرتين باحثاً مدققاً كتب بعض الدراسات المتخصصة بعمق مثل كتابه «السياق» الذي يتناول نوعاً من الكتابة المستعملة في إدارات مصر المالية إبان الحكم العثماني.^(١٩٣) ويرجع الفضل إلى يعقوب أرتين في لفت الأنظار إلى مجال أدبي كان الأدباء المصريون يهملونه إهمالاً تاماً، ألا وهو مجال القصة والأغنية الشعبيتين. ومما يستوجب الذكر هنا، أن هذه القصص وتلك الأغاني لم يُفكر في جمعها إلا بعض التجار من أدعياء الأدب ممن كانوا يبيعونها في طبعات رديئة وبأسلوب رخيص في الأحياء الشعبية. ولم يُفكر في جمعها وتصنيفها من المثقفين إلا اثنان هما: أولاً يعقوب أرتين باشا ثم العالم

الأثرى الفرنسى جاستون ماسبيرو بعده بسنوات عديدة. هذا، وقد جمع يعقوب أرتين القصص الشعبية ونشرها باللغة الفرنسية فى فرنسا تحت عنوان "Les Contes Populaires de la Valée du Nil" (القصص الشعبية فى وادى النيل). وقد نُشرت هذه القصص فى فرنسا لبيان صور من الفلكلور المصرى. وحينما درس يعقوب أرتين القصص الشعبى الذى يُسميه العامة «حواديت» لاحظ تعدد الموضوعات التى يدور راوى هذه الحواديت حولها. ويرجع هذا، حسبما يرى أرتين، إلى الغزوات المتعاقبة لمصر من شعوب نوى حضارات متباينة.^(١٩٤)

وفوق هذا، كتب يعقوب أرتين العديد من المقالات باللغة الفرنسية فى مجلة "Bulletin Institut Egyptien" خلال الفترة الممتدة بين عامى ١٨٨٣ - ١٩٠٩ تناولت الثقافة والأدب والتاريخ المصرى ناهيك عن تراجم بعض مشاهير الأرمن فى مصر.^(١٩٥)



٤- الفنون

ظهر الأرمن فى مجالات الموسيقى والمسرح والفنون الجميلة خلال القرن التاسع عشر. ومما ساعدهم على الظهور فى هذه المجالات أنها كانت غير مستساغة لدى المسلمين وقتئذ.

بدايةً، استدعى حكام مصر - خاصةً سعيد وإسماعيل وتوفيق - عدداً من الموسيقيين الأرمن المشهورين فى الأستانة للعزف فى قصورهم

علي غرار ما يحدث في قصور السلاطين. وقد كان معظمهم ممن تتلمذوا علي أيدي بابا هامبارتسوم ليمونچيان - جالب النوتة الموسيقية إلي الأستانة - وممن تخصصوا في العزف علي الآلات الموسيقية الشرقية. فمثلاً، حقق الكسان طمبورى (١٨١٥-١٨٦٤) شهرةً في عزف الطمبور بالأستانة. لذا، استدعاه سعيد باشا ليعزف علي الطمبور في قصره مقابل أربعين جنيهًا في الشهر بين عامي ١٨٥٤ - ١٨٥٩. وحقق نيظان زينوب (١٨١٠-١٨٦٦) - الابن الرابع لبابا هامبارتسوم ليمونچيان - شهرةً زائعةً في عزف الناي بالأستانة. ولهذا، استدعاه إسماعيل باشا للعزف في قصره بين عامي ١٨٦٣ - ١٩٦٦. (١٩٦) ثم، استدعي إسماعيل من الأستانة عازف ناي أرمني يُسمى أسديج حمامچيان (١٨٣٢-١٩٠٩) ليحل محل كريكور بيكياريان - رئيس جوق السلطان - ويُمارس نفس العمل في القاهرة. (١٩٧) وكذا، استدعي أيضاً الموسيقار الأرمني ديكران تشوهاچيان (١٨٣٨-١٨٩٨) الذي وضع عدة ألحان صارت تُرددُها فرقة الموسيقى الخديوية. (١٩٨)

ويُعد نيظان أمين بوزاري الأرمني (١٨٤٨-١٩٣٥) أشهر عازفي الناي في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر. تعلم العزف علي آلة الناي علي أحد المولوية ونبغ فيه إلي حد جعله يتفوق علي أستاذه. وكان يستخدم في عزفه قطعة واحدة طوال السهرة، لا يستبدلها بأخرى مهما تغير المقام الذي يعزف منه؛ كما هو الحال مع عازفي الناي الذين يستخدمون لكل مقام قطعة معينة. وأيضاً، كان يمتاز في عزفه بطول النفس وصفائه وحلاوته. هذا، وقد عزف نيظان تقاسيم: بياتي، حجاز، صبا، رصد، سيكا التي سجلتها شركة ببيضافون الموسيقية بالقاهرة علي إسطوانات. وجدير بالذكر أن نيظان كان العازف الأوحد في قصور

الحكام وكبار الشخصيات. ليس هذا فحسب، بل ذاعت شهرته خارج مصر حيث مكث علي سبيل المثال ثلاثة شهور في قصر سلطان المغرب ليعزف العديد من الألحان الشرقية.^(١٩٩)

وإضافةً إلي هؤلاء الموسيقيين الخصوصيين المنتدبين للعمل في قصور الحكام، أخذت الفرق المسرحية الأرمنية تتري إلي مصر من الأستانة لتقديم عروضها الفنية منذ أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر. وتُعد فرقة سيروغبي بنجليان أشهر الفرق الأرمنية التي جاءت إلي مصر لتقديم عروضها الفنية بل وأنجحها قاطبةً. وقد تكونت هذه الفرقة من ستة وثلاثين ممثلًا وممثلةً تحت إدارة يغيازار مليكيان. واشتهر من أعضاء هذه الفرقة: مارديروس ميناجيان ودافيت تريانتس وميكائيل تشبراسد وهاروتيون الكسانيان وزابيل حكيميان ويرانوهي كراكاشيان وغيرهم.^(٢٠١)

وتجدر الإشارة إلي أن الفرق الأرمنية قد استعرضت برامجها الفنية المسرحية بنجاح في الأستانة وأوروبا قبل مجيئها إلي مصر في ديسمبر ١٨٨٤.^(٢٠٢) وابتداءً من يناير ١٨٨٥ حتي مايو ١٨٨٨ أخذت تُقدم عروضها الفنية باللغات الأرمنية والتركية والأوربية علي مسرحي الأزيكية والأوبرا بالقاهرة ومسرحي زيزينيا والهمبرا بالإسكندرية.^(٢٠٣)

ومن أشهر المسرحيات التي قدمتها الفرق الأرمنية في مصر: «ليبليجي خورخور أغا»، «الزيبك»، «حيلة عريف»، «سيمون السارق»، «الجنة والنار»، «عروسة الماضي»، «أورقيه في الجحيم»، «كوسه كحيه»، «الموغل الكبير»، «بنت مدام إنجو»، «هيلين الجميلة»، «چيروغلييه چيروغليلا» وغيرها.^(٢٠٤) وقد استمدت هذه الأعمال معظم موضوعاتها

من واقع الحياة العثمانية، لاسيما الحياة الريفية، والصراعات الطبقيّة ناهيك عن العلاقات العاطفية التقليديّة في الآداب العالميّة. وتجدر الإشارة إليّ أنّ هذه المسرحيات التي غلب عليها الطابع الموسيقي الغنائيّ الراقص قد تم عرضها في قوالب كوميديّة هزليّة، كما كان معظم القائمين عليها أرمن بدايةً من كتابة النصّ ووضع الموسيقى والألحان إليّ الممثلين والمخرجين وغيرهم. وتأكيداً لهذا، يُمكن استعراض نماذج من هذه الأعمال الفنيّة.

بدايةً، لقد كتب ديكران كاليمچيان النصوص الموسيقيّة لمسرحيّة «حيلة عريف» ووضع ألحانها الموسيقار الأرمني ديكران تشوهاچيان، وهي باكورة أعماله الفنيّة، وكان جميع الممثلين بلا استثناء من الأرمن. وجدير بالذكر أنّ هذه المسرحيّة قد لاقت نجاحاً واسعاً عند عرضها الأول في عام ١٨٧٢ بالأستانة ونجاحاً أوسع عند عرضها ثانيةً في عام ١٨٧٤ بالأستانة أيضاً. وتدور أحداثها حول زيارة أحد المسؤولين العثمانيين إليّ احدي القرى، فيُرسل عريفه إليّ أهالي هذه القرية ليبلغهم خبر زيارته إليهم. ولكن، يلتبس الأمر عليّ أهالي القرية ويعتقدون أنّ هذا العريف هو المسؤول ذاته فاستقبلوه استقبالاً حافلاً مما دعاه إليّ التورط في تقمص دور المسؤول خاصّةً بعد أن أعجبتّه فتاة تُسمّى مريم من بنات القرية. واجتمع أهالي القرية أمام المسؤول الزائف يعرضون عليه مشاكلهم حول تخفيض الضرائب وتعبيد الطرق وتطهير الترع والقنوات وتوفير متطلبات الزواج للشباب. فيعدهم العريف (المسؤول الزائف) بتنفيذ كل متطلباتهم. وأخيراً، يصل المسؤول الحقيقيّ إليّ القرية فتتكشف حقيقة العريف. بيد أنّ هذا المسؤول كان متسامحاً طيب القلب فعفا عن العريف ووعد أهالي القرية بتنفيذ مطالبهم. وتنتهي

وثمة أنموذج آخر مثل «ليبليبيجي» (بائع الحمص) الذي كتب نصوصها الموسيقية تاكلفور ناليان ووضع ألحانها ديكرا تشوهاچيان. وتُعد ليبليبيجي أشهر المسرحيات التي قدمتها الفرق الأرمنية وأقواها فنياً. وتدور أحداثها حول الصراع الطبقي بين الأثرياء والفقراء في إحدى المدن العثمانية عندما أراد خورشيد بك الثرى جداً الزواج من إحدى فاطمة ابنة خورخور أغا بائع الحمص الفقير الذي رفض هذا الزواج وحاربه ويريد تزويج ابنته من رجل في مستواهم الاجتماعي. ثم خطف خورشيد بك الفتاة إلى قصره، وحاول جميع بائعي الحمص في المدينة كلها أن يُعيدوها إلى أبيها ولكنهم لم يستطيعوا ذلك. وفي النهاية، وافق الأب علي زواج ابنته من هذا الثرى. وأيضاً، وضع كاريكين رشدوني النصوص الموسيقية لمسرحية «كوسه كحيه» (بدون حية) التي تدور أحداثها حول علاقة عاطفية بين فتاة جميلة تُسمى «جول» وراعي الغنم «ايبيش» وتنتهي تقليدياً بزواجهما بعد تعرضهما لمشكلات عديدة. (٢٠٦)

وفوق هذا، ثمة بعض المسرحيات التي استمدت موضوعاتها من أعمال عالمية ذائعة الصيت مثل «بنت مدام إنجو» و«چيروڤيليه چيروڤيلا» للمؤلف الموسيقي الفرنسي شارل لوكوك Charles Lococq (١٨٣٢-١٩١٨) و«هيلين الجميلة» للمؤلف الموسيقي الفرنسي العالمي چاك أوفينباخ Jacques Offenbach (١٨١٩-١٨٨٠). (٢٠٧)

وهنا، يُلاحظ أن ثمة اختلاف واضح، من حيث الهدف، بين الفرق الأرمنية والأوربية. ففي الوقت الذي سعت فيه الفرق الأرمنية إلى استعراض فنونها وإحراز الربح، ركزت الفرق الأوربية على نشر ثقافتها

وفلسفاتها ومخططاتها بين الجماهير خاصة الفرق الوافدة من الثلاث
الاستعماري إنجلترا وفرنسا وإيطاليا. (٢٠٨)

ويذهب البعض إلي أن جماهير الفرق الأرمنية كانت قاصرةً علي بنى
جنسهم أو من يعرفون لغتهم فقط. (٢٠٩) ولكن، يتأكد من الصحافة
المعاصرة أن كثيراً من عناصر الشعب وعلي رأسهم الخديو وأفراد
أسرته كانوا من مشاهدي العروض المسرحية الأرمنية التي قُوبلت
بنجاح جماهيري كبير. فعند العرض الأول لمسرحية «ليبليبيجي خور
خور أغا» اكتظ مسرح الأزيكية بالمشاهدين حتى أن كثيراً ممن حجزوا
مقاعد لم يجدوا مكاناً يجلسون فيه. أكثر من هذا، أُعيد عرض المسرحية
ثلاث مرات متتالية بناءً علي رغبة المشاهدين. (٢١٠)

وقد كانت الفرق الأرمنية علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها الأوربية
في النواحي الفنية بل فاقتها أحياناً. فعلي سبيل المثال، عرضت فرقة
أرمنية مسرحية «جيريوفيليه جيريوفيل» الفرنسية علي مسرح الأزيكية،
في نفس الوقت التي كانت تعرضها فرقة فرنسية علي مسرح الأوبرا،
فانجذبت الجماهير واحتشدت في مسرح الأزيكية مما أدى إلي رحيل
الفرنسيين إلي أوروبا رغم ريادتهم في الفن المسرحي. (٢١١) بيد أن أهم
ما حققته الفرق الأرمنية من وراء عروضها الفنية في مصر هو تعاقد
أحداها مع نظارة الأشغال للعمل علي مسرح الأوبرا خلال موسم
١٨٨٦. (٢١٢) وكذا، تعاقد سيروقبي بنجليان ويغيازاريان مع نظارة
الأشغال علي تزويد المسرح الخديوي بالأوبرا بثلاثين ممثلاً وممثلةً من
الأرمن الذين يجيدون اللغة التركية. (٢١٣)

هذا، وقد استفادت الفرق الأرمنية من تواجد شخصيات أرمنية

مرموقة مثل ديكران أبرويان ويعقوب آرتين وبوغوص نوبار كأعضاء في «لجنة التياترات» التابعة لنظارة الأشغال.^(٢١٤) ولم تقتصر استفادتها علي استدعائها للعمل علي مسارح الدولة فقط، بل شملت أيضاً مساعدتها مالياً في حالة تعثرها . فمثلاً، توقفت عروض فرقة بنجليان في مارس ١٨٨٨ علي أثر وفاة الأمير حسن - شقيق الخديو توفيق - مما أوقعها في أزمة مالية.^(٢١٥) إضطر بنجليان علي أثرها إلي رهن مؤلفات الموسيقىقار الأرمني ديكران تشوهاجيان ونوتات أوبريتاته الموسيقية وملابس الفرقة مقابل قرض ولكنه مع هذا لم يف بمطالبات الفرقة.^(٢١٦)

بيد أنه بفضل وساطة بعض كبار الموظفين الأرمن في الحكومة المصرية خاصةً الأعضاء منهم في «لجنة التياترات»، فقد أحسنت الحكومة بـ «٢٥٠» جنيه للفرقة نظير الخسائر التي ألُت بها من جراء وفاة الأمير حسن.^(٢١٧) علي أن هذه المنحة جاءت في وقت بدأت فيه الفرقة تفقد شعبيتها بين الجماهير. وعبثاً، حاول بنجليان أن يسترد شعبيته بين الجماهير عن طريق تخصيص إيراد بعض الحفلات للمدارس الخيرية التي يتعلم بها الفقراء.^(٢١٨) كما دب الخلاف بين بنجليان وفرقته حول توزيع منحة الحكومة. بيد أن أسوأ ما ارتكبه بنجليان من أخطاء هو انتقاده الخديو توفيق بطريق غير مباشر أثناء مشاهدة الأخير شخصياً مسرحية «ليبليبيجي» مما عرضه لغضب الخديو وحاشيته.^(٢١٩)

ورغم تصاعد المسألة الأرمنية خلال تسعينيات القرن التاسع عشر، فقد ظلت الفرق الأرمنية تفد إلي مصر من الأستانة. ففي فبراير ١٨٩١

قدّمت فرقة أرمنية عروضها الموسيقية الراقصة في قاعة كونليانو بالإسكندرية. (٢٢٠) كما أقام فهرام سيفأچيان في أبريل ١٨٩٣ حفلةً موسيقيةً بدار الأوبرا تحت إشراف أحمد مختار الغازي - المعتمد العثماني في مصر. (٢٢١) هنا، يُلاحظ أن فرق التسعينيات لم تُستقبل بنفس الجماهيرية التي استُقبلت بها فرق الثمانينيات. ويرجع هذا بالأساس إلي تعاطف المسلمين مع السلطان العثماني ضد ثورة الأرمن ناهيك عن الدعاية السيئة التي شنتها بعض الجرائد المصرية ضد الفرق الأرمنية واتهامها بالدعوة إلي الانحلال والردّيلة والكفر. (٢٢٢)

ولم تقتصر إسهامات الأرمن في مجال المسرح علي الإنتاج الفني باللغات الأرمنية والتركية والأوربية فحسب، بل ساهمت فئة قليلة منهم في الإنتاج المسرحي باللغة العربية خاصةً الأرمن الكاثوليك النازحين إلي مصر من بلاد الشام هرباً من معارضة طائفتهم بشدة الفن المسرحي. (٢٢٣) ومما هو جدير بالذكر هنا، أن أديب إسحق الأرمني الكاثوليكي قد اشترك مع سليم نقاش في تمثيل أول رواية عُرضت باللغة العربية في مصر ألا وهي رواية أندروماك أو شارلمان. (٢٢٤)

ولكن، تُعد فرقة (جوق) يوسف خياطيان الأرمني الكاثوليكي أهم إسهامات الأرمن في مجال المسرح العربي. فقد قدمت هذه الفرقة عدداً من العروض المسرحية في مصر مثل «شارلمان»، «العلم المتكلم»، «المظلوم»، «هارون الرشيد» وغير ذلك. (٢٢٥) وبعامّة، اتسمت هذه المسرحيات بالطابع الدرامي الجاد، واستوتحت موضوعاتها من مواقف تاريخية أدبية ذات مغزى اجتماعي إصلاحي. ولكنها لم تكن فنياً علي مستوى المنافسة مع مثيلاتها الأجنبية. فمما يذكر مثلاً عن فرقة يوسف

خياط أنها لم تجد سيدات تقمن بالأدوار النسائية فعهدت بها إلي غلمان لم يُتقنوا أدوار النساء مما أدى إلي اهتزاز عروضهم بعض الشيء. (٢٢٦)

وهكذا، شارك الأرمن في نشأة الفن المسرحي وتطويره في مصر. ورغم كثرة إنتاجهم باللغات الأجنبية، إلا أنهم قدموا صورة متكاملة نسبياً عن مكونات العمل المسرحي للكُتاب والممثلين والجمهور.

وأيضاً، اشترك الأرمن في تأصيل بعض الفنون الجميلة بمصر خاصة التصوير الشمسي. والحق، أن كثيراً من الفنانين المصورين في العالم قد انجذبوا إلي مصر خلال القرن التاسع عشر بسبب الاهتمام الدولي بتاريخها وفنها وعاداتها في أعقاب الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١) وما نتج عنها من استكشافات خاصةً حجر رشيد، ويُغذى هذا الاهتمام من الخلف الميول الرومانسي التقليدي إزاء الشرق بعامة. وتقنياً، امتاز مناخ مصر بهوائه النقي وضوئه القوي العمودي مما يلائم متطلبات التصوير. وأخيراً، أصبحت صور مصر الخلابة مطلوبة تجارياً باستمرار في السوق العالمي. (٢٢٧)

ولكن، قُوبل التصوير بمعارضة شديدة من قبل التقاليد الإسلامية التي سمحت باستخدام الصور المجردة والهندسية وحرمت الصور الأدمية. ولهذا، لم يُمارس المسلمون هذا العمل، في حين مارسه الأوروبيون والأرمن المسيحيون علي نطاق واسع. هنا، يلاحظ أيديولوجياً ارتباط المصورين الإنجليز والفرنسيين علي وجه الخصوص بالاهتمامات السياسية والفكرية لبلديهما في مصر، علي خلاف الأرمن الذين زاولوا التصوير لتحقيق الربح فقط. وجدير بالذكر أن الأرمن قد استفادوا من التقنيات الحديثة في مجال التصوير وفتحوا استوديوهات كبيرة نوات إمكانات فنية رائعة علي غرار مثيلاتها الأوروبية. (٢٢٨)

ثم، تطور التصوير الشمسى تقنياً وفلسفياً وتجارياً علي المستوى العالمي منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر. ولم تكن مصر بمنأى عن هذا التطور خاصةً بعد تزايد حركة المرور فيها أثر افتتاح قناة السويس. وكذا، أصبح التصوير وسيلةً ضروريةً لتوثيق التحديث الذى طرأ علي مصر. (٢٢٩) لهذا بعامة والمذابح بخاصة، فقد توافدت أعداد كبيرة من المصورين الأرمن إلي مصر منذ تسعينيات القرن التاسع عشر. ومن أشهرهم: صباح وخاتشيك (٢٣٠)، ليكيچيان وشركاؤه (٢٣١)، مجر أيقازيان (٢٣٢) وغيرهم.

وجديرٌ بالذكر أن نشاطات هؤلاء المصورون الأرمن لم تقتصر علي القاهرة فحسب، بل امتدت أيضاً إلي الإسكندرية والمنصورة والزقازيق وأسيوط والأقصر. (٢٣٣) ومما يدل علي براعة المصورين الأرمن وتقدير الحكومة المصرية لهم أن ليكيچيان قام بتمثيل مصر في المعارض الفنية التى أقيمت في باريس وشيكاغو منذ نهاية القرن التاسع عشر. (٢٣٤)

وأخيراً، اشتهر الأرمن منذ نهاية القرن التاسع عشر بالرسم الشعبية المطبوعة التى استُبدلت ببعض الرسوم التى كانت تُصور يدوياً علي المخطوطات وغير ذلك. وتركزت هذه الرسوم في تصوير الأساطير الشعبية مثل قصص «عنتر» و «سيف بن ذى يزن» و «الظاهر بيبرس». وجديرٌ بالذكر أن نشأة هذه الرسوم قد ارتبطت بدخول الطباعة في مصر لاسيما طباعة الصور الملونة علي الحجر التى اشتهر بها الأرمن. (٢٣٥)



الهوامش

- (١) حلمى محروس إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٧٢ .
- (٢) جان أحمرانيان، من هم الأرمن؟، أصدقاء الثقافة الأرمنية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٠ .
- (٣) Madden, op. cit., p. 95.
- (٤) الزمان، عدد ٨١٤، الأرياء ١٣/١/١٨٨٦ .
- (٥) فؤاد كرم، الأجانب في مصر، الجنسية المصرية، الطوائف الدينية في مصر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩ .
- (٦) محافظ مجلس الوزراء، الطوائف والجاليات الأجنبية، محفظة رقم ١/أ، وثيقة رقم ٢٨، مكتبة إيلي نظارة الحربية في ٤ أغسطس ١٨٨٥؛ الأهالي ، عدد ٩٣، الإثنين ١/٧/١٨٩٥ .
- (٧) فؤاد كرم، الطوائف الدينية في مصر، ص ٧٤؛ القاهرة الحرة، عدد ٨١٤، الأرياء ٥/٩/١٨٨٨؛
- Mac Coan, J.C., Egypt as it is, London, 1877, p. 34; Madden, op. cit., p. 96.
- (٨) كارداشيان ، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٢٨٢-٢٨٣.(بالأرمنية)
- (٩) اعترفت الحكومة المصرية بالتنظيم المالي للأرمن الكاثوليك في عام ١٩٠٥ بفضل مساعى يعقوب أرتمين باشا الأرمني الكاثوليكي وكيل نظارة المعارف والسيد بيزانت مصرف من أسرة ماتوسيان الأرمنية الكاثوليكية.
- دافيتيان ، المصدر السابق، ص ص ١٨-١٩، ٢٣-٢٤، ٤٣-٤٤ .(بالأرمنية)

(١٠) لمزيد من التفاصيل حول تأسيس المجلس الملي الأرمني وتطوره انظر:

Kazazian, Anne, "Espaces Communautaires, Projection Nationaux la Communauté Arménienne d'Egypte. 1863-1950", Colloque la Réforme Sociale en Egypte, IFAO, Le Caire, 10-13/12/1992, pp. 1-6.

(١١) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، الجلسة التحضيرية الأولى في ١٨٦٤/٤/٣، ص ص ٢-٣. (بالأرمنية)

(١٢) نفسه، الجلسة التحضيرية الثانية في ١٨٦٤/٤/١٢، ص ص ٣-٥. (بالأرمنية)

(١٣) فؤاد كرم، الطوائف الدينية في مصر، ص ١٧٥.

ولمزيد من التفاصيل حول المجالس المليّة أنظر: «الكتاب الذمى للمحاكم الأهلية ١٨٨٣-١٩٣٣»، جزءان، المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٧، الجزء الأول، ص ص ٢٥٧-٢٦٧.

(١٤) رؤوف عباس حامد، المصدر السابق، ص ص ١٠٧-١٠٨؛

Milner, op. cit., p. 332.

(١٤) تأسست مملكة بجرادونى في عام ٨٨٥ وظلت حتى عام ١٠٤٥. وقد اتخذت بدايةً باجران عاصمة لها ثم قارس حتى استقرت عاصمتها فى أنى. وكان أشود الأول البجرادى أول ملوكها (٨٨٥-٨٩٠)، وكان جاجيق الثانى آخر ملوكها (١٠٤٢-١٠٤٥). ويزعم البجراديون أنهم من أصل يهودى وينتمون للملك داود. وكان زعيم أسرة بجراد يحمل ألقاباً وراثية منها «تاجادير» أى (واضع التاج). وكذا، لقب «أسبده» أى (قائد الفرسان).

لمزيد من التفاصيل حول أسرة بجرادوني ومملكتها أنظر:

Iskander, Fayez Naguib, Les Richesses de l'Arménie au Temps
des Bagratides (885-1045), Nubar Printing House, Le Caire,
1987, pp. 5-16.

- (١٦) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٧، ١٩٦. (بالأرمنية)
- (١٧) Adalian, op. cit., p. 135.
- (١٨) Ibid., p. 136; Adams, op. cit., p. 54.
- (١٩) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩، ٢٢٦. (بالأرمنية)
- (٢٠) Lutfi AL-Sayyid, Afaf, Egypt in the Reign of M. Ali, p.97.
- (٢١) Rae, op. cit., pp. 181-190, 299
- (٢٢) Cromer, op. cit., p. 631;
- كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٠. (بالأرمنية)
- (٢٣) Milner, op. cit., p. 333.
- (٢٤) كرومر، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٢٥) Cromer, Op. cit., p. 630.
- (٢٦) الجبرتي، المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٤٤٩.
- (٢٧) تعداد النفوس، محافظة مصر، قسم عابدين، ل ١/٨٤/١٦٠، ص ١٠٥،
١١٩، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٩؛ ل ٢/٨٤/١٦١، ص ٣٣٨، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٣١؛
ل ٣/٨٤/١٦٢ ص ٦٣٤.

- (٢٨) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.
- (٢٩) تُوجد هذه التحف والهدايا بمتحف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.
- (٣٠) كارداشيان، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٦٩-٧٠.
- (٣١) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، الجلسة الرابعة في ١٧/٤/١٨٧٢، ص ١١، قرار ٤؛ الجلسة التاسعة في ١١/٨/١٨٧٢، ص ٢٠، قرار ٣. (بالأرمنية)
- (٣٢) ديوان المعية تركي، س ١/٥/٢٤ (٥٣٣)، ص ١٢٣، رقم ٨٥٠، مكاتبة إلي مهرداد خديو في ١١ صفر ١٢٨٠ هـ.
- (٣٣) محافظ المعية تركي، رقم ٥٠، وثيقة رقم ٣٧٧/٥٠، مكاتبة من مطران الأرمن إلي المعية في ٢١ شعبان ١٢٩٠ هـ.
- (٣٤) محافظ مجلس الوزراء، الطوائف والجاليات الأجنبية، محفظة رقم ١/أ، وثيقة رقم ٥٠، مذكرة من نظارة الحقانية إلي مجلس النظار في ٤ جماد أول ١٣٠٥ هـ.
- (٣٥) نفسه، وثيقة رقم ٦/٢٧٧، مذكرة من نظارة الحقانية إلي مجلس النظار في غرة ذي الحجة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩/٧/٣١).
- (٣٦) كارداشيان، المصدر السابق، ج ١، ص ١٨١. (بالأرمنية)
- (٣٧) تويوزيان، المصدر السابق، ص ٦٩. (بالأرمنية)
- (٣٨) سيون، عام ١٨٧٠، ص ١٧٤، القدس. (بالأرمنية)
- (٣٩) ديوان المعية تركي، س ١/٤/٥ (٧٢٧)، ص ١٤٤، رقم ٩١٦، مكاتبة من الديوان إلي بلال أغا في ٢٨ صفر ١٢٤٢ هـ؛ الزمان، عدد ٢٨٥، الأربعاء ٢٦/٣/١٨٨٤؛ عدد ٨١١، السبت ١/٩/١٨٨٦.

- (٤٠) الزمان، عدد ٨٧٧، السبت ٢٧/٣/١٨٨٦؛ القاهرة الحرة، عدد ٩٩٦، الإثنين ١٥/٤/١٨٨٩؛ عدد ٩٩٨، الأربعاء ١٧/٤/١٨٨٩.
- (٤١) يرفانت أوبيان، الأعمال الكاملة، الجزء الرابع، يريفان، ١٩٦٥، ص ١١٠. (بالأرمنية)
- (٤٢) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١١٩ - ١٢٠. (بالأرمنية)
- (٤٣) الإتحاد المصري، عدد ١٦٠٥، الخميس ١٠/١٢/١٨٩٦.
- (٤٤) تويوزيان، المصدر السابق، ص ١٢٠. (بالأرمنية)
- (٤٥) الإتحاد المصري، عدد ١٦١٨، الأحد ٢٤/١/١٨٩٧.
- (٤٦) الأخبار، عدد ١٤٠، الإثنين ٢٥/١/١٨٩٧.
- (٤٧) ليفون أچيميان، الكتاب السنوي للأرمن في مصر، القاهرة، ١٩٢٥، ص ٢٥. (بالأرمنية)
- (٤٨) نفسه.
- (٤٩) فتحي أبو عيانه، المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٥٠) ليفون أچيميان، المصدر السابق. (بالأرمنية)
- (٥١) القاهرة، عدد ١٦٧، الثلاثاء ٢٩/٦/١٨٨٦.
- (٥٢) دافيتيان، المصدر السابق، ص ٨٤-٨٦. (بالأرمنية)
- (٥٣) القاهرة الحرة، عدد ٣٩٣، الثلاثاء ٢٩/٣/١٨٨٧.
- (٥٤) الهلال، عدد ١٢، ١٥/٢/١٨٩٤، ص ٤٠٩.
- (٥٥) القاهرة الحرة، عدد ٢٨٣، الخميس ١٧/٣/١٨٨٧؛ عدد ٣٨٤، السبت

١٨٨٧/٣/١٩؛ عدد ٣٨٥، الأحد ١٨٨٧/٣/٢٠.

(٥٦) الإتحاد المصري، عدد ١٦٢٥، الخميس ١٨٩٧/٢/١٨؛ عدد ١٦٢٦، الأحد ١٨٩٧/٢/٢١.

(٥٧) القاهرة الحرة، عدد ٧٤١، السبت ١٨٨٨/٦/٢؛ عدد ٧٤٣، الإثنين ١٨٨٨/٦/٤.

(٥٨) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٥٩) الكسندر شولش، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٦٠) Madden, op. cit., p. 95.

(٦١) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٦٢) Cromer, op. cit., pp. 630-631.

(٦٣) الزمان، عدد ٨٨٤، الإثنين ١٨٨٦/٤/٥.

(٦٤) محمد فريد، مذكرات، تحقيق: رؤوف عباس حامد، القسم الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٦٥) السيار، عدد ٧، الثلاثاء ١٨٩٥/١١/١٩.

(٦٦) المقياس، عدد ١٨، الخميس ١٨٩٥/١٢/١٩.

(٦٧) فصل الخطاب، عدد ٧، ١٨٩٧/١/١٢.

(٦٨) محافظ بحر براء، رقم ١٨، وثيقة رقم ٤٦، مكتبة من محمد حمد الله قاضي القدس إلي الجناب العالي في ٥ شوال ١٢٥٢ هـ.

(٦٩) أمين سامي، تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، ج ٢، ص ٢٩٦.

- (٧٠) تراجم ملخصات دفاتر تركي، محفوظة رقم ٢، دفتر ٣، معية تركي، وثيقة رقم ١٣٨، ترجمة أمر إلى الكتخدا بك في ١٨ صفر ١٢٣٤ هـ.
- (٧١) الزمان، عدد ٤٣٨، الخميس ١٨٨٤/٩/٢٥: عدد ٤٥٧، الأربعاء ١٨٨٤/١٠/٢٢.
- (٧٢) Landau, Jacob, M. Jews in Nineteenth Century Egypt, New York, 1969, p. 13, 136.
- (٧٣) حلمي أحمد شلبي، الأقليات العرقية، ص ١٥٠.
- (٧٤) ديوان المعية عربي، س ١/١/٢٢ (٧٨)، ص ٧٧، رقم ١٥٠، مكاتبة من المعية إلي مديرية الفيوم ويبنى سويف في ٢٨ ذى الحجة ١٢٦٨ هـ.
- (٧٥) نفسه، ص ٧٨، رقم ٨، مكاتبة إلي مديرية أسيوط وجرجا في ٢٨ ذى الحجة ١٢٦٨ هـ.
- (٧٦) نفسه، س ١٣/٢/١ (٩٨)، ص ٤٨٣، رقم ٢٨٥، أمر من الباشا إلي بطريك الأرمن في ٢٣ ربيع أول ١٢٦٩ هـ.
- (٧٧) نفسه، س ١/١/٢٢ (٧٨)، ص ٤٤٧، رقم ٣٥٧، مكاتبة من المعية إلي بطريك الأرمن في ١٥ ربيع أول ١٢٦٩ هـ.
- (٧٨) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، الجلسة الرابعة في ١٨٦٤/٥/٧، ص ١١-١٢، قرار رقم ٢٣. (بالأرمنية)
- (٧٩) القاهرة الحرة، عدد ٧٠١، الأحد ١٨٨٨/٤/١٥.
- (٨٠) كلوت بك، المصدر السابق، ص ٢١٣.

- (٨١) الجبرتي، المصدر السابق، ص ص ٣٦٠-٣٦٢، ٣٩٨، ٤١١، ٤٤٨-٤٥٠.
- (٨٢) Adalian, op. cit., p. 140.
- (٨٣) محافظ مجلس الوزراء، نظارة المالية، محفظة رقم ١/١/أ، وثيقة رقم ٢٣، قائمة بأسماء أرباب الطلبات الذين أدعوا بنهب محلاتهم مدة الثورة.
- (٨٤) Milner, op. cit., p. 327; Rac, op. cit., p. 120.
- (٨٥) الأهالي، عدد ١٣، الإثنين ٢٢/١٠/١٨٩٤.
- (٨٦) البريد، عدد ٢٣٥، الثلاثاء ٦/١٠/١٨٩٨.
- (٨٧) نفسه، عدد ٢٤٠، الثلاثاء ٢٢/١١/١٨٩٨.
- (٨٨) أحمد السيد أبو السعود، مصر والأرمن، القاهرة، بدون تاريخ، ص ص ٢-١٦.
- (٨٩) لوساير، ٢٩/١٢/١٩٠٤، الإسكندرية. (بالأرمنية)
- (٩٠) بيزنطيون، ١٥/١/١٨٨٩، الأستانة. (بالأرمنية)
- (٩١) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٧٢. (بالأرمنية)
- (٩٢) أرشالويس أراراديان، ٦/١١/١٨٧١، أزمير. (بالأرمنية)
- (٩٣) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٨. (بالأرمنية)
- (٩٤) هوفانيس دير بدروسيان، الحركة التعليمية باللغة الأرمنية في تركيا، مطبعة جريدة أريف، القاهرة، ١٩٨٣. ص ٤٤٤. (بالأرمنية)
- (٩٥) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧، ٥٢، ١٨٨، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٤٩. (بالأرمنية)

- (٩٦) توبوزيان، المصدر السابق، ص ٦٩. (بالأرمنية)
- (٩٧) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٨٦، ١٠٨. (بالأرمنية)
- (٩٨) نفسه، ص ٢٧٢. (بالأرمنية)
- (٩٩) القاهرة الحرة، عدد ٣٢٠، الإثنين ١/٣/١٨٨٧.
- (١٠٠) الإخلاص، عدد ٣٠، الخميس ٢٨/١١/١٨٩٥.
- (١٠١) الإتحاد المصري، عدد ١٥١٤، الخميس ١٦/١/١٨٩٦؛ عدد ١٥١٦، الخميس ٢٣/١/١٨٩٦؛ عدد ١٥١٨، ٣٠/١/١٨٩٦؛ عدد ١٥٨٧، الخميس ١٠/٨/١٨٩٦.
- (١٠٢) Heywarth, Daunne, op. cit., p. 271.
- (١٠٣) رنق جرجس، «المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات»، مقال منشور في مجلة التربية، عدد ٤، أبريل ١٩٣٧، القاهرة، ص ٣٤٥.
- (١٠٤) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ص ٣١٧-٣٢٠. (بالأرمنية)
- (١٠٥) ولد موسى خورين (مؤسّس خوريناتسي) في أواخر القرن السادس في قرية خورين من لواء موش، وتلقى تعليمه الابتدائي في دير موش علي الرهبان، ثم سافر إلي أثينا لاكمال دراسته علي غرار ما كان يفعله أبناء جيله، وهناك أتقن اللغة اليونانية ودرس العلوم الفلسفية وتاريخ هيرودوت وغيره، ونال مرتبةً عليا بين مثقفي قومه وحتى بين اليونانيين، وصار أعظم شاعر ومؤرخ في عصره. ولذا سُمي «أبا الشعراء والمؤرخين الأرمن».
- ويعد انتهاء دراسته في بلاد اليونان عاد إلي بلاده، ولم يكن في مبدأ الأمر من قيمة لعلمه ومقدرته بسبب الاضطرابات السياسية في بلاده، ولكن بعد

سكون الفن وزوال القلاقل نال عطف الأمير ساهاج بجرادونى الذى أعجب بعلمه وثقافته وقطنته فأمره أن يكتب تاريخ الأمة الأرمنية وتعهده له بجميع نفقاته الشخصية ونفقات كتابه.

وعكف خورين علي تمحيص الكتب القديمة والحديثة التى تتطرق إلي البحث عن أمته وثقافتها وحياتها الاجتماعية والأدبية ، فدقق التوراة وتاريخ ميروپوت والباذة هوميروس واستخلص منها التاريخ الأساطيرى الأرمنى، ونسب العرق الأرمنى إلي يافت بن نوح عليه السلام. وهو أول مؤرخ أرمنى وأبو الشعر الكلاسيكى وتمتاز قصائده بفخامة الألفاظ وجزالة المعانى، وتُعزى عظمته إلي إجادته المعانى أكثر من عنايته بالألفاظ.

ويجمع الأدباء والمؤرخون الأرمن منهم والأجانب علي أن «تاريخ الأمة الأرمنية» لموسى خورين له قيمة فريدة بين المؤلفات الأرمنية والأجنبية. وتجدر الإشارة إلي أن كتاب «تاريخ الأمة الأرمنية» قد تُرجم إلي اللغات: السويدية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية والألمانية والإيطالية. وقد ترجم خورين كتاب يوسيبوس من اليونانية إلي الأرمنية ووضع جغرافية المملكة الأرمنية. وقد عاش خورين معيشة بانسة فى أواخر أيام حياته بعد وفاة الأمير ساهاج بجرادونى حتى أنه اختتمها محتاجاً إلي القوت اليومى رغم علومه ومكانته.

ك.ل. إستارچيان، تاريخ الثقافة والأدب الأرمنى، مطبعة الإتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٤، ص ص ٣٤-٣٥.

(١٠٦) جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٨٣؛

- (١٠٧) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٠. (بالأرمنية)
- (١٠٧) أرشالويس أرااديان، ١٨٥٢/١/١٨؛ ١٨٥٢/١/٢، أزمير. (بالأرمنية)
- (١٠٨) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٨. (بالأرمنية)
- (١٠٩) أرمنية، عدد ٣٧٠، ١٨٩٤/١٢/٥، مارسيليا. (بالأرمنية)
- (١١٠) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، جلسة رقم ٢٦ في ١٨٦٦/٢/٩، قرار رقم ١، ص ١٦٢-١٦٤؛ جلسة رقم ٧٠ في ١٨٦٨/٦/٢٨، قرار رقم ٤.
- (١١١) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٩-٤٢٤؛ ج٢، ص ٧٢-٨٠. (بالأرمنية)
- (١١٢) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ص ١١٦، جلسة رقم ٢٨، في ١٨٦٦/١٢/٣، قرار رقم ٢. (بالأرمنية)
- (١١٣) جلسات المجلس الملي الأرمني بالإسكندرية، جلسة في ١٨٨٨/١٢/٢٩؛ جلسة في ١٨٩٣/٨/٥؛ كارداشيان : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥. (بالأرمنية)
- (١١٤) أرشالويس أرااديان ، ١٨٥٢/١/١٨ ، أزمير. (بالأرمنية)
- (١١٥) أرماقيني ، ١٨٦٥/٤/١٦ ، القاهرة. (بالأرمنية)
- (١١٦) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ص ١١٣، جلسة رقم ٢٤ في ١٨٦٦/١١/١٨، قرار رقم ١. (بالأرمنية)
- (١١٧) نفسه، ص ١١٧، جلسة رقم ٢٨ في ١٨٦٦/١٢/٣٠، قرار رقم ٥. (بالأرمنية)

(١١٨) نفسه، ص ص ٧٢-٧٣، جلسة رقم ٣٤ في ١/٢٢/١٨٦٥، قرار رقم ٢٢٨.

(١١٩) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٦. (بالأرمنية)

(١٢٠) أرمنية، ١٨٨٧/٣/٢٠، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٢١) نيفوص (الفيل)، عدد ٤، ١/٢٥/١٨٨٩، الإسكندرية. (بالأرمنية)

(١٢٢) كارداشيان، المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٤. (بالأرمنية)

(١٢٣) أرمنية، عدد ٦٣، ٣٠/٣/١٨٨٧، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٢٤) جرجس سلامة، المصدر السابق، ص ص ٨٢-٨٤.

(١٢٥) أرمافيني، ١/٤/١٨٦٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٢٦) تيوزيان، المصدر السابق، ص ٩١. (بالأرمنية)

(١٢٧) القاهرة الحرة، عدد ٩٨٥، الثلاثاء ٢/٤/١٨٨٩.

(١٢٨) تحتفل الكنيسة الأرمنية سنوياً بذكرى حروب القائد الأرمني شارتان

ماميجونيان ضد الفرس عندما شن الأخيرون سلسلة حروب ضد الأرمن

لتحويلهم عن اعتناق المسيحية إلى عبادة النار. وكان هذا خلال الربع الثاني

من القرن الخامس الميلادي.

Meinardus, op. cit., pp. 135-136.

(١٢٩) أرمنية، عدد ٦٠، ١٩/٣/١٨٨٧، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٣٠) أريفيك، عدد ١٠٣١، ٢٤/٦/١٨٨٧، الأستانة. (بالأرمنية)

(١٣١) أرمافيني، ١/٤/١٨٦٥: أرمنية، عدد ٨٦، ٢٢/٦/١٨٨٧. (بالأرمنية)

(١٣٢) أريث (الشمس)، ١٦/٧/١٩٢٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٣٣) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ص ٢٠٢-٢٠٤، جلسة رقم ١٠٠ في ١٤/١١/١٨٧١. (بالأرمنية)

(١٣٤) أرمنية، عدد ٣٥، ٧/٢٣/١٨٩٤، مارسيليا. (بالأرمنية)

(١٣٥) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلي أوائل حكم توفيق ١٨٤٨-١٨٨٢، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٨٣٧.

(١٣٦) الزمان، عدد ٩٧٥، الجمعة ٧/٢٣/١٨٨٦.

(١٣٧) جلسات المجلس الملي الأرمني بالقاهرة، ص ٦٢، جلسة رقم ٢٧ في ٦/١١/١٨٦٤، قرار رقم ١٩٦. (بالأرمنية)

(١٣٨) ديكران كيغوركيان، «نظرة حول نشأة الصحافة الأرمنية في مصر»، أريف في ١٠/٣/١٩٧٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٣٩) أرمافيني، ١٦/٣/١٨٦٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٤٠) أصدر مراديان قبل مجيئه إلي مصر في عام ١٨٦٣ صحيفة «هايرناسير» (الوطنى) بنيكوميديا Nicomedia بين عامى ١٨٥٢ - ١٨٥٣، ثم أصدر «باريس» في باريس بين عامى ١٨٦٠ - ١٨٦٣.

شاهان زارتاريان، مذكرات، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٥. (بالأرمنية)

(١٤١) أرمافيني، ١٦/٤/١٨٦٥؛ ١/٥/١٨٦٥، القاهرة. (بالأرمنية)

(١٤٢) نفسه، ١٦/٤/١٨٦٥. (بالأرمنية)

(١٤٣) زارتاريان، المصدر السابق، ص ٦. (بالأرمنية)

(١٤٤) ديكران كيغوركيان، «الصحافة الأرمنية في مصر ١٨٦٥-١٩٦٦»، أريف في ١١/٥/١٩٧٠، القاهرة. (بالأرمنية)

- (١٤٥) زارتاريان، المصدر السابق، ص ٧. (بالأرمنية)
- (١٤٦) كيغوركيان، الصحافة الأرمنية في مصر. (بالأرمنية)
- (١٤٧) الإتحاد المصري، عدد ١٦٥٠، الخميس ٢٧/٥/١٨٩٧.
- (١٤٨) كيغوركيان، الصحافة الأرمنية في مصر؛ إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥١، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.
- (١٤٩) أرمنية، ٢٨/٥/١٨٩٧؛ تويوزيان، المصدر السابق، ص ١٤٧. (بالأرمنية)
- (١٥٠) محافظ الأبحاث، رقم ١١٧، أسماء موظفي الحكومة المصرية ابتداء من رتبة البكباشي مستخرجة من سجل رقم ٣٦٨، معية تركي.
- (١٥١) عبد اللطيف حمزة، أدب المقالة الصحفية في مصر، جزءان، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٠، الجزء الثاني، ص ١٠؛ چرچي زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ص ٦٩.
- (١٥٢) شليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، أربعة أجزاء، بيروت، ١٩٣٣، الجزء الرابع، ص ١٦٤، ٢١٤، ٢١٦.
- (١٥٣) عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق، ص ١٢.
- (١٥٤) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق وفكره السياسي ١٨٥٦-١٨٨٥»، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد الثاني، ١٩٧٨، ص ص ٥٠-٥١.
- (١٥٥) نفسه، ص ص ٥٢-٥٣.
- (١٥٦) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، القاهرة، ١٩٤٤، ص ١٤١.
- (١٥٧) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ١٤٢.

- (١٥٨) إبراهيم عبده، أعلام الصحافة العربية، ص ١٤٢.
- (١٥٩) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ٥٤.
- (١٦٠) أشرف محمود صالح، دور الأرمن في الطباعة والصحافة، دار الوزان للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ١٧٦-١٧٧.
- (١٦١) أديب إسحق «الدرر» ، بيروت، ١٩٠٩؛ يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، الجزء الثاني، ص ١١٢؛ جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ص ٧٠.
- (١٦٢) مصر، عدد ١، ٢/ ٧/ ١٨٧٧.
- (١٦٣) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ص ٥٧-٥٩.
- (١٦٤) نفسه، ص ٦٠.
- (١٦٥) مصر، عدد ٢، ١١/ ٧/ ١٨٧٩.
- (١٦٦) نفسه، عدد ٢٠، ١٤/ ١١/ ١٨٧٩.
- (١٦٧) نفسه، عدد ٢، ١١/ ٧/ ١٨٧٩؛ التجارة، عدد ١٧/ ١١/ ١٨٧٩؛ مصر القاهرة، عدد ٥، ٢٠/ ٢/ ١٨٨٠.
- (١٦٨) طلعت إسماعيل رمضان، «أديب إسحق»، ص ص ٧١-٧٣.
- (١٦٩) عبد اللطيف حمزة ، المصدر السابق، ص ١٤، ٢٥، ٤٨.
- (١٧٠) نفسه، ص ٤٥.
- (١٧١) أشرف محمود صالح، المصدر السابق، ص ١٨٤.
- (١٧٢) عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق، ص ص ٥٠-٥٤.
- (١٧٣) جرجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، دار الهلال، القاهرة،

بدون تاريخ، الجزء الرابع، ص ٥٧.

(١٧٤) فيليب دى طرازى ، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٦٤؛ چرچى زيدان ، تاريخ
آداب اللغة العربية، ص ٥٨.

(١٧٥) سامى عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي، دار
الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٩٢.

(١٧٦) الزمان، عدد ٦١٠، الإثنين ١٨٨٥/٥/٢٥، عدد ٧٠١، الإثنين
١٨٨٥/٨/٣١.

(١٧٧) نفسه، عدد ٥٤٦، الإثنين ١٨٨٥/ ٢/ ٢.

(١٧٨) نفسه، عدد ٤١٣، الأربعاء ١٨٨٤/ ٨/ ٢٧؛ عدد ٦٦٦، الثلاثاء
١٨٨٥/ ٧/ ٢١.

(١٧٩) نفسه، عدد ٥٤٤، الأربعاء ١٨٨٥/ ٣/ ١١؛ عدد ٦٠٦، الجمعة ١٨٨٥/٥/٨.

(١٨٠) نفسه، عدد ٤٤١، الإثنين ١٨٨٤/ ٩/ ٢٩؛ عدد ٤٤٦، الخميس
١٨٨٤/١٠/ ٩؛ عدد ٦٠٠، ١٨٨٥/٥/ ١؛ عدد ٨٩٧، الثلاثاء ١٨٨٦/٤/ ٢٠.

(١٨١) لويس عوض، تاريخ الفكر المصرى الحديث، أربعة أجزاء، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثانى، ص ٣٦٥.

(١٨٢) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الداخلية، محفظة رقم ١/٣/أ، خطاب من
رئيس تشريفات خديو إلي نظارة الداخلية في ١٨/٩/١٨٨٤.

(١٨٣) الزمان، عدد ٦٩٥، الإثنين ١٨٨٥/٨/٢٤؛ عدد ٨٢٧، الخميس
١٨٨٦/١/ ٢٨؛ القاهرة، عدد ١٨٤، الأربعاء ١٨٨٦/ ٧/ ٢١.

- (١٨٤) سامي عزيز، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- (١٨٥) نظارة الداخلية، مجفظة رقم ١/٣ / أ، قرار بإغلاق جريدة الزمان في ١٨٨٦/٧/٢٩.
- (١٨٦) سامي عزيز، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- (١٨٧) القاهرة، عدد ٢٠٥، الأحد ١٥/٨/١٨٨٦؛ الصادر، عدد ١١/٥/١٨٨٧.
- (١٨٨) مثل «نهضة إسرائيل» و«الحقيقة».
- (١٨٩) سامي عزيز، المصدر السابق، ص ص ١٩٣-١٩٤؛ لويس عوض، المصدر السابق، ص ص ٢٧٨-٢٧٩.
- (١٩٠) إبراهيم عبده، تطور الصحافة المصرية، ص ٣٤٨؛
- أرشاق البويجيان، المصدر السابق، ص ٢١٨. (بالأرمنية)
- (١٩١) كارداشيان، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٩. (بالأرمنية)
- (١٩٢) جاك كرابس چونيور، كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، دراسة في التحول الوطني، ترجمة: عبد الوهاب بكر، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ١١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٥٣.
- (١٩٣) نُشرت هذه الدراسة تحت عنوان "Le Siyak en Egypte Turquie" في Revue du Monde Musulman. وخط «السياقت» هو نوع من الكتابة التي كانت تُستعمل بواسطة «المباشرين» في الإدارات المالية في مصر العثمانية كديوان الروزنامة. ولما كانت سجلات الإيرادات والمصروفات من الوثائق التي لا يُسمح بخروجها من الخزانة أو حتى إطلاع الآخرين عليها دون إذن خاص من الروزنامجي والوالى فإن هذه السجلات قد كُتبت بخط

«السياقت» الذى طُوِّر من أجل الأغراض المالية. أُخترَ هذا الخط من اللغة العربية وأدخل إلي نظام العمل بالخرزينة فى القرن السادس عشر الميلادى بواسطة الناسخين الذين أرسلوا إلي الخزانة من الباب العالى. وقد جعل إيجاز هذه الكتابة، منها نموذجاً للاستخدام فى المساحات المحدودة المتوفرة فى السجلات. كذلك فإن خلو هذا الخط من علامات التمييز العربية العادية ومخالفتة للقواعد المعتادة فى تشكيل الحروف العربية وربطها جعله مبهماً للجميع باستثناء هذا النفر من الأشخاص الذين ألقنوا أسرار تشكيكه واستعماله. وهكذا، أصبح هذا الخط «السياقت» هو أسلوب الكتابة الشففى فى السجلات المالية التى كان «المباشرون» الأقباط يستأثرون بالعمل فيها، ويمضى الوقت أصبح هذا النوع من الكتابة يُورث لأبناء هؤلاء المباشرين بحيث أصبحت وظيفة «المباشرين» هذه حكراً عليهم.

چاك كرابس چونيور، المصدر السابق، ص ٢٦٣، هامش رقم ٧، تعليق المترجم.

(١٩٤) يُقسم يعقوب أرتين القصص الشعبية إلي خمس مجموعات:

أولاً : قصص أُدخلت إلي مصر علي أثر هجرات الشعوب الآسيوية إليها. وفي هذه المجموعة أدرج أرتين القصص التى تدور حول الجن وروح الخير وروح الشر والله والشيطان والملائكة.

ثانياً: قصص يُستشعر فيها التأثير اليونانى أو الأوروبى الذى يبدو واضحاً من ظهور حيوانات مثل الماعز والكباش والطاوس.

ثالثاً : قصص صادرة عن العرب الرُّحل أو اليهود أو البربر فى شمال إفريقيا. أى قصص سامية الأصل بصفة عامة. وتدور هذه القصص حول عادة ذات أصل دينى مثل الختان والطلاق والحق.

رابعاً: قصص ذات أصل زنجي حيث يظهر عادةً الغول أو الغولة للإشارة إلى الشر في القصة.

خامساً: قصص مصرية أصيلة تُمثل روح الشعب المصري وما يتميز به من إيكال أمره إلى القدر وطريقته الساخرة المرحة في تقدير الأمور.

سادساً: قصص يظهر فيها تأثير ألف ليلة وليلة وقصص عنتر وأبي زيد الهلالي وغيرها من الملاحم الشعبية.

كوثر عبد السلام البحيري، أثر الأدب الفرنسي علي القصة القصيرة، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٦٣-٦٥.

(١٩٥) من مؤلفات يعقوب أرئين ومقالاته علي سبيل المثال:

- Zal Kader et Bab-Zouelah, 1886.
- Mémorandum sur l'Enseignement des Jeunes Filles, Soumises à S.A. le Khedive Abbas Pacha Helmy, 1892, Le Caire.
- Boghos bey Youssef (1768-1844), Le Caire, 1894.
- Le Nil Blew (Bahr-Agrak), Son nom Originnaire et Véritable, 1896, Le Caire.
- Une lampe armoire de l'Emir Schiethan dans le Petit Palais des chawps Elysée de Municipalité de Paris, 1896, Le Caire.
- De l'eau de Nil et de l'eau souterraine, Alexandrie, 1896.
- Rapport à son Excellence Hussein Fakhry Pacha, Ministre de l'instruction publique, le Caire, 1895.
- Seize "Haddouta", Contes populaires Racontés au Caire et

Recueillis par Yacoub Artin Pacha, Le Caire, 1903.

- Contes Populaires du Sudan Egyptien, Paris, 1909.

- Rapport à l'Institut Egyptien sur le 16e Congrès des Orientalistes, Athènes, Le Caire, 1912.

كارداشيان، المصدر السابق، ج٢ ، ص ٢٥٠. (بالأرمنية)

(١٩٦) أريستاجيس هيسارليان، تاريخ تكوين الموسيقى الأرمنية و سير الموسيقيين الوطنيين ١٧٦٨-١٩٠٩، الأستانة، ١٩١٤، ص ص ٣٨-٤١، ٤٦. (بالأرمنية)

(١٩٧) أرشاج آلبويچيان، المصدر السابق، ص ٢١٤. (بالأرمنية)

(١٩٨) الزمان، عدد ٦٧٥، الجمعة ٣١ / ٧ / ١٨٨٥.

(١٩٩) تجدر الإشارة إلي أن نيطان أمين بوزارى قد كُفَّ بصره في العشرين من عمره علي أثر صدمة نفسية. تزوج سيدة إنجليزية وأنجبا وداً وثلاث بنات. ومما هو جدير بالذكر هنا أنه قد تتلمذ عليه العديد من العازفين في مصر لعل أشهرهم «جرجس سعد العريف» الذي كان يعمل بفرقة السيدة أم كلثوم.

ناهد أحمد حافظ، الغناء في القرن التاسع عشر، سلسلة كتابك، رقم ١٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٦٢؛ كارداشيان ، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩١.

(٢٠٠) زاغيج (الوردة)، عدد ٥٤٧، ٢٢ / ٢ / ١٩٠٢، الأستانة. (بالأرمنية)

(٢٠١) شاراسان، المسرح الأرمني في تركيا والمشتغلين به (١٨٦٠-١٩٠٨)، الأستانة، ١٩١٤، ص ٤٠، ٨٤، ٨٩، ١٣٤. (بالأرمنية)

(٢٠٢) الزمان، عدد ٤٩١، الإثنين ١٢/١/١٨٨٤؛ عدد ٥١٢، الخميس ١٨٨٤/١٢/٢٥.

(٢٠٣) نفسه، عدد ٥٢٢، الثلاثاء ٦/١/١٨٨٥؛ عدد ٥٩٦، الإثنين ٢٧/٤/١٨٨٥؛ القاهرة، عدد ٦٧١، الأحد ١١/٣/١٨٨٨ القاهرة الحرة، عدد ٧٣٧، الإثنين ٢٨/٥/١٨٨٨.

تجدر الإشارة إلي أن فرقة بنجليان خلال فترة تواجدها في مصر (١٨٨٥-١٨٨٨) عادت إلي الأستانة لتقديم عروضها هناك ثم رجعت إلي مصر.

(٢٠٤) الزمان، عدد ٥٤٨، الأربعاء ٤/٢/١٨٨٥؛ القاهرة، عدد ٦٨١، الخميس ٢٢/٣/١٨٨٨، عدد ٦٨٦، الأربعاء ٢٨/٢/١٨٨٨، عدد ٦٩٠، الإثنين ٢/٤/١٨٨٨؛ القاهرة الحرة، عدد ٦٩١، الثلاثاء ٣/٤/١٨٨٨، عدد ٦٩٤، السبت ٧/٤/١٨٨٨، عدد ٦٩٧، الثلاثاء ١٠/٤/١٨٨٨.

(٢٠٥) كارنيج إستيبانيان، موجز تاريخ المسرح الأرمني الغربي، جزءان، يريفان ١٩٦٩، الجزء الثاني، ص ص ٢٠١-٢٠٣. (بالأرمنية)

(٢٠٦) نفسه، ص ص ٢٠٣-٢٠٤.

Jacob, Arthur, Dictionary of Music, Fifth Edition. London, (٢٠٧) 1991, p. 218, 280.

(٢٠٨) أحمد شمس الدين الحجاجي، النقد المسرحي في مصر ١٨٧٦-١٩٢٣، سلسلة كتابات نقدية، رقم ١٧، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ١٤-١٥.

(٢٠٩) نفسه، ص ١٤.

تاريخ الجالية الأرمنية - ٣٦٩

- (٢١٠) الزمان، عدد ٥٤٦، الإثنين ١٨٨٥/٢/٢.
- (٢١١) القاهرة، عدد ٦٨٤، الإثنين ١٨٨٨/٣/٢٦.
- (٢١٢) محافظ مجلس الوزراء، نظارة الأشغال، محفظة رقم ٢/١، مذكرة من نظارة الأشغال إلى مجلس النظار في ١٨٨٦/٦/١٧.
- (٢١٣) نفسه، مذكرة من نظارة الأشغال إلى مجلس النظار في ١٨٨٨/٤/١٩.
- (٢١٤) الإتحاد المصري، عدد ١١٣١، الخميس ١٨٩٢/٤/٧.
- (٢١٥) القاهرة، عدد ٦٨٢، السبت ١٨٨٨/٣/٢٤.
- (٢١٦) متحف الأدب والفن ببيروت، أرشيف سمباد كيسيجيان، محفظة رقم ١ تحت عنوان ذكريات من تاريخ المسرح الأرمني القريب، ص ٢٢٣.
- (٢١٧) القاهرة الحرة، عدد ٦٩٦، الإثنين ١٨٨٨/٤/٩؛ عدد ٧١١، الخميس ١٨٨٨/٤/٢٦.
- (٢١٨) القاهرة الحرة، عدد ٧٠٣، الثلاثاء ١٨٨٨/٤/١٧.
- (٢١٩) أرشيف سمباد كيسيجيان، المصدر السابق، ص ص ٢١٦-٢١٧. (بالأرمنية)
- (٢٢٠) الإتحاد المصري، الخميس ١٨٩١/٢/٢٦.
- (٢٢١) أريفليك (الشرقي)، عدد ٢٧٦٣، ١٨٩٣/٤/٢٠، ص ٣. (بالأرمنية)
- (٢٢٢) البريد، عدد ١٧١، الثلاثاء ١٨٩٧/٣/٣٠.
- (٢٢٣) عبد المعطي شعراوي، المسرح المصري المعاصر أصله وبداياته، سلسلة الألف كتاب الثاني، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ص ٥٧-٥٨.

- (٢٢٤) الهلال، عدد ٧، ١٢/١، ١٨٩٦، ص ٢٦٠.
- (٢٢٥) الزمان، عدد ٥٩٧، الثلاثاء ٢٨/٤، ١٨٨٥.
- (٢٢٦) أحمد شفيق، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧.
- (٢٢٧) التقطت أول صورة فوتوغرافية في مصر لـ «حاكم القاهرة» في ١٨٣٩/١١/٧. وكتبت عليها عبارة «هذا من عمل الشيطان».
- Zevi, Filippo, Photographers and Egypt in XIX Century, Firenze, 1984, pp. 13-14.
- (٢٢٨) Ibid., pp. 15-16.
- (٢٢٩) Ibid., pp. 18-19.
- (٢٣٠) الإتحاد المصري، الأحد ١٥/٦/١٨٩٠: ٢٦/٦/١٨٩٠.
- (٢٣١) الهلال، عدد ٤، ١٢/١، ١٨٩٢، ص ١٨٠.
- (٢٣٢) الأخبار، عدد ٢٠١، الإثنين ١٢/٤/١٨٩٧.
- (٢٣٣) تعداد الأرمن الكاثوليك في عام ١٨٩٧، خانتا المهنة ومحل الإقامة. (بالأرمنية)
- (٢٣٤) يرفأنت أودييان، المصدر السابق، ص ٤٧٦.
- (٢٣٥) سعد الخادم، تصويرنا الشعبي خلال العصور، سلسلة المكتبة الثقافية، رقم ٩٥، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٣، ص ص ١٢٣-١٢٤.



خاتمة

خاتمة

وهكذا، يتضح من دراستنا أن الجالية الأرمنية تُعد من أقدم الجاليات في مصر، ليس هذا فحسب، بل ومن أنشطها وأشهرها. وقد تكونت هذه الجالية نتيجةً لظروف أرمنية الطاردة جغرافياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً. وفي المقابل، عوامل الجذب التي تميزت بها مصر علي امتداد تاريخها. وقد اتضح جلياً تطور الجالية الأرمنية في مصر علي مدار القرن التاسع عشر، وظهرت منها صفوة مدنية ذات طموحات دفعتهم إلى منافسة الجاليات الأخرى في محاولة لإثبات جدارتهم بأية طرق. وكذا، غدت الجالية الأرمنية مضرب المثل في الثراء.

هذا، وقد حققت الجالية الأرمنية في مصر ازدهاراً يُضارع، بل يفوق أحياناً، مثيلاتها في الأستانة وأوروبا. ولكن، لم تكن الجالية الأرمنية كبيرة العدد، بل تُعد من أصغر الجاليات الموجودة في مصر. ورغم هذا، نفذت بعمق وتأثير إلي مجالات الاقتصاد والإدارة والسياسة وأسهمت في التحولات الجذرية التي طرأت عليها إبان القرن التاسع عشر. كما استفادت من ذات التحولات.

فاقتصادياً، أسهم الأرمن بكونهم جالية تجارية ويعملهم وكلاء تجاريين لمصر في عملية «تتجير الزراعة المصرية» ودمج الاقتصاد المصري بالسوق العالمي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. إذ تميز الأرمن بالكفاءة والخبرة المطلوبتين لتنفيذ المشروعات الاقتصادية مما ساعد محمد علي في استخدامهم «أدوات تنفيذية» لسياسته الاقتصادية. ولكن، لوحظ ضعف قوة رأس المال التجاري - الاعتمادي للأرمن تدريجياً خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بسبب إلغاء

نظام الاحتكار الذي كان بؤرة النشاط المالى والتجارى للأرمن متزامناً مع تغلغل رأس المال الأوربى بغزارة في السوق المصرى أثر الحرية الاقتصادية والامتيازات الأجنبية وانتشار البنوك وغير ذلك. وقد نتج عن هذا ضعف قوة رأسمال كبار التجار الأرمن الذين تحولوا اضطرارياً إلى مجرد سماسرة في خدمة التجارة الأوربية.

أما إدارياً وسياسياً، لم يكن اشتغال الأرمن في الخدمة المدنية المصرية نتيجة مباشرة لنفوذهم الاقتصادى رغم أن كثيراً ممن اشتغلوا بالإدارة المصرية كانوا من أبناء العائلات التجارية، ولكنهم قد انبثقوا نتيجة لعلاقات الجالية الحميمة بالحكومة المصرية. ويمكن وصف وظيفة الإداريين الأرمن بأنها «أداة» أعدتها الحكومة لتنفيذ سياساتها. وهنا، كان الموظفون الأرمن على وعى تام بأن الحكومة المصرية قد استقدمتهم لأداء مهمة بذاتها. لذا، كانوا يتسلحون جيداً بأدوات النجاح قبل مجيئهم حتى يثبتوا جدارتهم فينالوا ثقة الحكام ومكافأاتهم.

وفعلاً، نجح الأرمن كثيراً في إثبات جدارتهم ونيل ثقة الحكام مما أهّلهم للقيام بدور أكبر في الإدارة المصرية يتخطى دورهم مجرد «موظفين أكفاء» إلى «المشاركة السياسية». ويلاحظ أن الأرمن الذين عملوا في المجالات السياسية قد بدأوا حياتهم الوظيفية «مترجمين» خصوصيين للحكام، وهى الوظيفة التي نفذوا منها إلى «المناصب السياسية» خاصة تلك التي تتعلق بالشئون الخارجية. وبذا، أسهم الأرمن بمجهود كبير فى وضع أسس السياسة الخارجية المصرية باستئثارهم منصب المسئول الأول عن جهاز التجارة والخارجية خلال القرن التاسع عشر. وهنا، كان الأرمن «نافذة» مصر على أوروبا، بل

كانوا «أداة» من أدوات التقارب بينهما ناهيك عن كونهم شرقيين يُجيدون التعامل مع الدول الشرقية أيضاً.

وثمة حقيقة مؤداها أن الجالية الأرمنية هي الجالية غير الإسلامية الوحيدة التي وصل بعض أفرادها إلي أعلى المناصب الحكومية في مصر. ليس هذا فحسب ، بل شاركوا سياسياً في تشكيل مجرى بعض الأحداث المحلية والدولية، وحققوا شهرةً دوليةً خلال توليهم مناصبهم. ورغم هذا، لا يُمكننا وصف الأرمن بأنهم «سياسيون» لأنهم لم يركزوا علي تأييد شعبي أو دعامة بيروقراطية، بل ارتكزوا أساساً إلي رعاية الحكام أو القوى التي تُوازهم، ولم يحظ وجودهم بأية قابلية شعبية، فطالما كانت علاقتهم حميمة بالحكام أو القوي التي تُساندهم، تقدموا باطراد . وإذا تدهورت العلاقات تقهقروا عكسياً. هذا، ولم يعمل الأرمن لحساب دولتهم شأن الجاليات الأخرى في مصر. لذا، اجتهدوا في إثبات جدارتهم بانجاز المهام التي تُوكل إليهم بتفوق. ويؤكد هذا أنهم كانوا مجرد خبراء متعلمين ومتمرسين يُجيدون تنفيذ ما يُعهد إليهم، وأن الحكام قد انتقوهم ليكونوا أدواتهم في تنفيذ ما يصبون إليه.

بيد أن النجاح الذي حققه الأرمن في مصر قد أثار غيرة جميع العناصر الموجودة وحسدها وحقدتها. ومما هو جدير بالذكر هنا، أن نجاح الأرمن في مصر القرن التاسع عشر يعود بالأساس إلي ظروف مصر التي أتاحت فرص الاستثمار والارتقاء. وفي المقابل، توفرت صلاحيات لدن الأرمن أهلّتهم لاستثمار ظروف مصر علي نطاق واسع. ورغم هذا، لم ينخرط الأرمن في المجتمع المصري وظلوا متشبثين بهويتهم الأرمنية وعلى اتصال دائم بكل ما يربطهم بمواطنهم الأم.

وبعامة، أفاد الأرمن مصر بمجهوداتهم وخبراتهم، وفي المقابل، نالوا حياة كريمة ومناصب مرموقة وألقاباً تشريفية وثروات ضخمة استفاد بها الأرمن في مصر ومواطنهم الأم وسائر المهاجر الأرمنية.

وأخيراً، يلاحظ أن الأرمن في مصر حتي تسعينيات القرن التاسع عشر كانوا «مهاجرين» ، أما منذ التسعينيات فقد أصبحوا «مُهجّرين». هنا، اختلف نمط الأرمن تماماً، ومن ثم، تباينت سماتهم وطبائعهم وأهدافهم وأنوارهم مما يستدعي دراسة خاصة لهذا النمط الجديد من الأرمن في مصر. أليس كذلك؟



الملاحق

ملحق رقم «١»: وثائق تأسيس

المجلس الأعلى الأرمني

بالقاهرة.

ملحق رقم «٢»: معجم

ملحق رقم «٣»: الخرائط

والرسوم والأشكال.

ملحق رقم « ١ »

وثائق تأسيس المجلس الأعلى
الأرمني بالقاهرة

الجلسة التحضيرية الأولى لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى فى مصر

الأحد ٢ أبريل ١٨٦٤

اقتُرحت* فى صبيحة يوم الجمعة السابق على راعى الأرمن بمصر** ما كنتُ أهداف إليه. عَقَدَ راعى الأرمن اجتماعاً حضره الآباء ميسروب سوكياسيان - ممثل الأستانة لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى بمصر - وميكائيل وميناس فضلاً عن أعضاء لجنة إعداد الانتخابات المكونة من : شكيب أفندى نشانيان والمهندس هوشيب أفندى وهاراييد أغا كريكوريان وخاتشيك أغا ماسچى. أخبرتهم بهدف زيارتنا فشكرونا ووعدونا بأن يفعلوا كل ما فى وسعهم من أجل الشعب. ثم سألتُ راعى الأرمن عن كيفية تشكيل اللجنة التى ستُعاوننى فى إعداد الانتخابات. عندئذٍ علمتُ أنها قد تشكلت بطريقة غير رسمية. لذا، طلبتُ تدوين جلسات اللجنة حتى تأخذ الصفة الرسمية. وقد كان المقصود من هذا أولاً: تقديم ما يدور فى الجلسات إلى السلطات حتى تسمح لنا بعقد الاجتماعات والاستمرار فى عملنا. ثانياً: حتى لا نبعد عن الهدف الأساسى وهو الإعداد لتطبيق الدستور الملى. ثالثاً: ليعرف المُنتخبون حقوقهم وواجباتهم ويُشاركون بأصواتهم فى الانتخابات فى اليوم المحدد لها.



* الأب ميسروب سوكياسيان مبعوث بطريركية الأستانة لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى بمصر.
** كان راعى الأرمن فى مصر سنة ١٨٦٤ المطران كبريل المعشى ويساعده مجرديتش كيلسيزيان.

الجلسة التحضيرية الثانية لتنفيذ الدستور الملى الأرمنى بالقاهرة

الاثنين ٤ أبريل ١٨٦٤

اجتمع معظم أعضاء لجنة إعداد الانتخابات برئاسة راعى الأرمن
وإدارة الأب ميسروب سوكياسيان لتنفيذ الدستور الملى بالقاهرة وفقاً
لما ورد من المجلس التنفيذى الملى بالأستانة. نظروا بادئ ذى بدء إلى
جميع المحادثات والإجراءات التى تمت دون التصديق عليها ودون
تسجيل محاضر عنها علي أنها غير قانونية. لذا، تشكلت لجنة من وجهاء
الأرمن لإعداد أسماء المرشحين لتسهيل الأمور علي العوام . وقد تكونت
هذه اللجنة من: بوغوص أفندى جرابيديان وسركيس أغا داقيتيان
وماجوب بوغوصيان. ثم، تقرر جعل عدد أعضاء المجلس الملى تسعة
أفراد ينقسمون إلى رئيس المجلس ونائبه وثلاثة مديرين وممثلين عن
الكنيسة وممثلين عن العقارات والتركات. وأخيراً ، سجلنا هذه القرارات
في المحضر الذى أغلقناه في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً.

إمضاء :

نشان شكيب

ميكائيل خاتشابوريان



الاجتماع الاول

انعقدت لجنة إعداد الانتخابات برئاسة راعي الأرمن وبمساعدة الأب ميسروب في الكنيسة لأن اللجنة قد تلقت خطاباً من السلطات الحكومية تُبلغهم فيه بأنها ستُتابع عملية الانتخابات. لذلك، اجتمعنا وبدأنا إعداد الأسماء المرشحة. وبعد فحص أسماء الناخبين وتطبيق المادة «٦٧» من الدستور الملى الأرمني عليها، اتضح صلاحية «٢٤٦» اسم، وبعد استبعاد «٢٣» اسماً غير موجودين بالبلاد أو متوفين أصبح العدد «٢٢٣» لهم حق الانتخاب. وبما أن عدد أعضاء المجلس المراد تشكيله يتكون من تسعة أفراد يتم اختيارهم من سبعة وعشرين عضواً، فقد تقرر تسجيل هذه الأسماء في قوائم وتعليقها بفناء الكنيسة والتنبيه بأنه ليس في استطاعة أى ناخب انتخاب اسم خارج القوائم. وعندما أدركت اللجنة أن بعض الأرمن يقطنون بعيداً عن موقع الانتخابات وربما لا يُخبرهم أحد بما تم، فقد قررت اللجنة إرسال خطابات لجميع الناخبين. وأيضاً، إرسال خطاب إلي السلطات الحكومية. وبذا، انتهى الاجتماع في تمام الساعة السادسة والنصف مساءً.



نص الخطاب الذي أرسلته مطرانانية الأرمن إلى الناخبين

يسر لجنة إعداد الانتخابات أن تُخبركم أنه قد تحدد يوم الأحد الموافق ١٢ أبريل ١٨٦٤ لإجراء انتخابات المجلس الملى الأرمني بالقاهرة في حضور الأب ميسروب ممثل الأستانة. لذا، يُرجى من سيادتكم

الحضور وإعطاء صوتكم وليس للغانبيين حق الاحتجاج تبعاً للمادة « ٧٤ »
من الدستور الملى.

تحريراً في يوم الخميس ٧ أبريل ١٨٦٤ .

إمضاء :

الأب ميسروب خاتشابوريان

يوغوص جرابيديان

سر كيس دافيتيان



الاجتماع الثاني

الأحد ١٢ أبريل

اجتمع الأعضاء في حضور المرشحين جميعاً وراعى الأرمن والأب ميسروب. أعلن الأب ميسروب لجموع الحاضرين بأن كل شخص بلغ خمسة وعشرين عاماً لديه حق الانتخاب وترشيح من يشاء. بدأت الانتخابات في تمام الساعة الرابعة والنصف مساءً بتسليم كل ناخب بطاقة انتخابية، وقد ظلت الانتخابات حتى الساعة التاسعة.

ثم فتحت اللجنة صندوق الانتخابات لفرز ما به من بطاقات. بلغ عدد البطاقات الموجودة بالصندوق « ١٢٢ » بطاقة.

أحرز سبعة أعضاء فوزاً كبيراً في حين حقق المرشحون الآخرون

نجاحاً متواضعاً . وها هو ترتيب الناجحين وفقاً لأعلي الأصوات .

١- كريكور أفندي يغيايان (١٠٩ صوت).

٢- آزاريا أغا بدروسيان (١٠٣ صوت).

٣- شكيب أفندي نشانيان (٩٢ صوتاً).

٤- كيغورك بك رابانيليان (٧٨ صوتاً).

٥- بوغوص أفندي جرابيديان (٧٢ صوتاً).

٦- موغسيس أفندي هاجوبيان (٧٢ صوتاً).

٧- هوقانيس أفندي بغداساريان (٧٢ صوتاً).

٨- موغسيس أغا أليچيان (٦٣ صوتاً).

٩- خاتشير أفندي ميكائيليان (٦٢ صوتاً).

طالب الشعب الأرمني راعيه بأن يُبلِّغ المرشحين كتابياً ويدعوهم لتقلد مهامهم واعتماد النتيجة. إلي هنا تم غلق المحضر.



نص خطاب دعوة المرشحين الناجحين لتقلد مهامهم

تمت الانتخابات بعاصمتنا أمس الأحد ١٢ أبريل لترشيح المجلس
الملي علي أساس الدستور الملي الصادر بالأستانة. وبما أن سيادتكم من

الناجين فنهنيكم وندعوكم للحضور غداً في تمام الساعة الثانية ظهراً
لتشكيل المجلس. ولكم وافر التحية.



بياض مطرانية الأرمن الأرثوذكس

نُخبِر أفراد الشعب المؤمن بأنه قد تم انتخاب أعضاء للقيام بإدارة
شئون الجالية بعد ترشيحهم علي أساس الدستور الملي الصادر من
الأستانة. وقد تمت الانتخابات يوم الأحد ١٢ أبريل وتم انتخاب تسعة
أعضاء بالأغلبية.

إن الأعمال التي سيقوم بها المجلس الملي ستكون وفقاً للمادة «٥٣»
من الدستور كما يلي: الحفاظ على الكنيسة وتشكيل لجان لرعاية شئون
المدرسة ورعاية شئون الفقراء والبث في المنازعات والحفاظ على الأمن
العام. وأيضاً، الحفاظ علي عقارات الكنيسة والمدرسة إن وُجِدَتْ، وسوف
تُخصص ميزانيات للمدرسة والشئون الاجتماعية. وفي حالة حدوث عجز
لتمويل هذه الخدمات من عقارات الكنيسة والمدرسة ومن التركات سيقرر
المجلس رسوماً خاصة علي الجالية وفقاً لما جاء في المادة «٩١» من
الدستور الملي. وسوف يُؤسس صندوقاً لتجميع الرسوم المقررة علي
الأشخاص وعوائد الكنيسة وعوائد المدرسة، وأيضاً لجمع أموال
التركات والتبرعات، وسوف تُخصص من هذا الصندوق متطلبات
الكنيسة والمدرسة والشئون الاجتماعية وفقاً لما جاء بالمادة «٥٣» من
الدستور الملي، وسوف يتولي المجلس الملي الإشراف الإداري علي هذا

الصندوق. وسوف يُخصص للمجلس الملى حجرة تكون بمثابة ديوان يُسجل به أسماء الأرمن القاطنين بالقاهرة بطريقة منظمة فضلاً عن تسجيل حالات الزواج والوفاة والمواليد وفقاً لما ورد بالمادة «٥٣» من الدستور الملى. ولما كان المجلس الملى تتولاه اللجنة التشريعية فإنه دائماً سيكون تحت إمرة اللجنة التنفيذية ويمدها بالبيانات المطلوبة. وعندما تحدث مشاكل بين الأرمن فعليهم التوجه إلى المجلس الملى الذى سوف يرفع الأمر إلى اللجنة التشريعية.

وبهذه العريضة نُبارككم ونرجو أن تُنفذوا هذه المهمة المنوطة بكم علي أكمل وجه.

تحريراً في يوم الأربعاء ١٣ أبريل ١٨٦٤.

مطرانىة الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.

إمضاء :

نشان شكيب

الأب ميكائيل خاتشادوريان

سرركيس دافيتيان

الجلسة الأولى للمجلس الملى الأرمنى بالقاهرة

الثلاثاء ١٤ أبريل ١٨٦٤

أبلغنا بالأمس راعى الأرمن في خطاب باننا قد رُشحنا لتكون ضمن المجلس الملى ودعانا لحضور الجلسة الأولى المنعقدة اليوم لتحديد

الاختصاصات. انعقدت الجلسة الأولى في حضور معظم الأعضاء عدا موقسيس أغا الأليچيان وهوقانيس أفندي بغداساريان لانشغالهما الشديد وقد بعثا باستقالتهما. وبحضورنا اليوم نحن السبعة أعضاء سألنا راعي الأرمن عن سبب اجتماعنا. أخبرنا راعي الأرمن بأنه قد دعانا لتوزيع الاختصاصات بعد أن هنأنا لاختيارنا من قبل الشعب الذي منحنا ثقته الكاملة لتتولي إدارة أمور الجالية بإخلاص ووفقاً للدستور الملى. وقد تم اختيار السيد أزاريا أغا بدروسيان رئيساً للمجلس بأربعة أصوات ، واختيار هوقانيس أفندي بغداساريان سكرتيراً بثلاثة أصوات، واختيار بوغوص أفندي جرابيديان وموقسيس أغا أميني الصندوق. وتم احضار بطاقات الانتخابات وقائمة أسماء المُتَخَبِّين ومنها تم اختيار شخصين آخرين بدلاً من المستقلين علي أساس أغلبية الأصوات. فاختير بدروس أفندي زكى الذى أحرز «٥٣» صوتاً وشافارش البياريان أغا الذى أحرز «٥٣» صوتاً وتم تعيين شافارش أغا سكرتيراً بدلاً من هوقانيس أفندي الذى كان قد سلّم استقالته وذلك بالموافقة المطلقة. وقد سلّمنا قائمة الناخبين والمُتَخَبِّين لراعى الأرمن الذى طالبناه بتجهيز السجلات وكل ما يلزم حتى يوم الجمعة حيث قررنا عقد اجتماعتنا كل يوم جمعة. وبهذا، أغلق المحضر في تمام الساعة السابعة مساءً.



المصدر

أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة، دفاتر المجلس الملى،
رقم «١» ص ص ٦-٧. (بالأرمنية)

ملحق رقم « ٢ »

المعجم

١ - إبادة. Genocide

هى محاولة محو أو إفناء طائفة أو شعب قومى أو سلالى أو عرقى أو دينى أو سياسى.

٢ - أبعادية. Plantation

يُعرفُ الجغرافيون الاقتصاديون «الأبعادية» بأنها سِرعة ذات مساحة كبيرة نسبياً تُستغل عادةً لإنتاج محاصيل نقدية علي نطاقٍ واسع. وهى في أغلب الأحوال من بقايا نظم الإقطاع أو بدع الاستعمار. أما الأبعادية التي ورد ذكرها داخل الدراسة فقد عرفُها المتخصصون بأنها «الأراضى القابلة للزراعة التي شملها المسح الشامل الذي أجراه محمد علي فى عامى ١٨١٣-١٨١٤ ولم تُفرض عليها ضرائب». وتتكون أساساً من أراضى الشراقى والبور. وكانت تُمنح أحياناً بشرط عدم تأجيرها وأحياناً أخرى بغير شروط. لكن كانت جميعها تُمنح «رزقة بلا مال»... أي معفاة من الضرائب.

٣ - احتكار. Monopoly

يُعرف الاقتصاديون الاحتكار بأنه رأس المال الذى يركز بين يديه أكبر قدر من وسائل الإنتاج ويضع تحت تصرفه أكبر قدر من المال بهدف تحقيق أكبر قدر ممكن من

الأرباح. وينشأ الاحتكار عادةً من محاولة الرأسمالي توسيع دائرة نشاطه بحيث يُسيطر علي أكبر قدر ممكن من السلع الانتاجية أو السلع الاستهلاكية. سواء تم ذلك علي حساب القضاء علي رأسماليين آخرين أصغر منه وأضعف أو علي حساب زيادة استغلال العمال أو عن طريق نهب موارد الأمة وإفساد الحكم. والعنصر الأساسي في تكوين الاحتكار هو وجود الخمول القادر علي تقديم المال اللازم لتحقيق التركيز في السلع في أيدي عدد أقل من الرأسماليين. وقد كان «نظام الاحتكار» بؤرة سياسة محمد علي الاقتصادية حيث أصبح المالك الوحيد لأراضي مصر، والتاجر الوحيد لحاصلاتها، ثم الصانع الوحيد بمصر.

٤ - أردب .

كلمة مصرية قديمة. وقد كان «أردب الغلال» هو وحدة المكايل في مصر قبل حكم محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٩) الذي حدد الأردب بـ «٦» وبيبة و «٤٨» ملوة و «٢٨٤» رُبعة و «٧٦٨» ثُمَنة. ثم بدّل محمد علي المكايل إلي موازين واتبع في هذا النظام المنوي الفرنسي حيث أصبح أردب القمح يزن «٣٠٠» رطل وأردب الفول يزن «٣٢٠» رطل وأردب الشعير يزن «٣٤٠» رطل وأردب العدس يزن «٣٢٠» رطل.

٥- أسطى . Usta

«أُستَا» في اللغة الفارسية مشتقة من الكلمة الفارسية المعربة «أستاذ»، وفي التركية «أوستة». والأسطى، هو الصانع الذي وقف علي الصناعة ومهر فيها أو أُجيز ليعمل مستقلاً . وتُجمع علي «أسطوات».

٦- أغا . Agha

يرى البعض أنها كلمة فارسية الأصل تعني «السيد» وتُنطق آقا. ويرى آخرون أنها تركية من المصدر «أغمق» وتعني «الكبر وتقدم السن». وتُطلق في التركية علي الرئيس والقائد وشيخ القبيلة وعلي الخادم الخصى الذي يؤذن له بدخول غرف النساء.

٧- إفادة .

الخطابات الصادرة من المكاتب الإدارية إلي ديوان الحاكم.

٨- أفندي . Effendi

كلمة يونانية الأصل تعني «السفاح» ، «القاتل» ، «الجلاد» ، «الظالم». دخلت اللغة التركية وأصبحت تعني «المولى».

«السيد»، «القارئ». وقد استعملها العثمانيون لقباً للرجل الذي يقرأ ويكتب ولقباً لبعض كبار الموظفين. أُلغى هذا اللقب في تركيا في ٢٦ نوفمبر ١٩٣٤. وبُطِّل استعماله في مصر بعد عام ١٩٥٢.

٩- التزام.

امتياز علي أراضى الدولة وعقاراتها المختلفة تمنحه الحكومة لشخص يتعهد بجباية الضرائب نيابة عن الحكومة.

١٠- أميرا. Amira

من الكلمة العربية «أمير». وأميرا، لقب عثماني منحه السلاطين للأرمن الأثرياء الذين تعاونوا معهم منذ منتصف القرن الثامن عشر. وقد كان يُطلق عليهم قبل ذلك «خوجه» و«شلبى».

١١- باب عالى. High Port

رمز إلي مقر الوزارة في عهد الدولة العثمانية. وهو مقر الوزارة العثمانية ويرمز إليها بالباب العالى ويتصدرها الصدر الأعظم. ويُقال أن للباب العالى أصلاً في تاريخ مصر القديمة. وكان الأصل في كلمة «برعا» أى البيت الكبير ثم تحولت إلي سيد البيت وهو «الفرعون».

١٢ - باش . Bachi

= باشى . كلمة تركية تعنى «رئيس» أو «كبير».

١٣ - باشا . Pasha

من الألقاب المدنية . وهو لفظ فارسي من «پا» أى «قدم» و«شاه» أى «ملك» ثم أصبح له معنى إصطلاحي خاص هو «الرأس» أو «الرئيس» . ويُطلق هذا اللقب فى مصر علي رجال الجيش إذا صاروا ألوية، وعلي أعيان المدنيين ووكلاء النظارات والوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار وملوك الأراضى . وقد أُلغى هذا اللقب في مصر سنة ١٩٥٢ .

١٤ - بصمخانة .

«بصم» من التركية «باصمق» أى أن يطأ برجله، أن يضغط ، أن يطبع . «خانة» كلمة فارسية تعني «دار» . وتُطلق علي مكان تصنيع الصبغة .

١٥ - بك . Bey

كلمة تركية تعنى «كبير» ، «ثرى» . وهو لقب مدنى أُلغى في مصر سنة ١٩٥٢ .

١٦ - تقسيط.

= سند أو حجة. وتعني التمكين أو التذكرة التي تُعطى لشخص لتمكينه من شيء.

١٧ - جاثليق. Catholicos

«جاثليق كل الأرمن» هو لقب البطريرك الأعلى لجميع الأرمن، ورئيس الكنيسة الأرمنية الرسولية، وخليفة القديس كريكور المضي - مؤسس المسيحية في أرمينية. تعاقب «١٦١» جاثليق منذ كريكور المضي حتى قاسكين الأول (١٩٥٥-١٩٩٤). ويُعادل جاثليق الأرمن بابا روما. ويقوم الجاثليق في حالات كثيرة بدور السلطة فيما يتعلق بالشعب الأرمني.

١٨ - جزية.

الضريبة المفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود.

١٩ - حجة. Deed

الورقة التي تحوى حكماً شرعياً أو تُثبت اتفاقاً بين رجال الإدارة يتم علي يد القاضى وتُعرف بـ «الحجة الشرعية».

٢٠- حرملك .

أى مكان «الحرم» أو النساء. ويُطلق الحرملك علي الجناح المخصص للسيدات في القصر.

٢١- خازندار.

أمين الخزانة . الموظف المختص بحفظ خزينة مصر: أى مالياتها وهو من أهم أتباع الحاكم.

٢٢- خديو . Khedive

كلمة فارسية تعنى «السيد» . لقب منحه السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦) لإسماعيل باشا والي مصر سنة ١٨٦٧ وذلك تمييزاً له عن بقية الولاة في السلطنة العثمانية واعترافاً منه ببعض الامتيازات والحقوق التي كان محمد علي قد انتزعها بقوة السلاح خلال حروبه الطويلة مع الجيش العثماني التي كادت أن تنتهى لصالحه لولا التدخل الأوربي العسكري المباشر. وقد أُطلق هذا اللقب أيضاً علي توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) وعباس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤). وفي سنة ١٩١٤ استُبدل هذا اللقب بـ «سلطان» ثم استُبدل هذا اللقب بـ «ملك» حتى سنة ١٩٥٢ حيث قضت ثورة يولية علي الملكية في مصر.

٢٣- خواجه .

كلمة فارسية الأصل تعنى «السيد» و«رب البيت» و«التاجر الثرى» و«الحاكم» و«الخصى».

٢٤- دو مين . Domain

كلمة إنجليزية تعنى الملكية التامة للأرض. وفي مصر كان الدومين هو أراضى الخديو إسماعيل (١٨٦٢-١٨٧٩). ففى عام ١٨٧٨ ونتيجةً للإرتياك المالى الذى أصاب البلاد تنازل إسماعيل عن أملاك أسرته وقدرها «٧٢٩ ٤٢٥» فدان للحكومة علي أن تقوم الأخيرة بعمل قرض لضمان هذه الأليان لسداد الديون السائرة . وتشكل لإدارة أراضى الدومين قومسيون من مصرى وإنجليزى وفرنسى لتحصيل إيرادات الأراضى المذكورة لسداد الأقساط . وهكذا، تشكلت مصلحة الأراضى الاميرية لتدير «أراضى الدومين».

٢٥- ذوات.

أرستقراطية، جمع «ذات» العربية. وتُطلق علي الأعيان والسُراة.

٢٦- روزنامه .

في الفارسية «روز» تعنى يوم و«نامه» أى الكتاب (كتاب

اليوم): أي دفتر اليومية. وديوان الروزنامة في مصر: ديوان مالي يجبى الضرائب، ويتولى الإنفاق علي بعض جهات البر كتشغيل الكسوة الشريفة، ونفقات قلاع الحجاز، ومرتبات مجاوري الحرمين الشريفين، وبعض أعيان الأستانة، وطلبة الأزهر، والعقلاء، والقضاة.

٢٧- قارتابيد . Vartabed

يُطلق لقب قارتابيد علي الراهب الذي يرتقى إلي مرتبة علماء اللاهوت. ويُمنح للراهب عقب اجتيازه امتحاناً خاصاً في العلوم الدينية. وكان القارتابيد يقوم بالتبشير والوعظ وشرح الكتاب المقدس وتفسيره ناهيك عن قيامه بالتدريس في المدارس اللاهوتية التي يتم إنشاؤها في بعض الأبرشيات. وقد اهتم الرهبان عامةً والقارتابيد خاصةً بالأدب الأرمني الوسيط.

٢٨- فدان.

مقياس مسطح كان يختلف من حيث المقدر قبل المسح الذي أجراه محمد علي في عام ١٨١٣-١٨١٤. ثم تحدد خلال حكم محمد علي بـ «٥١/٣. ٤٤١٦» متر مربع. الآن يُعادل «٨. ٤٢٠٠» متر مربع.

٢٩- فرمان.

أمر من السلطان العثماني. مرسوم، مرسوم ملكي.

٣٠- كتخدا (كخيا)

بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء في التركية، كتخدا من الفارسية «كدخدا». والكلمة الفارسية من كلمتين «كدا» بمعنى «البيت» و«خدا» بمعنى «الرب والصاحب». فالتخدا هو في الأصل «رب البيت». ويُطلقها الفرس علي السيد الموقر وعلي الملك. ويُطلقها الأتراك علي الموظف المسنول والوكيل المعتمد.

٣١- كيس.

حافضة نقود. كل خمسمائة قرش تُسمى «كيس». كل ألف كيس تُسمى «خزنة».

٣٢- معية.

يُقصد بها حاشية السلطان أو الحاكم وما تضم من رجال البلاط. وهي مشتقة من حرف «مع» العربية بمعنى «المصاحبة». وكان رجال بلاط الوالي وحاشيته يُسمون «رجال المعية» أو «المعية السنية» علي غرار التسمية المتداولة في بلاط الخلافة العثمانية.

٣٣- ملتزم.

الذى يتعهد بتحصيل الأموال الأميرية المقررة علي أرض
أو جمرک ويُورد للخرينة الضريبة المقررة كخراج ويحتفظ
بالباقى له.

٣٤- همايون.

كلمة فارسية الأصل تعنى عزيز، جليل ، قوى، مسعود،
مبارک، سامى. كانت تُستخدم في كل أمر يتعلق
بالسلطان فيذكر «خط همايون» أي فرمان صادر من
السلطان، و«سرای همايون» أي سراى السلطان.

٣٥- وقف. Endowment

تحويل أرض أو مصادر أخرى للثروة للإنفاق منها علي
مشروعات خيرية ودينية واجتماعية أو نقلها لأفراد
العائلة.



مصادر المعجم :

- (١) أحمد أحمد الحنة، تاريخ مصر الاقصادى فى القرن التاسع عشر، مطبعة المصرى، الإسكندرية، ١٩٦٧
- (٢) أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩.
- (٣) أحمد سويلم العمرى، معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥.
- (٤) عبد الوهاب الكيالى وكامل زهيرى (إشراف)، الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤.
- (٥) عبد السميع سالم الهراوى، لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٢.
- (٦) نجيب فرنجيه، الموسوعة العربية ، دار ریحانى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥.
- (٧) يوسف تونى، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤.

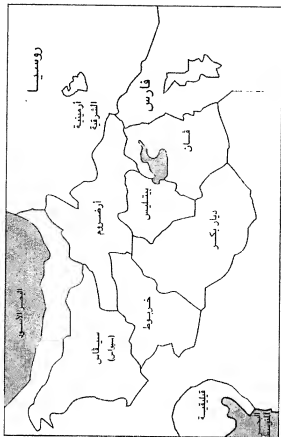
ملاحظة:

استفاد المعجم أيضاً من العديد من المصادر الأخرى التي استُخدمت بالدراسة.

ملحق رقم « ٣ »

الخرائط والأشكال والصور

أرمينية العثمانية
خريطة رقم (٢)



الأبجدية الأرمنية

المرف الأرمني	النطق بحروف عربية	النطق بحروف لاتينية	المرف الأرمني	النطق بحروف عربية	النطق بحروف لاتينية
Ա	أيب	Ayp	Մ	مين	Men
Բ	بين	Pen	Յ	هي	Hi
Գ	كيم	Kim	Ն	نو	Nou
Դ	تا	Ta	Շ	شا	Cha
Ե	يتش	Yetch	Ո	فو	Vo
Զ	زا	Za	Չ	تشا	Tcha
Է	إي	E	Պ	ب	Bé
Ը	إط	Et	Ջ	تشي	Tché
Թ	تو	To	Ռ	را	Ra
Ժ	چي	Ge	Ս	سي	Cé
Ի	ايني	Ini	Վ	فيث	Véve
Լ	ليون	Lyoun	Տ	ديون	Dyone
Խ	خي	Khe	Ր	ري	Ré
Ս	دزا	Dza	Տ	تسو	Tso
Կ	جين	Guène	Ի	هيون	Hioun
Հ	هو	Ho	Փ	بيور	Piour
Ջ	تسا	Tsa	Ք	كي	Ké
Ղ	غاد	Ghad	Օ	او	O
Ճ	دجي	Djè	Ֆ	ف	Fé

Արմենիայի Հանրապետություն

جمعة امام علي

شكل رقم ١

هيكل الجالية الأرمنية في مصر



شكل رقم ٢



نوبار باشا نوباريان

(١٨٢٥ - ١٨٩٩)

أول رئيس نظار في مصر

نظارته الأولى (١٨٧٨-١٨٧٩)

نظارته الثانية (١٨٨٤-١٨٨٨)

نظارته الثالثة (١٨٩٤-١٨٩٥)



بوغوص بك يوسفیان

(١٨٤٤ - ١٧٦٩)

مؤسس الجالية الأرمنية بمصر

ناظر التجارة والأمور الإفرنجية

(١٨٤٤-١٨٢٦) .



آرتين بك تشيراكيان
(١٨٥٩ - ١٨٠٠)
مدير التجارة والأمور الخارجية
(١٨٥٠ - ١٨٤٤)



إسطفان بك دميرچيان رسمى الأرمني

(١٨٦٠-١٨٠٤)

وكيل إدارة الأمور الأجنبية المصرية

(١٨٥٣ - ١٨٥٠)

مأمور ديوان الأمور الخارجية

(١٨٥٧-١٨٥٤)



أراكيل بك نوباريان

(١٨٥٨ - ١٨٢٦)

مدير الخرطوم وسنار

(١٨٥٨ - ١٨٥٧)



يعقوب باشا أرتين

(١٨٤٢ - ١٩١٩)

وكيل نظارة المعارف العمومية

(١٨٨٤ - ١٩٠٦)



ديكران باشا أبرويان

(١٨٤٦-١٩٠٤)

ناظر الخارجية المصرية

(١٨٩١-١٨٩٤)

المصادر

أولاً: وثائق غير منشورة

(أ) دار الوثائق القومية بالقاهرة

☆ تراجم ملخصات دفاتر تركي

- محافظت تحت أرقام ١، ٢، ٩.

☆ سجلات تعداد النفوس

- محافظة مصر: قسم عابدين، ل١/٨٤/١ (١٦٠):

ل٢/٨٤/١ (١٦١): ل٣/٨٤/١ (١٦٢).

- محافظة مصر : ل٤٠/٨٤/١، سجل إجمالي تعداد

النفوس بأثمان المحروسة في عام ١٢٦٤ هجرية.

- محافظة مصر: سجل رقم ٢٨٠، إجمالي السجلات في

عام ١٢٨٥ هجرية.

☆ سجلات تقاسيط الأبعاد العشورية

- سجل رقم ١٢٢٨، ج٥.

- سجل رقم ١٢٣٠، ج٧.

- سجل رقم ١٢٣٢، ج١٠.

- سجل رقم ١٢٣٥، ج١٢.

- سجل رقم ١٢٣٧، ج١٣.

- سجل رقم ١٢٣٨، ج١٤.

- سجل رقم ١٢٣٩، ج١٥.

- سجل رقم ۱۲۴۱، ج ۱۷.
- سجل رقم ۱۲۴۲، ج ۱۸.
- سجل رقم ۱۲۴۳، ج ۱۹.
- سجل رقم ۱۲۴۵، ج ۲۱.
- سجل رقم ۱۲۴۹، ج ۲۵.
- سجل رقم ۱۲۵۳، ج ۲۹.
- سجل رقم ۱۲۶۴، ج ۴۰.
- سجل رقم ۱۲۷۲، ج ۴۸.
- سجل رقم ۱۲۷۳، ج ۴۹.
- سجل رقم ۱۲۷۴، ج ۵۰.
- سجل رقم ۱۲۸۰، ج ۵۶.
- سجل رقم ۱۲۸۳، ج ۵۹.
- سجل رقم ۱۲۸۵، ج ۶۱.
- سجل رقم ۱۲۸۹، ج ۶۵.
- سجل رقم ۱۲۹۴، ج ۷۰.
- سجل رقم ۱۲۹۷، ج ۷۳.

☆ سجلات دیوان خدیو ترکی

- س ۱/۴۲/۲ (۷۲۸).
- س ۲/۳۰/۲ (۷۳۲).
- س ۴/۳۰/۲ (۷۳۳).
- س ۷/۳۰/۲ (۷۳۹).
- س ۵/۴۰/۲ (۷۴۵).
- س ۸/۴۰/۲ (۷۵۰).
- س ۲/۴۹/۲ (۷۵۶).
- س ۱۲/۴۰/۲ (۷۶۰).
- س ۱۵/۴۰/۲ (۷۶۳).
- س ۱۴/۴۰/۲ (۷۶۶).
- س ۱۷/۴۰/۲ (۷۷۰).
- س ۵/۲۸/۲ (۷۷۴).
- س ۶/۴۹/۲ (۷۷۹).
- س ۲۴/۴۰/۲ (۷۸۴).
- س ۲۶/۴۰/۲ (۷۸۵).
- س ۱/۵۶/۲ (۸۰۶).

☆ سجلات ديوان الجمعية تركي.

- س ١/٤٧/ (٣).
- س ٢/٤٧/ (٥).
- س ٣/٤٧/ (٦).
- س ٤/٤٧/ (٩).
- س ٥/٤٧/ (١١).
- س ٤/٥٠/ (١٤).
- س ٧/٤٧/ (١٧).
- س ٥/٥٠/ (١٨).
- س ٧/٥٠/ (٢١).
- س ١/٥٧/ (٣٦).
- س ١٥/٤٧/ (٣٨).
- س ٢/٥٣/ (٣٩).
- س ٩/٥٠/ (٤٠).
- س ٢/٥٨/ (٤٤).
- س ١/٥٥/ (٤٩).
- س ٢/٥١/ (٥٤).
- س ٢/٥٧/ (٥٨).

- س^۱/۶۰/۲ (۵۹).

- س^۱/۷۹/۱ (۶۲).

- س^۱/۶۲/۱ (۶۸).

- س^۱/۵۴/۲ (۷۷).

- س^۱/۵۵/۵ (۸۶).

- س^۱/۵۵/۲۴ (۵۳۳).

- س^۱/۵۵/۲۳ (۵۳۹).

☆ سجلات ديوان المعية عربى

- س^۱/۵/۱ (۳).

- س^۱/۸/۸ (۴۴).

- س^۱/۸/۱۲ (۵۸).

- س^۱/۲/۲ (۵۸ ج ۲).

- س^۱/۲/۵ (۶۳).

- س^۱/۲/۸ (۷۷).

- س^۱/۱/۲۲ (۷۸).

- س^۱/۲/۵۹ (۸۱ ج ۵).

- س^۱/۸/۲۳ (۸۶ ج ۱).

- س^۱/۲/۱۳ (۹۸).

★ الحقانية

- محفظتا تحت رقمي ١/١/١، ٢/٧/١.

★ الخارجية

- محفظة رقم ٢.

★ الداخلية

- محفظتا تحت رقمي ١/٣/١، ٢/٢/١.

★ السكة الحديد

- محفظة رقم ٢/٢/١.

★ الطوائف والجاليات الأجنبية

- محفظة رقم ١/١.

★ مجلس النظار

- محفظة رقم ١/٢.

★ المالية

- محفظتا تحت رقمي ١/١/١، ١/٥/١.

★ المعارف

- محفظة رقم ١٨.

★ محافظ الجمعية تركي

- محفظة رقم ٥٠.

(ب) دار المحفوظات العمومية بالقاهرة

★ ملفات الموظفين

الاسم	رقم الملف	محفظة	عين	دولاب
- أراكسـيل بك.	٥٧٤٢	٢٣٧	١	١١
- آرام بك پاپازيان.	٢٥١٣٢	١٠٥٩	١	٥٢
- أرتين بك رايـزيان	٢٤٩١٣	١٠٤٠	١	٥١
- ارداشيس كونـچيان.	١٧٩٦٦	٦٨٨	٣	٢٣
- أنولف كـوريريـان.	١٨٣١٨	٦١٤	٤	٢٩
- أسابور بك شيردچيان.	٢٢٢٦٧	٨٤٧	٣	٤١
- إسطفـان بك.	١٧٥٧	١٢٣	١	٦
- إسكندر بك بوزارى.	١٠٦٠٨	٢٦٧	٣	١٧
- آفيسديك كونـچيان.	١٥٦٠٩	٥٢٠	١	٢٥
- الكسان أفندي جرابيد.	٢٢٥٦٠	٨٦٥	٢	٤٢
- الكسان جرابيد.	٢٠٩٠٧	٧٥٢	٤	٣٦
- أنضون جرابيد.	١٩٢٨٩	٦٦٢	٢	٢٢
- أنضون ونيس شويانيان.	٢٢٠٩٢	٨٣٥	٤	٤٠
- أنتيموس كولهلپيان.	٢٤٤١١	١٠٠٥	٢	٤٩
- بوغوص أفندي نشان.	١٧٨٨٥	٥٩٨	١	٢٩
- تاكفور أفندي چورچ.	١٤٢٣١	٤٧٦	٤	٢٢
- تاكفور أفندي مليك	١٤١٥١	٤٧٤	٤	٢٢

۱۹	۲	۸۰۴	۲۱۶۶۷	- دیکران أفندی آیبیان.
۲۹	۴	۶۱۲	۱۸۲۶۶	- دیکران باشا
۴۶	۴	۹۵۵	۲۳۷۸۹	- جرابید بك شیردچیان.
۴۴	۴	۹۱۴	۲۳۲۲۳	- سرکیس أفندی کریکوریان.
۲۹	۱	۶۰۱	۱۷۹۸۰	- کبیرل شربوسیان.
۴۷	۴	۹۷۵	۲۴۰۶۰	- کریکور جواهرجیان.
۵۱	۲	۱۰۴۳	۲۴۹۵۰	- نویار أنیس.
۱۴	۳	۳۰۸	۸۳۴۱	- نویار باشا
۶۰	۴	۱۲۳۳	۲۷۱۲۷	- هوفانیس هاجوبیان.
۴۴	۱	۸۹۹	۲۳۰۴۹	- یعقوب آرتین.
۶۱	۳	۱۲۵۰	۲۷۳۳۸	- یعقوب أفندی جرابید.
۳۱	۱	۶۳۹	۱۸۸۵۱	- یعقوب آغا تشارکیان.
۵	۳	۶۱۰	۹۰۹	- یوسف بك حکیکیان.
۵۰	۳	۱۰۳۱	۲۴۷۹۹	- یوسف بك عزیز.
۴۶	۴	۹۵۲	۲۳۷۳۷	- یوسف بك مانوچ.

(ج) أرشيف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة

★ سجلات المجلس العلمى الأرمنى بالإسكندرية. (بالأرمنية)

- جلسة فى ٢٩/١٢/١٨٨٨.

- جلسة فى ٥ / ٨ / ١٨٩٢.

★ جلسات المجلس العلمى الأرمنى بالقاهرة. (بالأرمنية)

- الجلسة التحضيرية الأولى فى ٣/٤/١٨٦٤.

- الجلسة التحضيرية الثانية فى ١٢/٤/١٨٦٤.

- جلسة رقم ٤ فى ٧/٥/١٩٦٤.

- جلسة رقم ٢٧ فى ٦ / ١١ / ١٨٦٤.

- جلسة رقم ٢٤ فى ٢٢/١/١٨٦٥.

- جلسة رقم ٢٤ فى ١٨/١١/١٨٦٦.

- جلسة رقم ٢٦ فى ٩/١٢/١٨٦٦.

- جلسة رقم ٢٨ فى ٣٠/١٢/١٨٦٦.

- جلسة رقم ٧٠ فى ٢٨/٦/١٨٦٨.

- جلسة رقم ١٠٠ فى ١٤/١١/١٨٧١.

- جلسة رقم ٤ فى ٧/٤/١٨٧٢.

- جلسة رقم ٩ فى ١١/٨/١٨٧٢.

☆ سجلات المواليد والزواج والوفيات. (بالأرمنية)

(د) أرشيف مطرانية الأرمن الكاثوليك بالقاهرة

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى خلال عام ١٨٨٥. (بالأرمنية)

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٦. (بالأرمنية)

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٦. (بالأرمنية)

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٧. (بالأرمنية)

- تعداد الأرمن الكاثوليك في القطر المصرى عدا الإسكندرية في عام ١٨٩٨. (بالأرمنية)

(هـ) متحف الأدب والفن بيريشان

- أرشيف سمباد كيسيجيان، محفظة رقم ١. (بالأرمنية)



ثانياً: وثائق منشورة

- أمين سامى: تقويم النيل وعصر محمد علي باشا، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٢٨.
- _____ : تقويم النيل وعصر عباس حلمى باشا الأول ومحمد سعيد باشا، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٣٦.
- _____ : تقويم النيل وعصر إسماعيل باشا، مجلدان، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٣٦.
- حسين أفندى الروزنامجى: ترتيب الديار المصرية في عصر الدولة العثمانية، تحقيق: محمد شفيق غربال، حولية كلية الآداب، جامعة فؤاد، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦.
- شوقى عطا الله الجمل (دكتور): الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر ١٨٦٣ - ١٨٧٩، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٥٩.
- فهرست الأوامر العلية والذكريات الصادرة فى سنة ١٨٩٥، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٦.
- فهرست الأوامر العلية والذكريات الصادرة فى سنة ١٨٩٧، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٨.
- فؤاد كرم: النظارات والوزارات المصرية ، جزءان، إشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة، أنجزه الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٩.

- فيليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء ، خمسة مجلدات، الإسكندرية، ١٨٩٥-١٩٠١، المجلد الخامس.



ثالثاً : الآثار

☆ شواهد القبور (بالأرمنية)

- شواهد قبور الأرمن الأرثوذكس بـ «مارميناء» بالقاهرة.
- شواهد قبور الأرمن الأرثوذكس بالإسكندرية.
- شواهد قبور الأرمن الكاثوليك بـ «مارجرس» بالقاهرة.
- شواهد قبور الأرمن الكاثوليك بالإسكندرية.
- ☆ متحف مطرانية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة.



رابعاً : التعدادات

- نظارة الداخلية: إدارة التعداد، تعداد عموم سكان القطر المصرى فى عام ١٨٨٢، المطبعة المصرية بببلاق، القاهرة، ١٨٨٥.
- نظارة المالية: تعداد سكان القطر المصرى فى عام ١٨٩٧، مطبعة بوبلاق القاهرة، ١٨٩٨.



خامساً: مذكرات منشورة

(أ) اللغة العربية

- أحمد شفيق: مذكراتي في نصف قرن، جزآن، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٣٦.
- محمد فريد: مذكرات، تحقيق: رؤوف عباس حامد، القسم الأول، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥.

(ب) اللغة الفرنسية

Nubar Pacha: Mémoires. Introduction et Notes de M. Boutros Ghali, Librairie du Liban, Beyrouth, 1983.

سادساً: المؤلفات والدراسات والكتب المختلفة

(أ) اللغة العربية

- إبراهيم عبده (دكتور): أعلام الصحافة العربية، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٤٤.
- _____ : تطور الصحافة المصرية وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية ، مطبعة الآداب، القاهرة، ١٩٥١.
- أحمد أحمد الحتة (دكتور): تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي الكبير ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٠.
- _____ : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مطبعة المصري، الإسكندرية، ١٩٦٧.

- أحمد السعيد سليمان (دكتور) : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٩.
- أحمد السعيد أبو السعود: مصر والأرمن ، القاهرة، بدون تاريخ.
- أحمد شمس الدين الحجاجي: النقد المسرحي في مصر ١٨٧٦-١٩٢٣ ، سلسلة كتابات نقدية، رقم ١٧ ، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ١٩٩٣.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور): عصر حكيان، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.
- _____ : مصر والمسألة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.
- أحمد عزت عبد الكريم (دكتور): تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨.
- _____ : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلي أوائل حكم توفيق ١٨٤٨-١٨٨٢ ، القاهرة ، ١٩٤٥.
- أحمد قمحه وعبد الفتاح السيد: نظام القضاء والإدارة، القاهرة، ١٩٢٣.
- أديب إسحق: الدرر، بيروت، ١٩٠٩.
- أديب السيد: أرمنية في التاريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، ١٩٧٢.
- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٤ هجرية، الجزء الثاني.

- إسماعيل عبد البارى (دكتور): الديموجرافيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- أشرف محمود صالح (دكتور): دور الأرمن في الطباعة والصحافة، القاهرة، دار الوزان للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد الخديوى إسماعيل، جزءان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠.
- أمين سامي: التعليم في مصر، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩١٧.
- أمين مصطفى عفيفى عبد الله (دكتور): تاريخ مصر الاقتصادي والمالى في العصر الحديث، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
- أنور عبد الملك (دكتور): نهضة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.
- أنور عبد الواحد (دكتور): قصة المعادن الثمينة، سلسلة المكتبة الثقافية، عدد ٨٩، دار العلم، القاهرة، ١٩٦٣.
- جان أحمرانيان: من هم الأرمن؟، أصدقاء الثقافة الأرمنية بالقاهرة، القاهرة، ١٩٧٨.
- جرجى زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، دار الهلال، القاهرة، بدون تاريخ، ١٩٢٢، جزءان.
- _____ : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، دار الهلال، القاهرة، ١٩٢٢، جزءان.

- جرجس سلامة (دكتور) : تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ١٩٦٣.

- جمال حمدان (دكتور): القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، عدد ٥١٠، القاهرة، يونية ١٩٩٣.

- جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، خمسة عشر جزءاً، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى.

- جمال زكريا قاسم (دكتور): عبدالرحمن الجبرتى. سيرة وتقييم، منشوراً فى : عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

- حسن الفقى (دكتور): التاريخ الثقافى للتعليم فى مصر، الطبعة الثانية، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧١.

- حلمى أحمد شلبى (دكتور): الأقليات العرقية في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٣.

- _____ : الموظفون في مصر في عصر محمد علي، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

- حلمي محروس إسماعيل (دكتور): دراسات في الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة

دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة،
١٩٧٧.

- زكى صالح ومحمود مرسى: البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر،
جزءان، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٩، الجزء
الأول.

- رؤوف عباس حامد (دكتور): النظام الاجتماعى فى مصر فى ظل
الملكيّات الزراعيّة الكبيرة ١٨٢٧ - ١٩١٤، دار الفكر
الحديث، القاهرة، ١٩٨٣.

- سامى عزيز (دكتور): الصحافة المصريّة وموقفها من الاحتلال الإنجليزي،
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

- سعد الخادم (دكتور): تاريخ الأزياء الشعبيّة فى مصر، دار المعارف،
القاهرة، ١٩٥٩.

- _____ : تصويرنا الشعبى خلال العصور، سلسلة المكتبة
الثقافية، رقم ٩٥، دار العلم، القاهرة، أكتوبر ١٩٦٣.

- «سكك حديد مصر فى ١٢٥ عاماً ١٨٥٢-١٩٧٧»، مطابع السكك
الحديدية، القاهرة، ١٩٧٧.

- سليمان محمد النخيلى : تاريخ الحركة العمالية فى مصر، دار
النهضة العربيّة، القاهرة، ١٩٦٣.

- سهام مصطفى أبو زيد (دكتورة): تاريخ الأرمن فى مصر الإسلامية
من سنة ٤٦٦ إلى ٥٦٦ هـ / ١٠٧٣ إلى ١١٧١، دار
الكتاب الجامعى، القاهرة، ١٩٩١.

- شوقي عطا الله الجمل (دكتور) : سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

- صلاح أحمد هريدي (دكتور) : الحرف والصناعات في عهد محمد علي ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

- طلعت إسماعيل رمضان (دكتور) : الإدارة المصرية في فترة السيطرة البريطانية ١٨٨٢-١٩٢٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

- _____ : القضاء المصري في ظل السيطرة البريطانية ١٨٨٢-١٩٢٢، المنصورة، ١٩٩٠.

- _____ : محمد شريف باشا ودوره في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، المجلد الرابع.

- عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، أربعة أجزاء ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الرابع.

- عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

- _____ : عصر إسماعيل، الطبعة الثالثة، جزءان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.

- _____ : الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي، الطبعة الرابعة، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨٣.
- _____ : مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال البريطاني، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.
- _____ : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.
- عبد السميع سالم الهراوي : لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة، ١٩٦٢.
- عبد العزيز الشناوى (دكتور): الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ثلاثة أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، الجزء الثالث.
- عبد اللطيف حمزة (دكتور): أدب المقالة الصحفية في مصر، جزءان، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٠، الجزء الثانى.
- عبد المعطى شعراوى (دكتور): المسرح المصرى المعاصر أصله وبداياته، سلسلة الألف كتاب الثانى، رقم ٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.
- عبد الوهاب بكر (دكتور): الدولة العثمانية ومصر في النصف الثانى من القرن الثامن عشر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- عراقى يوسف (دكتور): الوجود العثمانى المملوكى في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

- علي بركات (دكتور): تطور الملكية الزراعية في مصر وأثره علي الحركة السياسية (١٨١٣-١٩١٤)، دار الثقافة الجديدة، القاهرة ١٩٧٧.

- علي الجريتلي (دكتور): تطور النظام المصرفي في مصر، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٩٦٠.

- علي زين العابدين (دكتور): المصاغ الشعبي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.

- علي مبارك باشا: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، عشرون جزءاً، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، الجزءان الأول والثاني.

- عمر طوسون (الأمير): البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، الإسكندرية، ١٩٣٤.

- _____ : الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا، الطبعة الثانية ، الإسكندرية، ١٩٣٢.

- فاطمة علم الدين (دكتورة): تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤، سلسلة مصر النهضة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

- فايز نجيب إسكندر (دكتور): الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) ، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، ١٩٨٣.

- فتحى محمد أبو عيانة (دكتور): جغرافية السكان أسس وتطبيقات ، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣.
- فؤاد حسن حافظ (مستشار): تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتى اليوم، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٨٦.
- فؤاد كرم: الأجانب في مصر، الجنسية المصرية، الطوائف الدينية في مصر، القاهرة، بدون تاريخ.
- فيليب دي طرازى: تاريخ الصحافة العربية، أربعة أجزاء، بيروت ، ١٩٣٣.
- «الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية ١٨٨٣-١٩٣٣» ، جزءان، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٧، الجزء الأول.
- كوثر عبد السلام البحيرى (دكتورة): أثر الأدب الفرنسى علي القصة القصيرة، سلسلة دراسات أدبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
- ك.ل. أستارچيان (دكتور): تاريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥١.
- _____ : تاريخ الثقافة والأدب الأرمنى، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل، ١٩٥٤.
- لطيفة محمد سالم (دكتورة): تاريخ القضاء المصرى الحديث، سلسلة تاريخ المصريين، رقم ٤٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩١.

- لويس عوض (دكتور): تاريخ الفكر المصرى الحديث، أربعة أجزاء،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الجزء الثانى،
١٩٨٣.

- ليلى عبد اللطيف (دكتورة): الإدارة في مصر في العصر العثمانى،
مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٣.

- محمد حمدى المنأوى (دكتور): الوزارة والوزراء في العصر الفاطمى،
دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

- محمد صبري (دكتور): تاريخ العصر الحديث، مصر من محمد علي
إلى اليوم، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٣٠.

- محمد عبده (الإمام): الأعمال الكاملة، الجزء الأول، الكتابات
السياسية، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد عمارة،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

- محمد عفيفى (دكتور): الأقباط في مصر في العصر العثمانى، سلسلة
تاريخ المصريين، رقم ٤٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
القاهرة، ١٩٩٢.

- محمد فريد (الزعيم): تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الثانية،
مكتبة الآداب، القاهرة، ١٨٩٦.

- محمد فهمى لهيطة (دكتور): تاريخ مصر الاقتصادى في العصور
الحديثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،
١٩٤٤.

- محمد فؤاد شكرى (دكتور): مصر والسودان تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر ١٨٢٠-١٨٩٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.
- محمود متولي (دكتور) : الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية وتطورها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤.
- محمود كامل: المسرح الغنائى العربى، سلسلة كتابك، رقم ٦٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
- مصطفى كامل (الزعيم): المسألة الشرقية، الطبعة الثانية، جزءان، مطبعة اللواء بمصر، بدون تاريخ، الجزء الثانى.
- مليكة عريان (دكتور) : مركز مصر الاقتصادى ، القاهرة، ١٩٢٣.
- ميخائيل شاروويم : الكافي فى تاريخ مصر الحديث، أربعة أجزاء، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٩٠٠، الجزء الرابع.
- نادية يوسف خفاجى : فن الزخرفة بالعقد «فن المكرمية» ، سلسلة إقرأ ، رقم ٤٢٩، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٧.
- ناهد أحمد حافظ (دكتورة): الغناء في القرن التاسع عشر، سلسلة كتابك ، رقم ١٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.
- نجيب مخلوف : نوبار باشا وما تم علي يده، القاهرة، ١٩٠٤.
- نعيم اليافى (دكتور): مجازر الأرمن وموقف الرأي العام العربى منها، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٢.

- يوسف أسعد داغر (بكتور): مصادر الدراسة الأدبية، جزءان، القاهرة، ١٩٥٢، الجزء الثاني.

- يونان لبيب رزق (بكتور): الخارجية المصرية ١٨٢٦-١٨٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

- ٢٥٠٠ عاماً علي تجديد البطريركية الأرمنية الكاثوليكية (١٧٤٢-١٩٩٣)، بيروت، ١٩٩٤.

(ب) معربة :

- الكسندر شولش : مصر للمصريين، أزمة مصر الاجتماعية والسياسية ١٨٧٨-١٨٨٢، ترجمة: رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.

- ألان نيلنز وهنري ستيل كوماجر : موجز تاريخ الولايات المتحدة، ترجمة: محمد بدر الدين خليل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣.

- أندريه ريمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٢.

- إيرل كيرونز : المسيحية عبر العصور، ترجمة: عاطف سامي برنابا، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢.

- چاك كرابس چونيور : كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر، دراسة في التحول الوطني، ترجمة: عبد الوهاب بكر،

سلسلة الألف كتاب الثانى، رقم ١١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

- جبريل بيير : دراسات في التاريخ الاجتماعي لمصر الحديثة، ترجمة: عبد الخالق لاشين وعبد الحميد فهمى الجمال، مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦.

- جون باورنج : تقرير جون باورنج منشوراً في : محمد فؤاد شكرى، بناء دولة مصر محمد على، القاهرة، ١٩٤٨.

- جون مارلو: تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨-١٨٨٢، ترجمة: عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦.

- شابرول: المصريون المحدثون، من كتاب «وصف مصر» لعلماء الحملة الفرنسية، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، ترجمة: زهير الشايب، القاهرة، ١٩٩٢.

- شاوارش طوريكيان : القضية الأرمنية والقانون الدولي، ترجمة: خالد الجبيلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٢.

- لورد كرومر: عباس الثانى، ترجمة : مطبعة التوفيق بمصر، بدون تاريخ.

- كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر، جزءان، ترجمة: محمد مسعود، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الثانى.

- هاملتون جب وهارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، جزءان، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى، سلسلة تاريخ

المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، الجزء الثاني، رقم ٣٦.

- هيلين أن ريثيلين : الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.

- يعقوب أرتين: القول التام في التعليم العام ، ترجمة: علي بهجت، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٨٩٤.

(ج) اللغة الأرمنية

- أرداشيس كارداشيان: مواد لتاريخ الأرمن في مصر، ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٤٨، الجزءان الثاني والثالث، فينيسيا، ١٩٨٦.

- أرشاج ألبويجيان : الإقليم المصرى والطائفة الأرمنية، القاهرة، ١٩٦٠.

- أريستاجيس هيسارليان : تاريخ تدوين الموسيقى الأرمنية وسير الموسيقيين الوطنيين ١٧٦٨-١٩٠٩، الأستانة، ١٩١٤.

- سيروفي دافيتيان: تاريخ الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية في مصر، القاهرة، ١٩١٤.

- شاراسان: المسرح الأرمني في تركيا والمشتغلين فيه ١٨٥٠-١٩٠٨، الأستانة، ١٩١٤.

- شاهان زارتاريان : مذكرات، القاهرة، ١٩٣٩.
- نزاريت أغازارميان : مذكرات عن الجالية الأرمنية في مصر، القاهرة، ١٩١١.
- نوبار دير ميكائيليان : تاريخ الأرمن في مصر في القرون الوسطى، بيروت، ١٩٨٠.
- كارنيج إستيبانيان : موجز تاريخ المسرح الأرمني الغربى، جزءان، يريفان، ١٩٦٩، الجزء الثانى.
- ليفون أچيميان: الكتاب السنوى للأرمن في مصر، القاهرة، ١٩٢٥.
- ماغاكيا أورمانيان : ازكبابوم، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦١.
- هوفانيس توبوزيان : الجالية الأرمنية في مصر ١٨٠٥-١٩٥٢، يريفان، ١٩٧٩.
- هوفانيس دير بدروسيان : الحركة التعليمية باللغة الأرمنية في تركيا، القاهرة، ١٩٨٣.
- يرفانت أوديان: الأعمال الكاملة ، الجزء الرابع، يريفان، ١٩٦٥.

(د) اللغة الإنجليزية

- Adams, Francis : The New Egypt, a social sketch, London, 1893.
- Atamian, Sarkis: The Armenian Community, New York , 1955.

- **Bhattacharjee, Arun:** A History of Europe (1789-1945), 2 Vols, New Delhi, 1982, Vol. 2.
- **Bourtnoutian, George:** A History of the Armenian people , 2 Vols, California, 1993, Vol. 1.
- **Browne, W.G.:** Travels in Africa, Egypt and Syria, From the year 1792 to 1798, London, 1799.
- **Burton, F.Richard:** Personal Narrative of a pilgrimage to El Medina and Meccah, 2 Vols, London, 1857, Vol. 1.
- **Burrt, Joseph :** The people of Ararat, London, 1926.
- **Crabites, pierre:** Ismail the Maligned Khedive, London, 1933.
- **Cromer, the Earle of :** Modern Egypt, London, 1911.
- **Crouchley, A. E. :** The Economic development in Modern Egypt, London, 1938.
- **Dodwelle, Henry :** The Founder of Modern Egypt, Study of Mohammed Ali, London, 1931.
- **Enkére, Gabriel :** Ibrahim Pacha 1789-1848, Cairo, 1948.
- **Heywarth Dunne, J:** An Introduction to the History of Education in Modern Egypt, London, 1938.
- **Hill, Richard:** A Biographical Dicitonary of the Anglo-Egyptian Sudan, Oxford, 1951.

- **Issawi, Charles** : Egypt, An Economic and Social Analysis, London, 1946.
- **Landau, Jacob, M:** Jews in Nineteenth Century Egypt, New York, 1969.
- **Lang, David Marshall:** Armenia, Cradle of Civilisation, London, 1980.
- _____ : The Armenians, A people in exile, London, 1988,
- **Lutfi Al-Sayyid, Afaf:** Egypt in the Reign of Mohammed ALi, Cambridge, 1984.
- _____ : Egypt and Cromer, A Study in Anglo-Egyptian Relations, London, 1960.
- **Mac Coan, J.C.** : Egypt as it is, London, 1877.
- **Madden, R.R.** : Egypt and Mohammed Ali, London, 1841.
- **Meinardus, Otto, F.A.:** Christian Egypt, Ancient and Modern, Cairo, 1977.
- **Miliner:** England in Egypt, London, 1903.
- **Ormanian, Malachia:** The Church of Armenia, London, 1955.
- **Pankhurst, Sylvia:** Ethiopia, London, 1955.
- **Paton, A. A.** : A History of Egyptian Revolution, 2 Vols, London, 1863.
- **Pederian, G** : Armenia under Arab Occupation 640-886 A.D., Canada, 1993.

- Poladian, Terenig: The Role of Armenia in History.
Calcata, 1958.
- Rae, W. Farser : Egypt To-day, London, 1892.
- Sanjian, Avedis. K: The Armenian Communities in Syria
under Ottoman Dominion,
Cambridge, 1965.
- Sarafian, Krikor: The Armenian Apostolic Church,
California, 1959.
- Senior: Conversation and Journals in Egypt and Malta, 2
Vols, London, 1882.
- Soneyl, Salahi Ramsdam: The Ottoman Armenians,
London, 1987.
- "Twentieth Century Impression of Egypt". London,
1909.
- Zevi , Filippo: Photographers and Egypt in XIX Cen-
tury, Firene, 1984.

(هـ) اللغة الفرنسية

- Archarouni, Victoria: Nubar pacha 1825-1899, le
Caire, 1960.
- Bertrand, Emile: Nubar pacha 1825-1899, Le Caire,
1904.
- Boutros - Ghali, Anna Naguib: les Dadians, le Caire,
1965.

- **Cattaui, Réne:** Le Règne de Mohammed Ali d'Après les Archives Russes en Egypte, 3 Vols, Roma, 1933.
- **Chafik, Ahmed:** L'Egypte Moderne et les Influences Étrangères. Le Caire, 1931.
- **Davidian, Serophin:** Généalogie et Biographie de S.E. Yacoub Artin Pacha, Le Caire, 1917.
- **El-Ghocen, Fayez:** Les Massacres en Arménie Turque, Beyrouth, 1917.
- **Hamont, P. H:** L'Egypt sous Méhémt-Ali, 2 Vols, paris, 1843.
- **Hanotaux, Gabriel :** Histoire de la Nation Egyptienne, 7 Vols, Paris, 1940, Vol. 5.
- **Iskandar, Fayez Naguib:** Les Arichesses de L'Arménie Turque, au temps de Bagratides (885-1045), Dar El Fikr Al Gami, Alexandrie, 1987.
- **Kazazian, Anne:** Etat des Archives du patriarcat Arménien Orthodoxe du Caire, Université de provence - Aix Marseille I, 1990.
- **"Livre d'Or de la Fédération Egyptienne de l'industrie",** Le Caire, 1948.
- **"Livre d'Or les juridictions Mixtes d'Egypte 1876-**

1926", Alexandrie, 1926.

- Mengin, M. F.: Histoire Sommaire de L'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Ali, Paris, 1839.
- Ninet, John : Le Commerce européen d'importation en Egypte de la Bazar égyptien, Berne, 1866.
- Regny, E. de: Statistique de L'Egypte 1871-1873, Alexandrie.
- Sabry, Mohammed: L'Empire égyptien sous Mohamed-Ali et la question d'Orient (1811-1849), Paris, 1930.
- _____ : L'Empire égyptien sous Ismail et L'ingérance, Anglo-Francaise (1863-1879), paris, 1933.
- Simon, Gabriel : L'Ethiopie, Voyage en AByssinie et chez les Galls-raïs, 2 Vols, paris, 1885, Vol. 1.



سابعاً: الدوريات

(أ) اللغة العربية

☆ **الاتحاد المصري**: جريدة يومية أسسها روفائيل مشاقة وماهر حسن فراج بالإسكندرية في عام ١٨٨١.

- سنوات ١٨٩٠، ١٨٩١، ١٨٩٢، ١٨٩٦، ١٨٩٧.

☆ **الأخبار**: جريدة يومية أسسها يوسف الخازن وعبد الحميد حمدي بالقاهرة في عام ١٨٩٦.

- سنة ١٨٩٧.

☆ **الإخلاص**: جريدة يومية أسسها إبراهيم عبد المسيح بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنة ١٨٩٥.

☆ **الأمالي**: جريدة يومية أسسها إسماعيل أباطة بالقاهرة في عام ١٨٩٤.

- سنتا ١٨٩٤، ١٨٩٥.

☆ **الأهرام**: جريدة يومية أسسها سليم تقلا ويشارة تقلا بالإسكندرية في عام ١٨٧٦.

- سنة ١٩٢٣.

☆ **البريد**: جريدة يومية أسسها محمد شكرى بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنوات ١٨٩٥، ١٨٩٧، ١٨٩٨.

☆ **التجارة**: جريدة يومية أسسها أديب إسحق وسليم نقاش بالإسكندرية في عام ١٨٧٨.

- سنة ١٨٧٩.

☆ **التربية الحديثة**: مجلة ثلث سنوية أصدرتها كلية المعلمين بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، في عام ١٩٢٨.

- رزق جرجس: المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات»، عدد ٤، أبريل ١٩٣٧.

☆ الزمان : جريدة يومية أسسها الكسان صرافيان بالقاهرة في عام ١٨٨٢.

- سنوات ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٨٦.

☆ السيار: جريدة أسبوعية أسسها يوسف كنعان بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

- سنة ١٨٩٥.

☆ الصائق: جريدة يومية أسسها أمين ناصف بالقاهرة في عام ١٨٨٦.

- سنة ١٨٨٧.

☆ فصل الخطاب: مجلة أسبوعية أسسها طانيوس عبده وعزيز إلياس بالاسكندرية في عام ١٨٩٦.

- سنة ١٨٩٧.

☆ القاهرة: جريدة يومية أسسها سليم فارس الشدياق بالقاهرة في عام ١٨٨٥.

- سنتا ١٨٨٦، ١٨٨٧.

☆ القاهرة الحرة :

- سنوات ١٨٨٧، ١٨٨٨، ١٨٨٩.

☆ كلية التربية جامعة المنصورة: مجلة سنوية.

- طلعت إسماعيل رمضان (بكتور): «أديب إسحق وفكره السياسي ١٨٥٦ - ١٨٨٥»، العدد الثاني، ١٩٧٨.

☆ مصر : جريدة أسبوعية أسسها أديب إسحق وسليم نقاش بالقاهرة في عام ١٨٧٧.

- سنتا ١٨٧٧، ١٨٧٩.

☆ **مصر القاهرة:** جريدة أسبوعية أسسها أديب إسحق بياريس في عام ١٨٧٩.

- سنة ١٨٨٠.

☆ **المقتطف:** مجلة علمية أسسها شاهين مكاريوس ويعقوب صروف ونمر بالقاهرة في عام

١٨٨٥.

- محمد شريف سليم (الشيخ) : «يعقوب آرتين باشا». ١٩١٩/٣/٥.

☆ **المقياس:** جريدة أسبوعية أسسها يوسف فتحى بالقاهرة في عام ١٨٩٥.

☆ **المؤرخ المصرى:** مجلة علمية.

- محمد عبد الرحمن برج (بكتور): «القضية الأرمنية بين مؤتمر برلين

والحرب العالمية الأولى ١٨٧٨-١٩١٤»، كلية الآداب،

جامعة القاهرة، يناير ١٩٩٠.

☆ **الهلال :** مجلة شهرية أسسها جرجى زيدان بالقاهرة في عام ١٨٩٢.

- سنوات ١٨٩٢، ١٨٩٤، ١٨٩٦.

- محمود علي مكى: «بدروپاث سولدان رحالة من بيرو في مصر في

منتصف القرن التاسع عشر»، يونيو ١٩٩٢.

☆ **الوقائع المصرية:** جريدة أسسها محمد علي بالقاهرة في عام ١٨٢٨.

- سنتا ١٨٧٣، ١٨٧٤.

(ب) اللغة الأرمنية

☆ آرشالويس آرارديان «فجر آراراد». أزمير.-

سنوات ١٨٤٤، ١٨٤٧، ١٨٤٩، ١٨٥٢، ١٨٥٣، ١٨٦٦، ١٨٧١.

☆ أرماثينى (النخلة)، بالقاهرة

- سنة ١٨٦٥.

☆ أرمنية، مارسيليا.

- سنوات ١٨٨٧، ١٨٩٤، ١٨٩٧.

☆ أريف «الشمس». القاهرة.

- سنة ١٩٢٥.

- ديكران كيغوركيان. «الصحافة الأرمنية في مصر ١٨٦٥-١٩٦٦».

١٩٧٠/٥/١١.

- _____: «نظرة حول نشأة الصحافة الأرمنية في مصر».

١٩٧٥/٣/١٠.

☆ أرثيك «الشرقي». الأستانة.

- سنتا ١٨٨٧، ١٨٩٣.

☆ آزاد بم «المنبر الحر». القاهرة

- سنة ١٩٠٧.

☆ أزكاسير «وطني». أزمير.

- سنة ١٨٤٧.

☆ بيزنطيون. الأستانة

- سنتا ١٨٩٨، ١٨٩٩.

☆ سيون «صهيون». القدس

- سنة ١٨٧٠.

☆ زاغيج «الوردية». الأستانة.

- سنة ١٩٠٣.

☆ لوساير «باعت النور». القاهرة

- سنة ١٩٠٤.

☆ نيفوس «النيل». الإسكندرية.

- سنة ١٨٨٩.

(ج) اللغة الإنجليزية

★ *Armenia U.S.A*

- **Alaux, Louis:** "The Armenian Schools in the Ottoman Empire" Vol. 1 No. 5, 1905.

- **Seklemian, A.G.:** "The Armenian Alphabet", Vol.1, No.6, 1905.

★ *The Armenian Review, Los Angeles.*

- **Abeghian, Artashes:** "History of Armenia, An Outline", vol. 2, No. 7, 1949.

- **Adalian, Ruben:** "The Armenian Colony of Egypt during The Reign of Mohammed Ali (1805-1848)", vol. 33, No. 128, 1980.

- **Artinian, Vartan:** "The Formation of Catholic and protestant Millets in the Ottoman Empire", Vol. 28, No. 109, 1975.

- _____: "The Role of the Amiras in the

Ottoman Empire", Vol. 34, No. 134,
1981.

- **Barsoumian, Hagop**: "Economic Role of the Armenian Amiras Class in the Ottoman Empire", Vol. 31, No. 124, 1979.
- **Caprielian, Ara**: "The Role of the Armenians in the Ottoman Empire", Vol. 21, No. 83, 1968.
- **Nalbandian, Vartouhie**: "The Theory of the Babylonian Origin of the Armenian people", Vol. 24, No. 95, 1971.
- **Saharouni, Suren**: "On the Origins of the Armenians", Vol. 13, No. 49, 1974.
- Ter Minassian, Anahide**: "A Family of Armenian Amira: The Dadians", Vol. 45, 179, 1992.

★ *L' Egypte Contemporaine, Le Caire.*

- **El-Gritly, Ali**: "The Structure of Modern Industry in Egypt", Vol. 38, 1948.
- ★ *The International Journal of Middle East Studies . London.*
- **Clark, Edward**: "The Ottoman Industrial Revloution", Vol. 1, 1974.

- Deeb, Marius: "The Socio-economic Role of the Local Foreign Minorities in Modern Egypt 1805-1961", Vol.9, 1978.
- Karpat, Kemal H: "Ottoman population Records and the Census of 1881/82-1893", Vol.9, 1978.
- Silvera, Alian, "The First Egyptian Student Mission to France under Muhammed Ali", No. 2, May 1980.

(د) اللغة الفرنسية

- ★ *La Bourse Egyptienne , Le Caire*
- El-Muwelhi, Ibrahim: "L'Introduction de la Mandarine en Egypte", 13/8/1940.
- ★ *Cahiers d' Alexandrie, Alexandrie.*
- Chahbaz, Stephane: "Les Arméniens d'Egypte", 1966.
- ★ *Colloques Internationaux du CNRS. Paris.*
- Boudjikanian, Aida K: "Les Rôles Socio-économiques et politiques des Arméniens d'Egypte au XIXé Siécle", No. 601, 1983.

★ *IFAO, Le Caire.*

- **Kazazian, Anne:** "Espaces Communautaire, Projections Nationales le Communauté Arménienne d'Egypte 1863-1950", Colloque La Réforme Sociale en Egypte, 10-13/12/1992.

★ *Le Messenger, Le Caire*

- **Carmont, Pascal:** "Le Role des Armeniens en Egypte au XIXéme siecle", 8/12/1991, No. 1719; 15/12/1991, No. 1720; 29/12/1991, No. 1722; 19/1/1992, No. 1725.

★ *Le Monde Copte, paris.*

- **Mahé, Jean-pierre:** "Les Armeniens et l'Egypte", No. 9, 1980.

★ *Revue d'Egypte . Le Caire.*

- "Artin bey (1800-1895)", Vol.2, 1895.

★ *Société Royale de Géographie d'Egypte. Le Caire.*

- Deny, John:** "Sommaire des Archives turques du Caire", 1930.



ثامناً: موسوعات و معاجم

(أ) اللغة العربية

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس، القاهرة، ١٩٧٠.

- أحمد بيومي (بكتور): القاموس الموسيقي، وزارة الثقافة، المركز الثقافي القومي، دار الأوبرا المصرية، القاهرة، ١٩٩٢.

- أحمد سويلم العمري (بكتور): معجم العلوم السياسية الميسر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

- عبد الوهاب الكيالي (بكتور) وكامل زهيرى: الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

- نجيب فرنجيه: الموسوعة العربية، دار ربحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥.

- ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الرابع، بيروت، ١٩٨٤.

- يوسف تونى (بكتور): معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٤.

(ب) اللغة الإنجليزية

- Collier's Encyclopedia: 24 Vols, New York, 1992, Vol. 15, 16, 20, 21.

- **Greppin, John:** "The Armenian Language", Lexicon Universal Encyclopedia, New York, 1986.
- **Hastings, James:** Encyclopedia of Religion and Ethics , Vol.1, New York, 1985.
- **The New Encyclopaedia Britannica**, Vol. 1, London, 1974.
- **Encyclopedia International**, Vol. 2, Lexicon publications, 1981.
- **Encyclopedia of Islam**, Vol. 1, London, 1960.
- **Jacob, Arthur:** Dictionary of Music, Fifth Edition, London, 1991.



صدر فى هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٢ - على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.
- ٤ - التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
عليه عبد السميع الجلزورى، ١٩٨٧.
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ج ١،
لمعى للطبع، ١٩٨٧.
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.
- ١٢ - هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.
- ١٣ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.
- ١٤ - مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة
الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢: ١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد
زغلول وعبدالرحمن فهمي ،
د . محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨ .
- ٢١ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني ج١ ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر ،
جمال بدوي ، ١٩٨٨ .
- ٢٣ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني ج٢ ، إمام التصوف في
مصر : الشعراي ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩ .
- ٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب ،
تأليف : هامبتون جب وهارولد بورين ،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التريوى في مصر الحديثة ،
د . سعد إسماعيل على ، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج٢ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٩ - مصر في عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ .

- ٣٠- الموظفون في مصر في عهد محمد علي،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٨٠.
- ٣١- خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكري القاضى، ١٩٨٩.
- ٣٢- هؤلاء الرجال من مصر ج ٢،
لمى المطيعي، ١٩٨٩.
- ٣٣- مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة
ورؤية مستقبلية،
د. خالد محمود الكرمي، ١٩٨٩.
- ٣٤- تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢،
د. يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.
- ٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحمد توفيق زكي، ١٩٩٠.
- ٣٦- المجتمع الإسلامي والغرب ج ٢،
تأليف: هاملتون بورين، ترجمة: د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.
- ٣٧- الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في
ربع قرن،
تأليف: د. سليمان صالح، ١٩٩٠.
- ٣٨- فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني،
د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.
- ٣٩- قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧)،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.

- ٤٠- الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨،
د . عبدالمنعم الدسوقي الجميلى، ١٩٩٠.
- ٤١- محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١.
- ٤٢- تكوين مصر عبر العصور،
مصدق شفيق غريال، ط ٢، ١٩٩٠.
- ٤٣- رحلة في عقول مصرية،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠.
- ٤٤- الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر، في العصر العثماني،
د . محمد عفيفي، ١٩٩١.
- ٤٥- الحروب الصليبية ج ١،
تأليف : وليم الصوري، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشي، ١٩٩١.
- ٤٦- تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،
ترجمة: د . عبدالرزاق أحمد عمرو، ١٩٩١.
- ٤٧- تاريخ القضاء المصري الحديث،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.
- ٤٨- الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١.
- ٤٩- العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩)،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٠- الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤)،
د . سهير لسكندر، ١٩٩٣.

- ٥١- تاريخ المدارس في مصر الإسلامية،
(أبحاث للدوة التي أقامتها لجنة للتاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، في
إبريل ١٩٩١)،
أعدما للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.
- ٥٢- مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر،
د. إلهام محمد علي زهنى، ١٩٩٢.
- ٥٣- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢.
- ٥٤- الأقباط في مصر في العصر العثماني،
د. محمد عفيفي، ١٩٩٢.
- ٥٥- الحروب الصليبية ج-٢،
تأليف: وليم للصوري ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ١٩٩٢.
- ٥٦- المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية،
د. حلمي أحمد شلبي، ١٩٩٢.
- ٥٧- مصر الإسلامية وأهل النعمة،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.
- ٥٨- أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة،
د. إبراهيم عبدالله السطى، ١٩٩٣.
- ٥٩- الرأسمالية الصناعية في مصر، من التمهيد إلى التأميم
(١٩٥٧-١٩٦١)،
د. عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣.
- ٦٠- المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣.

- ٦١- تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٢- هؤلاء الرجال من مصر ج٣،
لمعى البيطي، ١٩٩٣.
- ٦٣- موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح
عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٤- مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.
- ٦٥- موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧)،
د . سهام نصار، ١٩٩٣.
- ٦٦- المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.
- ٦٧- مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة،
بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية للبيات جامعة عين شمس، فى إبريل
١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.
- ٦٨- الحروب الصليبية ج٣،
تأليف: وإيم الصورى
ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٣.
- ٦٩- نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١)،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤.

- ٧٠- أهل الذمة في الإسلام،
تأليف: أ.س. ترتون
ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ط ٢، ١٩٩٤.
- ٧١- مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
- ٧٢- رؤية الرحالة المسلمين لأحوال المائنة والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي
(٣٥٨-٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.
- ٧٣- تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.
- ٧٤- تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١، في العصر الفروغوني،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.
- ٧٥- أهل الذمة في مصر، في العصر الفاطمي الأول،
د. سلام شافعي محمود، ١٩٩٥.
- ٧٦- دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني)،
د. سعيد إسماعيل علي، ١٩٩٥.
- ٧٧- الحروب الصليبية ج٤،
تأليف: وليم للصوري، ترجمة وتطبيق: د. حسن حبشي، ١٩٩٤.
- ٧٨- تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.
- ٧٩- تاريخ الطرق الصوفية في مصر، في القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دي يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمي للجمال، ١٩٩٥.

- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢-١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥ .
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر ،
د . رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥ .
- ٨٢ - مصر في فجر الإسلام ، من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية ،
د . سيدة إسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ - القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥ .
- ٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د . حلمي أحمد ثلبي ، ١٩٩٥ .
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د . أحمد الشربيني ، ١٩٩٥ .
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ٢ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
إدوارد : تريغور إيفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥ .
- ٨٨ - التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبدالحاميد توفيق زكي ، ١٩٩٥ .
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د . عبدالحاميد حامد سليمان ، ١٩٩٥ .

- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦ .
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمي للجمال، ١٩٩٦ .
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
ج- ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦ .
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د. نبيه بيومي عبدالله، ١٩٩٦ .
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦ .
- ٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة
بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة) ،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان
- ٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد صبرو.
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المضمرية (العصر اليونانى -
الرومانى) ج ٢ ،

د. سمير يحيى للجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،

أ.د. عبد العزيز صالح، أ.د. جمال مختار، أ.د. محمد

ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحي،

أ.د. فاروق القاضى، أعدما للنشر: أ.د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفاى،

اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ -

١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره

د. على بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية ١٨٠٥ -

١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمع

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية

فى ربع قرن .

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية.

تأليف: دليب هيررو: ترجمة: عبدالحميد فهمي الجمال.

١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤.

سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥.

سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين

المماليك) ج ١.

د. البيومي إسماعيل الشربيني.

١١١ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين

المماليك) ج ١.٢.

د. البيومي إسماعيل الشربيني.

١١٢ - إسماعيل باشا صدقي

د. محمد محمد الجواندي.

١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصري)

د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ - دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي

تأليف أحمد رشدي صالح

١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٣.

أحمد شفيق باشا.

١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية

عبد الرزاق إبراهيم عيسى (١٥١٧ - ١٧٩٨)

- ١١٨ - التنظيم المالية في مصر والشام
د. الليبومى اسماعيل الشريبنى
- ١١٩ - الثقافات في مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس
- ١٢١ - الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوى
- ١٢٢ - مصر للمصريين جـ ٦
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نصان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين جـ ٧
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
- ١٢٧ - مقلعات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨)،
إبراهيم محمد محمد إبراهيم .
- ١٢٨ - معارك صحفية،
بكرم / جمال بدوى.

١٢٩ - الدين العام (وآثره فى تطور الاقتصاد المصرى)
(١٨٧٦-١٩٤٣).

د. يحيى محمد محمود

١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.

١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ م.
ترجمة/ د. عبدالرؤف أحمد عمر.

١٣٢ - دار المنسوب السامى فى مصر ج-١. د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ - دار المنسوب السامى فى مصر ج-٢. د. ماجدة محمد حمود.

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى
للدانندلى.

بقلم/ عزت حسن أنقى الدانندلى

ترجمة/ جمال سعيد عبد الفتى.

١٣٥ - اليهود فى مصر المملوكية

(فى ضوء وثائق الجنيزة).

(٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ.د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ - تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى

د. محمد عبد الفتى الأشقر

١٣٨ - الإخوان المسلمون وجلور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر

للسيد يوسف

- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
- ١٤٠ - سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن
التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨م.
- طارق عبد العاطى غنيم بيومى
- ١٤١ - وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار
- ١٤٢ - مذكراتى فى نصف قرن ج٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.
- ١٤٣ - دبلوماسية البطالة فى القرنين الثانى والأول ق. م
د. منيرة محمد الهمشرى
- ١٤٤ - كشوف مصر الافريقية فى عهد الغلبوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
- ١٤٥ - النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس
(٢٨٤ - ٣٠٥م)
- د. منيرة محمد الهمشرى
- ١٤٦ - المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
- ١٤٧ - حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟
د. رفعت السعيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى

- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية
في القرن لثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة
السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. عليّة عبد السميع الجنزورى
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى
العصور الوسطى
د. عليّة عبد السميع الجنزورى
- ١٥٥ - عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ - ١٨٨٣ م)
د. عبد الحميد البطريق
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال

١٥٧- تاريخ الطب والصيدلة المصرية

الجزء الرابع

فى العصر الإسلامى والحديث

د. سمير يحيى الجمال

١٥٨- نائب السلطنة المملوكية فى مصر

(١٢٥٠ - ١٥١٧م / ٦٤٨ - ٩٢٣هـ)

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩- حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

الجزء الأول

د. محمد فريد حشيش

١٦٠- حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢)

الجزء الثانى

د. محمد فريد حشيش

١٦١- السيف والنار فى السودان

تأليف / سلاطين باشا

١٦٢- السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ - ١٩٥٣م)

د. تمام همام تمام

١٦٣- مصر والحملة الفرنسية

المستشار/ محمد سعيد العشماوى

١٦٤- الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ

(أعمال ندوة لجنة للتاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك

مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠٠١ - ٢١

ديسمبر ١٩٩٧.

إعداد / د. عبدالمعطي رمضان

١٦٥- التعليم والتغير الاجتماعي في مصر

(في القرن التاسع عشر)

سامي سليمان محمد السهم

١٦٦- مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر)

السيد يوسف

١٦٧- الحركة العلمية والأدبية في القسطنطينية منذ الفتح العربي إلى

نهاية الدولة الأخشيديّة

د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨- مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات

يسرى عبد الغنى

١٦٩- مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية عصر

الفاطميّين (٢١ - ٥٦٧هـ / ٦٤٢ - ١١٧١م)

د. صفى على محمد عبدالله

١٧٠- القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١- تاريخ الجالية الأرمنية في مصر

للقرون التاسع عشر

تأليف / محمد رفعت

٥	● تقديم بقلم: ا. د. عبد العظيم رمضان
٧	● الإهداء
٩	● مقدمة
	● الفصل الأول
١٩	أرمينية والأرمن
٢١	١- الملامح الجغرافية لأرمينية
٢٥	٢- السكان وأصولهم العرقية
٣١	٣- الأرمن تحت الحكم العثماني
	● الفصل الثاني
٦٣	هجرة الأرمن إلى مصر
٧١	١- ظروف الهجرة
٨٤	٢- التوزيع الجغرافي للأرمن
	● الفصل الثالث
١٠٥	النشاط الاقتصادي للأرمن
١٠٧	١- المال والتجارة
١٢١	٢- الزراعة
١٢٥	٣- الصناعة
١٣١	٤- الحرف
١٤٠	٥- ملكية الأرض
	● الفصل الرابع
١٦٩	الأرمن في الجهاز الحكومي
١٧٤	١- التعليم
١٨٤	٢- المالية
١٩٠	٣- السكك الحديدية
١٩٤	٤- التجارة الخارجية

١٩٦	٥- الحقائقية
١٩٨	٦- الداخلية
١٩٩	٧- الأشغال

● الفصل الخامس

٢٢٣	الدور السياسى للأرمن
٢٢٥	١- الأرمن فى البلاط
٢٣١	٢- إدارة الأقاليم
٢٣٦	٣- النظارات

● الفصل السادس

٢٩١	الأرمن فى المجتمع المصرى
٢٩٣	١- مجتمع الأرمن
٣١٧	٢- التعليم
٣٢٣	٣- الصحافة
٣٣٩	٤- الفنون

٣٧٣	● خاتمة
-----	---------------

٣٧٩	● الملحق
-----	----------------

ملحق رقم ١

٣٨١	وثائق تأسيس المجلس الملى الأرمنى بالقاهرة
-----	---

ملحق رقم ٢

٣٩١	معجم
-----	------------

ملحق رقم ٣

٤٠٥	الخرائط والأشكال والصور
-----	-------------------------------

٤١٩	● المصادر
-----	-----------------